The Islamic University–Gaza

Research and Postgraduate Affairs

Faculty of Ossoul Ed-deen

Master of Creed and Contemporary Doctrines

الجامعة الإسلامية – غزة

شؤون البحث العلمي والدراسات العليا

كلية أصول الدين

ماجستير العقيدة والمذاهب المعاصرة

توحيد الربوبية والألوهية بين صحيح البخاري والكافي للكُلَيْني (دراسة مقارنة)

Tawheed Al-Ruboubeyya and Tawheed Al-Ulouheyya between Sahih Al-Bukhari and Al-Kahfi by Al-Kulaini (A Comparative Study)

إعدَادُ البَاحِثَة

هيفاء أنور رباح السكافي

إشرَافُ

الأُستَاذ الدُكتُور

صالح حسين سليمان الرقب

قُدمَ هَذا البحثُ اِستِكمَالاً لِمُتَطلباتِ الحُصولِ عَلى دَرَجَةِ الْمَاجِستِيرِ
فِي العَقِيدَةِ والمَذَاهِبِ المُعَاصِرَةِ بِكُليةِ أُصُولِ الدْينِ فِي الْجَامِعَةِ الإِسلامِيةِ بِغَزة

مارس/2017م – جماد ثاني/1438هـ

إقـــــرار

أنا الموقع أدناه مقدم الرسالة التي تحمل العنوان:

توحيد الربوبية والألوهية بين صحيح البخاري والكافي للكُلَيْني

Theology between Bukhare True and Kaffe (A Comparative Study)

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هو نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وأن هذه الرسالة ككل أو أي جزء منها لم يقدم من قبل الآخرين لنيل درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أي مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

Declaration

I understand the nature of plagiarism، and I am aware of the University's policy on this.

The work provided in this thesis، unless otherwise referenced، is the researcher's own work، and has not been submitted by others elsewhere for any other degree or qualification.

Student's name:	**هيفاء أنور السكافي**	اسم الطالب:
Signature:		التوقيع:
Date:		التاريخ:

بسم الله الرحمن الرحيم

الجامعة الإسلامية-غزة
The Islamic University of Gaza



مكتب نائب الرئيس للبحث العلمي والدراسات العليا
هاتف داخلي 1150

الرقم: Ref: ج س غ/35/

التاريخ: Date: 2017/05/07م

نتيجة الحكم على أطروحة ماجستير

بناءً على موافقة شئون البحث العلمي والدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بغزة على تشكيل لجنة الحكم على أطروحة الباحثة/ **هيفاء أنور رباح السكافى** لنيل درجة الماجستير في **كلية *أصول الدين*/** قسم **العقيدة الإسلامية** وموضوعها:

"توحيد الربوبية والألوهية بين صحيح البخاري والكافي للكُلَيْني"
(دراسة مقارنة)

وبعد المناقشة التي تمت اليوم الأحد 10 شعبان 1438هـ، الموافق 2017/05/07م الساعة الواحدة والنصف ظهراً في قاعة مؤتمرات اللحيدان، اجتمعت لجنة الحكم على الأطروحة والمكونة من:

أ.د. صالح حسين الرقب	مشرفاً و رئيساً	....
د. نسيم شحدة ياسين	مناقشاً داخلياً	....
د. عبد السلام عطوة الفندي	مناقشاً خارجياً	....

وبعد المداولة أوصت اللجنة بمنح الباحثة درجة الماجستير في **كلية أصول الدين/** قسم **العقيدة الإسلامية.**

واللجنة إذ تمنحها هذه الدرجة فإنها توصيها بتقوى الله ولزوم طاعته وأن تسخر علمها في خدمة دينها ووطنها.

والله ولي التوفيق ،،،

نائب الرئيس لشئون البحث العلمي والدراسات العليا

أ.د. عبدالرؤوف على المناعمة

+97082644400 +97082644800 public@iugaza.edu.ps www.iugaza.edu.ps iugaza iugaza mediaiug iugaza
P.O Box 108, Rimal,Gaza,Palestine ص.ب 108 الرمال . غزة . فلسطين

ملخص الرسالة

إنَّ أصح كتابٍ بعد كتاب الله عزَّ وجلَّ هو صحيح البخاري، ويعدُّ الشيعة كتاب الكافي للكُلَيْني أصح كتاب ورد فيه روايات عن أئمتهم، وفي هذا البحث تمَّ عقد مقارنة بين التوحيد في هذين الكتابين، باعتبار أنَّ كلاً منهما يمثل طائفته، وقد تضمن هذا البحث مقدمة، وتمهيداً، وبابين، وكل باب فيه عدة فصول.

وقد تضمنت المقدمة: الإهداء، والشكر، وأهمية وأسباب اختيار الموضوع، ومنهج البحث، وطريقته، والدراسات السابقة، ثمَّ خطة البحث.

وقد شمل التمهيد التعريف بالبخاري، وصحيحه، ومكانته عند أهل السنة والجماعة، وكذلك التعريف بالكليني، وكتابه الكافي، ومكانته عند الشيعة.

وأما الباب الأول: فتناول التعريف بتوحيد الربوبية عند الإمام البخاري رحمه الله، والمسائل التي تقدح في التوحيد، وورد فيه كذلك أدلة توحيد الربوبية في صحيح البخاري، والمنهج الذي سار عليه الإمام البخاري في عرضه للتوحيد، ومكانة الإقرار بتوحيد الربوبية، وذُكر فيه كذلك تعريف التوحيد في الكافي، وما عدَّه الكليني نواقض تقدح في التوحيد، والمسائل التي تناقض توحيد الربوبية في روايات الكافي، وشمل أيضاً منهج الكليني في عرضه لمسائل التوحيد، وما عدَّه أدلة لإثبات التوحيد، ومكانة إثبات ربوبية الله تعالى عنده، وهذا مع الرد المفصل لكل مسألة من خلال الآيات القرآنية، ومن خلال تناقض رواياته مع بعضها، ومع كتب الشيعة المعتمدة.

وقد اشتمل الباب الثاني على: معنى توحيد الألوهية عند البخاري، ونواقضه، ومكانة الإقرار بتوحيد الألوهية، وورد فيه كذلك معنى الألوهية عند الكليني، والأمور التي تقدح في العبادة عنده، والمسائل التي تناقض توحيد الألوهية في كتاب الكافي، ونقض معتقداته الفاسدة في مسائل التوحيد، ثم دور النبي صلى الله عليه وسلم في تبليغ التوحيد بين البخاري والكليني، وأخيراً بذكر أهم النتائج التي توصلت إليها الباحثة، وأهم التوصيات، ثم بذكر الفهارس.

Abstract

The most authentic book, after the Book of Allah Almighty, is Sahih Al-Bukhari. However, the Shiites consider the book of Al-Kafi by Al-Kulaini the most authentic book in which narrations of their imams are mentioned. In this study, a comparison between these two books are held considering the issue of monotheism, Tawheed. The comparison is based on the consideration that each book represents its group. The study includes an introduction, a preface, and two sections that include several chapters.

The introduction includes a dedication, acknowledgement,, importance of the topic, the reasons for its selection, research methodology and method, the previous studies, and the research plan.

The preface included an introduction about Imam Al-Bukhari, his Sahih, his rank among Ahl Al-Sunnah Wal-Jamaa'ah. The preface also introduced Al-Kulaini, his book (Al-Kafi), and his rank among the Shiites.

The first section discussed the definition of Tawheed Al-Ruboubeyya as mentioned by Imam Al-Bukhari, may Allah's mercy be upon him, and the acts that affect this Tawheed. This section also discussed the evidences of Tawheed Al-Ruboubeyya in Sahih Al-Bukhari, the approach which was followed by Imam Al-Bukhari in his presentation to this Tawheed in addition to its status. The section also presented the definition of Tawheed in Al-Kafi book, its nullifiers as mentioned by Al-Kulaini, and the narrations that contradict Tawheed Al-Ruboubeyya in Al-Kafi book. The section also addressed Al-Kulaini's methodology in presenting the issues of Tawheed, the criteria of Tawheed evidences, and the status of Tawheed Al-Ruboubeyya as perceived by him. Finally, the first section mentioned detailed responses on each Tawhhed issue mentioned in Al-Kafi book through the verses of the Noble Quran, and through exposing the contradictions of these narrations with the adopted Shiites' books.

The second section included the definition of Tawheed Al-Ulouheyya as mentioned by Imam Al-Bukhari, its nullifiers, and its status. This section also discussed its meaning as mentioned by Al-Kulaini, the issues that undermine the acts of worship as perceived by him, and the issues that contradict Tawheed Al-Ulouheyya in Al-Kafi book. The section exposes Al-Kulaini's deviated beliefs in this regard, and explains the role of the Prophet, may Allah's peace and blessings be upon him, in calling to Tawheed from the viewpoint of Al-Bukhari and Al-Kulaini. The study finally concludes by mentioning the most important findings, the most important recommendations, and the study indexes.



﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ العَلِيمُ﴾

[البقرة:127]

اْلإِهدَاْءُ

إلى من جعلهم الله تعالى سبب وجودي في هذه الدنيا إلى والدي الكريمين، إلى خالتي الغالية أم أدهم، إلى أغلى الناس على قلبي إلى إخواني محمد وأحمد وحمزة وأنس وأخص بالذكر توأم روحي محمود، إلى أخواتي الغاليات شيماء وألاء وفاطمة، إلى أقاربي الكرام إلى من أخجلونا بتضحياتهم إلى أهالي الشهداء وأخص بالذكر شهداء عائلة السكافي، إلى كل من علمني حرفاً وتعب معي حتى أصل لهذا المكان وكنت أراهم قدوة ومناراً في طريقي إلى أساتذتي الكرام في كلية الشريعة والقانون، وفي كلية أصول الدين، وفي كلية الدعوة، ومهما أقول فلن أوفيكم حقكم يا من كنتم مثالاً للعطاء والقيم، إلى الأخوات في دار القرآن، وفي منتدى دار القراء، وأخص بالذكر من أخذت عنهم السند، إلى أخواتي في معهد الأخلاء، إلى الأخوات في وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، إلى الأخوات في جمعية الشابات المسلمات، إلى رفيقات الدرب في كلية الدعوة وفي الجامعة الإسلامية، إلى كل من ساندني ووقف بجانبي ولو بدعوة في ظهر الغيب أهديهم بحثي المتواضع.

شكرٌ وتقديرٌ

﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ [النمل:19] ، يا رب لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك، يا رب لك الحمد حتى ترضى، ولك الحمد إذا رضيت، ولك الحمد بعد الرضا، لك الحمد بالإيمان، ولك الحمد بالإسلام، ولك الحمد بالقرآن، ولك الحمد بكل نعمة أنعمت بها علي في قديم او حديث أو سر أو علانية، أحمدك رب أن وفقتني في دراستي وأنعمت علي بنعم كثيرة لا أستحقها، ولكني سألت رباً عظيماً كريماً فلم يخذلني ولم يخيب رجائي، وأسالك يا إلهي أن تتقبل مني عملي، وأن تجعله خالصاً لوجهك الكريم، وأن تنفع به الإسلام والمسلمين، وأشكر من تحملوا من أجلي وكانوا عوني وسندي إلى والداي الكريمين وأخص بالذكر حبيبة قلبي وقرة عيني أمي الغالية التي لطالما انتظرت أن تراني في هذا المكان أدامك الله تعالى تاج رؤوسنا وأسال الله تعالى أن يجزيك خير الجزاء في الدارين، كما وأتقدم بجزيل الشكر والعرفان إلى الأستاذ الدكتور صالح حسين سليمان الرقب لقبوله الإشراف علي، أشكره على كل ما قدم لي، فقد كان دوماً ناصحاً ومربياً ومعلماً، وإني لا أملك في هذا المقام إلا أن أدعو الله تعالى أن يتقبل منه، وأن يرفع قدره في الدارين، وأن يتم عليه الصحة والعافية وأن يبارك في عمره وصحته وأهله، وأشكر كذلك عضوي لجنة المناقشة الدكتور الفاضل نسيم شحدة ياسين، والأستاذ الدكتور عبد السلام عطوة الفندي، وأشكر كل من ساندني ووقف بجانبي ولو بدعوة في ظهر الغيب، وأشكر كل من أتى يشاركني فرحتي، أشكركم جميعاً أحبتي فإني قد رأيت الفرحة والمحبة في عيونكم، والتوفيق من دعواتكم.

فهرس المحتويات

مقدمة

إنَّ الحمد لله نحمده، ونستغفره، ونستعين به، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله، وبعد:-

فإنَّ من أعظم النوازل التي ابتليت بها الأمة الإسلامية هي الانحرافات العقائدية التي تنتشر بين فترة وأخرى، وهذه الانحرافات هي التي تدفع الأمة المسلمة إلى هوّة الانكسار، ولعل من أكثر هذه الانحرافات خطورة هو الانحراف العقائدي الذي سببته الشيعة الروافض قديماً وحديثاً، وفي كل نازلةٍ تَحُلّ بالأمة لا بدَّ من أناسٍ مخلصينٍ يذبّون عن حياض العقيدة، ويكونون حريصين على كشف زيف هذه الانحرافات وآثارها السيئة في النيل من عقيدة المسلمين، وتوعية الناس، وتبصيرهم بما يصلح به أمر دينهم، وفي ظل هذه الظروف التي ظهر فيها أمر الشيعة الروافض واضحاً جلياً حيث تحاول هدم صرح العقيدة، كان لا بدَّ من نهوض الدعاة المخلصين لمواجهة هذا الشر القادم بخطوات ثابتة وعلم راسخ؛ حتى يعززوا الحق ويظهروه، ويأتون على بنيان الباطل من قواعده، حتى يخرّ السقف على أهله من فوقهم، فإمَّا أنْ يرجعوا ويذعنوا للحق، وإما أنْ نغلق أفواههم، ونسدّ عليهم كل ميدانٍ يمكن أن يستغلوه لنصرة أفكارهم المنحرفة؛ ولأن التوحيد هو أساس الدين؛ ولأن أحفاد الكفر يحاولون أن يطفئوا نوره في قلوب الموحدين، كان لا بدَّ لنا من أن ننقض معتقدهم، ونبين التوحيد الذي أنزله الله تعالى على أنبيائه عليهم السلام، وأراد من عباده أن يحققوه، فبذلك يتبين الحق في أوضح صوره، والله تعالى وحده الموفق إلى سواء السبيل... والحمد لله رب العالمين.

أهمية وأسباب اختيار الموضوع:

1- أهمية كتاب صحيح البخاري، حيث إنَّه أصح كتاب بعد القرآن الكريم، فعند جمع الأحاديث التي تتكلم عن التوحيد بأنواعه، نكون قد وصلنا إلى حقيقة التوحيد الذي أراده الله تعالى.

2- مكانة كتاب الكافي عند الشيعة، حيث يعدّونه أصح كتب الحديث، ويلتزمون بما جاء فيه، فلذلك إذا أردنا معرفة حقيقة معتقد الشيعة في التوحيد فلا بدَّ من الرجوع إلى كتاب الكافي، ودراسة ما فيه من روايات في هذا الجانب.

3- بيان فساد توحيد الشيعة، من خلال مقارنته بالتوحيد الصحيح في كتاب صحيح البخاري، حتى يتبين الحق في أوضح صوره، وكما قيل: الضد يظهر حسنه الضد، وبضدها تتميز الأشياء، والتوحيد هو أساس الدين، فإذا انهدم توحيد الشيعة فقد انهدم دينهم، وتبين فساد ما يدعون إليه.

4-الخطر الشيعي الذي بات يهدد الدول الإسلامية، وترسيخ الشيعة جهودهم لنشر معتقدهم الفاسد.

منهج البحث:

استخدمت الباحثة المنهج الوصفي، والاستعانة بالمنهج المقارن خلال هذه الدراسة.

طريقة البحث:

1- تناول الأحاديث التي تتحدث عن توحيد الربوبية والألوهية الواردة في كتاب التوحيد في صحيح البخاري، مع بيان مقصود البخاري منها، وبيان شرحها، وإذا اقتضى البحث يتم ذكر الأحاديث المذكورة في غير باب التوحيد، التي تدعم الموضوع، مع ذكر ما يدعم صحة الأحاديث من القرآن الكريم، مع الإشارة إلى استدلال البخاري بها في صحيحه، إما في المتن، أو في الهامش.

2-تناول الروايات التي تتحدث عن توحيد الربوبية والألوهية بالاعتماد بشكل أساسي على كتاب التوحيد من كتاب الكافي، مع بيان شرحها، وذكر بعض الروايات في غيره من الأبواب عند الحاجة، والرجوع إلى شروح الكافي المعتمدة عند الشيعة، والتركيز على الجوانب العقدية فيها على النحو التالي:

أ-ذكر موقف الكليني من المسألة المطروحة بجمع الروايات ذات الصلة، وشرحها وبيان المقصود منها، ثم الرد عليها ونقضها.

ب-التركيز على بيان التناقض في مسائل التوحيد عند الكليني، والاعتماد عليه لنقض المذهب ابتداءً، وذلك بذكر الروايات المناقضة للمعتقد من الكافي نفسه، ثم ما يناقضها من كتبهم المعتمدة، ثم الرد عليه بالأدلة الأخرى.

ج-إذا كان هناك روايات في غير باب التوحيد تخدم المسألة التي تُعرض سيتم ذكرها مع شرحها، وعلاقتها بالمسألة المطروحة.

3- حين ذكر لفظ الكتاب، أو الصحيح المنسوب للإمام البخاري فيراد منه: "الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه،" والمعروف بصحيح البخاري، أما الكتاب المنسوب للكليني فالمقصود منه: "كتاب الكافي."

4- ذكْر حكم علماء الشيعة على أحاديث كتاب الكافي بشكل عام، مع بيان قدحهم فيها، وتناقضهم في الاستدلال بها، مع ذكر مثال يَظهر فيه خطؤهم فيما صححوه من الروايات.

5- بيان معنى بعض الكلمات التي ترى الباحثة الحاجة لبيانها، وذلك في الحواشي.

6-الترجمة لبعض الأعلام المغمورين.

7-توثيق الكتاب في قائمة المصادر والمراجع يكون بذكر اسم شهرة المؤلف، الاسم الأول والأسماء الأخرى. (سنة النشر). عنوان الكتاب مائلاً. اسم المحقق إن وجد. رقم الطبعة. مدينة النشر: اسم الناشر، وفي حال عدم وجود: تاريخ النشر يتم الإشارة، (د.ت)، ورقم الطبعة يتم الإشارة (د.ط)، اسم الناشر يتم الإشارة (د.ن)، مكان النشر يتم الإشارة (د.م).

8- وضع فهارس متعددة لتيسير الاستفادة من البحث، وهي على النحو التالي:

أ- فهرس الآيات القرآنية، وترتيبها حسب موضع سورها في المصحف، وآيات كل سورة.

ب- فهرس الأحاديث النبوية، وترتيبها حسب الأحرف الهجائية.

ج- فهرس المصادر والمراجع.

د- فهرس الموضوعات.

الدراسات السابقة:

من خلال البحث تبين أنَّ هنالك دراسة مقارنة بين صحيح البخاري والكافي للكليني وهي بعنوان: "صحيح البخاري والكافي للكليني، دراسة حديثية مقارنة،" إعداد: نادر عوض عبد العفو سلهوب، الجامعة الإسلامية-ماليزيا، إلا أن هذه الدراسة تتميز أنَّها تركز على الجانب العقدي، حيث إنها تتناول توحيد الربوبية والألوهية في صحيح البخاري، ومقارنتها مع كتاب الكافي، والتركيز على إظهار العقيدة الصحيحة في

صحيح البخاري، مؤيدة بالبراهين من القرآن الكريم، ونقض العقائد الفاسدة في كتاب الكافي وذلك ببيان تناقضها، ومخالفتها للقرآن، وللتوحيد الذي أتى به النبي صلى الله عليه وسلم، وهناك رسائل ذُكرت فيها عقيدة الكليني، مثل: "الكليني وتقريره عقيدة الشيعة الإمامية،" إعداد الدكتور: محمد العمري، ولكن هذه الدراسات لم تتناول معنى التوحيد عند الشيعة أو عند الكليني بالمطلق، بل اقتصرت على ذكر المسائل المناقضة للتوحيد، مع الرد الموجز عليها، وكان هناك خلط في معنى التوحيد عند الكليني وبين المسائل المناقضة للتوحيد في رواياته، فهذه الدراسة تتميز بذكر معنى توحيد الربوبية والألوهية مفصلاً، وذكر أدلته ومنهجه في التوحيد، ونواقضه، مع الرد المفصل على ذلك، ومع مراعاة الفصل بين معتقد الكليني في ذلك كله، وبين نقض أهل السنة له.

خطة البحث:

وتتكون الخطة من مقدمة، وتمهيد، وبابين، وخاتمة.

التمهيد:

أولاً: التعريف بالإمام البخاري، وصحيحه، ومكانته عند أهل السنة.

ثانياً: التعريف بالكليني، وكافيه، ومكانته عند الشيعة.

الباب الأول: توحيد الربوبية بين البخاري والكُلَيْني.

الفصل الأول: معنى توحيد الربوبية ونواقضه بين البخاري والكُلَيني.

المبحث الأول: معنى توحيد الربوبية بين البخاري والكُلَيْني.

المطلب الأول: معنى توحيد الربوبية عند أهل السنة والجماعة.

المطلب الثاني: معنى توحيد الربوبية عند البخاري.

المطلب الثالث: معنى توحيد الربوبية عند الشيعة الإثنا عشرية.

المطلب الرابع: معنى توحيد الربوبية عند الكُلَيْني.

المبحث الثاني: نواقض توحيد الربوبية بين البخاري والكُلَيْني.

المطلب الأول: نواقض توحيد الربوبية عند البخاري.

المطلب الثاني: نواقض توحيد الربوبية عند الكُلَيْني.

الفصل الثاني: مكانة توحيد الألوهية، ودور النبي صلى الله عليه وسلم في تبليغ التوحيد بين البخاري والكُلَيْني.

المبحث الأول: مكانة توحيد الألوهية بين البخاري والكُلَيْني.

المطلب الأول: مكانة توحيد الألوهية عند البخاري.

المطلب الثاني: مكانة توحيد الألوهية عند الكليني.

المبحث الثاني: دور النبي صلى الله عليه وسلم في تبليغ التوحيد بين البخاري والكُلَيْني.

المطلب الأول: دور النبي صلى الله عليه وسلم في تبليغ التوحيد عند البخاري.

المطلب الثاني: دور النبي صلى الله عليه وسلم في تبليغ التوحيد عند الكليني.

الخاتمة: وتتضمن النتائج والتوصيات.

المصادر والمراجع.

الفهارس العامة.

التمهيد

التمهيد

أولاً: التعريف بالإمام البخاري، وصحيحه، ومكانته عند أهل السنة:

1-مولده ونشأته:

هو محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بَرْدُزَبَة[1] الجعفي، مولاهم البخاري،[2] الإمام العَلَم، الحافظ أمير المؤمنين في الحديث، أبو عبد الله بن أبي الحسن رحمه الله تعالى.[3]

وُلد الإمام البخاري في بخارى ليلة الجمعة الثالث عشر من شوال سنة (194هـ)، وتربّى في بيت علم، إذ كان أبوه من العلماء المحدّثين، وتُوفّي والإمام البخاري صغير، فنشأ البخاري يتيماً في حجر أمه.[4]

---

(1) وبَرْدِزبَه هو الجد الأكبر للإمام البخاري، وقد اختُلف في تحديد اسمه، فقيل: يزذبة، وقيل: بزدزبة، وقيل: يزدزبة، وقيل غير ذلك، والمشهور في ضبطه ما جزم به ابن ماكولا وهو بَرْدُزَبَة، انظر: ابن ماكولا، الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب (ج258/1)، ابن خلّكان، وفيات الأعيان (ج188/4)، الذهبي، سير أعلام النبلاء (ج79/10)، ابن ناصر الدين، توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم (ج140/1-141)، المؤلف نفسه، تحفة الإخباري بترجمة البخاري (ج178/1)، ابن حجر، تهذيب التهذيب (ج47/9).

(2) وقد اختلف المؤرخون حول أصله، فذكر بعضهم أنَّ جدّه الأكبر بردزبه كان فارسي الأصل، عاش ومات مجوسيّاً، أمّا جدّه المغيرة فقد أسلم على يد والي بخارى يمان المسندي البخاري الجعفي، فانتمى إليه بالولاء، وانتقل الولاء في أولاده، وأصبح الجعفي نسباً له ولأسرة البخاري، انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء (ج79/10)، ابن ناصر الدين، تحفة الإخباري بترجمة البخاري (ج178/1)، وقيل: أنَّه عربي أصله من الجعفيين، فقد ذكر عدد من العلماء أن جدّه الأكبر هو الأحنف الجعفي، انظر: ابن القطان، بيان الوهم والإيهام في كتاب الأحكام (ج635/5)، ابن الملقن، التوضيح لشرح الجامع الصحيح (ج46/2)، العراقي، طرح التثريب في شرح التقريب (ج100/1)، ابن حجر، تغليق التعليق على صحيح البخاري (ج384/5).

(3) انظر: الجرجاني، أسامي من روى عنهم محمد بن إسماعيل البخاري من مشايخه في جامعه الصحيح (ج49/1)، البغدادي، تاريخ بغداد (ج322/2)، الذهبي، سير أعلام النبلاء (ج79/10)، ابن ناصر الدين، تحفة الإخباري بترجمة البخاري (ج177/1).

(4) انظر: الجرجاني، أسامي من روى عنهم محمد بن إسماعيل البخاري من مشايخه في جامعه الصحيح (ج49/1)، البغدادي، تاريخ بغداد (ج322/2)، ابن ناصر الدين، تحفة الإخباري بترجمة البخاري (ج177/1).

2-رحلاته في طلب العلم:

مال الإمام البخاري رحمه الله إلى طلب العلم وحفظ الأحاديث وتحقيقها وهو حديث السنّ،[1] فدخل الكتّاب صبياً، وأَخَذَ في حفظ القرآن الكريم وأمهات الكتب المعروفة في زمانه، ولما بلغ العاشرة من عمره، بدأ في حفظ الحديث، والاختلاف إلى الشيوخ والعلماء، وملازمة حلقات الدروس، وبالإضافة إلى حفظ الحديث فإنَّه كان حريصاً على تمييز الأحاديث الصحيحة من الضعيفة، ومعرفة علل الأحاديث، وسبر أحوال الرواة من عدالة وضبط ومعرفة تراجمهم، وإتقان كلّ ما يتعلّق بعلوم الحديث عموماً، ثم حفظ كُتُب عبد الله بن المبارك، ووكيع بن الجراح،[2] ورحل في طلب الحديث، وروى عن مالك بن أنس، وحماد بن زيد، كما رأى عبد الله بن المبارك، وفي حوالي عام (210هـ)، خرج من بخارى راحلاً إلى الحج بصحبة والدته وأخيه أحمد، فلما انتهت مناسك الحج رجعت أمه مع أخيه إلى بلدها، بينما تخلَّف البخاري لطلب الحديث والأخذ عن الشيوخ، فلبث في مكة مدّة ثم رحل إلى المدينة النبوية، وهناك صنّف كتاب التاريخ الكبير وعمره ثماني عشرة سنة، قال أبو جعفر محمد بن أبي حاتم ورَّاق البخاري: "قلت لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل: كيف كان بدء أمرك في طلب الحديث؟، قال: أُلهمت حفظ الحديث وأنا في الكُتَّاب؟، قلت: كم كان سنك؟، قال: عشر سنين أو أقل، ثم خرجت من الكُتَّاب بعد العشر،.....فلمَّا طعنت في ست عشرة سنة، كنت قد حفظت كتب ابن المبارك ووكيع، وعرفت كلام هؤلاء، ثمَّ خرجت مع أمي وأخي أحمد إلى مكة، فلما حججت رجع أخي وتخلفت بها في طلب الحديث، فلما طعنت في ثماني عشرة سنة، جعلت أصنف قضايا الصحابة والتابعين وأقاويلهم، وصنفت كتاب التاريخ عند قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم في الليالي المقمرة، وقلَّ اسمٌ في التاريخ إلا وله عندي قصةٌ، إلا أني كرهت تطويل الكتاب."[3]

وقد تعددت رحلات الإمام البخاري العلمية للأخذ عن الشيوخ، والرواية عن المحدّثين، فزار أكثر البلدان والأمصار الإسلامية في ذلك الزمان للسماع من علمائها، وابتدأ طلبه للعلم في بلده بخارى بعد خروجه من الكتّاب، فسمع من شيوخ بلده، ثم توسع ورحل إلى الأقاليم المجاورة ليسمع من شيوخها، فرحل إلى بلخ، ومرو، والرَّي،

---

(1) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء (ج80/10).

(2) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء (ج80/10-81)، السبكي، طبقات الشافعية (ج213/2-214).

(3) ابن ناصر الدين، تحفة الإخباري بترجمة البخاري (ج181/1،180)، البدر، الإمام البخاري وكتابه الجامع الصحيح (ص32) .

وهراة، ونيسابور، وكان عمره أول مرة دخل نيسابور خمس عشرة سنة، ورحل الإمام البخاري كذلك إلى سائر محدثي الأمصار، وكتب بخراسان، ومدن العراق كلها، وبالحجاز، والشام، ومصر، وسمع عن خلق كثير،[1] وقد كان الإمام البخاري يزور البلد أكثر من مرة لتلقي العلم، قال البخاري: "دخلت بغداد ثماني مرات، كل ذلك أجالس أحمد بن حنبل، فقال لي في آخر ما ودعته: يا أبا عبد الله، تترك العلم والناس وتصير إلى خراسان،"[2] وقال أيضاً: "لقيت أكثر من ألف رجلٍ، أهل الحجاز والعراق والشام ومصر، لقيتهم كرَّات، أهل الشام ومصر والجزيرة مرتين، وأهل البصرة أربع مرات، وبالحجاز ستة أعوام، ولا أحصي كم دخلت الكوفة وبغداد مع محدثي خراسان، منهم: المكي بن إبراهيم، ويحيى بن يحيى، وابن شقيق، وقتيبة، وشهاب بن معمر، وبالشام: الفريابي، وأبا مسهر، وأبا المغيرة، وأبا اليمان، وسمَّى خلقاً،"[3] ثم ارتحل إلى الحجاز فدخل مكة ثم رحل إلى المدينة النبوية فاستقرّ بها مدّة، ثم انطلق في الأمصار حتى شملت رحلاته أغلب الحواضر العلمية في وقته، فرحل إلى العراق ودخل بغداد وواسط والكوفة والبصرة، وبالشام دمشق وحمص وقيسارية وعسقلان كما رحل إلى مصر.[4]

3-شيوخه:

لقد أُتيح للإمام البخاري في رحلاته الكثيرة والواسعة في الأقاليم لقاء عددٍ كبيرٍ من الشيوخ والعلماء، قال البخاري: "كتبت عن ألفٍ وثمانين نفساً، ليس فيهم إلا صاحب حديث،"[5] وقال أيضاً: "دخلت بلخ فسألوني أنْ أُملي عليهم لكل من كتبت عنه حديثاً، فأمليت ألف حديثٍ لألف رجلٍ ممن كتبت عنهم،"[6] ولم يكن البخاري

(1) انظر: البغدادي، تاريخ بغداد (ج222/2).

(2) ابن الملقن، التوضيح لشرح الجامع الصحيح (ج67/1)، ابن حجر، تغليق التعليق على صحيح البخاري (ج390/5).

(3) الذهبي، سير أعلام النبلاء (ج87/10).

(4) انظر: السبكي، طبقات الشافعية (ج213/2).

(5) الكرماني، الكواكب الدراري (ج11/1)، ابن حجر، فتح الباري (ج479/1)، قاسم، منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري (ج14/1).

(6) ابن حجر، تغليق التعليق على صحيح البخاري (ج389/5)، القسطلاني، إرشاد الساري (ج34/1).

يروي كل ما يسمعه من الشيوخ، بل كان يتحرى ويدقق فيما يأخذه، فقد سُئل مرة عن خبرٍ فقال: "يا أبا فلان تراني أدلس؟!، تركت أنا عشرة آلاف حديثٍ لرجل لي فيه نظر، وتركت مثله أو أكثر منه لغيره لي فيه نظر."[1]

وقد اهتمّ العلماء بذكر شيوخ البخاري، وتمَّ ترتيبهم إما حسب الأقطار، وإما حسب الطبقة، أو حسب عدد الروايات، ورتّبهم بعضهم على حروف المعجم،[2] ومن اهتم بجمعهم لم يحصهم عدداً بسبب كثرتهم، قال النووي: "هذا الباب واسع جدًا لا يمكن استقصاؤه، فأنبه على جماعة من كل إقليم وبلد، ليستدل بذلك على اتساع رحلته، وكثرة روايته، وعظم عنايته،"[3] ومن أهم وأبرز شيوخ البخاري الذين أثَّروا في تكوينه العلمي ومنهجه الحديثي، علي بن المديني، قال البخاري: "ما استصغرت نفسي عند أحدٍ إلا عند علي بن المديني،"[4] ومن أهمهم أيضاً أحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، ويحيى بن معين، ونظراً لكثرة شيوخ البخاري واختلاف أمصارهم وجهاتهم فقد حصرهم ابن حجر العسقلاني في خمس طبقات:

الطبقة الأولى: من حدثه عن التابعين-أي أتباع التابعين-: مثل مكي بن إبراهيم، وأبي عاصم النبيل، والفضل بن دكين وغيرهم، وشيوخ هؤلاء من التابعين.[5]

الطبقة الثانية: من كان في عصر هؤلاء لكن لم يسمع من ثقات التابعين: كآدم بن أبي إياس، وسعيد بن أبي مريم وأمثالهم.[6]

---

(1) البغدادي، تاريخ بغداد (ج340/2)، ابن عساكر، تاريخ دمشق (ج77/52)، ابن ناصر الدين، تحفة الإخباري بترجمة البخاري (ج157/1).

(2) انظر: الجرجاني، أسامي من روى عنهم محمد بن إسماعيل البخاري من مشايخه في جامعه الصحيح، ابن منده، أسامي مشايخ الإمام البخاري، الصغاني، أسامي شيوخ البخاري، ابن خلفون، المعلم بأسامي شيوخ البخاري ومسلم، الغساني، التعريف بشيوخ حدّث عنهم محمد بن إسماعيل البخاري في كتابه وأهمل أنسابهم وذكر ما يُعرفون به من قبائلهم وبلدانهم.

(3) النووي، تهذيب الأسماء واللغات (ج71/1).

(4) الذهبي، تذكرة الحفاظ (2/ 14).

(5) ابن حجر، تغليق التعليق على صحيح البخاري، بتصرف (ج391/5)، وانظر: المؤلف نفسه، فتح الباري (ج479/1).

(6) ابن حجر، تغليق التعليق على صحيح البخاري، بتصرف (ج392/5)، المؤلف نفسه، فتح الباري (ج479/1).

الطبقة الثالثة: هي الوسطى من مشايخه، وهم من لم يلقَ التابعين، بل أخذ عن كبار تابعي الأتباع، كسليمان بن حرب، وعلي بن المديني، ويحيى بن معين، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه،[1] وهذه الطبقة قد شاركهم مسلم في الأخذ عنهم.

الطبقة الرابعة: رفقاؤه في طلب العلم، وبعض شيوخه ممن سمع قبله قليلاً، كمحمد بن يحيى الذهلي، وأبي حاتم الرازي، وجماعة من نظرائهم، وإنَّما يخرج عن هؤلاء ما فاته عن مشايخه، أو ما لم يجده عند غيرهم.[2]

الطبقة الخامسة: قوم في عداد طلبته في السن والإسناد، سمع منهم للفائدة، كعبد الله بن حماد الآملي، وعبد الله بن أبي العاص الخوارزمي، وحسين بن محمد القباني وغيرهم،[3] وقد روى عنهم أشياء يسيرة، وقد سار البخاري في هذا على رواية وكيع حينما قال: "لا يكون الرجل عالماً حتى يُحدِّث عمن هو فوقه، وعمن هو مثله، وعمن هو دونه،"[4] وشيوخه الذين روى عنهم في جامعه مائتين وتسعة وثمانين شيخاً.[5]

4-تلاميذه:

تتلمذ على يد البخاري وسمع واستفاد منه عدد كبير جداً من طلاب العلم والرواة والمحدّثين، قال صالح البغدادي: "كان محمد بن إسماعيل يجلس ببغداد، وكنت أستملي له، ويجتمع في مجلسه أكثر من عشرين ألفاً،"[6] وأبرز تلاميذ الإمام البخاري الإمام مسلم بن الحجاج، صاحب كتاب صحيح مسلم، ثاني أصح الكتب المصنّفة عند أهل السنّة والجماعة بعد صحيح البخاري، ومن العلماء المشهورين الذين أخذوا عنه كذلك أبو زرعة الرازي، وأبو حاتم الرازي، وابن خزيمة، والترمذي وغيرهم،[7] ولم يقتصر الانتفاع من البخاري على التلاميذ، بل شملت شيوخه، قال البخاري: "ما قدمت

---

(1) ابن حجر، تغليق التعليق على صحيح البخاري، بتصرف (ج392/5)، وانظر: السيوطي، طبقات الحفاظ (ص191-192).

(2) ابن حجر، فتح الباري، بتصرف (ج479/1).

(3) المصدر السابق، (ج479/1).

(4) ابن حجر، تغليق التعليق على صحيح البخاري (394/5).

(5) انظر: الجرجاني، أسامي من روى عنهم محمد بن إسماعيل البخاري من مشايخه في جامعه الصحيح (ج233/1).

(6) البغدادي، الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (ج52/2)، ابن حجر، فتح الباري (ج485/1).

(7) انظر: السبكي، طبقات الشافعية (215/2).

علـى أحـد إلا كـان انتفاعـه بـي أكثـر مـن انتفـاعي بـه،"[1] وقـد أدرك هـذا الامتيـاز أسـاتذته الكبـار، وقـدّروه حتـى منـذ صـغره، قـال البخـاري: "دخلـت علـى الحميـدي وأنـا ابـن ثمـاني عشـرة سـنة، -يعنـي أول سـنة حـج فيهـا- فـإذا بينـه وبـين آخـر اخـتلاف فـي حـديث، فلمـا بَصَـر بـي قـال: جـاء مـن يفصـل بيننـا، فعرضـا علـي الخصـومة، فقضـيت للحميـدي، وكـان الحق معه."[2]

5-صفاته ومناقبه:

تميـز الإمـام البخـاري رحمـه الله تعـالى بصـفات كثيـرة أهلتـه لأن يكـون أعلـم وأفقـه أهـل زمانــه فــي الحـديث، وقـد روى المؤرخـون كثيـراً مـن الروايـات والأحـداث التــي تـدُلّ على صفات الإمام البخاري، ومنها:

أ-التقوى والورع: قال محمد بن خالد المطوّعي: "حدثنا مسبح بن سعيد قال: كان محمد بن إسماعيل البخاري إذا كان أول ليلة من شهر رمضان يجتمع إليه أصحابه، فيصلي بهم فيقرأ في كل ركعة عشرين آية، إلى أن يختم القرآن، وكذلك يقرأ في السحر ما بين النصف إلى الثلث من القرآن، فيختم عند السحر في كل ثلاث ليال، وكان يختم بالنهار كل يوم ختمة ويكون ختمه عند الإفطار كل ليلة،"[3] وقال تاج الدين السبكي: "كان البخاري يختم القرآن كل يوم نهاراً، ويقرأ في الليل عند السحر ثلثاً من القرآن، فمجموع ورده اليومي ختمة وثلث،"[4] كما كان حريصاً على قيام الليل واتباع السنّة النبوية، قال محمد بن أبي حاتم: "كان يصلى في وقت السحر ثلاث عشرة ركعة، يوتر منها بواحدة،"[5] وقد كان رحمه الله يبتعد عن كل ما يغضب الله تعالى، فقد قال رحمه الله: "ما اغتبتُ أحدًا قطّ منذ علِمت أنّ الغيبة تضّر أهلها،"[6] وقد جمع رحمه الله محاسن الصفات، قال عنه الحافظ ابن كثير رحمه الله: "وقد كان البخاري رحمه الله في غاية الحياء والشجاعة والسخاء والورع والزهد في الدنيا دار الفناء، والرغبة في الآخرة دار البقاء."[7]

---

(1) الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام (ج251/19)، ابن الملقن، التوضيح لشرح الجامع الصحيح (ج62/1).

(2) ابن حجر، فتح الباري (ج483/1).

(3) البيهقي، شعب الإيمان (ج524/3)،

(4) السبكي، طبقات الشافعية (ج223/2).

(5) ابن حجر، تغليق التعليق على صحيح البخاري (ج399/5).

(6) الذهبي، تاريخ الإسلام (6/ 154).

(7) ابن كثير، البداية والنهاية (ج32/11).

ب-الذكاء: اتسم الإمام البخاري رحمه الله بقوة الذاكرة، وقد كان رحمه الله آية في العلم والحفظ، قال الإمام الذهبي رحمه الله: "وكان رأساً في الذكاء، رأسا في العلم، رأساً في الورع والعبادة،"[1] وقال أيضاً: "وكان من أوعية العلم يتوقد ذكاء، ولم يخلف بعده مثله رحمة الله عليه،"[2] وقد كان رحمه الله ينظر في الكتاب، فيحفظ ما فيه من نظرة واحدة،[3] فقد نُقل عن أبي بكر الكلوذاني أنَّه قال: "ما رأيت مثل محمد بن إسماعيل، كان يأخذ الكتاب من العلم فيطلع عليه اطلاعة، فيحفظ عامة أطراف الحديث من مرة واحدة،"[4] ومن أشهر الأمثلة على ذلك قصة البخاري رحمه الله عندما قدم بغداد فسمع به أصحاب الحديث، فاجتمعوا وقلبوا متون مئة حديث وأسانيدها، وأدخلوا متن هذا الإسناد لإسناد آخر، وإسناد هذا المتن لمتن آخر، وسألوا البخاري رحمه الله تعالى عن الأحاديث المقلوبة، فردَّ عليهم البخاري رحمه الله: أنَّه لا يعرفها، ثمَّ رد كل متن إلى إسناده، وكل إسناد إلى متنه، فأقر له الناس بالحفظ والعلم، وأذعنوا له بالفضل.[5]

6-ثناء العلماء على الإمام البخاري:

يعدُّ البخاري رحمه الله عَلَماً من أعلام الأمة الإسلامية الذين حفظ الله تعالى بهم دينه، فهو إمام الحديث، وصاحب أصح كتاب بعد كتاب الله عزَّ وجلَّ، فشهد له من عاصره من علماء وشيوخ وتلاميذ على سعة علمه وفقهه وحفظه، وقد زخرت كتب التراجم بشهادتهم له، وأثنوا عليه بما هو أهل له، وبما يُظهر عظيم مكانته، ورفعة شأنه بينهم، وقد ورد من أقوالهم:

أ- قتيبة بن سعيد: "جالست الفقهاء والعباد والزهاد فما رأيت منذ عقلت مثل محمد بن إسماعيل، وهو في زمانه كعمر في الصحابة."[6]

---

(1) الذهبي، تذكرة الحفاظ (ج104/2).

(2) الذهبي، العبر في خبر من عبر (ج368/1).

(3) انظر: ابن كثير، البداية والنهاية (ج14/ 529).

(4) ابن حجر، فتح الباري (ج486/1).

(5) انظر: الجرجاني، أسامي من روى عنهم محمد بن إسماعيل البخاري من مشايخه في جامعه الصحيح (ج53،52/1)، البغدادي، تاريخ بغداد (ج340/2)، السبكي، طبقات الشافعية (ج2/ 218- 219).

(6) الشنقيطي، كوثر المعاني الرازي في كشف خبايا صحيح البخاري (ج93/1).

ب- أبو حاتم الرازي: "لم تخرج خراسان قط أحفظ من محمد بن إسماعيل، ولا قدم منها إلى العراق أعلم منه."[1]

ج-ابن خزيمة: "ما رأيت تحت أديم السماء أعلم بحديث رسول صلى الله عليه وسلم ولا أحفظ له من محمد بن إسماعيل البخاري."[2]

د-علي بن حجر: "أخرجت خراسان ثلاثة: أبا زرعة الرازي بالرَّي، ومحمد بن إسماعيل البخاري ببخارى، وعبد الله بن عبد الرحمن بسمرقند، ومحمد بن إسماعيل عندي أبصرهم، وأعلمهم، وأفقههم."[3]

هـ- يحيى بن جعفر البيكندي: "لو قدرت أن أزيد من عمري في عمر محمد بن إسماعيل لفعلت؛ فإن موتي يكون موت رجل واحد؛ وموت محمد بن إسماعيل فيه ذهاب العلم."[4]

و- رجاء بن رجاء: "هو - يعني البخاري - آية من آيات الله تمشي على ظهر الأرض."[5]

ز- إبراهيم بن محمد بن سلام: "إن الرتوت -الرؤساء- من أصحاب الحديث مثل: سعيد بن أبى مريم المصرى، ونعيم بن حماد، والحميدى، والحجاج بن منهال، وإسماعيل بن أبى أويس، والعربى، والحسن الخلال، ومحمد بن ميمون صاحب ابن عيينة، ومحمد بن العلاء، والأشج، وإبراهيم بن المنذر الخزامى، وإبراهيم بن موسى الفراء، كلهم كانوا يهابون محمد بن إسماعيل، ويقضون له على أنفسهم في النظر والمعرفة."[6]

---

(1) ابن حجر، هدى الساري (ص509).

(2) الذهبي، سير أعلام النبلاء (ج431/12)، ابن كثير، البداية والنهاية (ج22/11)، ابن حجر، تهذيب التهذيب (ج45/9).

(3) ابن حجر، فتح الباري (ج484/1).

(4) البغدادي، تاريخ بغداد (322/2)، الذهبي، سير أعلام النبلاء (ج80/10).

(5) ابن حجر، فتح الباري (ج484/1).

(6) النووي، تهذيب الأسماء واللغات (ج70/1).

ح-ابن السبكي: "هو إمام المسلمين، وقدوة الموحدين، وشيخ المؤمنين والمعول عليه في أحاديث سيد المرسلين، وحافظ نظام الدين."[1]

ط- ابن كثير: "هو إمام أهل الحديث في زمانه، والمقتدى به في أوانه والمقدم على سائر أضرابه وأقرانه."[2]

ي- ابن حجر العسقلاني: "أبو عبد الله البخاري جبل الحفظ، وإمام الدنيا في فقه الحديث."[3]

7-مصنفاته:

لقد ظهرت مكانة البخاري رحمه الله العلمية في تصنيفه للكثير من الكتب والمصنفات؛ وقد هيّأه للتأليف والكتابة ذكاؤه الحاد، وسعة حفظه، وذاكرته القوية، ومعرفته الواسعة بالحديث النبوي، وأحوال رجاله من تعديل وتجريح، وخبرته التامّة بالأسانيد من صحيح وضعيف، وقد وصل إلينا بعض كتب الإمام البخاري، بينما لا يزال بعضها مفقوداً، وقد أشار العلماء القدامى في كتبهم لأسماء كتب الإمام البخاري رحمه الله التي فُقدت، وهذه بعض كتبه: التاريخ الكبير، التاريخ الأوسط، التاريخ الصغير، خلق أفعال العباد، الأدب المفرد، الرد على الجهمية، القراءة خلف الإمام، رفع اليدين في الصلاة، الضعفاء الكبير، الضعفاء الصغير، المبسوط، الفوائد، الجامع الكبير، والمسند الكبير، التفسير الكبير، كتاب الأشربة، كتاب الهبة، أسامي الصحابة.[4]

8-وفاته:

توفي محمد بن إسماعيل البخاري رحمه الله ليلة السبت عند صلاة العشاء، ليلة الفطر، ودفن يوم الفطر بعد صلاة الظهر، يوم السبت مستهل شوال، سنة ست

---

(1) السبكي، طبقات الشافعية (ج312/2).

(2) ابن كثير، البداية والنهاية (ج5297/14).

(3) ابن حجر، تقريب التهذيب (ص468).

(4) انظر: ابن ناصر الدين، تحفة الإخباري بترجمة البخاري (ج182/1،183)، ابن حجر، هدى الساري (ص516-517)، البدر، الإمام البخاري وكتابه الجامع الصحيح (ص35).

وخمسين ومائتين، عاش اثنتين وستين سنة إلا ثلاثة عشر يوماً رحمه الله[1] وقبره معروف إلى الآن، وله ضريح مشهور في سمرقند.

ثانياً: التعريف بصحيح البخاري، ومكانته عند أهل السنة:

1-التعريف بصحيح البخاري:

يعدُّ كتاب صحيح البخاري أصح كتاب بعد القرآن الكريم، وأشهر كتب الحديث النبوي على الإطلاق عند أهل السنة والجماعة، وقد بذل الإمام البخاري رحمه الله جهداً كبيراً في تأليفه، فقد مكث البخاري رحمه الله في جمعه وتصنيفه ستة عشر عاماً،[2] وقد تحرى فيه الدقة، فقد ورد عنه أنّه قال: "ما أدخلت في كتابي الجامع إلا ما صحَّ، وتركت من الصحاح لحال الطول،"[3] وقال أيضاً: "خرَّجت الصحيح من ستمائة ألف حديث،"[4] وقال: "لم أخرج في هذا الكتاب إلا صحيحاً،"[5] وقد كان رحمه الله مدقِّقًا في قبول الرواية، واشترط شروطًا خاصة دقيقة لقبول الروايات،[6] ولم يضع في كتابه حديثاً إلا بعد أن يصلي ركعتين يستخير الله تعالى فيه،[7] وقد سمى البخاري رحمه الله مصنَّفه "الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه،"على الصحيح.[8]

2- سبب التأليف:

ذكر الحافظ ابن حجر رحمه الله في مقدمة كتابه فتح الباري ثلاثة أسباب دعت الإمام البخاري رحمه الله إلى تأليف كتابه الجامع الصحيح، وهي:

---

(1) انظر: الجرجاني، أسامي من روى عنهم محمد بن إسماعيل البخاري من مشايخه في جامعه الصحيح (ج62/1)، البغدادي، تاريخ بغداد (ج340/2)، الباجي، التعديل والتجريح لمن خرج له البخاري (ج308/1)، ابن خلّكان، وفيات الأعيان (190/4)، ابن ناصر الدين، تحفة الإخباري بترجمة البخاري (ج214/1).

(2) انظر: البغدادي، تاريخ بغداد (ج333/2)، العيني، عمدة القاري (ج1/ 5).

(3) البغدادي، تاريخ بغداد(ج327/2).

(4) ابن حجر، فتح الباري (ج7/1).

(5) المصدر السابق (ج7/1).

(6) انظر: البغدادي، تاريخ بغداد (ج322/2)، ابن أبي يعلي، طبقات الحنابلة (ج275/1).

(7) انظر: العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري (ج1/ 5).

(8) النووي، تهذيب الأسماء واللغات، (ج73/1)، العيني، عمدة القاري (ج5/1).

أ-إنَّ تـدوين الأحاديـث حصـل فـي أواخـر عصـر التـابعين، ثـم قـام كبـار أهـل الطبقـة الثالثـة -وهـم أتبـاع التـابعين- فـدونوا الأحاديـث، ولكـن مزجوهـا بـأقوال الصـحابة وفتـاوى التـابعين، ثـم تلاهـم كثيـر مـن أهـل عصـرهم فـي النسـج علـى منـوالهم، إلـى أن رأى بعـض الأئمـة أن يفـرد حـديث النبـي صـلى الله عليـه وسـلم فـي مصـنفات خاصـة، فلمـا رأى البخـاري رحمـه الله هـذه التصـانيف وجـدها جامعـة للصـحيح والحسـن؛ فحـرك همتـه لجمـع الحـديث الصـحيح الـذي لا يرتـاب فيـه أمـين، وقـد ورد هـذا التعليـل عـن الحـافظ أبـي الحجاج المزي.[1]

ب-قـول شـيخه إسـحاق بـن راهويـه قـوّى عزمـه علـى ذلـك، حيـث ورد عـن البخـاري رحمـه الله أنَّـه قـال: "كنـت عنـد إسـحاق بـن راهويـه، فقـال: لـو جمعـتم كتابـاً مختصـراً لصـحيح سـنة رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم؛ فوقـع ذلـك فـي قلبـي؛ فأخـذت فـي جمـع هـذا الكتاب."[2]

ج-رؤيـة رأهـا البخـاري رحمـه الله فـي منامـه، حيـث قـال: "رأيـت النبـي صـلى الله عليـه وسلم وكـأني واقـف بـين يديـه وبيـدي مروحـة أذبُّ بهـا عنـه، فسـألت بعـض المعبـرين، فقـال لي: أنت تذب عنه الكذب؛ فهو الذي حملني على إخراج الجامع الصحيح."[3]

3-مكانة صحيح البخاري عند أهل السنة:

لقـد اعتنـى علمـاء المسـلمين بصـحيح البخـاري عنايـة فائقـة بالشـرح والتعليـق والدراسـة فـي مصـنّفات كثيـرة جداً، قـال محمـد يوسـف البنـوري: "أضـحى كالشـمس فـي كبـد السـماء، بلـغ إلـى أقصـى القبـول والمجـد والثنـاء، فـانتهض أعيـان الأمـة وأعـلام العلـم فـي كـل عصـر مـن أقـدم العصـور إلـى اليـوم لشـرحه والتعليـق عليـه، وتلخيصـه، واختصـاره أو ترتيبـه، وتـأليف أطرافـه، أو شـرح تراجمـه، أو ترجمـة رجالـه، أو بيـان غريبـه، أو وصـل مرسـله، وتعليقاتـه أو مبهمـه، وإبـراز فوائـده، ولطائفـه، حـديثاً، وفقهـاً، وعربيـة، وبلاغـة، ووضـعاً، وترتيبـاً، وتوزيعـاً، وتبويبـاً،"[4] وقـد روى المؤرخـون أن البخـاري لمَّـا فـرغ مـن تصـنيف كتـاب الصـحيح عرضـه علـى عـدد مـن أكـابر علمـاء عصـره، مثـل: أحمـد بـن

---

(1) انظر: ابن حجر، فتح الباري (ج6/1).

(2) ابن حجر، هدي الساري (ص9).

(3) ابن حجر، هدي الساري (ص9)، القسطلاني، إرشاد الساري (ج29/1).

(4) ابن ناصر الدين، تحفة الإخباري بترجمة البخاري لابن ناصر الدين (ص201).

حنبل، وعلي بن المديني، ويحيى بن معين، فشهدوا له بصحة ما فيه من الحديث، فقد ورد عن مسلمة بن قاسم أنَّه قال: "سمعت من يقول عن أبي جعفر العقيلي قال: لما ألَّف البخاري كتابه في صحيح الحديث عرضه على علي بن المديني، ويحيى بن معين، وأحمد بن حنبل وغيرهم، فامتحنوه فكلمهم، قالوا له: كتابك صحيح إلا أربعة أحاديث، قال العقيلي: والقول فيها للبخاري، وهي صحيحة،"[1] ثم تلقته الأمة بعدهم بالقبول باعتباره أصح كتاب بعد القرآن الكريم، وهذا باتفاق العلماء، وقد نُقل الإجماع على ذلك، وهذه بعض آراء العلماء فيه:

أ- قال الإسفراييني: "أهل الصنعة مجمعون على أن الأخبار التي اشتمل عليها الصحيحان مقطوع بصحة أصولها ومتونها، ولا يحصل الخلاف فيها بحال، وإن حصل فذاك اختلاف في طرقها ورواتها."[2]

ب-قال ابن الصلاح: "وأعلاها الأول [أي القسم الأول]، وهو الذي يقول فيه أهل الحديث كثيراً صحيح متفق عليه، يطلقون ذلك ويعنون به اتفاق البخاري ومسلم، لا اتفاق الأمة عليه، لكن اتفاق الأمة عليه لازم من ذلك وحاصل معه، لاتفاق الأمة على تلقي ما اتفقا عليه بالقبول، وهذا القسم جميعه مقطوع بصحته، والعلم اليقيني النظري واقع به."[3]

ج- قال النووي: "اتفق العلماء رحمهم الله على أن أصح الكتب بعد القرآن العزيز الصحيحان، البخاري ومسلم، وتلقتهما الأمة بالقبول، وكتاب البخاري أصحهما، وأكثرهما فوائد، ومعارف ظاهرة وغامضة، وقد صحَّ أنَّ مسلماً كان ممن يستفيد من البخاري، ويعترف بأنه ليس له نظير في علم الحديث، وهذا الذي ذكرناه من ترجيح كتاب البخاري هو المذهب المختار الذي قاله الجماهير، وأهل الإتقان والحذق والغوص على أسرار الحديث."[4]

د- قال السبكي: "كتابه الجامع الصحيح فأجل كتب الإسلام وأفضلها بعد كتاب الله."[5]

---

(1) ابن حجر، تغليق التعليق على صحيح البخاري (ج5/423).

(2) السخاوي، فتح المغيث بشرح ألفية الحديث (ج1/ 72).

(3) ابن الصلاح، مقدمة ابن الصلاح (ج1/28).

(4) النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (ج1/14).

(5) السبكي، طبقات الشافعية الكبرى (ج2/215).

هـ- قال الكرماني: "وأجمع المحققون على أن كتابه (أي كتاب صحيح البخاري) أصح كتاب بعد القرآن."[1]

4-**مخطوطاته:**[2]

حظي صحيح البخاري بالانتشار الواسع في الأرض، فقد بلغ ما أحصاه مصنفو الفهرس الشامل منها ألفين وثلاث مئة وسبعة وعشرين مخطوطاً،[3] أقدم مخطوط منها كُتب سنة (261هـ) أي بعد وفاة البخاري بخمس سنين.

5-شروحاته:

وهي كثيرة جداً يصعب حصرها، فقد بلغت أكثر من ثمانين شرحاً بالعربية،[4] عدا عن غيرها من الشروحات غير العربية،[5] وما ذلك إلا لمكانته الرفيعة، ومن شروحه:

أ- أعلام السنن: لمحمد بن محمد الخطابي (ت386هـ)، وهو أول شرح على الإطلاق لصحيح البخاري.

ب-شرح صحيح البخاري: لأبي الحسن علي بن خلف، المشهور بابن بطال القرطبي (ت449هـ).

ج-الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري: لشمس الدين الكرماني (786هـ).

د- فتح الباري: لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت852هـ)، وهو أشهر شروحه وأشملها وشرحه من أعظم شروح البخاري، وقد أثنى عليه العلماء ثناءً عظيماً،[6] ومن ذلك ما قاله عنه السيوطي: "لم يصنف أحد في الأولين ولا في الآخرين مثله."[7]

هـ-عمدة القاري: لمحمود بن أحمد العيني (855هـ).

---

(1) الكرماني، الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري (ج11/1).

(2) نقلاً عن البرش، الصحابة رضي الله عنهم بين صحيح البخاري والكافي للكليني (ص42).

(3) انظر: مؤسسة آل البيت، الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط (ج493/1-565).

(4) للاطلاع على بعض شروحات صحيح البخاري. انظر: السخاوي، عمدة السامع والقاري في فوائد صحيح البخاري (ص14-18)، خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون (ج541/1-554)، المباركفوري، عبد السلام، سيرة الإمام البخاري سيد الفقهاء وإمام المحدثين (ج364/1-433).

(5) للاطلاع إلى بعض الشروحات غير العربية لصحيح البخاري، بالإضافة إلى بعض التعليقات عليه. انظر: المباركفوري، سيرة الإمام البخاري (ج1/ 433-449).

(6) انظر: الكتاني، فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات (ج322/1-323).

(7) السيوطي، طبقات الحفاظ (ص552).

6-عدد أحاديثه:

ذكر ابن الصلاح والنووي رحمهما الله أن عدد أحاديث صحيح البخاري بلغ سبعة آلاف ومائتين وخمسة وسبعين حديثاً،(1) إلا أن ابن حجر رحمه الله تعقبها، وتتبع صحيح البخاري باباً باباً، وحديثاً حديثاً، فألفاها بالمكرر -سوى المعلقات والمتابعات- سبعة آلاف وثلاثمائة وسبعة وتسعين حديثاً، وبغير المكرر من المتون الموصولة ألفين وستمائة وحديثين، وعدد أحاديثه بالمكرر وبما فيه من التعليقات والمتابعات واختلاف الروايات تسعة آلاف واثنان وثمانون حديثاً، وهذا غير ما فيه من الموقوف على الصحابة والتابعين.(2)

ثالثاً: التعريف بالكُلَيْني،(3) وكافيه، ومكانته عند الشيعة:

1-التعريف بالكُلَيْني:

أ-اسمه ومولده:

هو أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الرَّازي، ويُلَّقب بالكُلَيني نسبة إلى قرية من بلاد إيران في منطقة الرَّي تُسمى كُلَين، ويُعرف بالبغدادي أيضاً؛ لاتِّخاذه من بغداد مقراً.(4)

وُلد الكليني في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري، ولم يُذكر تاريخ ولادة الكليني في أيٍّ من كتب التراجم الشيعية،(5) لذلك لم يكن من السهل تحديد عمره على التحقيق؛ ولأنَّ

---

(1) انظر: ابن الصلاح، مقدمة ابن الصلاح، (ص87)، النووي، تهذيب الأسماء واللغات (ج75/1).

(2) انظر: ابن حجر، هدى الساري (ص489-493).

(3) اختلف علماء الشيعة في ضبط اسمه، فمنهم من قال: "الكُلِيني" بضم الكاف وكسر اللام، ومنهم من قال: "الكِلَيني" بكسر الكاف وفتح اللام، وقيل غير ذلك، وأصح ما قيل أنَّه "الكُلَيني" بضم الكاف وفتح اللام مع تخفيفها، مصغراً نسبة إلى كُلَين قرية من قرى فشارية في الرَّي في إيران، انظر: ابن داود، رجال ابن داود (ص36)، الحلي، ابن المطهر، خلاصة الأقوال في معرفة الرجال (ص69)، السمعاني، الأنساب (ج91/5)، القمي، عباس، الكنى والألقاب (ج121/3)، النراقي، عوائد الأيام (ص888).

(4) انظر: النجاشي، رجال النجاشي (ص377)، الطوسي، الفهرست (ص210)، الأردبيلي، جامع الرواة (ج309/2).

(5) انظر: النجاشي، رجال النجاشي (ص377)، الطوسي، الفهرست (ص210)، بحر العلوم، الفوائد الرجالية (ج325/3)، القمي، عباس، الكنى والألقاب (ج120/3)، العميدي، الشيخ الكليني البغدادي وكتابه الكافي (ص75)، العاملي، أمين، ثلاثيات الكليني (ص 48)، الغفار، الكليني والكافي (ص124)، قال الخوئي: "إن تاريخ مولد محمد بن يعقوب قدس سره مجهول،" الخوئي، معجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرواة (ج58/19).

الغموض يَلُفُ حياة الكليني فقد حاول الشيعة ترجيح عمره وفترة حياته **من خلال ربطهما بأمرين:**

الأول: محاولة ترجيح أنَّه أدرك الإمام العسكري -كما ذكر ذلك بحر العلوم الطباطبائي في رجاله،-[1] مع العلم أنَّ هذا غير متفقٍ عليه بين الشيعة، ولم ينصَّ عليه علماؤهم الأوائل، ولكن قد ورد أنَّه قد أخذ الحديث عن جماعة عاصروا الأئمة الثلاثة الرضا والجواد والهادي ورووا عنهم،[2] فرجح بعض علماء الشيعة أنْ يكون قد أدرك في صباه الإمام الحادي عشر الحسن العسكري الذي تُوفِي سنة مائتين وستين هجرية(260هـ).[3]

الثاني: أنَّهم ربطوا حياة الكليني بخرافة سفراء المهدي، فقالوا: لا شك أنَّ حياة الكليني كانت في عهد السفراء الأربع،[4] وعهدهم استمرَّ سبعين عاماً تقريباً، أي إلى حدود سنة 330 هجرية، والكليني لم يتخطَ تاريخ وفاته هذا الرقم عند الجميع،[5] وهي محاولة من الشيعة لإثبات أنَّ سفراءهم المزعومين قد عرضوا كتاب الكافي على إمامهم المعدوم.

ب-حياته العلمية:

لُقِّب الكليني -من علماء الشيعة الروافض- بثقة الإسلام، وهو لقب يدل على الإعجاب والمدح والتعظيم، فقد زعموا أنَّ الكليني كان من أبرز شيوخ الشيعة في الرَّي وأوجههم، وأنَّه أخذ العلم عن علماء كُلين سماعاً وإجازةً، ثم انتقل إلى الرَّي، وهي من أرقى حواضر العلم المعروفة في ذلك العصر.[6]

---

(1) انظر: بحر العلوم، الفوائد الرجالية (ج336/3).

(2) انظر: الحسني، ابن طاووس، كشف المحجة لثمرة الحجة (ص159)، القمي، عباس، الكنى والألقاب (ج 62/1)، الحسني، هاشم، دراسات في الحديث والمحدثين (ص125).

(3) انظر: الحسني، هاشم، دراسات في الحديث والمحدثين (ص125-126).

(4) المقصود بهم وكلاء الإمام الثاني عشر محمد بن الحسن العسكري، انظر: الحسني، ابن طاوس، كشف المحجة لثمرة المهجة (ص159).

(5) انظر: النجاشي، رجال النجاشي (ص377)، الطوسي، الفهرست (ص211)، الحسني، ابن طاوس، كشف المحجة لثمرة المهجة (ص159).

(6) انظر: ابن طاوس، الحسني، كشف المحجة لثمرة المهجة (ص158،159)، العميدي، دفاع عن الكافي (ج37/1،38).

وعلماء الشيعة المتأخرون يذكرون رحلات الكليني وحياته العلمية –دون ذكر المصادر، ودون تحديد تاريخ ذلك–، محاولةً منهم للجعل من شخصية الكليني شخصية علمية مرموقة، فزعموا أنَّه تخرَّج على يدِ مئات العلماء والمحدثين في الرَّي، وأنَّه التقى هناك بكثير من الشيوخ وحدَّث عنهم، وحدَّثوا عنه، وأنَّه قد أخذ العلم عن مئات العلماء والمحدثين، وزعموا أنَّه في إحدى زياراته لسامراء وقف على معجزات الإمام المهدي في عهد أبيه العسكري، ثم كانت العراق محطته الأخيرة، حيث استقرَّ به المقام في بغداد التي كانت في عهده مقرَّ العلماء والمحدثين المشهورين؛ ولهذه الأسباب اتَّخذها الكليني مقراً، وقد حاول علماء الشيعة التأكيد أنَّ الكليني –وبخاصة في هذه الفترة– قد ارتقى مكاناً مرموقاً من العلم، واحتلَّ مركز الصدارة بين العلماء، وأنّه فاق أقرانه في كثير من العلوم،[1] وكل ما ذُكر في حياة الكليني العلمية قد ذكروه على الإجمال؛ لأنَّ مسار حياته كان غامضاً، ولم يُذكر مفصلاً في كتب التراجم الشيعية عند علمائهم الأوائل.

وقد ذكر المجلسي[2] في كتابه إجازات لطلابه في رواية كتاب الكافي، مع أنَّه بينه وبين الكليني ما يقرب من سبعمئة عام.[3]

ج–شيوخه:

لقد زعم علماء الشيعة أنَّ الكليني قد تتلمذ على يدِ مجموعةٍ كبيرةٍ من العلماء، وفي مقام الذكر العام لشيوخه يوردون أنَّ معظمهم من الشيوخ الأجلاء المعروفين، والحفاظ المشهورين،[4] وزعموا أنَّ قلة من شيوخه قد لفَّهم الغموض، وإشارة إلى عدم شهرة أولئك الشيوخ وضعفهم ذكروا أنَّ الكليني لم يروِ عنهم غير حديث أو حديثين في كتاب الكافي، أو لم يروِ لبعضهم قط في كتاب الكافي، ولكن ذكر العلماء أنَّهم من

---

(1) انظر: ابن طاوس، الحسني، كشف المحجة لثمرة المهجة (ص158،159)، العميدي، دفاع عن الكافي (ج37/1،38).

(2) هو محمد باقر بن الشيخ محمد تقي المجلسي (1037هـ–1111هـ)، والشيعة يعدُّونه من أعظم علمائهم، وهو حجتهم الذي لا يوجد له قرين قبله ولا بعده، صاحب كتاب بحار الأنوار، انظر: نجف، علماء في رضوان الله (ص193)، وانظر ترجمته في، لؤلؤة البحرين، جامع الرواة، أمل الأمل.

(3) انظر: المجلسي، بحار الأنوار (ج33/105).

(4) انظر: المصدر السابق (ج67/105).

شيوخ الكليني، وأما عند ذكر أسماء شيوخ الكليني فلا يكاد يُعرف منهم إلا عدد قليل جداً، ومن اشتهر منهم لا يتجاوز ثلاثة شيوخ، وشيوخ الكليني الذين روى عنهم في كتابه الكافي عددهم ثمانية وعشرون شيخاً، وقد حكم الإيرواني على ثمانية عشر منهم أنَّهم مجهولون.[1]

وقد تفاوت العلماء في ذكر شيوخ الكليني، وأكثرهم ذكراً لشيوخه أوصلهم إلى ما يقرُب من خمسين شيخاً،[2] ومن شيوخه:

–علي بن إبراهيم بن هاشم أبو الحسن القمي: وقد اتفق الشيعة على أنَّه من أجلِّ شيوخ الكليني، وأنَّه كان من كبار العلماء والمحدثين، وقد أكثر الشيخ الكليني النقل عنه في الكافي حتى تجاوزت روايته عنه جميع ما نقله عن أيِّ شيخٍ من شيوخه.[3]

–الحسين بن محمد بن عمران بن أبي بكر الأشعري القمي: وهو من شيوخ الكليني المشهورين، ويعدُّه الشيعة من أكابر القميين، ومن أجلاء مشايخ الكليني.[4]

– محمد بن إسماعيل أبو الحسن البندقي النيسابوري.[5]

– علي بن محمد بن سعد الأشعري.[6]

– أحمد بن علي الكوفي.[7]

---

(1) عند إحصاء الإيرواني لعدد شيوخ الكليني –الذين روى عنهم في الكافي– ذكر ثلاثين شيخاً، ولكن عند ذكره لكلٍّ من سعد بن عبد الله، وعبد الله بن جعفر الحميري قال: "الظاهر أنهما ليسا من المشايخ المباشرين للكليني، وذكرهما في بداية السند لا بُدَّ من حمله على كونه من باب التعليق،" الإيرواني، دروس تمهيدية في القواعد الرجالية (ص251–257).

(2) انظر: العميدي، دفاع عن الكافي (ج1/41،42)، فهو من أوصلهم إلى خمسين شيخاً، ومن الشيوخ الذين ذكرهم، إبراهيم بن مهزيار، أبو بكر الحبال، أحمد بن إدريس، أحمد بن عبد الله بن أمية، أحمد بن عبد الله البرقي، أحمد بن محمد بن أحمد العاصمي، أحمد بن محمد البرقي، أحمد بن محمد المعروف بابن عقدة، أحمد بن محمد بن عبد الله، أحمد بن محمد بن علي، أحمد بن محمد الكوفي، أحمد بن مهران، إسحاق بن يعقوب، إسماعيل بن عبد اللّه القرشي، حبيب بن الحسن، الحسن بن خفيف، السيد الحسن بن علي العلوي، سعد بن عبد اللّه بن أبي خلف الأشعري القمي، وانظر: المحمودي، نهج السعادة (ج8/12)، الجلالي، المنهج الرجالي (ج1/124).

(3) انظر: العاملي، أمين، ثلاثيات الكليني (ص60)، الخوئي، معجم رجال الحديث (ج12/312–313).

(4) انظر: الطوسي، الاستبصار (ج4/313)، بحر العلوم، الفوائد الرجالية (ج4/145).

(5) انظر: الأردبيلي، جامع الرواة (ج3/72).

(6) انظر: المازندراني، شرح أصول الكافي (ج2/57).

(7) انظر: ابن داود، رجال ابن داود (ص41).

- محمد بن يحيى أبو جعفر العطار.[1]

د-تلاميذه:

زعم الشيعة أنَّ تلاميذ الكليني أكثر من أساتذته، ولكن لم يُعرف منهم إلا ثلاثة وعشرين تلميذاً،[2] وزعم الشيعة أنَّ فيهم من سمع كتاب الكافي من مصنِّفه، ورووه عنه، واستنسخوه ونشروه، وإلى نُسَخِهم تنتهي نُسْخته، ومنهم:

- محمد بن إبراهيم بن يوسف الكاتب: يُكنى بأبي الحسن، وكان من جملة تلاميذ الكليني المقربين إليه، وزعم الشيعة أنَّه ممَّن روى كتاب الكافي بأكمله عن مصَنِّفه ببغداد.[3]
- أحمد بن محمّد بن محمّد بن سُليمان ابن سُنْسُن أبو غالب الزُراري: وهو ممَّن روى الكافي كما صرَّح في رسالته.[4]
- أحمد بن إبراهيم بن أبي رافع الصيمري الكوفي.[5]
- الحسين الكوفي أحمد بن أحمد.[6]
- أبو القاسم جعفر بن محمد بن قولويه.[7]
- عبد الكريم بن عبد الله بن نصر البزاز التنيسي.[8]

هـ-وفاته:

اختلف علماء الإمامية في تحديد تاريخ وفاة الكليني، وقد نصَّ بعضهم على أنَّه لم يلتقِ بالإمام العسكري،[9][10]

---

(1) انظر: ابن داود، رجال ابن داود (ص186).

(2) انظر: العميدي، الشيخ الكليني البغدادي وكتابه الكافي (ص96-112).

(3) انظر: الحر العاملي، وسائل الشيعة (ج455/30).

(4) المقصود بها كتابه المسمى رسالة في آل أعين، انظر: الزراري، رسالة في آل أعين (ص77). الطوسي، الفهرست (ص77)، الغفار، الكليني والكافي (ص187).

(5) انظر: الحلي، ابن المطهر، خلاصة الأقوال (ص67)، الغفار، الكليني والكافي (ص183).

(6) انظر: الغفار، الكليني والكافي (ص186).

(7) انظر: المصدر السابق (ص190).

(8) انظر: المصدر نفسه (ص191).

(9) والمقصود أنَّه لم يدركه بعد بلوغه، أو أنّه لم يلتقِ به، فبعض العلماء نصَّ على أنَّه أدرك الإمام العسكري في صباه، أو هو من باب الاختلاف في ذلك، كما اختلفوا في تحديد ولادته ووفاته ومكان قبره .

(10) انظر: الحسني، هاشم، دراسات في الكافي للكليني والصحيح للبخاري (ص125).

وذكر بعضهم أنَّه تُوفي سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة (328هـ)،[1]

وبعضهم ذكر أنَّه تُوفي في منتصف شعبان سنة (329هـ)،[2] وصلَّى عليه السيد محمد بن جعفر الحسيني المعروف بأبي قيراط، وهو من علماء الإمامية في عصره، وكانت وفاة الكليني في بغداد وحُمل إلى باب الكوفة ودفن في ببغداد.[3]

وأمَّا مكان القبر فقد اختلف علماء الشيعة في تحديده، فمنهم من ذكر أنَّه في الجانب الغربي من بغداد،[4] وهناك من ذكر أنَّه يوجد في الجانب الشرقي من بغداد.[5]

و–مؤلفاته:

زعم الشيعة أنَّ للكليني عدداً من المؤلفات في مختلف المواضيع، وكل كتب الكليني مفقودة ما عدا كتاب الكافي، وقد شُكك في نسبة بعض الكتب إليه، وذكر الشيعة أنَّ من كتبه:[6]

– الكافي الذي عُرف به الكليني أكثر من جميع مؤلفاته.

– كتاب تعبير الرؤيا،[7] وقد نفى ابن داود صحة نسبته للكليني.[8]

– رسائل الأئمة، وما قيل فيهم من الشعر.[9]

---

(1) انظر: الطوسي، الفهرست (ص211)، الحسني، ابن طاوس، كشف المحجة لثمرة المهجة (ص159).

(2) انظر: الحسني، ابن طاوس، كشف المحجة لثمرة المهجة (ص159).

(3) انظر: الطوسي، رجال الطوسي (ص439)، العميدي، دفاع عن الكافي (ص99).

(4) انظر: الطوسي، الفهرست (ص211)، العميدي، الشيخ الكليني البغدادي وكتابه الكافي (ص83).

(5) انظر: الطهراني، طبقات أعلام الشيعة (ص315).

(6) انظر: النجاشي، رجال النجاشي (ص377)، الطوسي، الفهرست (ص210)، الأردبيلي، جامع الرواة (219/2)، أفندي، رياض العلماء (ج261/2)، الخوانساري، روضات الجنات (ج272/3)، فقد نقل عن الخليل القزويني أنه نسب كتاب الروضة لابن إدريس.

(7) انظر: ابن شهر آشوب، معالم العلماء (ص134).

(8) انظر: ابن داود، رجال ابن داود (ص36).

(9) انظر: الحسني، هاشم، دراسات في الحديث والمحدثين (ص129)، الغفار، الكليني والكافي (ص214).

- تاريخ القرامطة والرد عليهم.[1]

- زعم الشيعة أنَّه ألَّف في الرجال،[2] وغير ذلك من المواضيع المختلفة.[3]

ز- مكانة الكليني عند الشيعة:

اتفق علماء الشيعة على توثيق الكليني وعدُّوه من الثقات، ولكن اختلف هذا المدح من زمن لآخرٍ، فأوائل العلماء اكتفوا بعبارات المدح المجملة، ومن العلماء الأوائل الذين ترجموا للكليني:

- النجاشي[4]: وهو أول من ترجم للكليني قال عنه: "كان أوثق الناس في الحديث، وأثبتهم، صنَّف الكتاب الكبير المعروف به الكليني يسمى الكافي، في عشرين سنة."[5]

- الطوسي[6]: قال عنه: "محمد بن يعقوب الكليني يُكنى أبا جعفر الأعور جليل القدر، عالم بالأخبار، وله مصنفات."[7]

- ابن شهر آشوب[8]: اقتصر على وصفه بأنَّه عالم بالأخبار.[9]

---

(1) انظر: ابن شهر آشوب، معالم العلماء (ص134)، الحسني، هاشم، دراسات في الحديث والمحدثين (ص129).

(2) انظر: القمي، عباس، الكنى والألقاب (ج120/3).

(3) انظر: المصدر السابق (ج120/3).

(4) هو أحمد بن علي بن أحمد بن العباس الأسدي، أحد أشهر علماء الرجال عند الشيعة، مولده في سنة اثنتين وسبعين وثلاثمائة هجري (372هـ)، صنّف كتاباً في الرجال، روى فيه كتب وأصول طائفة من أعلام الشيعة عن جملة من المشايخ، توفي سنة خمسين وأربعمائة هجري (450هـ)، انظر: اللجنة العلمية، موسوعة طبقات الفقهاء (ج35/5-37).

(5) النجاشي، رجال النجاشي (ص377).

(6) محمد بن الحسن بن حسين بن علي، أبو جعفر الطوسي شيخ الشيعة وعالمهم، له تفسير كبير وعدة تصانيف مشهورة، قدم بغداد وتفقه على يد الشافعي، ولزم المفيد فتحول رافضياً، توفي بالمشهد سنة تسع وخمسين وأربعمائة، الصفدي، الوافي بالوفيات، بتصرف (ج258/2).

(7) الطوسي، رجال الطوسي (ص210).

(8) هو محمد بن علي بن شهر آشوب بن أبي نصر، وُلد ثمان وثمانين وأربعمائة، وعُني بطلب العلم صنّف ابن شهر آشوب كتباً، منها: معالم العلماء، مائدة الفائدة، مناقب آل أبي طالب، انظر: اللجنة العلمية، موسوعة طبقات الفقهاء (ج285/6).

(9) ابن شهر آشوب، معالم العلماء، بتصرف (ص134).

وقد كان علماء الشيعة الأوائل يساوونه بعلماء كثيرين كانوا أمثاله في العلم والمكانة، بل ويُقدِّمون عليه علماء يرونهم أرفع مكانة من الكليني،[1] وأمَّا علماء الشيعة المعاصرين فجعلوا للكليني المكانة العالية، والمنزلة الرفيعة، وجعلوه يفوق جميع علماء الإمامية، ومن هؤلاء:

– المجلسي: قال عنه: "الشيخ الأجلُّ الأعظم، ثقة الإسلام، المُعظَّم بين الخاص والعام، أبي جعفر محمد بن يعقوب الكليني الرَّازي...، [وكتابه] الكافي الذي لم يُصَّنف في الإسلام مثله."[2]

– عباس القمي: وهو من أصحاب التراجم المتأخرين، قال عن الكليني في كتابه: "هو الشيخ الأجل قدوة الأنام، وملاذ المحدثين العظام، ومروج المذهب في غيبة الإمام عليه السلام، أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكُلَيني الرازي المُلَقب بثقة الإسلام، ألَّف الكافي الذي هو أجلُّ الكتب الإسلامية، وأعظم المصنفات الإمامية والذي لم يُعمل للإمامية مثله،"[3] وأمثال هذا الإطراء كثير بين المتأخرين.[4]

2-التعريف بكتاب الكافي ومكانته عند الشيعة:

اشتهر كتاب الكافي من بين كتب الحديث عند الشيعة الإمامية شهرة واسعة، ونال إعجاب العلماء ابتداءً من عصر تأليفه وحتى الوقت الحاضر، لِمَا له عندهم من خصوصيةٍ زائدةٍ على غيره من كتب الحديث الأخرى لدى الشيعة الإمامية، ولمكانة مؤلفه المرموقة عند الشيعة، وقد أثنى على كتاب الكافي كل من كَتَبَ في الحديث من علماء الشيعة، وهذا يشهد بمكانة هذا الكتاب عند الروافض، لا سيما أصوله

(1) فنجد أصحاب كتب التراجم يساوون الكليني بعلماء كثر، فمثلاً ذكر المحقق الحلي في بداية كتابه: "لما كان فقهائنا رضوان الله عليهم في الكثرة إلى حد يتعسر ضبط عددهم، ويتعذر حصر أقوالهم لاتساعها وانتشارها، وكثرة ما صنفوه، وكانت مع ذلك منحصرة في أقوال جماعة من فضلاء المتأخرين اجتزأت بإيراد كلام من اشتهر فضله، وعرف تقدمه في نقل الأخبار، وصحة الاختيار وجودة الاعتبار، واقتصرت من كتب هؤلاء الأفاضل على ما بان فيه اجتهادهم، وعرف به اهتمامهم، **وعليه اعتمادهم، فممن اخترت نقله الحسن بن محبوب، ومحمد بن أبي نصر البزنطي، والحسين بن سعيد، والفضل بن شاذان، ويونس بن عبد الرحمن، ومن المتأخرين أبو جعفر محمد بن بابويه القمي، ومحمد بن يعقوب الكليني،**" الحلي، جعفر، المعتبر (ج33/1).

(2) المجلسي، بحار الأنوار (ج70/107).

(3) القمي، عباس، الكنى والألقاب (ج 120/3).

(4) انظر: البروجردي، طرائف المقال (ج523/2)، الحر العاملي، وسائل الشيعة (ج152/30)، الشاهرودي، مستدرك سفينة البحار (ج182/9).

وفروعـه،[1] قـال الشـيخ المفيـد[2]: "هـو أجـلّ كتـب الشـيعة وأكثرهـا فائـدة،"[3] وتابعـه علـى ذلـك كـل علمـاء الشـيعة،[4] ويعتقـد الشـيعة أنَّ الكـافي قـد عرضــه سـفراء الإمــام عليــه، وأقرَّهم على العمل به، وتمسكوا بما جاء عنه أنَّه قال: "الكافي كافٍ لشيعتنا."[5]

ومما يجـدر ذكـره أنَّ نظـرة علمـاء الشـيعة وثقـتهم بكتـاب الكـافي مـرَّت بتقلبـات، فأوائـل الشـيعة قـد أثنـوا عليـه ثنـاءً عامـاً لا مبالغـة فيـه، والمقصـود بهـؤلاء العلمـاء هـم مـن كـانوا قبـل القـرن السـابع الهجـري، ولكـن مـن اسـتدلَّ مـنهم بروايـات الكلينـي لـم يقـدح فيهـا، بـل أخـذوها بكـل ثقـة، وأمَّـا فـي القـرن السـابع ظهـر اتجاهـان متغـايران بالنسـبة لمكانـة الكـافي، اتجـاه ينقـد رواياتـه، ويراهـا غيـر متفـق علـى صـحتها، وهـذا الاتجـاه بـدأ بظهـور ابـن المطهـر الحُلـي،[6][7] فقـد وجَّـه النقـد إلـى كتـاب الكـافي، ووجـد بـين مرويـات الكـافي وغيـره مــن كتــب الحــديث مــا لا يجــوز الاعتمــاد عليــه، والركــون إليــه، ونَقَــد تلــك المرويـات،[8] والاتجـاه الآخـر زاد تقديسـه للكـافي واعتبـر أصـحاب هـذا الاتجـاه أنَّ مـا أتـى

---

(1) انظر: العميدي، دفاع عن الكافي (ج30/1).

(2) هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان الحارثي البغدادي العكبري، (338-413هـ)، لقبه الشيعة بـ"الشيخ المفيد صاحب الزمان،" له مصنفات عديدة منها: رسالة المقنعة، الإفساخ، النقض على ابن قتيبة في الحكاية والمحكي...وغيرها، انظر: ابن شهر آشوب، معالم العلماء (ص 147-149).

(3) المفيد، تصحيح اعتقادات الإمامية (ص70).

(4) انظر: الصدوق (ت380هـ)، من لا يحضره الفقيه (ج231/4)، النجاشي (ت450)، رجال النجاشي (ص377)، الطوسي (460هـ)، الفهرست (ص210)، الحر العاملي (1104هـ)، وسائل الشيعة (187/20)، المازندراني (ت1081 هـ)، شرح أصول الكافي (ج7/1)، المجلسي (1111هـ)، بحار الأنوار، (ج190/104)، القمي، عباس (1359 هـ)، الكنى والألقاب (ج120/3)، الشاهرودي (ت1405هـ)، مستدرك سفينة البحار (ج40/1).

(5) الشاهرودي، مستدرك سفينة البحار (ج182/9)، العراقي، مجتبى، أهمية الحديث عند الشيعة (ص8).

(6) "هـو الحسـن بـن يوسـف بـن المطهـر الحلـي شـيخ الطائفـة، وعلامـة وقتـه، وصـاحب التحقيـق والتـدقيق، كثيـر التصـانيف، انتهـت رياسـة الإماميـة إليـه فـي المعقـول والمنقـول، مولـده سـنة ثمـان وأربعـين وستمائة،" ابن داود، رجال ابن داود (ص78).

(7) انظر: الكاشاني، الوافي (ج22/1).

(8) وقد ذكر الشيعة أن ابن المطهر الحلي قد ذكر آراءه في الروايات وأقسامها وقدح في الضعيفة منها في كتاب الدرر والمرجان، ولكنه مفقود، وزعم الشيعة أن هناك من اعتمد على كتابه، ومنهم حسن العاملي في كتابه منتقى الجمان، انظر: مجموعة من المحققين، مقدمة كتاب معالم الدين وملاذ المجتهدين لحسن العاملي (ص8)، فتح الله، معجم ألفاظ الفقه الجعفري (ص155)، الحسني، هاشم، دراسات في الحديث والمحدثين (ص46)، غفاري، دراسات في علم الرواية (ص66)، البروجردي، طرائف المقال (ج434/2-440).

بـه الحلـي نـوع مـن البدعـة والخـروج عـن طريقـة الشـيعة المجمـع عليهـا، وهـذا الـرأي هـو الـذي اسـتقرت عليـه الشـيعة الإماميـة، فمـا أحدثـه الحلـي لـم يُحـدِث شـرخاً فـي نظـرة الشـيعة، بـل عـادت المكانـة العظيمـة للكـافي عنـد سـائر علمـاء الشـيعة،[1] وفـي القـرون المتـأخرة وتحديـداً فـي القـرن التاسـع الهجـري بـدأت النظـرة إلـى الكـافي تـزداد تقديسـاً ورفعـةً إلى درجة كبيرة جداً، حيث أصبح الكتاب الأول عند الإمامية.[2]

أ-أهم الأسباب التي جعلت للكافي مكانة مرموقة عند علماء الشيعة:

-يعدُّ الكلينـي مـن أبـرز علمـاء الشيعة، ولـه مكانـة علميـة مرموقـة عنـدهم، ويـزعم الشـيعة أنَّـه مـن العلمـاء الـذين عاصـروا الغيبـة الصـغرى للإمـام المهـدي، وهـذا يعنـي قـرب زمـن الكـافي مـن مصـدر رواياتـه، وقـد ذكـر علمـاء الشيعة المعاصـرون أنَّ الكلينـي قـد أخـذ عـن الكثيـر مـن المشـايخ الـذين عاصـروا إمامـاً أو أكثـر مـن أئمـة أهـل البيـت، ابتـداءً مـن الإمـام الجـواد، وانتهـاءً بالإمـام محمـد بـن الحسـن العسـكري،[3] وزعمـوا كـذلك أنَّ الكلينـي بـذل جهـداً كبيـراً فـي جمـع روايـات الكتـاب، وأنَّـه قـام بـرحلاتٍ علميـةٍ كثيـرةٍ فـي تأليفـه للكافي كما مرَّ.

-أنَّ الكـافي هـو أول كتـابٍ جُمعـت فيـه الأحاديـث بهـذه السـعة، وهـذا الترتيـب والتبويـب الـذي وفَّـر كثيـراً مـن جهـد العلمـاء فـي متـابعتهم لروايـات أهـل البيـت، فزعمـوا أنَّـه اشـتمل علـى أبـواب نـادرةٍ لـم تُـذكر فـي غيـره مـن كتـب الحـديث عنـد الإماميـة، حيـث ضـمَّ أدق مباحـث العقيـدة، كالتوحيـد، والعـدل، والنبـوة، والإمامـة، والقضـاء والقـدر، والجبـر، والتفـويض، والإيمـان، ومـا يتصـل بـه مـن فضـائل، والكفـر ونواقضـه، إلـى غيـر ذلـك مـن الأمـور الكثيـرة الأخـرى التـي اهتمـت بدراسـتها كتـب الكـلام والعقائـد، وهـذا هـو سـر اهتمـام كافـة علمـاء الشـيعة بكتـاب الأصـول مـن الكـافي، وأمـا الفـروع فقـد صـنفت كتبـه علـى أسـاس تعلقهـا بمعرفـة الأحكـام الفرعيـة الشـرعية التـي تبحـث فـي كتـب الفقـه، ابتـداءً بكتـاب الطهـارة، وختامـاً بكتـاب الأيمـان والنـذور والكفـارات، وقـد اشـتمل علـى جميـع مـا يتعلـق بالعبـادات والمعـاملات، وأمَّـا الروضـة ففيهـا خطـب الأئمـة ورسـائلهم، وحكمهـم

(1) انظـر: غفـاري، دراسـات فـي علـم الروايـة (ص14)، الحسـني، هاشـم، دراسـات فـي الكـافي للكلينـي والصحيح للبخاري (ص130).

(2) انظر: المازندراني، شرح أصول الكافي (ج7/1)، المجلسي، بحار الأنوار (190/104).

(3) انظر: العميدي، دفاع عن الكافي، بتصرف (ج27/1).

ومواعظهم، وفيها قصص الأنبياء وسيرتهم، وبعض الأحداث التاريخية الإسلامية المهمة، وفيها الكثير من الآداب، وحقوق المسلمين فيما بينهم.[1]

- اشتمال الكتاب على الأصول الأربعمائة[2] على حدِّ زعم الشيعة، وقد كان الشيعة قبل الكافي يعتمدون بالدرجة الأساس على الأصول الأربعمائة، وبعد ظهور الكافي اضمحلت حاجة الشيعة إلى تلك الأصول الأربعمائة لوجود مادتها مرتبة مبوَّبة في ذلك الكتاب،[3] وهذا لا يعني أنَّ الكليني قد جمع هذه الأصول الأربعمائة كلها ثم دوَّنها في كتابه الكافي، إذ لو صح ذلك لما استغرق تأليف الكافي أكثر من ثلاث أو أربع سنين، ولكن من المتفق عليه بين الشيعة على أنَّ الكليني قد فرغ من تأليف الكافي من جمعه وتبويبه بعد مُضِي عشرين عاماً، وممَّا يقطع بأنَّ الكافي لم يقف عند حدود الأصول الأربعمائة، اشتماله على أحاديث سائر أئمة أهل البيت في العقائد وغيرها،[4] قال الميرزا حسين النوري في مستدرك الوسائل: "كانت الأصول الأربعمائة هي المرجع لشيعة آل محمد في الفتوى، إلى أن صنف الشيخ الكليني كتابه العظيم الكافي.... للشيخ المجدد محمد بن يعقوب الكليني، دام تأليفه لهذا السفر العظيم عشرين عاماً، بعد تفحص مستمر في الأقطار الإسلامية....ويمتاز عما سواه

(1) انظر: العميدي، دفاع عن الكافي (ج28/1).

(2) زعم الشيعة أنَّ الأصول الأربعمائة هي كتب صنفت في الحديث والفقه والتفسير، وقد نقلها أصحابها عن مشايخهم بطرقهم المتصلة للأئمة، والفرق بين الأصول والمصنّفات هو أنّ احتمال الخطأ في الأصول أقل بكثير منها في المصنّفات؛ لأنّ الأصل يمتاز عن المصنَّف بأنّه يشمل الأحاديث التي رواها الراوي عن المعصوم مباشرة أو بواسطة واحدة، بخلاف المصنّف، وزعموا أنَّ تلامذة أئمّة أهل البيت قاموا بتأليفها ما بين عصر الإمام الصادق رحمه الله إلى نهاية عصر الإمام الرضا رحمه الله، وهذه الأصول هي المعروفة بالأصول الأربعمائة، فلها من الاعتبار والمكانة ما ليس لغيرها عند الشيعة، قال الصدوق: "إنَّ جميع علماء الإمامية أجمعوا على اعتبار الكتب الأربعة، واعتمادها، والعمل بها، والشهادة بكونها منقولة من الأصول الأربعمائة المجمع عليها المعروضة على الأئمة عليهم السلام، كما صرح به الشهيد الثاني والشيخ بهاء الدين في درايتهما،" الصدوق، الهداية (ص225)، وانظر: الحر العاملي، وسائل الشيعة (ج198/30)، العاملي، زين الدين، الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية (ج35/1)، المجلسي، روضة المتقين (ج18/1)، السبحاني، العقيدة الإسلامية على ضوء مدرسة آل البيت (ص324).

(3) انظر: الطبرسي، حسين، مستدرك الوسائل (ج29/1)، الشاهرودي، مستدركات علم رجال الحديث(ج40/1).

(4) انظر: العميدي، دفاع عن الكافي (ج27/1،28).

من كتب الحديث، بقرب عهده إلى الأصول المعول عليها، والكتب المأخوذ عنها، وما فيه من دقة الضبط، وجودة الترتيب، وحسن التبويب وإيجاز العناوين فلا ترى فيه حديثاً ذكر في غير بابه."[1]

– زعم الشيعة أنَّ كتاب الكافي قد توفرت فيه قرائن كثيرة تشهد على سلامة أخباره من الدسِّ والتزوير، بل وتكاد تلك القرائن تقطع بصحة أخباره عندهم، ولا يُقصد بالصحيح ما اصطلح عليه المتأخرون؛[2] لأنَّ الصحيح عند الكليني وغيره من القدماء هو ما وثقوا بكونه صادراً عن المعصوم، وهو أعم من مفهوم كون الراوي من عدول الإمامية، فهم قد يقطعون بصحة خبر أو يظنون بصحته مع كون الراوي ليس من عدول الإمامية، لتوفر القرائن الدالَّة على صدق الخبر لديهم، وتلك القرائن قد خفيت على المتأخرين، وهذا يزيل الإشكال في أنَّ روايات الكافي لم تكن كلها مروية عن أئمة أهل البيت، واشتماله على كثير من الروايات التي وقع في أسانيدها بعض المنحرفين عن الخط الإمامي الإثني عشري.[3]

– زعمت الشيعة أنَّ من مميزات الكافي المهمة عنايته الفائقة بالإسناد، وتُعتبر متانة الإسناد والأمانة في نقل عبارات الرواة –كما يزعمون– من ميزات الكافي التي تُفتقد في غيره من كتبهم، ولم يقفْ أمر الإسناد في كتاب الكافي على توفر سلسلة السند كاملة، واقترانها بما يؤيدها عادة من متانة أو قوة، بل رافقه نوع آخر، وهو أنَّه كان يروي الحديث من طريق، ثم يعقبه بسندٍ آخرٍ، ذاكراً في نهايته عبارة "مثله،" إشارة منه إلى تطابق متن الحديث في كلا الطريقين، وقلما يخلو باب من أبواب الكافي من هذا المنهج.[4]

ب–سبب تأليف كتاب الكافي:

وأمَّا سبب تأليف الكليني لكتابه، هو أنَّ بعض الشيعة من البلدان النائية كلَّف الكليني بتأليف كتاب في الحديث يجمع مختلف المواضيع، وقد مرَّ أنَّ الشيعة قد

---

(1) الطبرسي، حسين، مستدرك الوسائل (ج29/1).

(2) فالحديث الصحيح عند المتأخرين هو ما اتَّصل سنده بنقل العدل الإمامي عن مثله في جميع الطبقات، العاملي، وسائل الشيعة، بتصرف (ج260/30).

(3) انظر: الحسني، هاشم، دراسات في الحديث والمحدثين (ص143،144).

(4) انظر: العميدي، دفاع عن الكافي، بتصرف (ج33/1).

ربطوا حياة الكليني بخرافة سفراء المهدي، وهذا يعني -على حدِّ زعم الشيعة- أنَّ الكليني كان على اتصالٍ دائمٍ بالسفراء الذين كانوا يتصلون بالإمام، ويروون عنه، فألَّف الكليني إجابةً لطلبهم كتاب الكافي في عشرين عاماً،[1] وقد ذكر الكليني هذا السبب في مقدمة كتابه فقال: "وذكرت أنَّ أموراً قد أُشكِلت عليك، لا تعرف حقائقها لاختلاف الرواية فيها، وأنَّك تعلم أنَّ اختلاف الرواية فيها لاختلاف عللها وأسبابها، وأنَّك لا تجد بحضرتك من تُذاكره وتفاوضه ممن تثق بعلمه فيها، وقلت: إنَّك تحب أنْ يكون عندك كتاب كافٍ يُجمع [فيه] من جميع فنون علم الدين، ما يكتفي به المتعلم، ويرجع إليه المسترشد، ويأخذ منه من يريد علم الدين والعمل به بالآثار الصحيحة عن الصادقين عليهم السلام، والسنن القائمة التي عليها العمل، وبها يُؤَدي فرض الله عزَّ وجلَّ وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم،.... وقد يسر الله تعالى تأليف ما سألت."[2]

ج-منهج الكليني في كتابه:

لقد أوضح الكليني في مقدمة كتابه الأسس العامة التي سيتبعها في كتابه، وهي:

- زعم الكليني أنَّه سيجمع رواياته على أساس موافقتها لكتاب الله تعالى، قال في مقدمة كتابه: "فاعلم يا أخي أرشدك الله أنَّه لا يسع أحد تمييز شيءٍ ممَّا اختلف الرواية فيه عن العلماء عليهم السلام برأيه، إلا على ما أطلقه العالم بقوله عليه السلام:[3] اعرضوها على كتاب الله تعالى فما وافى كتاب الله عز وجل فخذوه، وما خالف كتاب الله فردوه،"[4] وكذلك ذكر أنَّ من منهجه ترك أقوال أصحاب الأهواء الذين يُخالفون القرآن، وهذا هو معنى قول الإمام: "دعوا ما وافق القوم فإنَّ الرشد في خلافهم."[5]

---

(1) انظر: النجاشي، رجال النجاشي (ص377)، الحسني، هاشم، دراسات في الحديث والمحدثين (ص127).

(2) الكليني، مقدمة الكافي (ج8/1).

(3) لم يُحدد اسم الإمام في المصادر الشيعية، وقد ذكر المازندراني أنَّ المراد به الإمام المعصوم دون تحديد، انظر: المازندراني، شرح أصول الكافي (ج62/1)، المجلسي، مرآة العقول (ج22/1)، البروجردي، جامع أحاديث الشيعة (ج255/1).

(4) الكليني، مقدمة الكافي (ج8/1).

(5) المصدر السابق (ج8/1).

- الأخذ بالمجمع عليه من مسائل الدين، وقد استدلَّ بقول إمامهم: "خذوا بالمجمع عليه، فإنَّ المجمع عليه لا ريب فيه."[1]

- الرجوع عند الاختلاف لرأي الأئمة، مع وجوب التسليم لما ورد عنهم، وأما في حالة ورود أكثر من رأيٍّ عنهم فللمرء أنْ يأخذ بواحدٍ منهما، قال الكليني في مقدمته: "ونحن لا نعرف من جميع ذلك إلا أقله، ولا نجد شيئاً أحوط ولا أوسع من ردِّ علم ذلك كله إلى العالِم عليه السلام، وقبول ما وسَّع من الأمر فيه بقوله عليه السلام: بأيُّما أخذتم من باب التسليم وسعكم."[2]

هـ -مخطوطاته:

هناك ما يقرب من (1600) نسخة لكتاب الكافي، تم جمعها من قبل مجموعة من المحققين موجودة في مكتبات إيران وغيرها من مكتبات العالم، يعود تاريخ (13) نسخة منها إلى ما بين القرن السابع الهجري إلى القرن التاسع الهجري، ويعود (63) نسخة منها للقرن العاشر، و(1300) نسخة للقرن الحادي عشر والثاني عشر و(200) نسخة للقرن إلى القرن الثالث عشر،[3] وأقدم النسخ ترجع إلى القرن السابع، ولكن لم يكن فيها روايات الكافي كاملة،[4] وهذا يُلاحظ في كل النسخ؛ فإنَّ الشيعة يعدون كل ما ورد فيه روايات للكافي -حتى ولو كانت يسيرة- نسخة للكتاب، وأما أول نسخة كتبت فيها الأصول كاملة فترجع إلى القرن التاسع،[5] وعلى ذلك فإن أول نسخة كاملة اعتُمد عليها في تحقيق الكافي كانت بعد قرابة (500 سنة) من وفاة الكليني.[6]

---

(1) الكليني، مقدمة الكافي (ج8/1،9).

(2) المصدر السابق (ج9/1).

(3) انظر: الدرايتي ومجموعة من المحققين، مدخل كتاب الكافي (ج114/1)، مع ملاحظة أنَّ هذا بالاعتماد على كتاب الكافي بتحقيق مؤسسة إحياء التراث، طبعة مركز بحوث دار الحديث، أما روايا الكافي فاعتُمدت نسخة علي أكبر غفاري، طبعة دار الكتب الإسلامية، العميدي، دفاع عن الكافي (ج30/1).

(4) انظر: مؤسسة آل البيت، الفهرس الشامل (1/ 1261- 1276).

(5) انظر: الدرايتي ومجموعة من المحققين، مقدمة الكافي (ج137/1).

(6) انظر: العمري، الكليني وتقريره عقيدة الشيعة الإمامية (ص226).

و-عدد رواياته:[1]

من الملاحظ أن هنالك خلافاً بين علماء الشيعة في عدد روايات الكافي، وقد شاع هذا الخلاف بين المتقدمين والمتأخرين، وقد ذكروا أكثر من قول في عدد أحاديث الكافي، وبعضهم ينسب قوله للبحراني، على الرغم من أنَّ البحراني ذكر عدداً مخالفاً لما نُقل عنه، وبيان ذلك كما يلي:[2]

- قال البحراني: "قال بعض مشائخنا المتأخرين: أما الكافي فجميع أحاديثه حُصرت في ستة عشر ألف حديث ومائة وتسعة وتسعين حديثاً، والصحيح منها، باصطلاح من تأخر، خمسة آلاف واثنان وسبعون حديثاً، والحسن مائة وأربعة وأربعون حديثاً، والموثق ألف ومائة وثمانية عشر حديثاً، والقوي منها اثنان وثلاثمائة حديث، والضعيف منها أربعمائة وتسعة آلاف وخمسة وثمانون حديثاً،....وأما التهذيب فلم يحضرني عدّ ما اشتمل عليه من الأحاديث، وإن لم يزد على أحاديث الكافي لم يقصر عنها،"[3] وقال بهذا العدد أيضاً فخر الدين الطريحي،[4] وأحمد بن عبد الرضا البصري،[5] والظاهر بأنهما أول من أشارا إلى هذا العدد في أحاديث الكافي، ولعلَّ أحدهما هو المراد بقول البحراني السابق: "قال بعض مشائخنا المتأخرين...".

ومن الملاحظ على ما ذكره البحراني في النص السابق ما يلي:

*- حصر البحراني عدد روايات الكافي بـ(16199حديثاً)، ومجموع الروايات المسرودة بعده (16121حديثاً) أي أقل من العدد المحصور بـ(78حديثاً).

*- ذكر البحراني بأن روايات التهذيب إن لم تزد عن الكافي فهي لا تنقص عنها، وقد ذكر المحقق محمد صادق بحر العلوم أنَّ عدد روايات التهذيب (13590حديثاً)، وهذا يعني بأن عدد روايات الكافي إما أقل من عدد أحاديث التهذيب (13590حديثاً) أو يساويه!!، وهذا يظهر التعارض الواضح في قول البحراني.

- نقل الخوانساري في كتابه "روضات الجنات" عن البحراني -مع ملاحظة أن الخوانساري استدل بالنص نفسه الذي استدل به البحراني في كتابه مع الاختلاف

---

(1) نقلا عن البرش، الصحابة رضي الله عنهم بين صحيح البخاري والكافي للكليني (ص64-68).

(2) انظر: العمري، الكليني وتقريره عقيدة الشيعة الإمامية (ص357-365).

(3) البحراني، يوسف، لؤلؤة البحرين في الإجازات وتراجم رجال الحديث (ص376-377).

(4) انظر: الطريحي، جامع المقال فيما يتعلق بأحوال الحديث والرجال (ص193).

(5) ابن عبد الرضا، فائق المقال في الحديث والرجال (ص72-73).

اليسير في بعض الأعداد- بأن عدد أحاديث الكافي حصرت في (16190حديثاً)، الصحيح منها (5072 حديثاً)، والموثق (1118حديثاً)، والقوي (302حديثاً)، والضعيف (9485حديثاً).[1]

ومن الملاحظ على ما ذكره الخوانساري نقلاً عن البحراني ما يلي:

*-أنه مخالف لما ذكره البحراني نفسه في كتابه، فعدد جميع روايات الكافي عند البحراني (16199حديثاً)، أما هنا فقد نقل عنه الخوانساري بأنها(16190حديثاً).

*- حصر عدد أحاديث الكافي بـ(16190حديثاً)، وهو مخالف لمجموع الروايات المسردة بعده (15977حديثاً).

والظاهر أن أشهر الأقوال التي قيلت في عدد أحاديث الكافي، هو ما نُقل عن البحراني بأنه (16199 حديثاً).

والسبب في الاختلاف في عدد أحاديث الكافي لا يخلو من أمرين، إما لعدم وجود نسخة إلى الوقت الحاضر يمكن الاعتماد عليها في تحقيق كتاب الكافي، أو أن كتاب الكافي قابل للزيادة والنقص والحذف والتغيير من قبل النساخ والوضاع، مما يعني سهولة اختراق هذا الكتاب.[2]

ز-شروحاته:[3]

بلغت شروحه قرابة تسعة عشر شرحاً،[4] بعضها مطبوع، والأغلب مخطوط، ومن الملاحظ بأن أغلب هذه الشروح هي للأصول،[5] ومن شروحه:[6]

- شرح محمد بن محمد بن الحسن الطوسي (ت673هـ)، والظاهر أنه أول هذه الشروح، وهذا بالنظر لتاريخ وفاة مؤلفها.[7]

- الرواشح السماوية في شرح الأحاديث الإمامية: لمحمد باقر الداماد الحسيني (ت 1040هـ).

---

(1) انظر: الخوانساري، روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات (109/6).

(2) العمري، الكليني وتقريره عقيدة الشيعة الإمامية، بتصرف (ص361).

(3) نقلا عن البرش، الصحابة رضي الله عنهم بين صحيح البخاري والكافي للكليني (ص64).

(4) انظر: العميدي، الشيخ الكليني البغدادي وكتابه الكافي (ص160-164).

(5) انظر: محفوظ، مقدمة الكافي (ص30-31).

(6) للاطلاع على بعض شروحات الكافي. انظر: محفوظ، مقدمة الكافي (ص30-31)، العميدي، الشيخ الكليني البغدادي وكتابه الكافي (ص160-164).

(7) انظر: العميدي، الشيخ الكليني البغدادي وكتابه الكافي (ص160)، الغفار، الكليني والكافي (ص443).

- شـرح المـولى محمـد المازنـدراني[1] (ت1080هـ): ويعـدُّه الشـيعة مـن أفضـل شـروح الكافي.[2]
- الوافي: للفيض الكاشاني (ت1091 هـ).
- مـرآة العقـول فـي شـرح أخبـار آل الرسـول: لمحمـد بـاقر بـن محمـد تقـي المجلسـي (ت 1110هـ).

ملاحظات على مكانة الكُلَيْني عند الشيعة:[3]

1-لا يُعـرف للكلينـي تـاريخ ولادة ولا وفـاة علـى التحديـد، وشـيوخه قـد لفَّهـم الغمـوض، وجميـع مؤلفاتـه مفقـودة وهنـاك شـكوك كبيـرة حـول نسـبة كتـاب الروضـة إلـى الكلينـي، فهـل يُعقـل أنَّ يكـون الكلينـي إمـام زمانـه، وسـيرته قـد خفيـت علـى مـن عاصـروه، وإذا كـان هنـاك عـذر فـي عـدم معرفـة تـاريخ ولادتـه، فكيـف يُختلـف فـي تـاريخ وفاتـه؟!، ألـيس مـن المفتـرض أنْ يكـون يـوم وفـاة عـالم جليـل يومـاً مشـهوداً بـين العـوام، فضـلاً عـن الخـواص، وإنَّ أقـل طالـب علـمٍ يفتـرض أنْ يكـون شـيوخه بالعشـرات، وأنْ يكونـوا مـن العلمـاء الأجـلاء، ولكـن بـالنظر لشـيوخ الكلينـي فـلا يكـاد يعـرف مـنهم إلا القليـل جـداً، فـأيُّ مدرسـة تخـرَّج منهـا؟!!، ومـن أيـن أخـذ العلـم الـذي أهَّلـه لأنْ يكـون أعظـم إمـام فـي الحـديث عنـد الشـيعة، وقـد لخَّـص عبـد الرسـول الغفـار حيـاة الكلينـي بقولـه: "والشـيخ الكلينـي هـو أحـد أولئـك العلمـاء الـذي ضـاعت أخبـاره، ولـم تصـل إلينـا عـن نشـأته وحياتـه العلميـة فـي مراحلها الأولى إلا النزر القليل."[4]

2-علمـاء الشـيعة المتقـدمون كالنجاشـي، والعلامـة الحلـي، وكـذا ابـن داود، كـان فـي تـرجمتهم للكلينـي اختصـار واضـح، وذكـروا علمـاء اعتبـروهم أرفـع مكانـة مـن الكلينـي، وتُـرجم لهـم ترجمـة فيهـا الكثيـر مـن المـدح والإطـراء كمـا مـرَّ،[5] فكيـف يُـذكر فـي كتـب

---

(1) هـو محمـد صـالح بـن المـولى أحمـد السـروري الطبرسـي، لـه كتـاب شـرح أصـول الكـافي، ويعـدُّه الشيعة مـن أفضـل شـروح الكـافي، ولـه كتـاب شـرح الروضـة، وكتـاب شـرح زبـدة الأصـول، وحاشـية علـى معالم الأصول وغيرها، توفي سنة(1086هـ)، انظر: القمي، عباس، الكنى والألقاب (ج202/3).

(2) انظر: محفوظ، مقدمة الكافي (ص30-31).

(3) قـد تـمَّ الاسـتفادة فـي هـذه الملاحظـات مـن رسـالة الكلينـي وتقريـره عقيـدة الشـيعة الإثنـا عشـرية، لمحمد العمري.

(4) الغفار، الكليني والكافي (ص159).

(5) انظر: ص27 من هذا البحث.

التـراجم عـالم يعـدُّوه الشـيعة صـاحب أهـم كتـاب عنـد الشـيعة ولا تكـون ترجمتـه تَفِـي بمكانتـه ومكانـة كتابـه؟، ولـمَ فطـن المتـأخرون عـن الكلينـي مئـات السـنين إلـى مكانتـه، واهتموا بكتابه اهتماماً مفرطاً.

3- لـمْ يـذكر علمـاء الشـيعة المصـادر التـي اعتمـدوا عليهـا فـي توثيـق الكلينـي، فمـثلاً النجاشـي لـم يـذكر مرجعـه فـي الترجمـة للكلينـي، مـع أنَّ الفتـرة الزمنيـة بينـهم أكثـر مـن قـرن مـن الزمـان،[1] وهـذا الحـال مـع جميـع كتـب التـراجم، فالسـؤال الـذي يُطـرح: مـا هـو المصـدر الـذي اعتمـدوا عليـه فـي تـرجمتهم للكلينـي؟، ولـمَ لـمْ تُـذكر أخبـاره متـواترة مـن تلاميـذه الـذين يجـدر أنْ يكونـوا عـدد الرمـل والحصـى،؟!!! وهـل يُعقـل أن يكـون عـالم بمكانــة الكلينــي ولا يتجــاوز عــدد تلاميــذه عشــرون تلميــذاً، ولا يُعــرف لا يشــتهر مــنهم أحـد؟!!، وقـد ذكـر علمـاء الشـيعة المعاصـرين سـيرة الكلينـي وجعلـوه شخصـية مـن أعظـم الشخصـيات العلميـة، ولكـن كـان ذكـرهم كـان علـى الإجمـال، ودون ذكـر مصـدر لـذلك، ولا تحديد تاريخ لرحلاته، ولا سند لإطرائهم له.

4- علمـاء الرجـال الـذين عاصـروا الكلينـي لـم يـذكروا ترجمتـه مثـل الكشـي فـي رجالـه،[2] وهنـاك علمـاء مـن المحسـوبين علـى الشـيعة لـم يـذكروا ترجمـة الكلينـي فـي كتـبهم، مـع أنهـم ترجمـوا لمـن يعـدُّونهم مـن العـوام، كمـا فـي كتـاب الفهرسـت لابـن النـديم؛ فهـذا يثبـت أنَّ الكلينـي شخصـية حقيقيـة قـد أضـاف إليهـا الشـيعة الكثيـر مـن المـدح والإعجـاب لحاجـةٍ فـي نفوسـهم، والـذي يتـرجح أنَّـه كاتـب شـيعي قـد ألّـف كتـاب الكـافي، وكـان مغمـوراً، وبعـد مئــات الســنين تــمَّ الــدسُّ والتزويــر فــي روايــات كتابــه، وأُعطــي هــذه المكانــة مــن قبــل الصـفويين؛ لأنَّـه يُلاحـظ أنَّ كـل الإطـراء الزائـد علـى المؤلـف قـد بـدأ فـي عصـرهم، وكـذلك أول نسخة كاملة لكتاب أصول الكافي كانت في عهدهم.[3]

5- كُتُـب الشـيعة إلـى قرابـة القـرن الرابـع الهجـري لـم يسـتدلوا بشـيءٍ مـن مرويـات كتـاب الكـافي، مثـل تفسـير العياشـي، وتفسـير القمـي، وشـرح الأخبـار لنعمـان المغربـي، مـع العلـم أنَّـه لمـا دخـل أحمـد البـويهي الشـيعي بغـداد (334هـ) كـان بدايـة عهـدٍ مجيـدٍ للشـيعة، ومـع

(1) وهذا أشار إليه العمري، في رسالته الكليني وتقريره عقيدة الشيعة الإثنا عشرية (ص73-78).

(2) انظـر: الطوسـي، اختيـار معرفـة الرجـال(ج3/1،4)، فقـد جمـع الطوسـي عـدة كتـب فـي علـم الرجـال في كتابه اختيار معرفة الرجال، ومن ضمنها كتاب الكشي.

(3) انظــر: الــدرايتي، مــدخل كتــاب الكــافي (ج137/1)، فقــد ذكــر أن اول نســخة للأصــول بتمامهــا ترجع إلى(855هـ-854هـ).

ذلك فلم يظهر أعظم كتابٍ للشيعة، فالسؤال هو لمَ غفل علماء الشيعة لأكثر من مئة سنة عنه، وعن الاستدلال به؟!.[1]

6- الكذب والتزوير في الكافي لا يمكن إنكاره، فالصدوق قد نسب روايات كثيرة للكليني في كافيه، ولكنها غير موجودة، فهذه مدسوسة عليه، والشكوك الكبيرة حول كتاب الروضة تثبت ذلك أيضاً.[2]

7- لمْ تُذكر ترجمة الكليني في أغلب كتب تراجم أهل السنة مثل الإمام الأشعري، وشيخ الإسلام ابن تيمية، مع أنَّ شيخ الإسلام كان متخصصاً في الرد على الرافضة وذكر مخازيهم، وقد ألَّف كتاباً في الرد على ابن المطهر الحلي، وكان مطلعاً على عقائدهم وعلمائهم، فلو كانت مكانة الكليني كما يزعم الشيعة لَمَا غَفَل علماء السنة عن ذكره والرد عليه.

الحكم على أسانيد روايات الكافي:

إنَّ روايات الكافي لم تسلم من الذمِّ حتى من علماء الشيعة؛ فإنَّ في الكافي روايات موضوعة، وأخرى متفق على ضعفها، ولا يكاد يسلم منها إلا النادر، ويمكن الحكم على أسانيد روايات الكافي **من خلال النقاط التالية:**

1- إنَّ علماء الشيعة قد حكموا على أغلب روايات الكافي بالضعف، وقد ذكر المحدثون من الشيعة أنَّ في الكافي خمسة وثمانين وأربعمائة وتسعة آلاف (9485) حديث ضعيف، من مجموع واحد وعشرين ومائة وستة عشر ألفاً (16121) حديث،[3] فمثلاً المجلسي كان نتيجة تقويمه لأحاديث الكافي أنَّه وجد منها خمسة وثمانين وأربعمائة وتسعة آلاف حديث ضعيف،[4] والبهبودي من العلماء المعاصرين

---

(1) انظر: العمري، الكليني وتقريره عقيدة الشيعة الإثنا عشرية (ص180-181).

(2) انظر: أفندي، رياض العلماء (ج261/2)، الخوانساري، روضات الجنات (ج272/3)، فقد نقل عن الخليل القزويني أنه نسب كتاب الروضة لابن إدريس.

(3) البحراني، يوسف، لؤلؤة البحرين في الإجازات وتراجم رجال الحديث (ص376-377).

(4) انظر: موقع عقيدة، قيام الإمام الحسين رضي الله عنه ضد الانحراف عن سنة رسول اللّه صلى الله عليه وسلم بسبب الاجتهاد والعمل بالرأي.

قد ضعَّف أكثر من ثلثي الروايات.[1]

2-إنَّ ما صححه بعض علماء الشيعة وبالغوا في تصحيحه، تعرَّض له علماء غيرهم، وحكموا عليه بالضعف والشذوذ، فمثلاً: الصدوق في كتابه "من لا يحضره الفقيه" حكم على روايات بأنَّها في أعلى درجات الصحة،[2] ولكن الطوسي حكم عليها بالشذوذ والضعف،[3] وهذا الحال مع رواياتٍ كثيرةٍ، فتجد بعضهم يبالغ في تصحيحها، وتجد آخرين يجعلونها شاذة لا يصح الاعتماد عليها.

3-تضمن الكافي الكثير من الروايات المرسلة، وقد نقل علماء الشيعة الأوائل الإجماع على تصحيح بعضها؛ لأنَّ أصحابها لا يروون إلا عن ثقة، وبناءً على ذلك اعتبروا هذه الروايات المرسلة صحيحة كالمسندة، ولكن حتى هذا الإجماع لم يعطِ هذه الروايات أيّاً من الأهمية، أو التسليم لها، ومن أشهر الأمثلة على ذلك مراسيل صفوان ابن يحيى، وابن أبي عمير، وأحمد بن محمد ابن أبي نصر، فقد نقل الكشي الإجماع على الأخذ بمراسيلهم،[4] والشيخ الصدوق عمّم ذلك في كل من يروي عن ثقة،[5]

(1) فقد ذكر مرتضى العسكري أنَّ البهبودي قد صحح (3328) من أصل (16121)، انظر: العسكري، معالم المدرستين (ج282/3)، والبهبودي كان نقده علمياً، وعلى أسس صحيحة، ولكن الشيعة زعموا أنَّ ردَّهم لرأي البهبودي لاعتماده على الأقوال المنقولة عن كتاب الرجال المنسوب إلى ابن الغضائري، وعلماء الدراية عندهم ينكرون وجود كتاب كهذا لابن الغضائري، لهذا لم يلقَ عمله المذكور القبول في الحوزات العلمية، العسكري، معالم المدرستين، بتصرف (ج282/3).

(2) فمثلاً: نسب الكليني لأبي عبد الله رحمه الله أنَّه قال: "شهر رمضان ثلاثون يوماً لا ينقص أبداً،" [الكليني، الكافي، الصيام/ باب نادر،87/4: ح1]، وقد قال الصدوق معقباً عليها: "من خالف هذه الأخبار، وذهب إلى الأخبار الموافقة للعامة في ضدها اتقى كما يتقي العامة، ولا يُكلم إلا بالتقية كائناً من كان، إلا أن يكون مسترشداً فيُرشد، ويُبين له، فإنَّ البدعة إنَّما تُماث وتُبطل بترك ذكرها، ولا قوة إلا بالله،" الصدوق، من لا يحضره الفقيه (171/2).

(3) فقد قال الطوسي: "هذا الخبر لا يصح العمل به من وجوه: أحدها: أنَّ متن هذا الخبر لا يوجد في شيء من الأصول المصنفة، وإنَّما هو موجود في الشواذ من الأخبار،....ومنها أنَّ هذا الخبر مختلف الألفاظ مضطرب المعاني....[وهذا] الاختلاف مما يضعف الاعتراض به، والتعلق بمثله، ومنها أنَّه لو سلم من جميع ما ذكرناه لكان خبراً واحداً لا يوجب علماً ولا عملاً، وأخبار الآحاد لا يجوز الاعتراض بها على ظاهر القرآن والأخبار المتواترة التي ذكرناها، ولو سلم من ذلك أيضاً كله لم يكن في مضمونه ما يوجب العمل به على العدد دون الأهلة،" الطوسي، الاستبصار (66/2).

(4) انظر: الطوسي، اختيار معرفة الرجال (ج792/2).

(5) انظر: الصدوق، من لا يحضره الفقيه (ص426،428).

ولكـن هـذا الكـلام قـد ردَّه علمـاء الشـيعة أنفسـهم، فالطوسـي خـالف الإجمـاع، وضـعَّف مراسـيلهم، وقـال إنَّهـا لا تُعـارض الأخبـار المرسـلة، فمـثلاً ذكـر روايـة لمحمـد بـن أبـي عميـر، ثـم عقَّب عليهـا قـائلاً: "فـأول مـا فيـه أنَّـه مرسـل، ومـا هـذا سـبيله لا يُعـارَض بـه الأخبـار المسـندة،"[1] وهـذا الإجمـاع مـن أصـله مـردود، فقـد قـال الكاشـاني عـن هـذا الإجمـاع بـأنَّ عبارتـه ليسـت صـريحة، ولا ظـاهرة فـي تصـحيح مراسـليهم، بـل يحتمـل أنَّـه كنايـة عـن الإجمـاع علـى عدالـة هـؤلاء أنفسـهم،[2] ولـيس هنـاك طريـق يمكـن مـن خلالـه معرفـة إذا مـا كـانوا يـروون عـن ثقـة إلا إذا صـرَّح الـراوي بـذلك، وهـذا لـم يُنقـل عـن أحـدٍ مـنهم، بـل إنَّ الثابـت أنَّهـم رووا عـن ضـعفاء، فمـثلاً ابـن أبـي عميـر قـد غـاب عنـه أسـماء مـن روى عـنهم بعـد ضـياع كتبـه، فاضـطر إلـى أنْ يـروي مرسـلاً، فكيـف يمكـن لغيـره أنْ يطَّلـع علـى عدالـة مـن يـروي عـنهم،[3] وأحمـد بـن عيسـى قـد روى عـن ضـعفاء وهـذا ثابت، وكذلك صفوان بن يحيى.[4]

4-ذكـر الكلينـي فـي كتابـه أسـانيد فيهـا رجـال مُجمـع علـى ضـعفهم، بـل إنَّ بعضـهم معـروف عـنهم الوضـع والكـذب، فقـد روى عـن أبـي البختـري وهـذا باتفـاق علمـاء الشـيعة كـذَّاب وضـاع،[5] وروى كـذلك عـن محمـد بـن مهـران وهـو غـالٍ كـذَّاب،[6] وعـن سـليمان ابـن عبـد الله الـديلمي، قيـل فـي ترجمتـه: إنَّـه كـان غاليـاً كـذاباً،[7] وعـن عبـد الله بـن القاسـم الحضـرمي، وهـو معـروف بالكـذب، وقيـل عنـه: إنَّـه غـالٍ، يـروي عـن الغـلاة، لا خيـر فيـه، ولا يُعتـدُّ بروايتـه،[8] وهنـا يبقـى سـؤال: مـا فائـدة ذكـر أسـانيد فيهـا أشـباه الرجـال أمثـال هـؤلاء؟، وقـد ردَّ العـاملي علـى هـذا التسـاؤل فقـال: "فـي ذكـره [السـند] مجـرد التبـرك باتصـال سلسـلة المخاطبـة اللسـانيّة، ودفـع تعييـر العامـة الشـيعة بـأنَّ أحـاديثهم غيـر

(1) الطوسي، تهذيب الأحكام (ص256).
(2) انظر: الكاشاني، الوافي (ج27/1).
(3) عبد الله السبزالي الحاج، مقدمة الوجيزة في علم الرجال، بتصرف (ص78).
(4) انظر: عبد الله السبزالي الحاج، مقدمة الوجيزة في علم الرجال (ص90،89).
(5) انظر: الطوسي، اختيار معرفة الرجال (ج12/1).
(6) انظر: المصدر السابق (ج248/1).
(7) انظر: النجاشي، رجال النجاشي (ص182).
(8) انظر: المصدر السابق (ص226).

معنعنة، بل منقولة من أصول قدمائهم،"[1] فهذا يعني أنَّه لا أهمية للسند، بل يُذكر لأهدافٍ جانبيةٍ لا علاقة لها بالتثبت والتأكد من الرواية.

5- إنَّ الشيعة لم يأخذوا بخبر الواحد، وقالوا: إنَّه لا يُوجب علماً ولا عملاً،[2] فيُقال لهم: وكم هي عدد الروايات المتواترة في الكافي؟، وكيف يمكن أنْ تكون رواية قد بلغت حدَّ التواتر وقد عاش الأئمة في دور التقية؟!!، بل إنَّ الشيعة ذكروا أنَّ الرواة كانوا يدفنون كتبهم، وتهلك هذه الكتب، وقد لخص الكليني حال الشيعة في رواية لمحمد بن الحسن بن أبي خالد شينولة، فقد ذكر أنَّه قال لأبي جعفر رحمه الله: "جُعلت فداك إنَّ مشايخنا رووا عن أبي جعفر عليه السلام، وأبي عبد الله عليهما السلام وكانت التقية شديدة، فكتموا كتبهم ولم تُرو عنهم، فلمَّا ماتوا صارت الكتب إلينا، فقال: حدثوا بها فإنَّها حق،"[3] فكيف ستكون روايات تبلغ حدَّ التواتر، أو قريباً منه؟!!، وعلى هذا الأصل فإنَّ روايات الكافي لا يُؤخذ بها؛ لأنَّها لا تُفيد علماً ولا عملاً، والكليني وضَّح منهجه في الرواية السابقة، وهو الاعتماد على روايات مجهولة لم تُعرف في البيئة الإسلامية، ومن أصول غير موثوقة.

6- إنَّ الشيعة في أخذهم بالروايات على مذهبين:

الأول: مذهب الإخباريين: وهؤلاء قلة لا علم لهم بمصطلح الحديث، ويتلقَّون بالقبول كل ما ورد عن أئمتهم في كتب الحديث المعتمدة، والشيعة ظلوا قرابة ثلاثة قرون بعد ظهور كتبهم المعتمدة لا يفترقون عن نزعتهم الإخبارية،[4] حتى جاء ابن المطهر الحُلي من أعيان القرن السابع، وبدأ علم الرجال ينتشر، وبدأ الشيعة يهتمون به،[5] والعجب من المذهب الإخباري الذي يدين أصحابه لله تعالى بروايات غير موثوقة، بل عمدتهم هو الظن الباطل، فهل يمكن أنْ يُعتمد على مؤلفٍ مثل الكليني الذي لم يكن لهم علم ولا دراية بعلم الرواية، وليس لديه اهتمام بعلم الرجال؟!!، وكيف يمكن العمل بالظن بدون دليلٍ؟، وقد قال علماء الشيعة إنَّ نسبة حكم إلى الله تعالى غير ثابت

(1) الحر العاملي، وسائل الشيعة (ج255/6).

(2) انظر: الطوسي، الاستبصار (66/2).

(3) [الكليني، الكافي، فضل العلم/ رواية الكتب والأحاديث، 53/1: ح15]

(4) السالوس، مع الشيعة الإثنا عشرية في الأصول والفروع، بتصرف (ج119/4).

(5) انظر ترجمته: ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة (ج53/3).

بـدليلٍ قطعـي هـو افتـراء علـى الله تعـالى، والعمـل بـالظن لا يجـوز،[1] وكيـف يمكـن قبـول كـل الروايـات المنسـوبة إلـى الأئمـة وفيهـا مـن التنـاقض بحيـث يسـتحيل الأخـذ بهـا؛ لأنَّ فـي ذلـك جمعـاً بـين النقيضـين؟؟!!، فهـذا شـيخ الطائفـة الطوسـي يقـول عـن هـذا التنـاقض فـي الروايـات: "أحاديـث أصـحابنا أيَّـدهم الله ورحـم السـلف مـنهم، ومـا وقـع فيهـا مـن الاخـتلاف والتبـاين والمنافـاة والتضـاد، حتـى لا يكـاد يتفـق خبـر إلا وبإزائـه مـا يضـاده، ولا يسـلم حـديث إلا وفـي مقابلتـه مـا ينافيـه، حتـى جعـل مخالفونـا ذلـك مـن أعظـم الطعـون علــى مــذهبنا، وتطرقــوا بــذلك إلــى إبطــال معتقــدنا،"[2] ويُلاحــظ أنَّ المــذهب الإخبــاري يُنسـب إلـى المتقـدمين، والشـيعة يعتبـرون أنَّ علمـائهم القـدماء هـم الأجـلاء، وهـم الأرفـع مكانـة، والأقـوم سـبيلاً، وهـا قـد عرفـت منزلـة القـدماء أصـحاب الجلالـة الـذين لـم يكـن لـديهم أدنـى علـم ولا معرفـة بعلـم الرجـال!!!، وينبغـي التنبـه إلـى أنَّ الشـيعة بـأجمعهم يأخـذون بالمـذهب الإخبـاري، فعلـى الـرغم مـن طعـنهم فـي روايـات الكـافي، ونقـدهم لأسـانيده إلا أنَّ لـه المكانـة العاليـة عنـد الشـيعة إلـى الآن، ويُعمـل بمـا ورد فيـه، ولـو أنَّ الشـيعة خرجـوا عـن مـذهب الإخبـاريين لألقـوا روايـات الكـافي فـي نفايـات العلـم، فمـا فائـدة علـم الروايـة وهـو لـم يُغيـر مـن مكانـة الكـافي؟، علـى الـرغم مـن أنَّـه قـد مرَّ علـى مئـات النقـاد والعلمـاء، وظهـر ضـعفه وتناقضـه، ولكـن المـذهب السـائد هـو قـول إمـامهم المعـدوم عـن الكـافي: "هـو كـافٍ لشـيعتنا،"[3] وأكبـر دليـلٍ علـى ذلـك قـول الحـر العـاملي إنَّ تضـعيف الروايـات هـو تضـعيف ظـاهري غيـر حقيقـي، وهـو لـم يـذكر أنَّ فائـدة البحـث فـي علـم الرجـال معرفـة الحـديث الضـعيف لـردِّه، وإنَّمـا هـو فقـط لمعرفـة المتـواتر، والتعـرف علـى كتـب الحـديث، واسـتدلَّ علـى كلامـه بـأنَّ علمـاء الشـيعة يُضـعفون الحـديث، أو راويـه، ثـم يعملـون بروايـة ذلـك الـراوي بعينـه، بـل بروايـة مـن هـو أضـعف منـه فـي مواضـع لا تُحصـى، وكثيـراً مـا يُضـعف الحـديث لأنَّـه مرسـل، ثـم يُسـتدل بـه، بـل كثيـراً مـا يُعمـل بالمراسـيل، وبروايـة الضـعفاء، ويُـردُّ المسـند، وروايـة الثقـات، وهـو صـريح فـي أنَّ تضـعيف الحـديث لا يـردُّه، ولا يؤثر بالعمل به.[4]

---

(1) السبزالي، مقدمة الوجيزة في علم الرجال، بتصرف (ص58).

(2) الطوسي، التهذيب (ج2/1).

(3) الشـاهرودي، مسـتدرك سـفينة البحـار (ج182/9)، مجتبـى العراقـي، أهميـة الحـديث عنـد الشـيعة (ص8).

(4) انظر: الحر العاملي، وسائل الشيعة (ج279/30).

الثـاني: مـذهب الآخـذين بعلـم الروايـة: وقد بدأ هذا المذهب ينتشر في القرن السابع بظهور ابن المطهر الحُلي، ويمكن القول إنَّهم استقروا على أنَّ الحديث الصحيح هو: ما اتَّصل سنده بنقل العدل الإمامي عن مثله في جميع الطبقات،[1] فيُقال لهم: إذن فكل الروايات المرسلة في الكافي هي روايات ضعيفة لا يُؤخذ بها، ولا يُعتمد عليها، وأما شرط العدالة فإنَّها لم تتحقق اتفاقاً في جميع الرواة في الكافي، بل إنَّ صاحبه قد روى عن الضعفاء والمشهورين بالكذب والوضع، وليس أدلَّ على ذلك أنَّ من أجلِّ الرواة في الكافي هو هشام بن الحكم، الذي كان متكلماً مُجسماً، ويعتقد أنَّ الله تعالى جسم، وقد نقل الكليني في رواياته أنَّ هشاماً قال بذلك، وأنَّ جعفر الصادق رحمه الله تبرأ من كلامه،[2] ولا تكاد تجد أحداً من شُرَّاح الكافي يجد مخرجاً من هذه الروايات أو تعليلاً، بل يقولون إنَّ الروايات في مدحه متواترة ومعروفة، وهو من أجلِّ أصحاب الإمام الصادق رحمه الله فلا يُقدح فيه، فإذا كان التجسيم يا أصحاب الفضيلة لا يقدح في عدالة الراوي فما هي العدالة؟!!!، وإذا كان الكذب والوضع والدسّ ليس قادحاً كذلك فما الذي يقدح في عدالة الراوي إذن؟!!، وأما اشتراطهم أن يكون الراوي إمامياً في جميع الطبقات، فيُقال لهم: وأيُّ حاجةٍ إلى ذلك وقد أخذتم بنقل أهل السنة للقرآن الكريم؛ فإنَّ القرَّاء العشرة الذين نُقلت عنهم القراءات، واتَّصلت بنا أسانيدهم، وتصدوا للإقراء هم من أهل السنة اتفاقاً، ولم ينقل عن أحدهم أنَّ له ميل للشيعة، وهذا مذكور في كتب الشيعة،[3] فكيف تشترطون في رواية الأحاديث أنْ يكون الراوي إمامياً ولا تشترطون ذلك في نقل القرآن وهو أجلّ من السنة إجماعاً؟، وهل ساغ لكم أنْ تنقلوا عن الكذابين والوضاعين، بل وحتى عن الحمير [4] وترفضون رواية أعلام الأمة الإسلامية من الثقات.

---

(1) الحر العاملي، وسائل الشيعة ، بتصرف (ج260/30).

(2) انظر: [الكليني، الكافي، التوحيد/ النهي عن الجسم والصورة، 104-106: ح1،ح4،ح5].

(3) انظر: ترجمة القراء، ابن النديم، الفهرست (ص42)، عصفور، القراءات القرآنية في كتاب العين (ص9).

(4) انظر: [الكليني، الكافي، الحجة/ باب ما عند الأئمة من سلاح رسول الله ومتاعه، 237/1: ح9].

الخلاصة: إنَّ الكليني في جمعه للروايات لم يكن لديه أدنى علم ولا اهتمام بالسند ولا علم الرجال، فروى الأحاديث الموضوعة وروى عن الكذَّابين، والروايات المسندة إلى النبي صلى الله عليه وسلم قليلة جداً، فالحكم الفصل أنَّ كل الروايات المرسلة لا يُحتَّج بها، وهي تمثل ما يقرب من تسعين بالمئة (90%) من روايات الكتاب، والقليل المنسوب إلى النبي صلى الله عليه وسلم معظمه لا يسلم من القدح، وحتى لو أخذنا بقول الشيعة إنَّ الحديث المسند ما اتَّصل إسناده إلى المعصوم، فإنْ ثُلث روايات الكافي مجمع على ضعفها، وهناك من ضعَّف أكثر من ثلثي الروايات، والروايات التي صححها عالم تجد عالماً آخر قدح فيها وقال بشذوذها، وبعضها لا يوافق عقلاً، وبعضها لا يثبت نقلاً.

الباب الأول

توحيد الربوبية بين البخاري والكُلَيْني

الفصل الأول
معنى توحيد الربوبية ونواقضه بين البخاري والكُلَيْني

المبحث الأول
معنى توحيد الربوبية بين البخاري والكُلَيْني
المطلب الأول
معنى توحيد الربوبية عند أهل السنة والجماعة

أولاً: التوحيد لغةً:

هو مصدر الفعل وحَّد، "والواو والحاء والدال أصل واحد يدل على الانفراد،"[1] "وفلان واحد دهره، أي لا نظير له،"[2] والتوحيد على وزن تفعيل، ومعناه الحكم والعلم بأنَّ الشيء واحد،[3] ومعنى وحَّدت الله تعالى، أي نسبته إلى الوحدانية، والتفعيل في كلمة التوحيد يدلُّ على المبالغة والتكرار، أي بالغت في وصف الله تعالى بالوحدانية.[4]

ثانياً: التوحيد اصطلاحاً:

التوحيد هو الأصل الذي يُبْنَى عليه الدين، وقد سار السلف الصالح في تعريفهم للتوحيد على ما تضمنته النصوص الشرعية من الدلالة الواضحة على معنى التوحيد وأقسامه، وهو توحيده جل وعلا في ربوبيته، وفي عبادته، وفي أسمائه وصفاته، فتقسيم التوحيد مأخوذ بالاستقراء لنصوص القرآن الكريم والأحاديث النبوية،[5][6] وقد أشار علماء السلف المتقدمين إلى معنى التوحيد وأقسامه،[7] ومن هذه التعريفات أنَّه: "إفراد المعبود بالعبادة، مع اعتقاد وحدته ذاتاً،

---

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة (ج6/90).

(2) الجوهري، الصحاح (ج2/548).

(3) المصدر السابق، بتصرف (ج2/547).

(4) انظر: إسماعيل التيمي، الحجة في بيان المحجة (ج1/331،332).

(5) انظر: الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (ج3/ 17).

(6) وردت آيات كثيرة في القرآن الكريم في أنواع التوحيد الثلاثة، فمثلاً: **توحيد الربوبية** قد دلّت عليه الآيات، [الفاتحة:4]، [البقرة:107]، [آل عمران:26]، [النساء:131]، [الأنعام:12]، [الأعراف:54]، **وتوحيد الألوهية**، [الفاتحة:5]، [البقرة:21]، [النساء:36]، [الأعراف:59]، [هود:50]، [النحل:36]، **وتوحيد الأسماء والصفات**، [الفاتحة:3]، [الأعراف:180]، [الإسراء:110]، [طه:20]، [الحشر:22]، [الملك:19].

(7) ومن هؤلاء العلماء ابن بطة في كتابه "الإبانة الكبرى،" حيث قال: "إنَّ أصل الإيمان بالله تعالى الذي يجب على الخلق اعتقاده في إثبات الإيمان به ثلاثة أشياء، أحدها: أنَّ يعتقد العبد آنيته (أي وجوده تعالى)، ليكون بذلك مبايناً لمذهب أهل التعطيل الذين لا يُثْبِتون صانعاً، الثاني: أنْ يعتقد وحدانيته، ليكون مبايناً بذلك مذاهب أهل الشرك، الذين أقروا بالصانع وأشركوا معه في العبادة غيره، والثالث: أنْ يعتقده موصوفاً بالصفات التي لا يجوز إلا أنْ يكون موصوفاً بها من العلم والقدرة والحكمة، وسائر ما وصف به نفسه في كتابه." ابن بطة، الإبانة الكبرى (ج6/149)، وذكره كذلك الإمام ابن منده في كتابه الإيمان، انظر: (ج1/124)، والإمام الطحاوي في العقيدة الطحاوية كما سيأتي، وكذلك الإمام الطبري في تفسيره، انظر: (ج1/386).

وصفاتٍ، وأفعالاً،"[1] وكثير من أئمة المسلمين من أهل السنة والجماعة نصّوا على هذا المعنى مع اختلاف عباراتهم،[2] **ومن أمثلة هؤلاء:**

1-الإمام الطحاوي:

ذكر الإمام الطحاوي أنواع التوحيد الثلاثة في بداية كلامه عن توحيد الله تعالى، فقال: "إنَّ الله تعالى واحد لا شريك له، ولا شيء مثله، ولا شيء يعجزه، ولا إله غيره،"[3] فقوله: "لا شيء مثله،" أي في ذاته وصفاته وأفعاله، وقوله: "ولا شيء يعجزه،" أي في أفعاله، فتضمنت هاتان الجملتان توحيد الربوبية، وتوحيد الأسماء والصفات، وقوله: "ولا إله غيره،" أي لا معبود بحقٍ غيره، وهذا توحيد الألوهية.[4]

2-شيخ الإسلام ابن تيمية:

لقد نصَّ شيخ الإسلام ابن تيمية على معنى التوحيد في أكثر من موضعٍ في كتبه، ومن ذلك قوله: "وَصَفَ [الله تعالى] نفسه بالصفات الثبوتية، ... وقوله: لا إله إلا هو، فإنَّه يقتضي انفراده بالألوهية، وذلك يتضمن انفراده بالربوبية،"[5] وقال في موضعٍ آخر: "الكلام في توحيد الربوبية من باب الخبر، وفي توحيد الشرع والقدر من باب الطلب."[6]

ثالثاً: معنى كلمة ربّ لغةً:

الراء والباء في كلمة ربّ تدلُّ على أصولٍ أربعةٍ، وهي:

1-إصلاح الشيء والقيام عليه، ولذلك يُطلق الربّ على المصلح للشيء، والله تعالى هو الربّ؛ لأنَّه مُصلح أحوال خلقه.[7]

---

(1) السفاريني، لوامع الأنوار البهية (ج57/1).

(2) انظر: القيرواني، مقدمة أبي زيد القيرواني (ج56/1)، ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم (ج393/2)، ابن القيم، مدارج السالكين (ج48/1)، اللالكائي، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (ج193/1،194)، الأزهري، الثمر الداني (ج10/1)، المقريزي، تجريد التوحيد (ص45)، الحازمي، شرح كتاب التوحيد (ج9/2).

(3) الطحاوي، العقيدة الطحاوية (ص31،32).

(4) انظر: نور، منهج أهل السنة والجماعة ومنهج الأشاعرة في توحيد الله تعالى (ص16).

(5) ابن تيمية، الصفدية (ج64/2).

(6) ابن تيمية، التدمرية (ج22/1).

(7) انظر: ابن فارس، مقاييس اللغة (ج383/2).

2- "لزوم الشيء، والإقامة عليه". [1]

3-ضم الشيء للشيء، وهناك تناسب بين هذه المعاني الثلاثة.[2]

4- مأخوذ من التربية، وهي: "إنشاء الشيء حالاً فحالاً إلى حد التمام،"[3] والربّ مصدر مستعار للفاعل،[4] فأصل الكلمة رابّ، والربّ له معانٍ ووجوه ينصرف إليها، فهو يُطلق على المالك، والسيد، والمدبر، والمربي، والقيّم، والمنعم.[5]

رابعاً: مدلول كلمة ربّ وربوبية شرعاً:

الربّ هو اسم من أسماء الله تعالى، فالله تعالى هو ربّ كل شيء، وله الربوبية على جميع الخلق، ولا يُقال الرب في غير الله تعالى إلا بالإضافة،[6] وحينما يُطلق الربّ على الله تعالى فإنَّه ينصرف إلى معانٍ كثيرةٍ، فيأتي بمعنى السيد الذي لا شبه ولا مثل له، والمصلح أمر خلقه بما أسبغ عليهم من نعمه، والمالك الذي له الخلق والأمر،[7] يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "والربّ هو الذي يربي عبده، فيعطيه خلقه، ثم يهديه إلى جميع أحواله من العبادة وغيرها،"[8] والربابة والربوبية هي مصدر ربّ يربّ، إلا أن الربوبية تُقال لله تعالى، فهي صفته، والربابة في غيره، ولا يصح إطلاقها على الله تعالى.[9]

خامساً: تعريف توحيد الربوبية عند السلف:

عرّف أهل السنة والجماعة توحيد الربوبية بتعريفاتٍ متعددةٍ، ولكنها تدور حول إفراد الله تعالى بأفعاله المتعدية، والإقرار بأنَّه المتفرد الذي لا شريك له، ولا ندَّ له،[10] مع الاعتقاد الجازم بذلك، ومن أبرز التعريفات: أنَّه شهادة "قيومية الربّ فوق عرشه يدبر أمر عباده وحده، فلا خالق، ولا رازق، ولا معطي، ولا مانع، ولا مميت، ولا

---

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة (ج383/2).

(2) المصدر السابق، بتصرف (ج383/2).

(3) الراغب الأصفهاني، مفردات غريب القرآن (ج184/1).

(4) المصدر السابق، بتصرف (ج336/1).

(5) انظر: ابن منظور، لسان العرب (ج399/1).

(6) انظر: المصدر السابق (ج400/1).

(7) الطبري، جامع البيان، بتصرف (ج142/1).

(8) ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج22/1).

(9) انظر: الراغب الأصفهاني، مفردات غريب القرآن (ج184/1).

(10) انظر: القيرواني، مقدمة أبي زيد القيرواني (ج56/1)، ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج35/2)، ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية (ص12)، السفاريني، لوامع الأنوار البهية (ج128/1،129)، ابن عبد الوهاب، الدرر السنية في الأجوبة النجدية (ص222)، الحكمي، معارج القبول (ج97/1)، الأزهري، الثمر الداني (ج10/1).

محيي، ولا مدبر لأمر المملكة ظاهراً وباطناً غيره،"[1] وهناك من عرّفه بأنَّه توحيد الله تعالى بأفعاله،[2] ولكن يَرِد على هذا التعريف أفعال الله تعالى اللازمة، كالنزول والضحك والغضب، فهذه لا تدخل في توحيد الربوبية، وأمَّا الأفعال المتعدية كالخلق والرزق والتدبير فهي المقصودة في توحيد الربوبية، ولذلك فإنَّ الأدق تخصيص التعريف بأفعال الله تعالى المتعدية.[3]

وهناك أسماء أخرى لتوحيد الربوبية، ومنها: توحيد المعرفة والإثبات، والتوحيد العلمي الخبري الاعتقادي.[4]

مقتضيات توحيد الربوبية:

1-"الإيمان بوجود الله تعالى."[5]

2-الإيمان بأفعال الله تعالى، وأنَّه المتفرد بها سبحانه وتعالى، ويدخل في ذلك الإيمان بالقضاء والقدر؛ لأنَّ ما يجريه الله تعالى في كَوْنِه، وما يُقدّره من مقادير هي من أفعاله تعالى.[6]

3-إثبات ربّ مباين للعالم، يقول ابن القيم: "إنَّ الربوبية المحضة تقتضي مباينة الربّ للعالم بالذات، كما باينهم بالربوبية، وبالصفات والأفعال، فمن لم يثبت ربّاً مبايناً للعالم فما أثبت رباً."[7]

وقد دلَّ تعريف توحيد الربوبية على هذه المقتضيات؛ لأنَّ دلالة العبارة على المعنى إمَّا أنْ تكون بالمطابقة، أو بالتضمن، أو بالالتزام، والتعريف يدل بالمطابقة على توحيد الله تعالى بأفعاله المتعدية، وبالتضمن على وجود الله تعالى، فإنَّ الإقرار

---

(1) ابن القيم، مدارج السالكين (ج471/3).

(2) انظر: ابن عبد الوهاب، التوضيح عن توحيد الخلاق في جواب أهل العراق (ج179/1)، الحمد، أنواع التوحيد الثلاثة (ج2/1).

(3) انظر: ابن عيسى، توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم (ج347/1)، السلمي، شرح كتاب التوحيد (ص612).

(4) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج164/15)، ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية (ص41).

(5) الموسوعة العقدية- الدرر السنية (ج170/1) بترقيم الشاملة ألياً.

(6) انظر: صوفي، المفيد في مهمات التوحيد (ص56).

(7) ابن القيم، مدراج السالكين (ج84/1).

بأنَّـه تعـالى خـالق ورازق ومحيـي ومميـت إلـى غيـر ذلـك، يقتضـي كونُـه موجـوداً، ويـدل بـالالتزام علـى مباينـة الله تعـالى لخلقـه، فـإنَّ تفـرد الله تعـالى بأفعالـه، ونفيهـا عـن غيـره، يقتضي كونه مبايناً لهم.

المطلب الثاني

معنى توحيد الربوبية عند البخاري[1]

لقد ذكر الإمام البخاري في صحيحه عدة أبواب في معنى توحيد الربوبية ومقتضياته، فبيّن أنَّه إفراد الله تعالى بأفعاله المتعدية، فهو سبحانه وتعالى خالق كل شيء، المتصرف فيه، والمدبر له، وذكر أنَّه سبحانه وتعالى له الخلق والأمر، وأمره شامل لأمره الشرعي والقدري،[2] وذكر البخاري كذلك بعض الصفات المستلزمة لتوحيد الربوبية، **وتفصيل هذه النقاط على النحو التالي:**

أولاً: ملكية الله تعالى المطلقة لكل شيء:

---

(1) الإمام البخاري لم يبتدع معنىً جديداً في توحيد الربوبية كما يُوهم العنوان، ولكن المقصود في هذه الرسالة هو مقارنة أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم الواردة في صحيح البخاري مع روايات الكافي، ونسبة ذلك إلى البخاري مجازاً.

(2) الأمر الشرعي سيتمّ ذكره في باب توحيد الربوبية؛ لأنَّ التشريع من خصائص الربوبية، وهو بتوحيد الربوبية ألصق من توحيد الألوهية؛ فالحكم سواء كان شرعياً أو كونياً هو إلى الله تعالى، فهو من تمام ربوبيته، قال تعالى: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللهِ﴾ [الشُّورى:10]، انظر: التميمي، فتح المجيد شرح كتاب التوحيد (ص101)، القحطاني، حاشية كتاب التوحيد (ص68)، ابن عثيمين، القول المفيد على كتاب التوحيد (ج1/ 160)، فإن اعتُرض أنَّ توحيد الربوبية يختص بأفعال الله تعالى المتعدية كالخلق والرزق، فيُقال: وكذلك فإنَّ توحيد الألوهية يتعلق بأفعال المكلفين، ولا يختص بأفعال الله تعالى كالتشريع، ولذلك فالأنسب أن يُلحق بتوحيد الربوبية الذي يختص بأفعال الله تعالى، دون الألوهية الذي يختص بأفعال العباد، ويُؤخذ بعين الاعتبار أنَّ التشريع للعباد من أفعال الله تعالى المتعدية، ومما يشهد بذلك أنَّ الله تعالى عندما ذكر التشريع ربطه بالربوبية، قال تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة:31]، فتفسير هذه الآية، أنَّ اليهود والنصارى كانوا يطيعون أحبارهم ورهبانهم في تحليل ما حرَّم الله تعالى، وتحريم ما أحلّه الله تعالى، ولا معنى للربوبية إلا ذلك، فيكونون قد جعلوا بعض أحبارهم ورهبانهم في مرتبة الربوبية، انظر: ابن الجوزي، زاد المسير (ج253/2)، الرازي، التفسير الكبير (ج252/8)، ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج170/10)، فهنا ذكر المفسرون أنَّ التشريع من صفات الربوبية، ولم يذكروا أن المراد بكلمة أرباباً في الآية الآلهة، وكذلك فإنَّ الحكم قد يكون كونياً شرعياً كما في الطاعات إذا وقعت، فهذا يدل على أنَّه يجمعهم مسمى واحد، وأنَّ متعلقهم واحد بالنسبة للربّ تعالى، وهو التعلق بتوحيد الربوبية.

ذكـر الإمـام البخـاري فـي صـحيحه دلائـل ملكيـة الله تعـالى، وعمـوم تصـرفه فـي الدنيا والآخرة، وكان تقريره لهذه الصفة على **النحو التالي:**

1-الله تعالى المالك المطلق للدنيا والآخرة:

ذكـر البخـاري أحاديـث كثيـرة تبـيّن أنَّ الله تعـالى مالـك أمـر الـدنيا والآخـرة، ومثـال ذلـك أنَّـه ذكـر "بـاب قـول الله تعـالى: ﴿مَلِـكِ النَّـاسِ﴾ [النـاس:2]،"[1] والمَلِك اسـم مـن أسـماء الله تعـالى الحسـنى، والملكيـة هـي صـفة يسـتحقها لذاتـه المقدسـة، والمقصـود بالآيـة أنَّ الله تعالى مالـك كـل شـيءٍ خلقـه وأوجـده، ولكـن خـصَّ النـاسَ بالـذكر؛ لأنَّهـم أشـرف المخلوقـات، وكثيـر مـن المخلوقـات جـائز دخـولهم تحـت قبضـتهم وتصـرفهم، فكـان فـي حكـم مـا لـو قـال مالـك كـل شـيء، مـع التنويـه بـذكر الأشـرف،[2] فهـو سـبحانه المالـك بغيـر شـريكٍ ولا نديـدٍ،[3] وهنـاك أحاديـث فـي إثبـات هـذه الصـفة خالصـةً لله تعـالى فـي الآخـرة، فقد أورد عـن عبد الله رضـي الله عنـه[4] أنَّـه قـال: «**جَـاءَ حَبْـرٌ مِـنَ الأَحْبَـارِ إِلَـى رَسُولِ اللَّـهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْـهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّا نَجِدُ أَنَّ اللَّـهَ يَجْعَلُ السَّمَوَاتِ عَلَـى إِصْـبَعٍ، وَالأَرَضِـينَ عَلَـى إِصْـبَعٍ، وَالشَّـجَرَ عَلَـى إِصْـبَعٍ، وَالمَـاءَ وَالثَّـرَى عَلَـى إِصْـبَعٍ، وَسَـائِرَ الخَلاَئِـقِ عَلَـى إِصْبَعٍ، فَيَقُـولُ أَنَـا المَلِـكُ، فَضَـحِكَ النَّبِـيُّ صَـلَّى اللهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ حَتَّـى بَـدَتْ نَوَاجِـذُهُ تَصْـدِيقًا لِقَـوْلِ الحَبْـرِ، ثُـمَّ قَـرَأَ رَسُـولُ اللَّـهِ صَـلَّى اللهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ:** ﴿وَمَـا قَـدَرُوا اللهَ حَـقَّ قَـدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًـا قَبْضَـتُهُ يَـوْمَ القِيَامَـةِ وَالسَّـماوَاتُ مَطْوِيَّـاتٌ بِيَمِينِـهِ سُـبْحَانَهُ وَتَعَـالَى عَـمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزُّمـر:67]،»[5] وفـي حديث آخر: «**يَقُـولُ [الله تعـالى] أَنَـا**

(1) [البخـاري: صـحيح البخـاري، التوحيـد/ قـول الله تعـالى: ﴿مَلِـكِ النَّـاسِ﴾ [النـاس:2]، ص1237: ح7382].

(2) انظـر: ابـن حجـر، فـتح البـاري (ج320/17)، وهنـاك مـن ذكـر تعلـيلات أخـرى، انظـر: ابـن أبـي طالب، مكي، الهداية إلى بلوغ النهاية (ج8513/12).

(3) الطبري، جامع البيان، بتصرف (ج395/5).

(4) هـو عبـد الله بـن مسـعود كمـا ورد فـي روايـة مسـلم، انظـر: [مسـلم: صـحيح مسـلم، صـفة القيامـة والجنة والنار/باب بدون اسم، 2147/4: ح2786].

(5) [البخـاري: صـحيح البخـاري، تفسـير القـرآن/ قـول الله تعـالى: ﴿وَمَـا قَـدَرُوا اللهَ حَـقَّ قَـدْرِهِ﴾ [الزُّمر:67]، ص821: ح4811].

المَلِـكُ، أَيْـنَ مُلُـوكُ الأَرْضِ،»[1] فالمُلـك يـوم القيامـة خالصـاً لله تعـالى دون جميـع خلقـه الـذين كـانوا فـي الـدنيا ملوكـاً جبـابرة ينازعونـه المُلـك،[2] وعنـد إطـلاق صـفة المُلـك علـى بعـض الخلـق فلـيس فـي ذلـك تشـبيه؛ إذ المعنـى الـذي يخـتصّ بـه تعـالى لا يشـاركه فيـه أحـد مـن خلقـه، فهـو مالـك الملـك، ولـه الملـك التـام المطلـق، وهـو الـذي يهـب المخلوقـات الملك،[3] قـال تعـالى: ﴿**قُـلِ اللهُـمَّ مَالِكَ المُلْـكِ تُـؤْتِي المُلْـكَ مَـنْ تَشَـاءُ وَتَنْـزِعُ المُلْـكَ مِمَّـنْ تَشَـاءُ وَتُعِـزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾ [آل عمران:26].

2-بيان حال من يعتقد منازعة أحد لله تعالى في صفة الملك:

ذكر البخـاري بـاب قـول الله تعـالى: ﴿**قُـلِ ادْعُـوا الَّـذِينَ زَعَمْـتُمْ مِـنْ دُونِـهِ فَـلَا يَمْلِكُـونَ كَشْـفَ الضُّرِّ عَـنْكُمْ وَلَا تَحْـوِيلًا**﴾ [الإسراء:56]،[4] ففـي هـذه الآيـة تبكيـت للمشـركين الـذين يعتقـدون أنَّ أوثـانهم تملـك لهـم شـيئاً مـن دون الله تعـالى، فقـد أمـر الله تعـالى نبيـه أنْ يقـول لهـم اُدعـوا أيهـا القـوم الـذين زعمـتم أنَّهـم أربـاب آلهـة مـن دون الله عنـد ضـرّ ينـزل بكـم، فـانظروا هـل يقـدرون علـى دفـع ذلـك عـنكم، أو تحويلـه إلـى غيـركم؟، فـإنَّهم لا يقـدون علـى ذلـك، ولا يملكونـه، وإنَّمـا يملكـه ويقـدر عليـه خـالقكم وخـالقهم،[5] والآيـات كثيـرة فـي الإنكـار علـى مـن يـدعو أحـداً غيـر الله تعـالى، معتقـداً أنَّـه يملـك شـيئاً مـن دونـه تعـالى، قـال تعـالى: ﴿**أَمْ عِنْـدَهُمْ خَـزَائِنُ رَبِّـكَ أَمْ هُـمُ المُسَـيْطِرُونَ**﴾ [الطُّـور:37]،[6] أي أَهُم يتصـرفون في الملك، وبيدهم مفاتيح الخزائن، أم هم الذين سيحاسبون الخلائق.[7]

---

(1) [البخـاري: صـحيح البخـاري، تفسير القرآن/ قـول الله تعـالى: ﴿وَالأَرْضُ جَمِيعًـا قَبْضَـتُهُ يَـوْمَ القِيَامَـةِ﴾ [الزُّمر:67]، ص821: ح4812]

(2) الطبري، جامع البيان، بتصرف (ج124/1).

(3) انظر: الغنيمان، شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري (ج124/1).

(4) انظر: [البخـاري: صـحيح البخـاري، تفسير القرآن/ قولـه تعـالى: ﴿قُـلِ ادْعُـوا الَّـذِينَ زَعَمْـتُمْ مِـنْ دُونِـهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾ [الإسراء:56]، ص793].

(5) انظر: الطبري، جامع البيان (ج471/17).

(6) انظر: [البخاري: صحيح البخاري، تفسير القرآن/ باب بدون اسم، ص830 :ح4854].

(7) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، بتصرف (ج437/7).

3-ذكر بعض لوازم ملكية الله تعالى المطلقة:

إنَّ ملكية الله تعالى تستلزم كونُه المتصرف والمدبر لأمور الخلق، قال تعالى: ﴿يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ﴾ [السجدة:5]، فلا شيء يخرج عن إرادته ومشيئته في الدنيا والآخرة على حدٍ سواء، فإنَّه سبحانه إذا أراد شيئاً فإنَّما يقول له كن فيكون، ومهما بلغت مكانة العبد فإنَّه لا يملك شيئاً من دون الله تعالى، وقد ذكر البخاري حديث: «**أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَدْعُوَ عَلَى أَحَدٍ، أَوْ يَدْعُوَ لِأَحَدٍ، قَنَتَ بَعْدَ الرُّكُوعِ، فَرُبَّمَا قَالَ إِذَا قَالَ: سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الحَمْدُ اللَّهُمَّ أَنْجِ الوَلِيدَ بْنَ الوَلِيدِ، وَسَلَمَةَ بْنَ هِشَامٍ، وَعَيَّاشَ بْنَ أَبِي رَبِيعَةَ، اللَّهُمَّ اشْدُدْ وَطْأَتَكَ عَلَى مُضَرَ، وَاجْعَلْهَا سِنِينَ كَسِنِي يُوسُفَ، يَجْهَرُ بِذَلِكَ، وَكَانَ يَقُولُ فِي بَعْضِ صَلاَتِهِ فِي صَلاَةِ الفَجْرِ: اللَّهُمَّ العَنْ فُلاَنًا وَفُلاَنًا، لِأَحْيَاءٍ مِنَ العَرَبِ، حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ:** ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [آل عمران:128]»[1] فالمعنى أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم ليس له من الأمر شيء، ولله جميع ما بين أقطار السموات والأرض، من مشرق الأرض إلى مغربها دونه ودونهم، فهو سبحانه يحكم فيهم بما يشاء، ويقضي فيهم ما يحب،[2] فالأمر مرجعه إلى الله تعالى، قال تعالى:﴿إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ لله﴾ [آل عمران:154]، أي يُصرّفه ويُدبره كيف يشاء،[3] وفي الآخرة كذلك كل شيء تحت إرادته ومشيئته، فهو سبحانه يغفر لمن يشاء، ويعذب من يشاء، ويأذن في الشفاعة لمن يشاء، قال تعالى: ﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ [سبأ:23].[4]

---

(1) انظر: [البخاري، صحيح البخاري، تفسير القرآن/ قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [آل عمران:128]، ص759: ح4560].

(2) انظر: الطبري، جامع البيان (ج203/7).

(3) المصدر السابق، بتصرف (ج322/7).

(4) انظر: [البخاري: صحيح البخاري، التوحيد/ قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الحَقَّ وَهُوَ العَلِيُّ الكَبِيرُ﴾ [سبأ:23]، ص1254].

ثانياً: ربوبية الله تعالى تشمل الخلق والأمر:

لقد نصَّ الإمام البخاري على ركني توحيد الربوبية، وهما الخلق والأمر، فقد ذكر باب قول الله تعالى: ﴿وَاللهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصَّفات:96]، وذكر فيه قوله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ العَالَمِينَ﴾ [الأعراف:54]،(1) والآية نصّ في توحيد الربوبية؛ لأنَّ عناصر التوحيد موجودة فيها، وهما أمران: الخلق أولاً، والأمر ثانياً، فالله تعالى فرَّق بين الخلق والأمر وهذا يدل على التغاير،(2) وفي الآية أسلوب حصر وقصر، للدلالة على انفراد الله تعالى في الخلق والأمر، سواء كان الخلق من العدم، كما خلق الله تعالى الخلق أول مرة، أو إعادة الخلق مرة أخرى، وذلك بعد الموت والفناء،(3) قال تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء:104]، وأما الأمر فالمقصود به أمر الله تعالى الكوني القدري، والديني الشرعي،(4) فأمَّا الكوني فهو ما يقضي الله تعالى به خلقاً وتقديراً، وهو المشيئة الشاملة لجميع المخلوقات، وهذه الأوامر الإلهية لا بدَّ من وقوعها كما أراد الله تعالى، فلا رادَّ لقضائه، ولا معقِّب لحكمه، وأمَّا أمر الله تعالى الشرعي فهو ما يقضي الله تعالى به شرعاً على لسان رسله وأنبيائه، وهو مُوجّه للثقلين الإنس والجن، وهو المتضمن للمحبة والرضا،(5) وكل شيء بأمره تعالى، قال سبحانه: ﴿وَمِنْ آَيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ بِأَمْرِهِ﴾ [الرُّوم:25]، وقد ذكر البخاري أبواباً كثيرةً تتضمن الأوامر الكونية والشرعية، ومن ذلك حديث ابن عباس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنَّه، قال لجبريل: «**يَا جِبْرِيلُ، مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَزُورَنَا أَكْثَرَ مِمَّا تَزُورُنَا**؟، فَنَزَلَتْ: ﴿وَمَا

---

(1) [البخاري: صحيح البخاري، التوحيد/ قول الله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ البَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ البَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ [الكهف:109]، ص1251].

(2) انظر: ابن خزيمة، كتاب التوحيد (ج1/391).

(3) انظر: الرازي، التفسير الكبير (ج14/275).

(4) وأمر الله تعالى الكوني والشرعي يدخلان في توحيد الربوبية كما مرَّ، انظر: 53 من هذا البحث.

(5) انظر: ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية (ص70)، التويجري، موسوعة فقه القلوب (ج1/417،418،419)، الغنيمان، شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري (ج2/192).

﴿نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم:64]،»[1] والأمر في الآية يشمل الأمر الكوني والشرعي، فالتنزيل هو فعل جبريل، ولا يقع إلا بأمر الله تعالى، وهذا الأمر هو الكوني القدري، الذي سبق كل ما هو كائن، ونزول جبريل امتثالاً لأمر الله تعالى، ولا يكون إلا بالخير والبركة والنصر والتأييد للمؤمنين، وهذا من الأوامر الشرعية.[2]

ثالثاً: إثبات أفعال الله تعالى المتعدية:

إنَّ أساس توحيد الربوبية إثبات أفعال الله تعالى المتعدية، مع الاعتقاد الجازم أنَّه تعالى لا يشاركه أحد في ذلك. وأنَّه تعالى لم يزل متصفاً بصفاته الفعلية أزلاً، وإنْ كنَّا لاندرك كنهها وحقيقتها،[3] وهو سبحانه وتعالى له معنى الربوبية ولا مربوب،[4] ومن أمثلة ما ذكره البخاري من **صفات الله تعالى الفعلية**[5]:

الخلق: وهو صفة من صفات الله تعالى، وهو لم يزل متصفاً بها سبحانه وتعالى، فهي صفة كمال، ولا يجوز أن يكون عادماً لها في وقت من الأوقات، قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل:17]،[6] **ومنهج البخاري في تقرير هذه الصفة على النحو التالي:**

---

(1) [البخاري: صحيح البخاري، التوحيد/ قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ﴾ [الصَّفات:171]، ص1250].

(2) انظر: الغنيمان، شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري (ج192/2).

(3) انظر: ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية (ص124).

(4) ابن خزيمة، كتاب التوحيد (ج51/1)، ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية (ص136)، بتصرف.

(5) سيتم ذكر مثال على الصفة الفعلية؛ لأنَّ الفعل متعلق الصفة، فسيتم ذكر الصفة ومتعلقها، ومنهج البخاري فيهما.

(6) انظر: ابن خزيمة، كتاب التوحيد (ج51/1)، ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية (ص131).

1-إثبات أنَّ الله تعالى هو الخالق المتفرد بالخلق:

ذكر الإمام البخاري: "باب ما جاء في تخليق السموات والأرض، وغيرها من الخلائق،"[1] ومقصوده في هذا الباب إثبات صفة الخلق لله تعالى، وإثبات متعلقها كذلك، وقصرها عليه سبحانه وتعالى، فتخليق السموات والأرض هو فعل الله تعالى الذي وُجدت به الخلائق،[2] والله تعالى خلق الخلق بأمره، وهو قوله كن، وهذا معنى قول البخاري إنَّ الخلق هو: "فعل الرب، وأمره،"[3] وسياق كلام البخاري يقتضي التفرقة بين الفعل، والمفعول، فالفعل هو مقتضى الصفات القائمة بالفاعل، والباري غير مخلوق، فصفاته غير مخلوقة، وأما ما ينشأ عن فعله (المفعول) فهو مخلوق.[4]

2-ذكر المسائل التي تناقض المعتقد الصحيح، والرد عليها:

لقد ابتُلي الإمام البخاري بمن يقول إنَّ أفعال العباد غير مخلوقة، حيث قال في كتابه "خلق أفعال العباد": "ادَّعت المعتزلة من أنَّ فعل الله تعالى مخلوق، وأنَّ أفعال العباد غير مخلوقة، وهذا خلاف علم المسلمين؛"[5] لذلك كان أكثر كلامه رحمه الله تعالى في الرد عليهم، وبالغ في الاستدلال بالآيات والأحاديث أنَّ أفعال العباد مخلوقة، وأطنب في ذلك،[6] ومن الأبواب التي ذكرها للرد على هذا المعتقد الفاسد، باب قول الله تعالى: ﴿وَاللهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصَّفات:96]،[7] ففيه إثبات نسبة الأفعال كلها لله تعالى سواء كانت خيراً أو شراً، ولا يُنسب شيء من الخلق لغير الله

---

(1) [البخاري: صحيح البخاري، التوحيد/ ما جاء في تخليق السموات والأرض وغيرها من الخلائق، ص1250].

(2) الغنيمان، شرح كتاب التوحيد، بتصرف (ج174/2).

(3) [البخاري: صحيح البخاري، التوحيد/ ما جاء في تخليق السموات والأرض وغيرها من الخلائق، ص 1250].

(4) انظر: ابن حجر، فتح الباري (ج457/17)، ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية (ص133)، الغنيمان، شرح كتاب التوحيد (ج168/2).

(5) البخاري، خلق أفعال العباد (ص75).

(6) انظر: ابن حجر، فتح الباري (ج548/17).

(7) [البخاري: صحيح البخاري، التوحيد/ قول الله تعالى: ﴿وَاللهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصَّفات:96]، ص1267].

تعالى،[1] وأفعال العباد واقعة بقدرتهم ومشيئتهم، ولكن لا مشيئة لهم إلا بعد مشيئته سبحانه وتعالى،[2] كما قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الإنسان:30]،فهنا يظهر تبعية المشيئة الإنسانية للمشيئة الإلهية،[3] وأما المعتزلة فقد جعلوا الأفعال كلها من خلق البشر، وجعلوا الفعل والمفعول واحداً،[4] "والمذهب الحق أنْ جهة خلقه تعالى لأفعال العباد وغيرها من المخلوقات، غير جهة أمره للعبد،"[5] فهناك فرق بين الفعل والمفعول، وهو ظاهر قول الإمام البخاري كما مرَّ.

إنَّ منهج الإمام البخاري في كل أفعال الله تعالى التي تدخل في ربوبيته تعالى مطابق لما ذُكر، فإنَّه يُورد الآيات والأحاديث التي تدلُّ على تفرده سبحانه وتعالى بها، والرد على من ألحد فيها وعطّل، مستدلاً بالآيات القرآنية، والسنة الصحيحة الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم.[6]

---

(1) انظر: ابن بطال، شرح صحيح البخاري (ص1268)، ابن القيم، شفاء العليل (ص41).

(2) انظر: ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية (ص436)، ابن حجر، فتح الباري (ج17/549،549).

(3) ابن بطة، الإبانة الكبرى، بتصرف (ج3/ 201).

(4) انظر: البخاري، خلق أفعال العباد (ص75)، ابن القيم، شفاء العليل (ص41).

(5) ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية (ص70).

انظر: [البخاري: صحيح البخاري، التوحيد/ قول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو القُوَّةِ المَتِينُ﴾ [الذاريات:58]، ص1237، قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ القَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا﴾ [الأنعام:65]، ص1239، قول الله تعالى: ﴿هُوَ اللهُ الخَالِقُ البَارِئُ المُصَوِّرُ لَهُ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى﴾ [الحشر:**24**]، ص1241].

(6) انظر: [المصدر السابق، التوحيد/ قول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [فاطر:**41**]، ص1250].

المطلب الثالث

معنى التوحيد عند الشيعة الإثنا عشرية

التوحيد اصطلاحاً عند الشيعة:

هو اسم للعلم الذي يتعلق بالله تعالى، ذاتاً، وصفاتٍ، وأفعالاً، إثباتاً ونفياً، مع اعتقاد وحدته في ذلك كله، وسائر ما يصح له ويمتنع عليه،[1] وهو: "الإقرار بأنَّه تعالى واحد لا شريك له في الوجود والوجوب الذاتيين، وأنَّه لا يتجزأ ولا ينقسم."[2]

والتوحيد عندهم لا يتم إلا باعتقاد ثلاثة أمور، وهي:

1-وحدة الذات:

يقصد الشيعة بوحدة الذات أنَّه سبحانه وتعالى واحد لا نظير له، وليس مركباً من أجزاءٍ وأبعاضٍ، وأنْ يُنفى عنه الشريك في صانعية العالم، أي أنَّ وحدة الذات تنفي تركب الذات، وتنفي تعددها.[3]

2-وحدة الصفات:

ومرادهم أنَّ صفاته سبحانه وتعالى لا تنفصل عن ذاته، أي أنَّها ليست زائدةً على ذاته، وليست منفصلة عن بعضها، بل هو وجود، كله علم، وكله قدرة، وكله أزلية، وهذا خاصّ بالله تعالى، بخلاف المخلوقات، فالإنسان يتصف بالعلم والقدرة مثلاً، وهما عارضان على ذاته، فذاته شيء، وعلمه وقدرته شيء آخر، وعلمه وقدرته

---

(1) انظر: الصدوق، التوحيد (ص85)، الجزائري، نور البراهين (ج228/1)، المازندراني، شرح أصول الكافي (ج70/3)، المجلسي، مرآة العقول (ج234/1)، العاملي، زين الدين، رسائل الشهيد الثاني (757/2)، الخراساني، منهاج الصالحين (ج38/1)، الحر العاملي، الفصول المهمة في أصول الأئمة (ج90/1)، الحراني، تحف العقول (ج16/1)، الريشهري، موسوعة العقائد الإسلامية (ج366،365/3)، الخوئي، منهاج البراعة شرح نهج البلاغة (ج336/19)، الشيرازي، مكارم، الأمثل في تفسير الكتاب المنزل (ج555/20)، السبحاني، بحوث قرآنية في التوحيد والشرك (ج23/1).

(2) المازندراني، شرح أصول الكافي (ج399/12).

(3) انظر: العاملي، زين الدين، رسائل الشهيد الثاني (757/2)، الخراساني، منهاج الصالحين (ج38/1)، المجلسي، مرآة العقول (ج211/1)، السبحاني، محاضرات في الإلهيات (ص44)، الشيرازي، مكارم، الأمثل في تفسير الكتاب المنزل (ج557/20)، الخوئي، منهاج البراعة شرح نهج البلاغة (ج364/1)، مغنية، في ظلال نهج البلاغة (ج21/1).

كـذلك منفصــلان عـن بعضــهما، ولكـن صـفات الله تعـالى بخـلاف ذلـك، فهـي ليسـت زائـدةً علـى ذاتـه، وليسـت منفصـلة عـن بعضـها،[1] وأصـل التوحيـد نفـي الصـفات عنـه سـبحانه وتعالى، واعتقاد أنَّ الصفات هي عين الذات.[2]

3- وحدة الأفعال:

وتعنـــي وحـــدة الأفعـــال أنَّ كـــل وجـــود وحركـــة وفعـــل فـــي العـــالم يعـــود إلـــى ذاتـــه المقدســة ســبحانه وتعــالى، فهــو مسبِّب الأســباب، وعلــة العلــل، حتــى الأفعــال التــي تصــدر مــن البشــر هــي فــي أحــد المعــاني صــادرة عنــه ســبحانه، أي أنَّــه لا مــؤثر فــي الوجــود إلا الله تعالى.[3]

إنَّ التوحيـد عنـد الشـيعة يتنـاول الإثبـات والنفـي، أي إثبـات الكمـال لله تعـالى، ونفـي مـا لا يليـق عنـه سـبحانه وتعـالى فـي ذاتـه، وصـفاته، وأفعالـه، فيقولـون: إنَّ الله واحـد لـيس كمثلـه شـيء، لا يوصـف بجسـمٍ، ولا صـورةٍ، ولا جـوهرٍ، ولا عـرضٍ، ولا سـكونٍ، ولا صـعودٍ، ولا هبـوطٍ، ولا قيـامٍ، ولا قعـودٍ، .... إلـى آخـر هـذه الأوصـاف،[4] وهـم بالإثبـات يثبتـون وجـود الـذات ووحـدتها، وأمَّـا النفـي فيتنـاول نفـي مـا دون ذلـك مـن الأعـراض والأوصاف.

وتعريـف التوحيـد عنـد الشـيعة مطـابق تمامـاً لتعريـف المتكلمـين، فـإنَّ المتكلمـين جميعـاً يقصـدون بالتوحيـد: العلـم بـأنَّ الله تعـالى واحـد فـي كـل مـا يخصّـه، ويقسِّـمون التوحيد إلى ثلاثة أقسام: توحيد الذات، وتوحيد الصفات، وتوحيد الأفعال.[5]

---

(1) انظـر: بحـر العلـوم، الإمامـة الإلهيـة (ج123/2)، المظفـر، عقائـد الإماميـة (ص21،22)، الحـر العـاملي، الفصـول المهمـة فـي أصـول الأئمـة (ج90/1)، الخـوئي، منهـاج الصـالحين (ج46/1)، الشيرازي، مكارم، الأمثل في تفسير الكتاب المنزل (ج109/7).

(2) انظر: الصدوق، التوحيد (ص57)، الحراني، تحف العقول (ص61).

(3) انظـر: الشـيرازي، مكـارم، الأمثـل فـي تفسـير الكتـاب المنـزل (ج50/1)، الخـوئي، منهـاج البراعـة في شرح نهج البلاغة (ج361/4).

(4) انظـر: الهدايـة، الصـدوق (ص7)، الطبرسـي، الاحتجـاج (ج70/2)، الحـر العـاملي، الفصـول المهمـة فـي أصـول الأئمـة (ج90/1)، السـبزواري، معـارج اليقـين فـي أصـول الـدين (ص38)، الحسـني، دراسـات فـي الحـديث والمحـدثين (ج194/1)، الطبطبـائي، تفسـير الميـزان (ج133/8)، الريشـهري، ميزان الحكمة (ج134/3).

(5) انظـر: القاضـي عبـد الجبـار، شـرح الأصـول الخمسـة (ص128)، المؤلـف نفسـه، المغنـي (ج242/4).

الرد على ما ابتدعه الشيعة في توحيد الأسماء والصفات:[1]

1- لقد نفى الشيعة صفات الله تعالى بحجة تنزيه الخالق عن مشابهة المخلوق؛ لأنَّ إثبات الصفات-على حد زعمهم- يُوجب التركيب، وكل جسمٍ مركبٍ من أجزاءٍ مختلفة الماهية، وإذا ثبت هذا فإنَّه يعني افتقار الذات الإلهية إلى تلك الأجزاء، ويكون بذلك مشابهاً للمخلوق، وهذه حجة باطلة؛ لأنَّ في هذا قياس الغائب على الشاهد، وهناك فوارق بين الخالق والمخلوق، مثل وجوب وجود الخالق وقدمه وغناه، وغير ذلك، دون المخلوق، وهذا يُقال في سائر الأقيسة الفاسدة، وليس معهم حجة على هذا العموم سوى هذا القياس الفاسد.[2]

2-إنَّ الشيعة وافقوا المتكلمين في نفيهم لكثيرٍ من النصوص وتأويلها تأويلاً باطلاً، والقول فيها بالمجاز، فيَرِدُ عليهم سؤالاً يَرُدُّ باطلهم وهو: ما تقولون في قول القائل غفر الله لك، وعفا عنك، أمجاز هو أم حقيقة؟، فإنْ قالوا مجاز، فهذا يعني أنَّ الله تعالى لا يغفر لأحدٍ، ولا يعفو عن أحدٍ، ولا يحلم عن أحدٍ على الحقيقة، وهذا عين الكفر، وتعطيل الرب عن كمالاته وما يجب له، وإنْ قالوا هو حقيقة فهذا يجب أن يُقال في كل النصوص الواردة في التوحيد؛ لأنَّه تناقض أنْ نقول في بعضها أنَّها حقيقة، وفي الأخرى مجاز.[3]

3-إنَّه من المعلوم بصريح العقل أنَّه ليس معنى كون الشيء عالمًا، هو معنى كونه قادرًا، ولا عين ذاته هو نفس كونه عالمًا قادرًا، فمن جوَّز أن تكون هذه الصفة هي الأخرى، وأنْ تكون الصفة هي الموصوف فهو من أعظم الناس سفسطة، ثمَّ إنَّه متناقض، فإنَّه إنْ جوَّز ذلك فليزم أنَّ الوجود واحد، وجاز أنْ يكون وجود الخالق هو وجود المخلوق، فيكون الوجود واحدًا بالعين لا بالنوع، وحينئذٍ فإذا كان وجود الممكن هو وجود الواجب، كان وجود كل مخلوق هو نفس وجود الحق القديم الدائم الباقي، الذي لا يقبل العدم،[4] وقد ذُكر في نهج البلاغة في أكثر من موضع صفات الله

---

(1) سيتمُّ الرد في هذا المطلب على نفي الصفات عند الشيعة بشكل إجمالي؛ لأنَّ الرد على بدعهم في توحيد الربوبية والألوهية سيرد مفصَّلاً خلال الرسالة إنْ شاء الله تعالى؛ ولأنَّ الرسالة لا تشمل توحيد الأسماء والصفات سيُذكر الرد إجمالاً هنا، وبالله تعالى التوفيق.

(2) انظر: ابن تيمية، بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (ج159/4).

(3) انظر: ابن قتيبة، الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية (ص37).

(4) انظر: ابن تيمية، التدمرية (ص41).

تعالى، بإضافة الصفة إلى متعلقها، مثل: "فوالذي وسع سمعه الأصوات،"[1] ولو قالوا يصح أنْ يُقال وسع بصره الأصوات لأضحكوا العقلاء على عقولهم، ومنقول عن الأئمة الآخرين بالتواتر إثبات هذه الصفات له تعالى.

4-إنَّ قولهم: إنَّه يلزم من إثبات الصفات، افتقاره إلى خالقٍ آخرٍ، ويلزم منه كذلك التسلسل، والقول بالإمكان والحدوث، وذلك يلزم منه نفي الصانع،[2] فهذه الحجة على فرض صحتها، فإنَّها تدل على نفي هذه النقائص، وليست حجة على نفي التمثيل والتشبيه، فإنَّ هذه النقائص يجب نفيها مطلقًا، وأمَّا صفات الكمال، فيجب نفي التشبيه والتمثيل فيها،[3] فالواجب في صفات الله تعالى أن نثبتها، وننفي أنْ تكون مشابهة لصفات المخلوقين، وأما النقائص فالواجب نفيها من أصلها.

5-لقد نفى الشيعة صفات الله تعالى بحجة أنَّ في إثباتها تشبيهاً للخالق بالمخلوق؛ لأنَّ إثبات الصفات فيه تجسيم، كما في إثبات الحياة والعلم والقدرة له، فإنَّه لا يُعرف مسمىً بهذه الأسماء إلا جسماً، فيُقال لهم قد ذكرتم: هو حي عليم قدير، فهل في ذلك تشبيه له تعالى بغيره ممن هو حي عليم قدير؟، وإنْ نفيتم عن الله تعالى الصفات الثبوتية فقد شبهتموه بالمعدوم،[4] والنافي إنِ اعتمد فيما ينفيه على أنَّ هذا تشبيه، وقصد التماثل من كل وجهٍ فهذا باطل، وإنْ أراد أنَّه مشابه له من وجهٍ دون وجهٍ، أو مشارك له في الاسم، فيلزمه هذا في سائر ما يثبته لله تعالى، ولكنهم لم يلتزموا بذلك في سائر ما أثبتوه لله تعالى، فقد أثبتوا صفات يشترك فيها الخالق والمخلوق في اسمها كالوجود مثلاً، وقد أقاموا الدليل على إبطال التشبيه والتماثل، وفسروه أنَّه يجوز على أحدهما ما يجوز على الآخر، ويمتنع عليه ما يمتنع عليه، ويجب له ما يجب له،[5] ومعلوم أنَّ هذا منتفٍ عن الله تعالى؛ فإنَّه لا يجوز على الله تعالى ما يجوز على المخلوق.

6- إنَّ جعلهم نفي الصفات من التوحيد باطل، ومعلوم الفساد لوجوه:

---

(1) الحر العاملي، وسائل الشيعة (ج345/16)، القبجاني، مسند الإمام علي (ج211/10).

(2) انظر: الحلي، ابن المطهر، كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد (ص73).

(3) انظر: ابن تيمية، بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (ج296/1).

(4) انظر: ابن تيمية، الصفدية (ج89/1).

(5) انظر: ابن تيمية، التدمرية (ص116).

أ- إنَّ إثبات ذاتٍ مجردةٍ عن جميع الصفات أمر لا يُتصور له وجود في الخارج، وإنَّما وجوده في الذهن، وهذا غاية التعطيل، والذهن قد يفرض المحال ويتخيله، وهذا القول أفضى إلى القول بالحلول والاتحاد، وهو أقبح من كفر النصارى فإنَّهم خصُّوه بالمسيح وهؤلاء عمَّموا.[1]

ب-إنَّ قولهم: إنَّ إثبات الصفات فيه تشبيه للخالق بالمخلوق باطل، ويرد عليهم أنَّهم أثبتوا أشياء مشتركة بين الله تعالى وعباده كإطلاق القول بأنَّه شيء، فإنْ قالوا: نحن نثبت ذلك ولكن نخرجه من حد التشبيه والتعطيل،[2] فنقول: ونحن نثبت ما أثبتناه لله تعالى بإخراجه من حدِّ التشبيه والتعطيل، فإذا كانت القاعدة أنَّ كل وصْفٍ وَصَفَ الله تعالى به نفسه، وكان مشتركاً بينه وبين المخلوق، فيجب أنْ يُنزَّه عن التعطيل والتشبيه فواجب أنْ يكون هذا مطرداً في كل الأوصاف الواردة في الشرع، وقد أثبتم له الوجود والشيئية، ولم يكن في ذلك تشبيه، فأثبتوا له الصفات مع عدم التشبيه بالمخلوق.[3]

ج-إنَّ القول بأنَّ الصفات هي عين الذات، وأنَّها متماثلة، يقتضي من ذلك جواز أنْ يسدَّ كل واحدٍ منهما مسد الآخر، ويستلزم أيضاً أنْ يجوز على أحدهما ما يجوز على الآخر، فإذا اشتركا في جواز ذلك لزم من ذلك محالات، وهو أنَّه إذا جاز على أحدهما ما يجوز على الآخر، ووجب ما يجب له، وامتنع عليه ما يمتنع عليه، يلزم أنْ يكونا متماثلين، وذلك يقتضي أنْ يكون كل مختلفين متماثلين، وهذا قلب للحقائق وتبديلها، وهو من أعظم السفسطة،[4] فمثلاً قولهم: سميع بصير هما سواء، وليس في سميع من المعنى إلا ما في بصير، ولا فيهما إلا معنى عليم، فيُقال لهم قد سمع الله تعالى قول اليهود: ﴿ إِنَّ اللهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ [آل عمران:181]، حين قالوه، وعلمه قبل أنْ يقولوه، فهل يجوز لأحدٍ أنْ يقول إنَّ الله تعالى سمعه قبل أنْ يقولوه؟، وكذلك في قول المجادلة في زوجها، فقد سمع الله تعالى جدالها للنبي صلى الله عليه وسلم حين جادلته وحاورته، وعلمه قبل أنْ تجادله، فهل لأحدٍ أنْ يقول إنَّ الله تعالى سمعه قبل أنْ يكون؟، وإذا لم يجز ذلك فقد عَلِم المخالف أنَّ في سميع معنى غير معنى

---

(1) انظر: ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية (ص 28).

(2) انظر: المازندراني، شرح أصول الكافي (ج3/74،75).

(3) انظر: ابن تيمية، بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (ج1/296).

(4) انظر: المصدر السابق (ج4/153، 154).

عليم،[1] وقد ورد في الكافي: "العلم ليس هو المشيئة،"[2] فهنا أثبت التغاير بين الصفات، فتناقض الشيعة دليل على فساد ما ذهبوا إليه.

7-لقد ورد في الكافي: "ولا تعدوا القرآن فتضلوا بعد البيان،"[3] وورد أيضاً: "الله تعالى أعلى وأعظم أنْ يبلغ كنه صفته، فصفوه بما وصف به نفسه، وكفوا عما سوى ذلك،"[4] ونُسب لجعفر رحمه الله: "فاعلم رحمك الله أنَّ المذهب الصحيح في التوحيد ما نزل به القرآن من صفات الله عزَّ وجلَّ فانفِ عن الله تعالى البطلان والتشبيه، فلا نفي، ولا تشبيه،"[5] وهذا مخالف لمذهبهم، فإنَّ هذه الروايات تُوجب إثبات الصفات، فلمَ جعلوا التوحيد هو نفي الصفات، والروايات صريحة بإثباتها ولمَ المخالفة والتناقض؟.

---

(1) انظر: ابن قتيبة، الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية (ص37).

(2) [الكليني: الكافي، التوحيد/ الإرادة وأنها من صفات الفعل، 109/1: ح2].

(3) [المصدر السابق، التوحيد/ النهي عن الصفة بغير ما وصف به نفسه، 100/1: ح1].

(4) [المصدر نفسه، التوحيد/ النهي عن الصفة بغير ما وصف به نفسه، 102/1: ح6].

(5) [المصدر نفسه ، التوحيد/ النهي عن الصفة بغير ما وصف به نفسه، 100/1: ح1].

المطلب الرابع

معنى توحيد الربوبية عند الكُلَيني

إنَّ الكليني في كتابه الكافي سار وفق طريقة المتكلمين في تعريفهم وعرضهم للتوحيد، فقد أورد توحيد الذات والصفات والأفعال صراحةً بمعناه السابق عند الشيعة، وأمَّا توحيد الربوبية الذي دلَّت عليه نصوص الشرع، فلمْ يَرِدِ إلا في مواطن محدودة جداً؛ ولذلك سيتمُّ الحديث عن إثبات وجود الصانع، وتوحيد الذات، وتوحيد الأفعال عند الكليني، بمقابل توحيد الربوبية عند البخاري رحمه الله؛ لأنَّ ركنا التوحيد عند الكليني هما إثبات وجود الصانع، واعتقاد وحدته، -سواء كانت في الذات أو الصفات أو الأفعال،- وتوحيد الذات والأفعال يشمل لوازم الربوبية، ويشبه تعريف توحيد الربوبية في الاسم، وإنْ اختلف في المسمى، وسيتم التطرق لتوحيد الصفات -في بعض المسائل- في هذا المطلب؛ لأنَّ له تعلق من ثلاثة أوجه، الأول: أنَّ من أقسام توحيد الذات عند الكليني التوحيد بعد مرتبة الذات، وهو يتحقق بنفي الصفات عن الذات الإلهية، الثاني: زعم الكليني أنَّ إثبات الصفات كإثبات أكثر من إله، وهذا من نواقض توحيد الربوبية، الثالث: أنَّ الكليني قد خلط بين الصفات الفعلية وبين أفعال الله تعالى؛ فجعل الصفات الفعلية هي عين أفعال الرب، وتناقض في رواياته، فسيتم ذكر مثال على صفة فعلية جعلها الكليني من الأفعال، مع تفصيل تناقضه في هذه المسألة حتى يتبين فساد منهجه، ومنهج الشيعة، **وتفصيل هذه الأقسام على النحو التالي:**

أولاً: وجود الصانع:

إنَّ الـركن الأول للتوحيـد عنـد الكلينـي هـو إثبـات الصـانع، فـأول بـابٍ بـدأ بـه كتـاب التوحيـد، "بـاب حـدوث العـالم، وإثبـات المحـدث،"[1] أي إثبـات وجـود المُحـدِث، وقـد أقـام الـدلائل علـى ذلـك، وذكـر منـاظرات جعفـر الصـادق[2] مـع الزنادقـة،[3] وهـم الـذين ينكرون وجود الصانع، وينكرون الآخرة والثواب والعقاب.

وممـا يبـين أهميـة هـذا الـركن عنـد الكلينـي، أنَّ مـن أقـرَّ بوجـود الصـانع فإنَّـه يـدخل فـي الإيمـان، وإثبـات حـدوث العـالم لـم تكـن لـه هـذه الأهميـة إلا لكونـه يـؤدي إلـى إثبـات الصـانع؛ لأنَّ مـن لـوازم إثبـات الصـانع أنْ يكـون العـالم مُحـدَثاً، وروايـات الكـافي فـي بـاب التوحيـد تبـين وجهـاً مـن معارضـة المسـلمين للملاحـدة المنكـرين للصـانع،[4] ولكـن الاكتفـاء غالبـاً بإثبـات الصـانع دون إثبـات حـدوث العـالم؛ لأنَّ إنكـار الصـانع كـان شـائعاً عنـد مـن يعـيش بـين المسـلمين أكثـر مـن القـول بقـدم العـالم،[5] فإنَّـه لا يُنْسَـب القـول بالقـدم إلا إلـى الدهريـة؛ ولـذلك لـم يُـورد الكلينـي بابـاً مفـرداً فـي كتابـه لإثبـات حـدوث

---

(1) [الكليني: الكافي، التوحيد/ حدوث العالم، وإثبات المحدث،72/1].

(2) "هـو جعفـر الصـادق بـن محمـد البـاقر بـن زيـن العابـدين علـي بـن الحسين بـن علـي بـن أبـي طالـب، الإمـام العلـم أبـو عبـد الله الهاشـمي العلـوي الحسـيني المـدني سـبط القاسـم بـن محمـد بـن أبـي بكـر، أمـه فـروة بنـت القاسـم بـن محمـد بـن أبـي بكـر، وأمهـا أسـماء بنـت عبـد الـرحمن بـن أبـي بكـر، ولهـذا كـان جعفـر يقـول ولـدني الصـديق مـرتين، يُقـال: وُلـد سـنة ثمـانين،.... والظـاهر أنـه رأى سـهل بـن سـعد وغيـره مـن الصـحابة، يـروي عـن جـده القاسـم، وأدرك جـده زيـن العابـدين، .... ومـن جملـة مـن روى عنـه ولـده موسـى الكـاظم، وقـد حـدث عنـه مـن التـابعين يحيـى بـن سـعيد الأنصـاري، ويزيـد بـن الهـاد، وثَّقـه ابـن معـين والشـافعي وجماعـة، وقـال أبـو حـاتم: ثقـة لا يُسـأل عـن مثلـه،" وقـد احـتج بـه مسـلم، وكـان مـن سـادات أهـل البيـت فقهـاً وعلمـاً وفضـلاً وجوداً،....مـات سـنة ثمـان وأربعـين ومائـة عـن ثمـان وسـتين، ودفن بالبقيع،" السخاوي، التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة (ج242/1).

(3) انظـر: [الكـافي: الكلينـي، التوحيـد/ حـدوث العـالم، وإثبـات المحـدث، 72/1-80: ح1، ح2، ح3، ح4، ح5، ح6/ أدنـى المعرفـة، 86/1: ح1، ح2،ح3/ النهـي عـن الجسـم والصـورة104/1-106: ح1، ح2، ح3، ح4، ح5، ح6].

(4) انظـر: [المصـدر السـابق، التوحيـد/ حـدوث العـالم، وإثبـات المحـدث، 72/1-81: ح1، ح2،ح3، ح4، ح5].

(5) انظـر: المجلسـي، مـرآة العقـول (ج235/1)، الحـر العـاملي، الفصـول المهمـة فـي أصـول الأئمـة (ج140/1).

العالم، وإنْ كان من أعظم الأصول الإسلامية عند الإمامية،[1] فإثبات الصانع يستلزم منه القول بحدوث العالم، وممَّا يجب ذكره في هذه المسألة أنَّ الوجود يُذكر في جانب إثبات وجود الصانع أي لنفي كونه معدوماً، ويُذكر أيضاً لإثبات أنَّ وجوده تعالى هو عين ذاته، أي لنفي زيادة الوجود على الذات، وهذا سيأتي ذكره قريباً.[2]

ثانياً: توحيد الذات عند الكليني:

لقد ذكر الكليني روايات في توحيد الذات، ونصّ على معناه، ومنها ما رواه ابن أبي أذينة عن أبي عبد الله رحمه الله أنَّه قال: "هو واحد واحديُّ الذات، بائن من خلقه،"[3] ومعنى قوله: "واحديُّ الذات،" أي ليس له شريك، ولا نظير، ولا جزء ماديّ، ولا صوريّ، لا ذهناً ولا خارجاً، ووحدته سبحانه وتعالى ليست عددية، بأنْ يكون شأنه مبدأ كثرة، معدوداً من جملتها فيزيد العدد بإضافته تعالى، وينقص بإسقاطه منها، وإلا لكان داخلاً في الكم المنفصل، وهذا غير جائز على الله تعالى،[4] وهذا معنى قولهم: "فليست وحدته وحدة عددية،"[5] ومعنى الكلام السابق أنَّا نجعل الواحد لمفتتح العدد، فعند بدء العدّ نقول: واحد، اثنان، ثلاثة، وكون الله تعالى واحداً ليس بهذا المعنى الذي يزيد بالإضافة إليه، وينقص بالإسقاط منه، فلو كان هذا المعنى هو المقصود لكانت وحدته عددية، والله تعالى منزه عن ذلك،[6] وأمَّا معنى الواحد فهو الذي لا تركيب فيه مطلقاً،[7] وأمَّا الأحد فهو الذي ليس وجوده زائداً على ذاته، والمراد به أيضاً نفي

---

(1) انظر: المجلسي، بحار الأنوار (ج233/54)، الخوئي، منهاج البراعة شرح نهج البلاغة (ج150/13).

(2) انظر: ص72 من هذا البحث، وسيتم الرد على الكليني في مذهبه في وجود الصانع في مطلب مكانة توحيد الربوبية عند الكليني، انظر: ص205.

(3) [الكليني: الكافي، التوحيد/ الحركة والانتقال،126/1: ح5].

(4) المازندراني، شرح أصول الكافي، بتصرف (ج84/4)، وانظر: الملكي، توحيد الإمامية (ص293)، الخوئي، منهاج البراعة شرح نهج البلاغة (ج278/4).

(5) المجلسي، بحار الأنوار (ج226/87)، الطبطبائي، تفسير الميزان (ج88/6)، السبحاني، محاضرات في الإلهيات (ص38).

(6) انظر: المازندراني، شرح أصول الكافي (ج84/4)، الخوئي، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة (ج150/13).

(7) انظر: المازندراني، شرح أصول الكافي (ج107/3،108).

المماثلة في ذاته صفاته،[1] ووحدانية الذات عند الكليني هي نسبة إلى الواحد والأحد بالمعنى السابق.

ووحدة الذات على قسمين:

1-الوحدة لنفي التعدد في الذات:

أي أنَّ الله تعالى واحد لا شريك له في صانعية العالم، ولا ثاني له في الوجود الذاتي،[2] وقد ذكر الكليني نفي الشريك عن الله تعالى، وجعله من أساسيات التوحيد، ومن الروايات في هذا المجال ما رواه هشام بن الحكم في حديث الزنديق الذي أتى ليناظر جعفر الصادق رحمه الله، وكان من قول جعفر للزنديق: "لا يخلو قولك إنَّهما اثنان من أنْ يكونا قديمين قويين، أو يكونا ضعيفين، أو يكون أحدهما قوياً، والآخر ضعيفاً، فإنْ كانا قويين فلمَ لا يدفع كل واحد منهما صاحبه، ويتفرد بالتدبير؟، وإنْ زعمت أنَّ أحدهما قوي، والآخر ضعيف، ثبت أنَّه واحد كما نقول، للعجز الظاهر في الثاني، فإنْ قلت: إنَّهما اثنان، لم يخلُ من أنْ يكونا متفقين من كل جهة، أو مفترقين من كل جهة، فلما رأينا الخلق منتظماً، والفلك جارياً، والتدبير واحداً، والليل والنهار والشمس والقمر، دلَّ صحة الأمر والتدبير، وائتلاف الأمر على أنَّ المدبر واحد،"[3] وفي هذه الرواية أثبت وحدة الذات، وذلك بذكر أدلة تنفي التعدد، وحاصلها أنَّه لو كان أكثر من صانع فإمَّا أنْ يكونا قديمين لا أول لوجودهما، متساويين في القوة، ولازم القوة يقتضي مقدرة دفع كل واحد منهما الآخر، والانفراد بالربوبية، وإنْ كان أحدهما قوياً، والآخر ضعيفاً، ثبت أنَّه واحد للعجز الظاهر في الثاني، والرب لا يكون عاجزاً، وكذلك القول إنَّهما اثنان، فإمَّا أنْ يتفقا في كل شيء، وهو محال، أو أنْ يكونا مختلفين، وانتظام الكون، وائتلاف الأمر، وعدم اختلافه، دلَّ على أنَّ المدبر واحد.[4]

---

(1) انظر: الصدوق، التوحيد (ج17/7)، المازندراني، شرح أصول الكافي (ج108،107/3)، النراقي، شرح الإلهيات من كتاب الشفاء (ج601/2).

(2) انظر: العاملي، زين الدين، رسائل الشهيد الثاني (ج757/2)، المازندراني، شرح أصول الكافي (ج108/3)، المجلسي، بحار الأنوار (ج283/54)، الخاجوئي، جامع الشتات (ص83).

(3) [الكليني: الكافي، التوحيد/ حدوث العالم، وإثبات المحدث،80/1-81: ح5].

(4) انظر: المازندراني، شرح أصول الكافي (ج43/1)، المجلسي، بحار الأنوار (ج232،231/1)، الراوندي، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة (ج102/3)، الطوسي، التبيان في تفسير القرآن (ج238/7).

2-**نفي التركيب في الذات من كل جهة:**

فالله تعالى له الوحدانية المطلقة، وهي له وحده، فهو الواحد المطلق من جهة،[1] وهذه الوحدانية المطلقة لا تتمُّ إلا بإثبات وحدته تعالى من ثلاثةٍ جوانب، وهي:

أ-**نفي التركيب:**

إنَّ نفي التركيب يعني أنَّ الله تعالى ليس مركباً من أجزاءٍ وأعضاءٍ وأبعاضٍ، وقد ذكر الكليني هذا النوع من وحدانية الله تعالى في أكثر من موضع، وأطنب فيه كثيراً، فعبّر عنه بنفي الأعضاء تارةً، وتارةً بنفي التجزء، والقول بأنَّ نفي التركيب في ذات الله تعالى هو من أساسيات التوحيد،[2] ومن أمثلة الروايات في هذا الجانب، ما نسبه لجعفر الصادق رحمه الله أنَّه قال: "وهو مجسّم الأجسام، ومصوّر الصور، لم يتجزء، ولم يتناه، ولم يتزايد، ولم يتناقص،"[3] أي أنَّه سبحانه وتعالى ليس بقابل للتجزئة والتزايد والتناقص في حد ذاته؛ لأنَّ هذه الأمور من لواحق الإمكان، وتوابع الحدوث،[4] ومن هذه الروايات أيضاً قول أبي إبراهيم: "أي فحشٍ أو خنى أعظم من قول من يصف خالق الأشياء بجسمٍ، أو صورةٍ، أو بخلقةٍ، أو بتحديدٍ وأعضاءٍ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً،"[5] فالله تعالى واحد واحديّ المعنى، وليس كالمخلوق الذي هو ثنوي المعنى، جسم وعرض، وبدن وروح، وهو سبحانه منزه عن ذلك كله.[6]

---

(1) انظر: المازندراني، شرح أصول الكافي (ج147/4)، المجلسي، بحار الأنوار (ج187/4)، كاشف الغطاء، كشف الغطاء عن مبهمات الشريعة الغراء (ج51/1).

(2) انظر: [الكليني: الكافي، التوحيد/ إطلاق القول أنَّه شيء، 83/1: ح6/ النهي عن الجسم والصورة، 106/1-105: ح4، ح6].

(3) [المصدر السابق، التوحيد/ النهي عن الجسم والصورة، 105/1: ح6].

(4) المازندراني، شرح أصول الكافي، بتصرف (ج232/1)، وانظر: التوحيد، الصدوق (ص61)، الخوئي، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة (ج377/10).

(5) [الكليني: الكافي، التوحيد/ النهي عن الصفة بغير ما وصف به نفسه،105/1: ح5].

(6) المجلسي، بحار الأنوار، بتصرف (ج204/3)، وانظر: المازندراني، شرح أصول الكافي (ج228/3).

ب–التوحيد في مرتبة الذات:

زعم الكليني وشيعته أنَّ التوحيد في مرتبة الذات هو لنفي الكثرة في مرتبة الذات، وهو لانتفاء زيادة الوجود على الذات؛ لأنَّ وجوده تعالى عين ذاته، والوجود الثابت لله تعالى مغاير لوجود المخلوقين؛[1] ولذلك فإنَّ الروايات التي وردت عن أئمة الشيعة وذُكر فيها وجود الله تعالى كانت مقيدة بكون ذلك الوجود لنفي تعطيل الله تعالى، وهذا لا يكون إلا إذا كان الوجود عين الذات، فأزلية الصانع تقتضي ذلك، وهذا المعنى أورده الكليني في مناظرة لجعفر الصادق رحمه الله مع أحد الزنادقة، وكان من كلامه –جعفر–: "إذ كان النفي هو الإبطال والعدم، والجهة الثانية التشبيه، إذ كان التشبيه هو صفة المخلوق الظاهر التركيب والتأليف، فلم يكن بدٌّ من إثبات الصانع لوجود المصنوعين والاضطرار إليهم، وأنَّهم مصنوعون، وأنَّ صانعهم غيرهم وليس مثلهم،.... قال له السائل: فقد حددته إذ أثبت وجوده، قال أبوعبد الله رحمه الله: لم أحدّه، ولكني أثبتّه إذ لم يكن بين النفي والإثبات منزلة،"[2] أي أنَّ الزنديق اعتقد أنَّ إثبات الوجود له تعالى يوجب التحديد، بناءً على توهم أنَّ كل موجود لا بُدَّ أن يكون محدوداً بحدودٍ جسمانية،[3] ولكنَّ الإمام جعفر رحمه الله أزال هذا الوهم، وبيَّن أنَّ وجوده تعالى لا يعني تحديده؛ لأنَّه مغاير لوجود المخلوقين، وبيان ذلك: أنَّ الوجود مما يُعرض له العموم والاشتراك، فوجود الممكن زائد على ماهيته، وهذا المعنى مشترك بين الموجودات كلها، وأمَّا وجود الواجب فهو عين الذات الواجبة، فالباري جلَّ شأنه مستغنٍ بذاته عن كمالٍ زائدٍ، ومن شبَّهه بغيره بأنْ زعم أنَّ وجوده كوجود غيره، فقد أثبته تعالى بصفة المخلوقين.[4]

وبذلك نجد أنَّ الشيعة تركز في مسألة وجود الله تعالى على أنَّ وجوده تعالى هو عين ذاته، فهذا الذي يختص بالتوحيد عندهم.

---

(1) انظر: المازندراني، شرح أصول الكافي (ج275/3)، الخوئي، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة (ج381/1).

(2) [الكليني: الكافي، التوحيد/ إطلاق بأنه شيء، 83/1–84: ح6].

(3) انظر: المجلسي، بحار الأنوار (ج31،30/3)، المؤلف نفسه، مرآة العقول (ج106/2).

(4) انظر: المجلسي، مرآة العقول (ج60/1).

ج- التوحيد بعد مرتبة الذات:

وهـذا التوحيـد لنفـي زيـادة الصـفات علـى الـذات، أي أنَّ صـفاته تعـالى عـين ذاتـه،[1] "وأول الديانـة بـه معرفتـه، وكمـال معرفتـه توحيـده، وكمـال توحيـده نفـي الصـفات عنـه، بشـهادة كـل صـفة أنَّهـا غيـر الموصـوف..."[2] فصـفاته تعـالى لا تنفصـل عـن ذاتـه، وإلا لكـان سـبحانه مركبـاً مـن أجـزاء، وكـل مركَّـب محتـاج إلـى أجزائـه، ومفتقـر إليها، والله تعالى منزه عن الافتقار.[3]

ثالثاً: توحيد الأفعال عند الكليني:

ذكـر الكلينـي روايـات فـي بعـض صـفات الله تعـالى الفعليـة، والمـراد بهـا أفعـال الله تعـالى، فإنَّـه اسـتخدم مصـطلح الصـفات الفعليـة وصـفات الفعـل للدلالـة علـى أفعـال الله تعـالى، ومـن مجمـوع الروايـات الـواردة فـي هـذا المجـال يظهـر لنـا معنـى توحيـد الأفعـال ولوازمـه عنـد الكلينـي، فتوحيـد الأفعـال عنـده هـو الاعتقـاد بأنَّـه لا مـؤثر فـي الوجـود إلا الله تعـالى، وأن الآثـار مخلوقـة لله تعـالى، كمـا أنَّ عللهـا مخلوقـة،[4] والآثـار صـادرة عـن مؤثراتهـا بـإرادة الله تعـالى ومشـيئته،[5] ومعنـاه أيضـاً أن الله تعـالى خلـق الموجـودات بـلا معـين ولا آلـة،[6] وأمـا معنـى أن الله تعـالى واحـد فـي أفعالـه أي أنَّـه لا شـريك لـه فـي فاعليتـه وسـببيته،[7] كمـا أنَّـه لا شـريك لـه فـي ذاتـه، ومـدار توحيـد الأفعـال هـو إثبـات الخالقيـة لله تعـالى، فالـذي يجـب اعتقـاده لتحقيـق توحيـد الأفعـال أنَّ كـل مخلـوق لـه يحتـاج إليـه حـدوثاً وبقـاءً، ولا يسـتغني عنـه شـيء بعـد الحـدوث،[8] كمـا يجـب الاعتقـاد أنَّ

---

(1) انظـر: المازنـدراني، شـرح أصـول الكـافي (ج95/1)، المجلسـي الأول، روضـة المتقـين فـي شـرح من لا يحضره الفقيه (ج377/2)، الخراساني، مفتاح السعادة في شرح نهج البلاغة (ج68/1).

(2) [الكليني: الكافي، التوحيد/ جوامع التوحيد، 140/1: ح6].

(3) انظر: الخرساني، منهاج الصالحين (ج46/1).

(4) انظـر: الخراسـاني، مفتـاح السـعادة فـي شـرح نهـج البلاغـة (ج7/1)، الخـاجوئي، جـامع الشـتات (ص82).

(5) انظـر: [الكلينـي: الكـافي، التوحيـد/ القضـاء والقـدر، 160/1،159: ح12]، جعفـر السـبحاني، لـب الأثر في الجبر والقدر (ص255).

(6) انظـر: [المصـدر السـابق، التوحيـد/ آخـر وهـو مـن البـاب الأول إلا أن فيـه زيـادة، وهـو الفـرق مـا بين المعاني التي تحت أسماء الله تعالى، 119/1: ح1]، الحائري، شرح نهج البلاغة (ج30/1).

(7) انظر: الشيرازي، مكارم، الأمثل في تفسير الكتاب المنزل (ج465/1).

(8) المازندراني، شرح أصول الكافي، بتصرف (ج16/1).

الله تعالى لم يخلق الموجودات لغاية،[1] وإنَّما أوجدها بقدرته ومشيئته على وجه لا يشبه اختراع وإيجاد المخلوقين،[2] والكليني في ذكره لأفعال الله تعالى إما أنْ يذكر الفعل ولكن يكون الخلل في طريقة عرضه، واعتماده على الطرق الكلامية، وهذا يظهر في فعل "الخلق،" أو يذكر الفعل ويجعله صفة فعلية، ويتناقض فيه، مثل صفة "المشيئة،" **وبيان توحيد الأفعال عند الكليني على النحو التالي:**

1-صفة الخلق الأساس في توحيد الأفعال:

لقد ذكر الكليني فعل الخلق، وركز عليه في أكثر من جانب، وجعل مدار توحيد الأفعال عليه، ومن ذلك ما رواه عن معاوية بن وهب قال: "سمعت أبا عبد الله رحمه الله يقول: إنَّ ممَّا أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام، وأنزل عليه في التوراة، إنَّي أنا الله لا إله إلا أنا خلقت الخلق،"[3] فإنَّه سبحانه "المبتدع للمخلوقات بما لها من الهيئات والآجال والغايات، بمحض القدرة على وفق الإدارة والحكمة،"[4] وهو "خالق الجواهر والأعراض،"[5] وينسب إليه إيجاد الأشياء لا يُشاركه في ذلك أحد،[6] "وأنشأ ما شاء حين شاء بمشيئته،....كان أولاً بلا كيف، ويكون آخراً بلا أين، وكل شيء هالك إلا وجهه، له الخلق والأمر،"[7] أي أنَّه تعالى خالق الممكنات مطلقاً، ويزعم الكليني وشيعته أنَّ الخلق هو عالم الأجسام والماديات، وأنَّ الأمر هو عالم الروح والروحانيات.[8]

---

(1) انظر: [الكليني: الكافي، التوحيد/ حدوث الأسماء 113/1: ح4].

(2) انظر: [المصدر السابق، التوحيد/ باب آخر وهو من الباب الأول إلا أن فيه زيادة، وهو الفرق ما بين المعاني التي تحت أسماء الله تعالى، 119/1: ح1].

(3) [المصدر السابق، التوحيد/ الخير والشر، 154/1: ح1].

(4) المازندراني، شرح أصول الكافي (ج132/4).

(5) الخرساني، منهاج الصالحين (ج28/1).

(6) المازندراني، شرح أصول الكافي، بتصرف (ج124/3).

(7) [الكليني، الكافي، التوحيد/ الكون والمكان،88/1-89: ح3].

(8) المازندراني، شرح أصول الكافي، بتصرف (ج124/3)، وانظر: المجلسي، بحار الأنوار (ج299/4).

2- حدوث الصفات الفعلية:

لقد ظهر خطأ الكليني في مصطلح أفعال الله تعالى وصفاته الفعلية، وقد أورد روايات -كما سيأتي- ذَكَرَ فيها أنَّ أفعال الله تعالى هي صفاته الفعلية، وجعل أوصاف الأفعال لازمة للصفات الفعلية كقوله: إنَّ الصفات الفعلية مخلوقة؛ ولذا سيتم الحديث عن حدوث الصفات الفعلية بشكلٍ عام ثم ذكْر مثال على صفة فعلية جعلها الكليني من أفعال الله تعالى، هي المشيئة، وسيتم ذكْر مذهبه في المشيئة مفصلاً حتى يتضح تناقضه.

لقد ذكر الكليني أنَّ صفات الله تعالى الفعلية مخلوقة ومحدثة، وأنَّ الله تعالى اتَّصف بها بعد وجود لازمها وأثرها، والصفات الفعلية عند الكليني هي: "كل شيئين وصفتَ الله بهما، وكانا جميعاً في الوجود...، مثل أنَّك تثبت في الوجود ما يريد وما لا يريد،"[1] أي أنَّ كل شيء يمكن أن يتصف الله تعالى به وبضده فهو من الصفات الفعلية، والصفات الفعلية المتعدية هي أفعال الله تعالى؛ وبذلك فلا يصح أن يُقال لم يزل الله تعالى متصفاً بصفاته الفعلية؛ لأنَّ "الأسماء والصفات مخلوقات،"[2] أي أنَّ الأسماء مخلوقات، والصفات هي المعاني، والمعاني -وهي حقائق مفهومات الصفات- مخلوقة، والمعنيّ بها هو الله تبارك وتعالى،[3] والصفات كالخلق والإرادة والمشيئة، هي من صفات فعله تعالى فهو فاعل خالق مريد في رتبة فعله، لا في رتبة ذاته،[4] فصفات فعله تعالى تكون منتزعة من مقام الفعل، مثال ذلك أننا عند ملاحظة النِّعم فإننا ننسبها إلى الله تعالى، فنقول: رزقاً رزقه الله تعالى فهو رزاق،[5] وهكذا في باقي الصفات الفعلية، ولو كان الله تعالى فاعلاً بذاته للزمه التغير في الذات، فمثلاً: "لو كانت الإرادة من صفات الذات...كان ما لا يريد ناقضاً لتلك الصفة،"[6] واختلاف

(1) [الكليني: الكافي، التوحيد/ الإرادة أنها من صفات الفعل، وسائر صفات الفعل، 111/1].

(2) [المصدر السابق، التوحيد/ معاني الأسماء واشتقاقها، 116/1: ح7].

(3) انظر: المجلسي، مرآة العقول (ج23/2).

(4) انظر: الأمير، شرح أصول العقائد (ج226/1-227).

(5) انظر: السبحاني، الإلهيات (ج84/1).

(6) [الكليني: الكافي، التوحيد/ الإرادة أنها من صفات الفعل، وسائر صفات الفعل، 111/1].

الذات وتغيرها ينبئ بالحدوث، فلذلك فإنَّ الصفات الفعلية صفات كمال في رتبة الفعل، ونقص في رتبة الذات.[1]

والكليني قد ذكر حدوث بعض الصفات الفعلية بعينها، ثم جعل ذلك حكماً عاماً لكل الصفات الفعلية، فقد أورد باباً بعنوان: "باب الإرادة أنَّها من صفات الفعل، وسائر صفات الفعل،"[2] وذكر فيه أنَّ "المشيئة محدثة،"[3] وهذا ينطبق على كل الصفات الفعلية طبقاً لعنوان الباب، وكذلك أثبت حدوث الإرادة في رواية "لم يزل الله عالماً قادراً، ثم أراد،"[4] وكذلك ذكر أنَّ أسماء الله تعالى محدثة، وأنَّه تعالى حينما خلق الأسماء فإنَّه خلق الأفعال، وكل اسم من أسماء الأفعال يدل على فعل من أفعاله تعالى، فتكون أسماء الله تعالى وصفاته الفعلية –التي هي فرع عن أسمائه–مخلوقة، وهذا أورده في رواية: "إنَّ الله تعالى خلق اسماً بالحروف غير متصوت...فجعله كلمة تامة على أربعة أجزاء...وسخر سبحانه لكل اسم من هذه الأسماء أربعة أركان، فذلك اثنا عشر ركناً، ثم خلق لكل ركن منها ثلاثين اسماً فعلاً منسوباً إليها...فهذه الأسماء وما كان من الأسماء الحسنى حتى تتم ثلاثمائة وستين اسماً،"[5] فقوله "اسماً فعلاً،" أي اسماً دالاً على فعل من أفعاله تعالى، حتى حصل ثلاثمائة وستون اسماً دالاً على فعل من أفعاله تعالى،[6] وبذلك يكون المراد "أنَّ هذه الأسماء هي الأفعال بحقيقتها،"[7] وهذا يقتضي ضمناً أنَّ أفعال الله تعالى متناهية، فإن "فعلاً" في الرواية "بدل من قوله اسماً، بدل الكل من الكل، أي هذه الثلاثون اسماً ثلاثون فعلاً من أفعاله تعالى...[و] تصريح لفظ الحديث بأنَّ كل اسم هو فعل من أفعال الله تعالى."[8]

---

(1) انظر: الأمير، شرح أصول العقائد (ج227/1).

(2) [الكليني: الكافي، التوحيد/ الإرادة أنها من صفات الفعل، وسائر صفات الفعل، 111/1].

(3) [المصدر السابق، التوحيد/ الإرادة أنها من صفات الفعل، وسائر صفات الفعل، 110/1: ح7].

(4) [المصدر نفسه، التوحيد/ الإرادة أنها من صفات الفعل، وسائر صفات الفعل، 109/1: ح1].

(5) [المصدر نفسه، التوحيد/ حدوث الأسماء، 112/1: ح1].

(6) المازندراني، شرح أصول الكافي، بتصرف (ج290/3).

(7) النائيني، الحاشية على شرح أصول الكافي (ص378).

(8) الشعراني، تعليقاً على شرح أصول الكافي للمازندراني (ج290/3).

3- علاقة المشيئة والإرادة بأفعال الله تعالى:

ذكر الكليني أنَّ مشيئة الله تعالى وإرادته هي فعله وإحداثه،[1] وهي من أهم الصفات الفعلية، واتصاف الله تعالى بالصفات الفعلية يكون منتزعاً من أفعاله الخارجية.[2]

والأصل أنَّ المشيئة والإرادة هما معنى لا بدَّ منه في الأفعال الاختيارية، يجب تحققه في نفس الفاعل بعد العلم وقبل الفعل، والفرق بينهما أنَّ المعنى من حيث ارتباطه بالفاعل يسمى مشيئة، ومن حيث ارتباطه بالفعل يسمى إرادة،[3] وأفعال الله تعالى الخارجية مسبوقة بالمشيئة والإرادة،[4] فهذا معنى يميل إليه كل من كتب عن المشيئة والإرادة من علماء الشيعة، وذكره شرّاح الكافي في بداية حديثهم عن الإرادة والمشيئة، ولكن روايات الكافي اضطربت في تحديد المراد بالمشيئة والإرادة، وبيان العلاقة بينهما وبين أفعال الله تعالى، **وتفصيل هذه المعاني على النحو التالي:**

أ-مشيئة الله تعالى وإرادته هي فعله وإحداثه:

وهذا المعنى قد نصَّ الله تعالى عليه في قوله: ﴿إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس:82]، وبمعنى آخر هي إعمال القدرة والسلطنة،[5] ومن الروايات بهذا المعنى، ما رواه صفوان بن يحيى قال: "قلت لأبي الحسن رحمه الله أخبرني عن الإرادة من الله ومن الخلق؟، قال: فقال: الإرادة من الخلق الضمير وما يبدو لهم بعد ذلك من الفعل، وأما من الله تعالى فإرادته إحداثه لا غير ذلك؛ لأنه لا يروي، ولا يَهم، ولا يتفكر، وهذه الصفات منفية عنه، وهي من صفات الخلق، فإرادة الله الفعل لا غير ذلك،[6] يقول له: كن فيكون، بلا لفظ، ولا نطق بلسان، ولا همة، ولا تفكر، ولا كيف

---

(1) انظر: [الكليني: الكافي، التوحيد/ الإرادة أنها من صفات الفعل، وسائر صفات الفعل، 109/1: ح3].

(2) انظر: التبريزي تعليقاً على كتاب الكافي (ج554/1).

(3) الطبطبائي، تعليقاً على الكافي، بتصرف (ج150/1).

(4) انظر: المازندراني، شرح أصول الكافي (ج220/1).

(5) انظر: الخوئي، محاضرات في أصول الفقه (ج36/2)، الشيرازي، مكارم، الأمثل في تفسير الكتاب المنزل (ج238/14).

(6) هكذا وردت الرواية، والمعنى أن الإرادة هي الفعل.

لـذلك،"[1] فـالإرادة مـن الخلـق تكـون بتصـور الفعـل، وتوجـه الـذهن إليـه، ثـم تصـور النفـع سـواء كـان عقليـاً أو خياليـاً، ثـم بالتصـديق بمـا يترتـب علـى ذلـك النفـع، ثـم بالشـوق ثـم العـزم الراسـخ، وأمَّـا إرادة الله تعـالى فهـي بسـيطة، وهـي إحـداث الفعـل وإيجـاده علـى وجـه يوافـق القضـاء الأصـلي، وليسـت مركبـة مـن الأمـور المـذكورة فـي إرادة الخلـق ولا شـيء منهـا،[2] وهـذه الروايـة وإن كانـت عـن الإرادة، فإنهـا فـي المشـيئة بطريـق الأَوْلـى؛ لأنَّ الإرادة هـي فـرع عـن المشـيئة، وهـي الرتبـة الثانيـة مـن المشـيئة،[3] وبهـذا المعنـى تكـون المشـيئة والإرادة مـن صـفات الفعـل، وصـفات الأفعـال ليسـت بمثابـة صـفات الـذات، فإنـه لا يجـوز أن يقـال لـم يـزل الله مريـداً شـايئاً،[4] فالمشـيئة بهـذا المعنـى تكـون محدثـة مخلوقـة، كمـا فـي الروايـة عـن أبـي عبـد الله رحمـه الله قـال: "المشـيئة محدثـة،"[5] فالمشـيئة شيء مخلوق، والمخلوق غير ذات الله تعالى.[6]

ب-المشيئة واسطة الله تعالى في خلق الأشياء:

إنَّ بعـض الروايـات ذكـرت أنَّ المشـيئة هـي التـي خلقهـا الله تعـالى، ثـم أوجـد بهـا الأشـياء، فالمشـيئة هـي الواسـطة الوحيـدة بينـه وبـين سـائر خلقـه،[7] جـاء فـي روايـات الكـافي: "خلـق الله المشـيئة بنفسـها، ثـم خلـق الأشـياء بالمشـيئة؛"[8] لـذلك فـإن الموجـودات صـادرة عـن صـنعه تعـالى إمَّـا بالـذات، وهـي المشـيئة؛ لأنَّ الله تعـالى أوجـدها بنفسـه، أو بالتقـدير وهـو بقيـة المخلوقـات؛ لأنَّ الله تعـالى أوجـدها بالمشـيئة،[9] وهـذه الروايـة هـي مـن

(1) [الكليني: الكافي، التوحيد/ الإرادة أنها من صفات الفعل، وسائر صفات الفعل، 109/1: ح3].
(2) انظر: المازندراني، شرح أصول الكافي (ج267/3).
(3) انظر: الحائري، أحكام الشريعة (ج5/1).
(4) انظر: [الكليني: الكافي، التوحيد/ الإرادة وأنها من صفات الفعل، وسائر صفات الفعل112/1،111]، المجلسي، بحار الأنوار (ج70/4).
(5) [المصدر السابق، التوحيد/ الإرادة وأنها من صفات الفعل، وسائر صفات الفعل، 158/1: ح7].
(6) انظر: الخوئي، محاضرات في أصول الفقه (ج37/2).
(7) انظر: الشعراني، تعليقاً على شرح أصول الكافي للمازندراني (ج20/5)، الخوئي، محاضرات في أصول الفقه (ج37/2).
(8) [الكليني: الكافي، التوحيد/ الإرادة وأنها من صفات الفعل، وسائر صفات الفعل، 110/1: ح4].
(9) انظر: التجليل، وبراهين أصول المعارف الإلهية (ج16/5).

غوامض الأخبار،[1] وقد ذُكرت أقوال كثيرة في بيان معناها، ولكن أهم الآراء التي رجَّحها علماء الشيعة هي:

-المشيئة الإرادة الحادثة:

أي أنَّ المشيئة هي الإحداث والإيجاد، والمعنى أنَّ الله تعالى خلق ماهية الإيجاد بنفسها، من غير تعلق للجعل أو عدمه على تلك الماهية، أي أنَّ الوجود خلقه الله تعالى مجرداً، ثم خلق الأشياء بتلك الماهية بسبب إضافة الجعل والوجود على تلك الماهية، وجعلها متعلقة بالأشياء التي كُتب لها الوجود،[2] أي كأنَّ الله تعالى خلق وجوداً مجرداً لكل الأشياء، فإذا أراد إظهار شيء إلى عالم الوجود أضاف الجعل على هذا الوجود المجرد، وجعله متعلقاً بشيء معين، وبذلك يظهر الشيء للوجود.

- المشيئة إحدى مراتب التقديرات:

والمعنى أنَّ الله تعالى جعل تقديرات، واقتضت الحكمة جعلها من أسباب وجود الشيء، ومثاله: التقدير باللوح مثلاً، فإنَّ ما أُثبت في اللوح لم يحصل بتقديرٍ آخر في لوح سوى ذلك اللوح، وهذا الرأي رجحه عدد من علماء الشيعة،[3] وعلى هذا فليس المراد بالمشيئة التي تكون الإرادة إحدى مراتبها.

ج- المشيئة صفة من صفات الذات:

والمعنى هو كون ذاته بحيث تصدر عنه الأشياء لأجل علمه بنظام الخير فيها، وهو العلم بالأصلح، وهذا تابع لعلمه بذاته، فتكون من صفات الذات، فالله تعالى خلق ما شاء كيف شاء، أي خلق الأشياء بالمشيئة، ومشيئته عين ذاته،[4] ومن الروايات بهذا المعنى ما رُوي عن أبي عبد الله رحمه الله أنه قال: "لا يكون إلا ما شاء الله وأراد وقدر وقضى، يا يونس تعلم ما المشيئة؟، قلت: لا، قال: هي الذكر الأول، فتعلم ما الإرادة؟، قلت: لا، قال: هي العزيمة على ما يشاء،"[5] أي أنَّ المشيئة هي العلم الأزلي السابق على الإرادة المتعلقة بالأشياء على ما هي

---

(1) وهذا كما وصفها المجلسي في بحار الأنوار (ج145/4).

(2) انظر: المازندراني، شرح أصول الكافي (ج271،270/3).

(3) انظر: المجلسي، بحار الأنوار (ج145/4).

(4) الشعراني، تعليقاً على شرح أصول الكافي للمازندراني، بتصرف (ج265/3).

(5) [الكليني: الكافي، التوحيد/ الجبر والقدر والأمر بين الأمرين، 158/1: ح4].

عليه في نفس الأمر، فالأشياء لو لم تتحقق لما تعلق العلم بوجودها، والمشيئة بهذا المعنى سبب في وجود الأشياء.(1)

وأمَّا الإرادة فهي وصف متعلق بالمشيئة، وهي البقاء على المشيئة لبقاء العلم مع المعلوم، فعلى هذا يكون الفرق بين المشيئة والإرادة، أنَّ المشيئة هي مطلق الإرادة، فالمشيئة تدل على الرغبة في الشيء، ولا تدل على العزم أو التهيؤ، وهي مقدَّمة على الإرادة، وأما الإرادة فهي العزم على الفعل والتهيؤ.(2)

4-العلل(3) والغايات في أفعال الله تعالى:

ذكر الكليني العلل وعلاقتها بأفعال الله تعالى، فبيَّن أنَّ الله تعالى هو العلة التامة للخلق، وأنَّه المُؤثر والمُوجد الحقيقي، فهو العلة التامة، وعلة العلل، وأصل العلل، أي أنَّه لا يحتاج إلى غيره لإيجاد الأشياء؛ لأنَّ العلة التامة تعني أنَّها تشمل جميع ما يحتاج إليه الشيء، فلا يفتقر لعلة أخرى، فأيُّ شيء معلول يحتاج إلى علة، وتتسلسل هذه العلل إلى أنْ تنتهي إلى واجب الوجود، فهو العلة الأولى وأصل كل علة، وتعرّض الكليني في هذا الجانب لمسألة هل أفعال الله تعالى معللة؟، فتناقضت رواياته في ذلك، فمرة يذكر أنَّه لا غاية ولا علة لفعله تعالى؛ لأنَّ الغاية موصوفة، والله تعالى منزّه أنْ يوصف بحدٍ مسمى موصوف، ومرة يثبت الغايات والأغراض في أفعاله تعالى، إمَّا صراحة بإثبات العلة والغاية، وإمَّا تضمناً بذكر بعض الغايات في

---

(1) انظر: المازندراني، شرح أصول الكافي (ج5/20،21).

(2) انظر: الشعراني، تعليقاً على شرح أصول الكافي للمازندراني (ج5/20).

(3) وردت تعريفات كثيرة للعلة عند الإمامية، ومن هذه التعريفات: أنَّها "ما يستند إليها وجود الشيء، ويُسمى ذلك الشيء معلولاً،" الحلي، ابن المطهر، تسليك النفس إلى حظيرة القدس (ص108)، وهي تنقسم إلى فاعلية، ومادية، وصورية، وغائية، وهي تشترك في أنَّه يتوقف عليها وجود الشيء، وتختلف في أنَّ العلة المادية والصورية داخلة في الشيء، ولكن وجوب الشيء في العلة المادية يكون بالقوة، كأصول النباتات بالنسبة للترياق، وأمَّا العلة الصورية فوجود الشيء يكون معها بالفعل، مثل صور المواليد، وقولنا: مادية وصورية نسبة إلى المادة والصورة، وأما العلة الفاعلية والغائية فتكون خارجة عن الشيء، ولكن وجود الشيء يكون بالعلة الفاعلية، مثل عدة أشخاص يحركون السفينة، وأما العلة الغائية فهي العلة التي لأجلها يحصل الشيء، كالشبع للأكل، وتسمى العلة الفاعلية، والغائية علة الوجود؛ لأنَّ الشيء يفتقر إليها في الوجود، انظر: الحلي، ابن المطهر، تسليك النفس إلى حظيرة القدس (ص108)، اللاهيجي، شوارق الإلهام في شرح تجريد الكلام (ج2/255-265)، التفتازاني، شرح المقاصد (ج1/152)، السبحاني، الإلهيات (ج1/264).

أفعالـه تعـالى، مثـل أنَّـه يخلـق الخلـق لإظهـار حكمتـه وربوبيتـه، **وتفصـيل هـذه المسـائل على النحو التالي:**

أ- العلل في فعل الله تعالى وخلقه:

إنَّ المـراد بالعلـل هنـا الحِكَـم والغايـات التـي يفعـل الله تعـالى لأجلهـا، وقـد تناقضـت روايات الكافي في إثباتها، **وبيان ذلك على النحو التالي:**

- **روايـات نفـي العلـل:** ذكـر الكلينـي روايـات تنفـي العلـل والغايـات عـن أفعـال الله تعـالى، فـذكر أنَّ الله تعـالى اختـرع الأشـياء "لا مـن شـيء، فيبطـل الاختـراع، ولا لعلـة فـلا يصـح الابتـداع،"[1] فظـاهر كلامـه فـي الروايـة أنَّ الاختـراع هـو الإيجـاد لا مـن شـيء، وهـذا لنفـي العلـة الماديـة، والابتـداع هـو الإيجـاد بـلا علـة، وهـذا لنفـي العلـة الغائيـة، والروايـة السـابقة شملت نفـي نـوعي العلـة الماديـة والغائيـة،[2] فأمَّـا الماديـة فهـي منفيـة فـي روايـات كثيـرة فـي الكـافي، ونفيهـا قـد ورد فـي الروايـات التـي تبـين أنَّ الله تعـالى خلـق الأشـياء لا مـن شـيء، ومنهـا: "وكـل صـانع شـيءٍ فمـن شـيء صـنع، والله لا مـن شـيء صـنع مـا خلـق،"[3] والاتفاق حاصل بين الإمامية لنفي العلة المادية.[4]

وأمَّـا العلـة الغائيـة فقـد جـاءت بعـض الروايـات فـي نفيهـا؛ لأنَّهـا تقتضـي الـنقص فـي ذات الله تعـالى وصـفاته، ومثـال مـا ذكـره الكلينـي للعلـة الغائيـة المنفيـة عـن الله تعـالى، أنَّ الله تعـالى عنـدما خلـق الخلـق لـم يكـن لـه غايـة فـي ذلـك، كـأن يخلـق للاسـتئناس بتلـك المخلوقـات،[5] فالعلـة مسـلوبة عـن أفعـال الله تعـالى؛ "لأنَّ الغايـة موصـوفة، وكـل موصـوف مصـنوع، وصـانع الأشـياء غيـر موصـوفٍ بحـدٍ مسـمىٍ،"[6] أي أنَّ كـل غايـة ينتهـي إليهـا نظـر الخلـق موصـوفة بموصـوفٍ معلـومٍ، وكـل غايـةٍ يَتَطَلَّـع إليهـا نظـر الخلـق مصـنوعة، وصـانع الأشـياء غيـر موصـوفٍ بحـدٍ مسـمىً لاسـتحالة تـوارد

---

(1) [الكليني: الكافي، التوحيد/ النهي عن الجسم والصورة، 105/1: ح3].

(2) انظر: المازندراني، شرح أصول الكافي، (ج222/3).

(3) [الكليني: الكافي، التوحيد/ جوامع التوحيد، 135/1: ح1].

(4) انظـر: المازنـدراني، شـرح أصـول الكـافي(ج223/3)، اللاهيجـي، شـوارق الإلهـام فـي شـرح تجريـد الكلام (ج410/2).

(5) انظـر: المازنـدراني، شـرح أصـول الكـافي (ج223/3)، اللاهيجـي، شـوارق الإلهـام فـي شـرح تجريـد الكلام (ج410/2).

(6) [الكليني: الكافي، التوحيد/ حدوث الأسماء، 114/1: ح4].

الإحاطـة عليـه،[1] ولـو كـان الله تعـالى يفعـل لغايـة فهـذا يقتضـي كونـه غيـر تـام؛ لأنَّ مـن يفعل لغايـة يقتضـي أنَّـه مسـتكملاً بهـا ومسـتفيداً منهـا، ويقتضـي أيضـاً أن يكـون الله تعـالى ناقصـاً فـي فاعليتـه، ولكـن الصـحيح أنَّ الله تعـالى تـام بذاتـه، لا يتطـرق إليـه نقصـان فـلا غاية لفعله، بل ذاته سبب لفاعليته.[2]

- **روايــات إثبــات العلــة الغائيــة:** ذكـر الكلينـي روايـات يثبـت فيهـا العلـل والغايـات، وذلـك بـذكر أفعـال الله تعـالى معللـة بغايـة، فمـن ذلـك روايـة: "خلـق مـا شـاء، كيـف شـاء، متوحـداً بـذلك لإظهـار حكمتـه،"[3] فهنـا ذكـر تعليـل خلـق الله تعـالى للموجـودات، وأنَّـه خلقـه ليظهـر حكمتـه وربوبيتـه،[4] فـالله تعـالى متصـف بصـفات الكمـال التـي تليـق بجلالـه تعـالى، فهـو كـريم مـثلاً، والكـريم يجـب أن يظهـر كرمـه وجـوده للآخـرين، وكـذلك فـي بـاقي صـفاته تعـالى، فإنَّـه تعـالى أراد أن يَعْرِفَـه خلقـه بمـا ظهـر لهـم مـن صـفاته الجلاليـة،[5] فـالله تعـالى خلــق الخلــق لعلــة ومصــلحة، فلـم يخلقهـم عبثـاً ولا بــاطلاً،[6] وكـل روايــة أثبتــت فيهــا الأغـراض والمصـالح والحكـم، أو نُفِـيَ فيهـا العبـث والباطـل، فهـي روايـات فـي إثبـات العلـل والغايات، في أفعال الله تعالى.[7]

وبـذلك يظهـر أنَّ الكـافي اشـتمل علـى مـذهبين متناقضـين، فهـو يثبـت العلـة تـارة، وينفيها أخرى؛ ولذلك حاول علماء الإمامية **التوفيق بين الروايات على النحو التالي:**

*–المـراد بالروايــات التــي تثبــت العلــة الغائيــة هــو انتفــاع الخلــق أنفســهم بهــذه الغايــة، فالفائـدة مـن خلـق الخلـق راجعـة إلـى نفس الخلـق،[8] وأمَّـا الروايـات التـي نُفيـت فيهـا العلـة فيكـون المـراد بهـا العلـة الغائيـة، التـي تعـود إليـه سـبحانه وتعـالى، وإلا كـان سـبحانه ناقصـاً في ذاته وصفاته.[9]

---

(1) انظر: المازندراني، شرح أصول الكافي (ج299/3).

(2) انظر: اللاهيجي، شوارق الإلهام في شرح تجريد الكلام (410/2).

(3) [الكليني: الكافي، التوحيد/ حدوث الأسماء، 105/1: ح3].

(4) انظر: المازندراني، شرح أصول الكافي (ج24/1).

(5) انظر: الأمير، شرح أصول العقائد (ج151/1).

(6) انظر: المصدر السابق (ج54/2).

(7) مثـل روايـة: "ولـم يخلـق السـماوات والأرض ومـا بينهمـا بـاطلاً، ولـم يبعـث النبيـين مبشـرين ومنـذرين عبثاً،" [الكليني: الكافي، التوحيد/ الجبر والقدر والأمر بين الأمرين، 155/1: ح1].

(8) انظر: الأمير، شرح أصول الاعتقاد (ج55/2).

(9) انظر: المازندراني، شرح أصول الكافي (ج223/3).

*-المراد بالغاية في الروايات التي تثبتها النهاية، أي أنَّ الله تعالى "انقطعت عن وجوده النهاية، وزالت قبل الوصول إليه،"[1] ومن الروايات التي قيلت بهذا المعنى "والله غاية من غاياه،"[2] أي "أنَّ الله تعالى هو النهاية التي يتناولها كل من غيّاه، وجعل له نهاية وحدوداً، ينتهي إليها،"[3] وقد ذُكر هذا في معرض الذمّ لمن اعتقد ذلك، أو المراد أنَّ العلة الغائية انتهت عنده ولم تتجاوزه إلى غاية أخرى فوقه؛ لأنَّه غاية فوق الغايات،[4] فتكون بمعنى رواية "وهو غاية كل غاية."[5]

*-أنَّ هناك فرق بين الغرض والغاية، فالغرض هو الحِكم والمصالح التي شملتها أفعال الله تعالى، وعلى ذلك فتكون أفعال الله تعالى معللة بالأغراض، فعلى هذا فالخلاف صوري مع من أثبت العلل، فإنَّ من أثبتها في أفعال الله تعالى جعلها بمعنى الأغراض، ومن نفاها جعلها بمعنى مغاير للأغراض،[6] ولم يذكر أصحاب هذا الرأي المعنى المنفي للغاية، بل ذكروا أنَّ العلة المنفية تكون بمعنى مغاير للحكم دون تحديد لذلك المعنى.

ب- الله تعالى منتهى كل علة:

إنَّ من أهم الاعتقادات في توحيد الأفعال هو اعتقاد أنَّه لا مُؤثر في الوجود إلا الله تعالى، وأنَّه تعالى منتهى كل علة، فهو سبحانه "غاية كل غاية،"[7] "ولا غاية ولا منتهى لغايته، انقطعت الغايات عنده، فهو منتهى كل غاية،"[8] فكل علة تنتهي إلى واجب الوجود ولا تجاوزه إلى غيره؛ وذلك لأنَّ كل شيء له علة، وكل علة تقتضي علة قبلها، وهكذا تسلسل العلل، ولكن لا يمكن أن تسلسل العلل إلى ما لا نهاية؛ لأنَّها أمور ممكنة، وكل علة مفتقرة إلى المؤثر المغاير إلى أنْ تنتهي إلى واجب الوجود،[9]

---

(1) المازندراني، شرح أصول الكافي (ج129/3).

(2) [الكليني: الكافي، التوحيد/ حدوث الأسماء، 113/1: ح4].

(3) المازندراني، شرح أصول الكافي (ج298/3).

(4) انظر: المصدر السابق (ج128/3،129).

(5) [الكليني: الكافي، التوحيد/ الكون والمكان، 89/1: ح4].

(6) انظر: اللاهيجي، شوارق الإلهام في شرح تجريد الكلام (ج411/2).

(7) [الكليني: الكافي، التوحيد/ الكون والمكان، 89/1: ح4].

(8) [المصدر السابق، التوحيد/ الكون والمكان، 90/1: ح5].

(9) انظر: الحلي، ابن المطهر، تسليك النفس إلى حظائر القدس (ص 108).

"فهو سبحانه علة بعيدة لأفعاله، وليس شيء له بعلة،"[1] والله تعالى علته تامة؛ فإنَّ الأشياء لا تفتقر إلى شيء سواه، بل علته تشمل جميع ما يحتاج إليه الشيء؛[2] ولذلك فإنَّ المعلول لا يتخلف عن علته التامة.[3]

المناقشة والرد:

إنَّ كل معتقدٍ مبتدعٍ يجب محاكمته إلى كتاب الله تعالى، وإلى سنة النبي صلى الله عليه وسلم، ومن باب الإنصاف، فإنَّ كلام الكليني في التوحيد اشتمل على حقٍ وباطلٍ، ولكنَّ باطله غلب، وما وافق فيه الصواب لم يوفه حقه، ويكفي أنَّه أدخل في التوحيد بدعاً لم تَرِدْ في النصوص الشرعية، فضلاً عن الشركيات التي تهدم التوحيد من أساسه، والتي ورد النهي عنها بأدلةٍ متواترةٍ واضحة الدلالة، وأصبح بطلانها من المعلوم من الدين بالضرورة.

إنَّ الانحراف في التوحيد عن الشيعة يتلخص في أنَّهم عيَّنوا للتوحيد مسمًّى ليس هو مسمَّاه الشرعي، وأدخلوا في مسمَّاه ما ليس منه، ويظهر انحرافهم كذلك في المنهج والعبارة والمقاصد، فمنهجهم منهج الفلاسفة الذين اجتمع عليهم فساد الفطرة والانبتات عن الوحي، فاستعملوا الألفاظ الفلسفية التي لا ورود لها في الشرع ولا في اللغة، وينتهي مفهوم التوحيد عندهم والعبارات التي يعبرون بها إلى مقصدٍ باطلٍ ناقضٍ للتوحيد، وهم لا يعرفون توحيد الرب بأفعال العباد، الذي هو مراد الشرع من إطلاق التوحيد،[4] **والرد على بدع التوحيد عند الكليني يتلخص في النقاط التالية:**

أولاً: الرد على ابتداعه أقسام التوحيد:

1- إنَّ ابتداع أقسام التوحيد هو لاعتقادهم أنَّ غاية التوحيد الإقرار بأنَّ الله تعالى هو الخالق الرازق المحيي المميت المدبر....، وأنَّ توحيد الربوبية هو الواجب على المكلف، وأنَّ كلمة التوحيد ليست إلا الإقرار بأنَّ الله تعالى وحده القادر على الاختراع،

---

(1) المجلسي، بحار الأنوار (ج4/140).

(2) انظر: اللاهيجي، شوارق الإلهام في شرح تجريد الكلام (ج2/262).

(3) انظر: الحلي، ابن المطهر، تسليك النفس إلى حظائر القدس (ص159).

(4) الجهني، وجوه انحراف المتكلمين في مفهوم التوحيد، بتصرف (ص13،14).

فـإذا كـان توحيـد الربوبيـة هـو غايـة التوحيـد، وهـو المطلـوب مـن كـل مكلـف، فـلا اعتبـار إلى غيره، ولا نظر إلى ما عداه،[1] وهذا باطل من وجوهٍ كثيرةٍ، كما سيأتي بيانه.[2]

2-إنَّ اسـتقراء النصـوص الشـرعية يُوجِـب المصـير إلـى تقسـيم التوحيـد كمـا هـو عنـد السـلف، فالنصـوص إمَّـا أنَّ تـأتي للدلالـة علـى تفـرد الله تعـالى بتـدبير الكـون، والقيـام بمـا يصـلح بــه أمــر الخلــق، أو تــأتي للدلالــة علــى وجــوب إفــراد الله تعــالى بجميــع أنــواع العبـادات الظـاهرة والباطنـة، وقسـم ذُكـر فيـه أسـماء الله تعـالى وصـفاته، فـالكلام فـي بـاب التوحيـد إمـا أن يكـون مـن بـاب الخبـر، الـدائر بـين النفـي والإثبـات، وإمـا مـن بـاب الطلـب والإرادة، الـدائر بـين الإرادة والمحبـة، وبـين الكراهــة والـبغض نفـي وإثبـات، ومعلـوم بداهـةً أنَّ هنـاك فرقـاً بـين النفـي والإثبـات، والتصـديق والتكـذيب، وبـين الحـب والـبغض،[3] وأمَّـا التقسـيم المبتـدع للتوحيـد فيوجـب عـدم التفريـق بـين هـذين القسـمين، وإلغـاء توحيـد الألوهيـة الذي يندرج تحت توحيد الطلب.

3-إنَّ التغــاير فــي مفهــوم الألوهيــة والربوبيــة يظهــر مــن خــلال النصــوص الشــرعية، فمفهـوم الـرب، ومفهـوم الإلـه متغـايران، وكـون الـرب هـو عـين الإلـه فـي الأمـر نفسـه، وعنـد المسـلمين المخلصـين، لا يقتضـي اتحـاد مفهـوم توحيـد الربوبيـة، وتوحيـد الألوهيـة، ويظهـر الفـرق بـين الـرب والإلـه عنـد المشـركين مـن الأمـم الماضـية، أمثـال مشـركي العـرب؛ فهـم يقـرّون بربوبيـة الله تعـالى وملكيتـه، وغيرهمـا ويشـركون فـي الألوهيـة والعبـادة،[4] وحتـى فـي المشـركين فـي الأمـة الإسـلامية، يمكـن أن يوجـد توحيـد فـي الربوبيـة ولا يوجـد توحيـد فـي الألوهيــة،[5] وهـذا يُوجِـب المصـير إلـى التقسـيم عنـد أهـل السـنة والجماعـة، ولكـن ممـا ينبغـي التنبيـه إليـه أنَّ الربوبيـة والألوهيـة قـد يجتمعـان عنـد الإفـراد، وأحيانـاً يفترقـان، فمثـال مـا يجتمعـان فيـه: حـديث البـراء بـن عـازب، عَنِ النَّبـي صـلى الله عليـه وسـلم أنَّـه تـلا قولـه تعـالى: ﴿**يُثَبِّـتُ اللهُ الَّـذِينَ آمَنُـوا بِـالقَوْلِ الثَّابِـتِ فِي الحَيَـاةِ الـدُّنْيَا وَفِي الآخِـرَةِ**﴾ [إبـراهيم:27]، قـال: «**نزَلَـتْ فِـي عَـذَابِ الْقَبْـرِ، فَيُقَـالُ لَـهُ: مَـنْ رَبُّـكَ؟، فَيَقُـولُ: رَبِّـيَ اللهُ، وَنَبِيِّـي مُحَمَـد**

---

(1) انظر: آل عبد اللطيف، دعاوي المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب (ص328).

(2) انظر: ص208 من هذا البحث.

(3) انظر: ابن تيمية، الرسالة التدمرية (ص3،4).

(4) انظر: السهسواني، صيانة الإنسان (ص446،447).

(5) المصدر السابق، بتصرف (ص446،447).

صلى الله عليه وسلم،»[1] فالمعنى في الحديث من إلهك؛ لأنَّ الربوبية التي أقرَّ بها المشركون لا يُمتحن أحد بها، وكذلك في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللهُ﴾ [الحج:40]، ومن المواضع التي يفترقان فيها قوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ مَلِكِ النَّاسِ إِلَهِ النَّاسِ﴾ [الناس:1،2،3] فالربوبية في هذه الآية ليست قسيمة للألوهية، كما تكون قسيمة لها عند الاقتران.[2]

4-إنَّ المعنى اللغوي لكلمة (إله) هو "معبود،" وهذا المعنى متفق عليه بين معاجم اللغة العربية،[3] وقد استُعمل لفظ الإله في الشرع في ذات المعنى اللغوي، أي بمعنى معبود، قال تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ آَلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ [مريم:81،82]، ففسر اتخاذ الكفار آلهة من دونه هو عبادتهم تلك الآلهة، وقال تعالى: ﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آَلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ [الزُّخرف:45]، فالآلهة في الآية معبودات المشركين، وأمَّا الإطلاق الشرعي فلا يُطلق إلا على الله تعالى؛ لأنَّه مقيد بالاستحقاق، ولا يستحق العبادة إلا الله تعالى،[4] وأمَّا توحيد الربوبية فهو نسبة للرب، وهو اسم يشمل معاني كثيرةٍ، يدل كل واحد منها على فعل من أفعال الله تعالى التي يدبر بها أمر خلقه؛ ولذا فإنَّ فإطلاق توحيد الألوهية على توحيد العبادة، وتوحيد الربوبية على أفعال الله تعالى المتعدية هو من باب موافقة النصوص الشرعية واللغة، وأما أقسام التوحيد المبتدع فهو دخيل على العقيدة الإسلامية من التراث الفلسفي الكلامي، ولم يرد في الشرع، ولم تدل عليه اللغة.

إنَّ مسمى التوحيد يعني إثبات الوحدانية لله تعالى في إنشاء الخلق واختراعهم، وتوحيده تعالى في عباداتهم، وأمَّا المبتدعون فهم لا يعرفون توحيد العبادة، وإذا ذكروا

---

(1) [مسلم: صحيح مسلم، الجنة وصفة نعيم أهلها/ عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه، وإثبات عذاب القبر والتعوذ منه، 2201/4: ح2871].

(2) العبود، عقيدة محمد بن عبد الوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي، بتصرف (ج375/1).

(3) انظر: الجوهري، الصحاح (ج2224/6)، ابن فارس، مقاييس اللغة (ج127/1).

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير، بتصرف (ج134/1).

أفعـال المكلفـين، فهـم لا يتكلمـون فـي توحيـدها لـرب العـالمين، وإنَّمـا فـي قـدرة العبـد علـى وقوعها.[1]

ثانياً: الرد على الكليني في نفيه لأوصاف عن الله تعالى واعتبار ذلك من التوحيد:

1-إنَّ قولـه: إنَّ الله تعـالى لا يسـاوي الـذوات، فـي قبـول الاجتمـاع، والافتـراق، والتجـزؤ، والتغيـر، والفنـاء،[2] فيُقـال فـي الـرد عليـه: إنَّ مـا ذُكـر مـن عـدم المسـاواة وإنْ كـان حقًّـا، فإنَّـه لـم يـذكره فـي رواياتـه علـى الوجـه المحقـق، ولـم يـذكر دليلـه المقرر لـه، بـل مـا ذُكِـر هـو لازم ضـروري معلـوم، مـع مـا فـي مصـطلحاته مـن الإيهـام، وبيـان ذلـك: إنَّ الله تعـالى لا يجـوز عليـه مـن هـذه النقـائص شـيئاً، وهـي علـى قسـمين: **الأول:** مـا يسـاوي فيـه الـذوات، وهـو سـبحانه منـزّه عـن قليـل ذلـك وكثيـره، **والثـاني:** مـا يمكـن للعقـل أنْ يقـدّره مـن هـذه الأجنـاس، وهـو سـبحانه منـزّه عـن ذلـك أيضـاً، والفـرق بـين الأمـرين أنَّ مسـاواة الـذوات لا تكـون إلا فيمـا يُوجـد فيهـا حقيقـة، وأمـا مـا يقـدّره العقـل فـلا يجـب أن يكـون موجـوداً، وكـلا الأمـرين ممتنـع علـى الله تعـالى، وامتنـاع هـذه الأمـور عليـه سـبحانه ثابـت بـدون وجـود هـذه المحسوسـات، ومـع قطـع النظـر عـن وجودهـا، وإنَّمـا نَفـيُ ذلـك معلـوم مـن العلـم بكونـه قـديمًا واجـب الوجـود بنفسـه، حيًّـا قيومًـا، فـإنَّ مـا كـان قيومًـا، واجـب الوجـود بنفسـه، لـم تكـن ذاتـه قابلـة للعـدم؛ إذ الـذات القابلـة للعـدم، تقبـل العـدم والوجـود، فـإنْ كانـت غيـر ممكنـة لا تقبـل الوجـود كانـت ممتنعـة، والممكـن لذاتـه، والممتنـع لذاتـه، لا يكـون واجبًـا لذاتـه، ويُعلـم نفـي ذلـك أيضـاً: أنَّـه لـو قبـل التفـرق والمـرض، ونحـو ذلـك مـن التغيـرات، التـي هـي مقـدمات العـدم والفنـاء وأسـبابه، لـم يكـن حيًّـا قيومًـا صـمدًا، واجـب الوجـود بنفسـه؛ لأنَّ هـذه الأمـور، توجـب زوال مـا هـو داخـل فـي مسـمى ذاتـه، ولـو زال ذلـك لـم تكـن ذاتـه واجبـة الوجـود؛ ولـذا كـان تجـويز هـذا عليـه يسـتلزم تجـويز العـدم عليـه، كمـا هـو المعـروف فـي الأجسـام التـي يجـوز عليهـا ذلـك، فهـذه الـدلالات الشـرعية وأمثالهـا ممَّـا يُعلـم بــه تقدســه وتنزهــه عــن النقــائص، وتنزّهــه كــذلك بــيِّن فــي الفِطَــر والعقــول، والنصــوص الشــرعية ورد فيهــا نفــي الــنقص ودليلــه المقــرر لــذلك، وأمَّــا طريقــة الكلينــي فهــي طريقــة المتكلمين بذكر نفي النقص بعبارات مجملة، وبدون ذكر دليلها الشرعي.[3]

---

(1) الجهني، وجوه انحراف المتكلمين في مفهوم التوحيد، بتصرف (ص10،11).

(2) انظر: [الكليني: الكافي، كتاب التوحيد/ باب النهي عن الجسم والصورة، 105/1: ح6].

(3) انظر: ابن تيمية، بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (ج198/1،199).

2-إنَّ نفي الكليني لأوصافٍ مجملةٍ واعتباره من التوحيد باطل، وهو مخالف للنصوص الشرعية، فالله سبحانه وتعالى بعث رسله بإثبات مفصَّل، ونفي مجمل، فالرسل أثبتوا لله تعالى الصفات والأسماء على وجه التفصيل، ونفوا عنه ما لا يليق به من التشبيه إجمالاً، وأمَّا طريقة المبتدعين فهي أنَّهم يصفون الله تعالى بالصفات السلبية على وجه التفصيل، ولا يثبتون إلا وجوداً مطلقاً لا حقيقة له عند التحصيل، وإنَّما يرجع إلى وجود في الأذهان، ويمتنع تحققه في الأعيان، فقولهم يستلزم غاية التعطيل وغاية التمثيل، فإنَّهم يمثلونه بالممتنعات والمعدومات والجمادات، ويُعطِّلون الأسماء والصفات تعطيلاً يستلزم نفي الذات، وحرّفوا ما أنزل الله تعالى من الكتاب، وما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، ووقعوا في شرّ مما فروا منه، فإنَّهم شبهوه بالممتنعات؛ إذ سلب النقيضين كجمع النقيضين، كلاهما من الممتنعات.(1)

3-إنَّ ما لم يقم دليل بثبوته وعدمه من أوصاف لله تعالى لا يجوز نفيه ولا إثباته، فالفرق واضح بين عدم العلم، وبين العلم بالعدم، ومن الخطأ الاعتماد في النفي على عدم مجيء السمع به، فإنَّ القول: إنَّ ما جاء به السمع نثبته، دون ما لم يجئ به السمع غير صحيح، فالسمع هو خبر الصادق عمّا هو الأمر عليه في نفسه، فما أخبر به الصادق فهو حق سواء كان نفياً أو إثباتاً، والخبر دليل على المخبَر عنه، والدليل لا ينعكس، فلا يلزم من عدمه عدم المدلول عليه، فما لم يرد به السمع يجوز أن يكون ثابتًا في نفس الأمر، وإنْ لم يرد السمع بإثباته، ولم يكن قد نفاه، ومعلوم أنَّ السمع لم ينفِ كل هذه الأمور بأسمائها الخاصة، فلا بدَّ من دليل من السمع على ما ينفيه، وإلا فلا يجوز حينئذ نفيه، كما لا يجوز إثباته.(2)

4-إنَّ إثبات الرب بصفاتٍ سلبيةٍ تنكره الفطر، فإنَّ الإنسان لا يتصور الموجود معدومًا، بمعنى أن الله تعالى موجود فكيف نَصِفُه بصفاتٍ عدميةٍ؟!!!، فهذا تناقض، وكذلك فهو لا مدح فيه لما فيه من الأمور العدمية، وما يوضح هذا أنَّ كثيرًا من الخطباء إذا أخذوا يصفون الرب ويعظمونه بهذه الصفات السلبية، أخذت العامة – الذين لا يفهمون حقيقة ما يقولون، وإنَّما يستشعرون من حيث الجملة أنَّ هذا تعظيم للرب– يسبحونه ويمجدونه، فلولا أنَّهم تخيلوا وتوهموا أنَّ هذا السلب متضمن لوجود

---

(1) انظر: ابن تيمية، التدمرية (ص8،9،10،11).

(2) ابن تيمية، بيان تلبس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، بتصرف (ج334/1)، وانظر: المؤلف نفسه، التدمرية (ص137،138).

عظيم في الجملة، لَمَا اعتبروا ذلك تعظيماً، فعُلم أنَّهم لم ينكروه لما فيه من الأمور الوجودية، ولكن إذا فهموا حقيقة هذه الألفاظ، وما تشتمل عليه من الأمور العدمية، أنكروه حينئذ وردّته فطرتهم؛ لأنَّ السلب والعدم لا مدح فيه أصلًا ولا تعظيم، فعُلم أنَّه لا تعظيم في هذه الألفاظ عند من توهمها.(1)

5-لم يرد مدح الله تعالى بهذه الصفات السلبية في القرآن الكريم، ولم يكن النبي صلى الله عليه وسلم ولا الأنبياء ولا سلف الأمة يُعظِّمون الربَّ بشيءٍ من ذلك، بل أعظم ما نُقِلَ عن النبي صلى الله عليه وسلم في تعظيم الرب وتمجيده يوم قرأ على المنبر: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزُّمر:67]، فهذه الآية دلّت على عِظَمِ قدر الربِّ، الذي يقبض الأرض ويطوي السموات، وهذا وصف لأمور وجودية تقتضي عظمة القدر، بخلاف السُّلوب المحضة التي لا مدح فيها مطلقاً.(2)

6-إنَّ قوله بنفي التجزؤ والتبعّض على الله تعالى، يُورد عليه اعتراضاً وهو: على فرض أنَّ هناك حقائق غير متماثلة في الذات الإلهية، بل هي مختلفة، أو بعضها مختلف وبعضها غير مختلف، فهذا لا يضرّ؛ لأنَّ النصوص قد وردت بأسماء تقتضي حقائق غير متماثلة، كقوله تعالى: ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص:75]، وقوله تعالى: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الجَلَالِ وَالإِكْرَامِ﴾ [الرَّحمن:27]، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ [طه:39]، ومثل هذا كثير جداً.(3)

ثالثاً: الرد على الكليني في استخدامه الألفاظ المبتدعة في التوحيد:

1-إنَّ لفظ الجسم والعرض ونحو ذلك من الألفاظ الاصطلاحية، ألفاظ مبتدعة ومحدثة لم يقلْ بها النبي صلى الله عليه وسلم ولا السلف الصالح، فهم لم يتكلموا بها في حق الله تعالى لا بنفي ولا إثبات؛ لأنَّه قول على الله تعالى بلا علم؛ فلذلك هو

---

(1) ابن تيمية، بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، بتصرف (ج365/1)، وانظر: المؤلف نفسه، مجموع الفتاوى (ج62/2).

(2) ابن تيمية، بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، بتصرف (ج367،366/1).

(3) انظر: ابن تيمية، بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (ج153،152،151/4).

مذموم غاية الذم، ومن أسباب ذمهم للفظ الجسم والعرض ونحو ذلك ما في هذه الألفاظ من الاشتباه والتلبيس، والحق الذي لا محيد عنه أنَّ الله تعالى موصوف بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله صلى الله عليه، من أنَّ له علمًا وقدرة وسمعًا وبصرًا، ويدين ووجهًا وغير ذلك،[1] وأمَّا الألفاظ المبتدعة المجملة التي تنازع فيها المتأخرون، نفياً وإثباتاً، فهذه لا يُوافق على إثباتها ولا على نفيها، حتى يُعرف مرادهم بها، فإنْ أُريد بها حقاً قُبل، وإنْ أُريد باطلاً رُدّ، وإنْ اشتمل كلامه على حق وباطل لم يُقبل مطلقًا، ولم يُرد مطلقاً، بل يُتوقف في اللفظ حتى يُفسّر المعنى.

2- إنَّ عامة الألفاظ الاصطلاحية الواردة في الكافي فضلاً عن كونها مبتدعة، فإنَّه لا يُراد بها ما هو معروف في اللغة، بل أُريد بها معاني ابتدعوها بالكلام فيها نفيًا وإثباتًا،[2] وكل هذا باطل؛ لأنَّ الاستدلال بالقرآن إنَّما يكون بحمله على لغة العرب التي بها أُنزل، قال تعالى: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ [الشعراء:195]، فليس لأحدٍ أنْ يحمل ألفاظ القرآن على غير ذلك من عرفٍ عامٍ، واصطلاحٍ خاصٍ، بل لا يحمله إلا على اللغة التي نزل بها، فإذا كان من أهل الكلام من استعمل في لفظ الواحد والأحد والجسم وغير ذلك من الألفاظ معاني عنوها بها، إمَّا من المعنى اللغوي، أو أعم، أو مغايرًا له، لم يكن له أنْ يضع القرآن على ما وضعه هو، بل يضع القرآن على مواضعه التي بيَّنها الله تعالى لمن خاطبه القرآن الكريم بلغته، ومتى فعل غير ذلك كان ذلك تحريفًا للكلم عن مواضعه، ومن المعلوم أنَّه ما من طائفة إلا وقد تصطلح على ألفاظ يتخاطبون بها، والمتكلمون مختلفون في معاني ما ابتدعوه من مصطلحاتهم،[3] فمعلوم بداهةً أنَّ هذه الألفاظ لا يصح حمل القرآن عليها، فمثلاً: هم جعلوا ما وصف الله تعالى به نفسه من الصفات تركيباً، وهذا اصطلاح ابتدعوه، وحقيقة الأمر تعود إلى موصوف له صفات متعددة، والألفاظ وردت عن صاحب الشرع المعصوم كان لها حرمة، فلا يُلتفت إلى من أخذ بغير المعاني الصحيحة المعلومة بالعقل والشرع، واللجوء إلى عبارة مجملة تُوهم معاني فاسدة.[4]

---

(1) انظر: ابن تيمية، بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (ج372/1)، المؤلف نفسه، التدمرية (ص65).

(2) انظر: ابن تيمية، بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (ج192/3).

(3) انظر: المرجع السابق (ج128/3).

(4) انظر: ابن تيمية، الرد على المنطقيين (ص315).

3- إنَّ الألفاظ المبتدعة فيها من الإيهام والتلبيس مما يجعل فهم التوحيد أمراً صعباً، وقد أتت النصوص الشرعية بتنزيه الله تعالى بما يُغني عنها، فمثلاً: نفى المبتدعون التركيب عن الله تعالى، ولفظ المركب يُقال على ما ركّبه غيره، وعلى ما كانت أجزاؤه متفرقة فاجتمعت، وعلى ما يقبل مفارقة بعضه بعضاً، وهذه الأنواع الثلاثة منتفية عن ربِّ العالمين باتفاق المسلمين، فإنَّ الله تعالى أحد صمد، لا يتجزأ، ولا يتبعض، ولا ينقسم، وهذه المعاني منزّه عنها رب العالمين، بمعنى أنَّها معدومة، وأنَّها ممتنعة في حقه، فلا تقبل ذاته التفريق والتبعيض، بل ليس هو بأجوف، كما قال الصحابة والتابعون في تفسير الصمد، أنَّه الذي لا جوف له، وأكثر الناس عندما يسمعون هذه الألفاظ فيتبادر إلى أذهانهم تلك المعاني، وينفونها بفطرتهم، ولكن مراد المتكلمين - ومن حذا حذوهم بنفي ذلك- ليس هذا المعنى، وإنَّما يقصدون أنَّه لا يُشار إلى شيءٍ منه دون شيءٍ، ولا يتميز منه شيء عن شيء، ولا هو عين قائمة بنفسها يمكن أنْ يُشار إليها، ولا يمكن أيضًا أنْ يُرى منه شيء دون شيء، وأنَّه لا حد له ولا نهاية، أو يريدون أنَّه لا صفة له، إذ وجود الصفات تستلزم التجسيم والتجزئة والتركيب على حد زعمهم، وهؤلاء ينفون التجسيم والتشبيه، ومرادهم إثبات موجود مطلق مجرد عن الصفات والمقادير،(1) وبتقدير أنْ تكون تركيباً كما يدَّعونه فلا دليل لهم على نفيها، بل الدليل يقتضي إثبات المعاني التي سمَّيتموها تركيباً،(2) ثم إنَّهم قد قالوا: إنَّ لله تعالى اسماً ومسمَّى، وهناك صفة وموصوف لرب العالمين، فيُقال لهم: أليس هذا تركيباً، فهذه معانٍ متعددة متغايرة في العقل وهذا تركيب، وأنتم تثبتونه وتسمونه توحيدًا، فإنْ قالوا هذا توحيد في الحقيقة، وليس هذا تركيبًا ممتنعًا، قيل لهم: واتصاف الذات بالصفات اللازمة لها توحيد في الحقيقة، وليس هو تركيبًا ممتنعًا.(3)

4-إنَّ الاعتماد على الألفاظ والأدلة المبتدعة مثل: القول بالجوهر والفرد هو في غاية الفساد، وهو من أخبث الكلام المذموم، ومثل هذه الحجج لا تصلح للمسائل الظنية، فكيف تصلح لأصول الدين وقواعد الإيمان؟، ومع ذلك فهم يُوهمون الناس أنَّ عدم

---

(1) انظر: ابن تيمية، بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (ج129/3،130)، المؤلف نفسه، الرد على المنطقيين (ص315).

(2) انظر: ابن تيمية، الصفدية (ج105/1)، المؤلف نفسه، الفتاوى الكبرى (ج6/ 536).

(3) انظر: ابن تيمية، التدمرية (ص41).

القول بها يقدح في قاعدة من قواعد الدين، وليس الأمر كذلك،[1] وباعتراف علمائهم أنَّ الأخذ بمثل هذه الأصول من البدع التي تقدح في التوحيد، فقد قال المجلسي: "وفي قريب من عصرنا لمَّا ولع الناس بمطالعة كتب المتفلسفين، ورغبوا عن الخوض في الكتاب والسنة وأخبار أئمة الدين، وصار بُعْد العهد عن أعصارهم عليهم السلام سبباً لهجر آثارهم، وطمس أنوارهم، واختلطت الحقائق الشرعية بالمصطلحات الفلسفية، صارت هذه المسألة معترك الآراء، ومصطدم الأهواء، فمَال كثير من المتسمين بالعلم المنتحلين للدين، إلى شبهات المضلين، وروَّجوها بين المسلمين فضلوا وأضلوا، وطعنوا على أتباع الشريعة حتى ملوا وقلوا،"[2] فإذا كانوا هم من يقدح بمثل هذه الأصول، إذن فالقدح فيها لا يضر، وإنْ كانت هذه الأدلة من أصول دين المسلمين، فهم من أعظم الناس هدماً لها بمثل هذا الكلام.[3]

رابعاً: الرد على الكليني في معتقده في الصفات الفعلية:

عبَّر الكليني عن أفعال الله تعالى بمصطلح الصفات الفعلية، وهذا خطأ واضح، **فالصفة:** هي نعت كمالٍ ثابتٍ في النقل، قائم بذات الله تعالى، لا يقوم بنفسه، ولا ينفصل عن الموصوف، **والصفة الذاتية الفعلية:** هي كل وصف كمالٍ قائمٍ بذات الله تعالى، ثابت في النقل، وبالنظر إلى نوعها نجد أنَّ الله تعالى، لم يزل ولا يزال متصفاً بها، فهي لازمة لذاته، وإذا نظرنا إلى آحادها وجدنا أنها تتعلق بمشيئته تعالى، (وآحاد الصفة الفعلية هو الفعل) ومثالها: كلام الله تعالى، فإنَّه باعتبار نوعه من الصفات الذاتية؛ لأنَّ الله تعالى لم يزل ولا يزال متكلماً، فكلامه من كماله الواجب له سبحانه وتعالى، وباعتبار آحاد الكلام الذي يتكلم به سبحانه تعالى متى شاء فهو من الصفات الفعلية؛ لأنَّه كان بمشيئته سبحانه وتعالى،[4] وهناك وجه اتفاق بين الصفة والفعل، ولكن يوجد خلاف أيضاً بينهم، **فالفعل:** فهو كل وصف كمالٍ ثابتٍ في النقل،

---

(1) انظر: ابن تيمية، بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (ج4/73).

(2) المجلسي، بحار الأنوار (ج54/234).

(3) انظر: ابن تيمية، بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (ج4/73).

(4) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج6/268) (ج16/272،373،374)، ابن القيم، شفاء العليل (ص272)، المؤلف نفسه، مدارج السالكين (ج1/87)، الرشيد، التنبيهات السنية على العقيدة الواسطية (ص81،82،83)، موقع شبكة الألوكة، تعريف الأسماء الحسنى والفرق بين الاسم والوصف والفعل.

يتعلق بمشيئته وقدرته سبحانه وتعالى، ولكنه يرتبط بزمانٍ ومكانٍ بخلاف الصفة، فهي لا تتعلق بزمانٍ ولا مكانٍ، وكذلك فالفعل هو آحاد الصفات الفعلية، وهو حادث، والفعل هو لازم الصفة ومتعلقها، والمفعول هو لازم الفعل ومتعلقه، ومتعلق الفعل – وهو المفعول–مخلوق، ولا يتعلق بذات الله تعالى، وأما متعلق الصفة –وهو الفعل– فهو قائم بذات الله تعالى وغير مخلوق.

1–إنَّ تناقض روايات الكافي في صفات الله تعالى الفعلية أكثر من أنْ يُحصى، فقد ذكر في توحيد الذات أنَّه لا تعدد ولا تكثر في الذات، أي أنَّ صفاته تعالى هي عين ذاته، وهذا لفظ عام يستغرق جميع أفراده، فيدخل فيه الصفات الفعلية والصفات الذاتية؛ ولأنَّ الكليني قد عبر عن أفعال الله تعالى بمصطلح الصفات الفعلية فسيتم الحديث عن تناقض الصفات بشكل عام ثم تطبيق ذلك على الصفات الفعلية، وبذلك يظهر تناقضه في الصفات الفعلية التي جعلها أفعال الله تعالى.

لقد أكَّد الكليني في روايات كثيرة أنَّ الله تعالى يسمع بالذي يبصر به؛ لأنَّ تعدد الصفات بمنزلة تعدد الذات، وهو من أعظم الكفر،(1) ولكن هناك روايات تثبت التغاير بين الصفات ومعانيها، وأنَّها مغايرة للذات، **وتفصيل ذلك على النحو التالي:**

أ–الروايات التي تفيد التغاير بين الصفات والذات، ومنها أنَّ هشام بن الحكم سأل جعفراً رحمه الله عن أسماء الله تعالى واشتقاقها فقال: "يا هشام الله مشتق من إله، والإله يقتضي مألوهاً، والاسم غير المسمى.....إنَّ لله تسعة وتسعين اسماً، فلو كان الاسم هو المُسمَّى لكن كل اسم منها إلهاً،"(2) فهذه الرواية واضحة في التغاير بين الذات والأسماء، وورد في رواية أخرى: "إنَّ الأسماء صفات وصف بها نفسه،"(3) وكذلك ورد في رواية أنَّ الاسم هو "صفة لموصوفٍ،"(4) أي أنَّ الأسماء هي

(1) انظر: [الكليني: الكافي، التوحيد/ آخر وهو من الباب الأول، 1/109–108: ح1].

(2) [الكليني: الكافي ، التوحيد/ المعبود، 1/88: ح3]، وهناك روايات أخرى تفيد التغاير بين الأسماء والذات، انظر: [المصدر السابق، التوحيد/ المعبود، 1/87: ح1/ حدوث الأسماء، 1/113: ح4].

(3) [المصدر السابق، التوحيد/ المعبود، 1/88: ح3]، ولمعرفة الروايات التي ذكر فيها أن الأسماء والصفات شئ واحد، انظر: [المصدر السابق، التوحيد/ معاني الأسماء واشتقاقها، 1/114: ح7].

(4) [المصدر السابق، التوحيد/ حدوث الأسماء، 1/113: ح3].

الصـفات، وبمـا أنَّ الأسـماء مغـايرة للـذات، إذن فالصـفات مغـايرة للـذات؛ وبهـذا يكـون الكليني قد تناقض في رواياته أعظم تناقض.

وهـذا الحكـم يشـمل الصـفات الفعليـة، فكل صـفةٍ تقوم بـذات الله تعـالى مغـايرة لبـاقي الصـفات، ولكـن هـذه الصـفة لا تقـوم بغيرهـا، فالمشـيئة غيـر الإرادة وغيـر الخلـق، وهـي قائمـة بـذات الله تعـالى، ولكـن هـذه الصـفات لا تقـوم بنفسـها، فنكـون أثبتنـا المعتقـد الصحيح من خلال روايات الكليني، وبذلك يتبين فساد مذهبه بسبب تناقضه.

ب- إنَّ اخـتلاف معـاني الصـفات وتغايرهـا يقتضـي أنَّهـا متعـددة، وحتـى يكـون كـلام الكلينـي متسـقاً يجـب أنْ يقـول إنَّ كـل صـفات الله تعـالى كلهـا بـنفس المعنـى؛ لأنَّ اخـتلاف المعنـى يقتضـي التعـدد، **ففـي صـفات الله تعـالى الفعليـة يجـب أنْ لا يُقـال كـل الصــفات بمعنــى واحــد**؛ لأنَّ اخـتلاف معـاني الأشـياء يقتضـي التغـاير بينهـا، فينبغـي أنْ يُقـال إنَّ الله تعـالى يخلـق بالـذي يشـاؤه، ويشـاء بالـذي يعلـم بـه، حتـى لا يكـون تبـاين بـين الصـفات الذاتيـة والفعليـة مـن جهـة، وبـين الـذات مـن جهـة أخـرى، وهـذا بخـلاف مـا ذكـره الكلينـي كمـا مـرَّ فـي رواياتـه، وكـذا اخـتلاف الصـفات فـي القـدم والحـدوث يـدل علـى تغايرهـا، فـإنَّ قـول الكلينـي: إنَّ الصـفات هـي عـين الـذات فلازمـه أنْ تكـون قديمـة كلهـا، أو حادثـة كلهـا، فاختلافهـا فـي القـدم والحـدوث يعنـي أنَّ كـل صـفة ليسـت هـي عـين الأخـرى، والصـفات الفعليـة حادثـة عنـد الكلينـي مثـل المشـيئة والإرادة، فقـد ذكـر: "المشـيئة محدثـة،"[(1)] ومـن الصـفات القديمـة العلـم والقـدرة؛ حيـث أورد: "لـم يـزل الله عالمـاً قـادراً ثـم أراد."[(2)]

2-القـول إنَّ بعـض صـفات الله تعـالى حادثـة يعنـي أنَّ الله تعـالى متصـف بـالحوادث، وقولـه: إنَّ صـفات الله تعـالى مخلوقـة يعنـي أنَّ ذاتـه تعـالى قـد حلّـت فيهـا المخلوقـات، فكيـف يُعقـل أن تكـون الـذات قديمـة غيـر مخلوقـة، وتتصـف بصـفاتٍ حادثـةٍ مخلوقـةٍ؟!!!، ومـن المعلـوم ضـرورة أنَّ الصـفة تقـوم بالـذات، فكيـف تكـون الصـفات الحادثـة هـي عـين الصـفات القديمـة، وتكـون قائمـة بالـذات القديمـة؟!!، ولـو فُـرض صـحة الكـلام لاقتضـى نقـض مـذهبهم القائـل بعـدم مغـايرة الـذات للصـفات؛ لأنَّ الـذات كانـت فـي زمـان غيـر

(1) [الكليني: الكافي، التوحيد/ الإرادة وأنها من صفات الفعل، وسائر صفات الفعل، 110/1: ح7].

(2) [المصدر السابق، التوحيد/ الإرادة وأنها من صفات الفعل، وسائر صفات الفعل، 109/1: ح1].

متصفة بصفاتها الحادثة، وبعد ذلك اتصفت بهذه الصفات الحادثة، فكيف يُقال بعد ذلك: إنَّ الصفات متحدة لا تغاير فيها وهي عين الذات؟!!!.

3- إنَّ المشيئة صفة من صفات الله تعالى الفعلية، وقد جعلها الكليني فعل الله تعالى وإحداثه، ولكن التناقض الكبير الذي ذُكر فيها يجعل من الصعب فهم هذه الصفة، فأورد في رواية: "إنَّ الله خلق المشيئة بنفسها، ثم خلق الأشياء بالمشيئة،"[1] فعلى كل تقدير تكون المشيئة في هذه الرواية ليست من صفات الله تعالى، فقولهم: إنَّ المشيئة في الرواية السابقة صفة لا يقوله عاقل، ثمَّ إنَّ هذا مخالف للقرآن، قال تعالى: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [البقرة:117]، فالله تعالى إذا أراد شيئاً فإنَّه يكون كما أراده الله تعالى بدون تراخي ولا مهلة، وأمَّا على تأويل رواية الكافي فإنَّ الله تعالى إذا أراد خلق شيءٍ فإنَّ المشيئة تكون واسطة بين الله تعالى وبين هذا الشيء، ويكون الخلق بها بعد أن يتعلق الجعل بماهية ذلك الشيء، والماهية تكون موجودة قبل المشيئة، وهذا عين المخالفة لآيات القرآن.

4-يجب أن تكون صفات الله تعالى الفعلية قائمة بذاته تعالى، فلا يصح أنْ يُقال: إنَّ الله تعالى يشاء ويريد ويخلق دون أن تكون هذه الأفعال صادرة عن صفات قائمة بالذات، وأمَّا نفيهم للصفات فمخالف للمعقول؛ لأنَّ إطلاق المشتق على ذاتٍ لا يصح بدون قيام مبدئها به؛ إذ الضارب إنَّما يُطلق على ذاتٍ قامت بالضرب، وبدون قيامها به لا يصح إطلاق المشتق عليها.[2]

5-إنَّ القول بأنَّ إرادة الله تعالى حادثة، وأنَّ كثيراً من الموجودات يوجد بلا إرادته كالشرور والمعاصي والفسوق والكفر ونحوها، يعني أنَّ إرادته تعالى ليست عامة لجميع الكائنات، وهذا كله باطل يردُّه آيات كثيرة من الكتاب، منها قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدِ اللهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة:41]، فلو أراد إيمانهم لزم التناقض في

(1) [الكليني: الكافي، التوحيد/ الإرادة وأنها من صفات الفعل، وسائر صفات الفعل، 110/1: ح4]
(2) انظر: الدهلوي، مختصر التحفة الإثنى عشرية (ج80/1).

الآيـة، ومثالـه أيضـاً: ﴿وَمَـنْ يُـرِدْ أَنْ يُضِـلَّهُ يَجْعَـلْ صَـدْرَهُ ضَـيِّقًا حَرَجًـا كَـأَنَّمَا يَصَّـعَّدُ فِي السَّـمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام:125]، وغيرها كثير.[1]

إنَّ المعتقـد الصـحيح فـي المشـيئة مـا نصَّـت عليـه النصـوص الشـرعية، فتـارة يـرد الخبـر أنَّ كـل مـا فـي الكـون بمشـيئته، وتـارة أنَّ مـا لـم يشـأ لـم يكـن، وتـارة أنَّـه لـو شـاء لكـان خـلاف الواقـع، وأنَّـه لـو شـاء لكـان خـلاف القدر الـذي قـدَّره الله تعـالى وكتبـه، وأنَّـه لـو شـاء مـا عُصـي، وأنَّـه لـو شـاء لجمـع خلقـه علـى الهـدى، وجعلهـم أمـة واحـدة، فتضـمن ذلـك أنَّ الواقـع بمشـيئته، وأن مـا لـم يقـع فهـو لعـدم مشـيئته، وهـذا حقيقـة الربوبيـة، وهـو معنـى كونـه رب العـالمين، وكونـه القـائم بتـدبير عبـاده، فـلا خلـق ولا رزق ولا عطـاء ولا منـع ولا قـبض ولا بسـط ولا مـوت ولا حيـاة إلا بعـد إذنـه، وكـل ذلـك بمشـيئته وتكوينـه؛ إذ لا مالـك غيـره، ولا مـدبر سـواه، ولا رب غيـره،[2] فمشـيئته سـبحانه متعلقـة بخلقـه وأمـره الكـوني، وكـذلك تتعلـق بمـا يحبـه وبمـا يكرهـه؛ فكلـه داخـل تحـت مشـيئته، فمشـيئته سـبحانه شـاملة لـذلك كلـه، وهـي الموجبـة لكـل موجـود، كمـا أنَّ عـدم مشـيئته موجـب لعـدم وجـود الشـيء، فهما الموجبتان فما شاءه الله تعالى وجب وجوده، وما لم يشأه وجب عدمه.[3]

خامسـاً: الـرد علـى الكلينـي فـي دعـواه أنَّ صـفات الفعـل منتزعـة مـن مقـام فعلـه تعالى[4]:

إنَّ مـا زعمـه الكلينـي بـأنَّ صـفات الفعـل منتزعـة مـن مقـام فعـل الله تعـالى يعنـي أنَّ صـفاته تعـالى لا تقـوم بذاتـه، واتصـافه بهـا لا يتحقـق إلا بعـد صـدور الفعـل منـه، وهـذا زعم باطل، وتوضيح ذلك كما يلي:

1- إنَّ هـذا المعتقـد مخـالف للنصـوص الشـرعية، فقـد ورد فـي كثيـرٍ مـن الآيـات الكريمـة أسـماء وصـفات فعليـة مشـتقة مسـندة إليـه تعـالى، ومثالـه صـفة الإبـداع، قـال تعـالى: ﴿بَـدِيعُ السَّـمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [البقـرة: 117]، وصـفة الإحيـاء، قـال تعـالى: ﴿وَاللَّهُ يُحْيِـي وَيُمِيـتُ﴾[آل عمـران: 156]، والخلـق، قـال تعـالى: ﴿هُـوَ اللَّهُ الْخَـالِقُ الْبَـارِئُ

(1) انظر: الدهلوي، مختصر التحفة الإثنى عشرية (ج83/1).

(2) انظر: ابن القيم، شفاء العليل (ص44).

(3) انظر: المصدر السابق (ص48).

(4) والمقصـود أنَّ الله تعـالى اتصـف بصـفاته الفعليـة بعـد وجـود لازمهـا وأثرهـا كمـا مـرَّ، انظـر:81 مـن هذا البحث.

﴿الْمُصَوِّرُ﴾[الحشر: 24]، وغيرها كثير، فالله تعالى متصف بصفات الأفعال، وصفات الأفعال قائمة بمن فعلها، والأسماء المشتقة منها دالة على صفة في المحل المسمى بها،[1] ولا يجوز أنْ يُعتقد بأنَّ الله تعالى اتصف بصفة بعد أنْ لم يكن متصفاً بها؛ لأنَّ صفاته تعالى صفات كمالٍ، وفقدها نقص، ولا يجوز أنْ يتصف الله تعالى بالكمال بعد أنْ كان متصفاً بضده.

2- إنَّ العقل ينفي وجود صفة غير قائمة بالموصوف، فقولهم: إنَّ المريد لا تكون إرادته قائمة به، قولُ لا يُعقل، ولا يُعرف لغة، بالإضافة إلى مخالفته لنفسه، إذ كيف يعقل فعل لا يقوم بفاعله؟!، أو كيف يصدر فعل عن فاعله دون أنْ يكون قائماً بذاته؟!، فكل عاقلٍ يُدرك الفرق بين الخلق والتكوين، وبين المخلوق والمُكوَّن المنفصل عن الرب عزَّ وجل، ولا يقول عاقل إنَّ المخلوق صفة لله عزَّ وجل.[2]

3- إنَّ قول الكليني وأتباعه بأنَّ اتصاف الله تعالى بصفات الأفعال لا يتحقق له جلَّ وعلا إلا بعد صدور الفعل منه، يعني بأنَّ الله تعالى استفاد الكمال من غيره، أي أنَّ الله تعالى ليس غنياً بذاته وصفاته،[3] قال تعالى: ﴿أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر: 15]، وهو كذلك يتعارض مع ما ذهب إليه الشيعة في وصف الله تعالى بالصفات السلبية، وحجتهم في ذلك إثبات التنزيه المطلق لله تعالى، وأنَّه تعالى غني غنىً مطلقاً.[4]

4- لقد ورد في الكافي روايات تنقض هذا المعتقد، وذُكر فيها المعتقد الصحيح، ومنها ما ورد أنَّ الله تعالى: "عالم إذ لا معلوم، وخالق إذ لا مخلوق، ورب إذ لا مربوب، وكذلك يُوصف ربنا، وفوق ما يصفه الواصفون،"[5] فالله تعالى موصوف بأنّه الرب قبل أنْ يُوجِد الخلائق، والرب يقتضي معاني كثيرة، مثل: المُلك والحفظ والتدبير

---

(1) انظر: ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية (ص290،49).

(2) انظر: ابن تيمية، منهاج السنة النبوية (373/2، 378).

(3) انظر: المصدر السابق (ص54-57).

(4) انظر: الشيرازي، مكارم، الأمثل في تفسير الكتاب المنزل (ج50/1)، الخوئي، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة (ج361/4).

(5) [الكليني، الكافي، التوحيد/ جوامع التوحيد، 141/1: ح6].

والتربيـة، أي أنَّـه سـبحانه وتعـالى موصـوف بهـذه الصـفات قبـل وجـود متعلقهـا، ولـم يسـتفد صفاته سبحانه وتعالى من مقام فعله.(1)

سادساً: الرد على الكليني في مذهبه في الحكم والغايات:

إنَّ تنـاقض الكلينـي فـي مسـألة العلـل والغايـات فـي أفعـال الله تعـالى هـو أوضـح دليـل علـى فسـاد مذهبـه، وقـد حـاول علمـاء الشـيعة أنْ يجـدوا مخرجـاً للروايـات التـي أُثبتـت فيهـا العلـل، والروايـات التـي نفتهـا، والروايـات التـي أُثْبِتـت فيهـا العلـل هـي الصـواب، وأمـا مذهب نفي العلل فهو مذهب ظاهر الفساد، لوجوهٍ كثيرةٍ، ومنها:

1-قـول الكلينـي وشـيعته: إنَّ كـل مـن فَعَـل لغَـرَضٍ يكـون ناقصـاً بذاتـه مسـتكملاً بغيـره، فـإنْ كـان معنـى قـولهم: إنَّ إثبـات العلـل يقتضـي أنْ يكـون الله تعـالى ناقصـاً، أي أنَّـه كـان عادمـاً لشـيءٍ مـن الكمـال الـذي لا يجـب أنْ يكـون عادمـاً لـه قبـل حـدوث ذلـك المـراد، فهـذه الـدعوى باطلـة؛ لأنَّـه لا يلـزم مـن فعلـه تعـالى لغَـرَضٍ، حصـوله أولـى مـن عدمـه، أنْ يكـون عادمـاً لشـيءٍ مـن الكمـال الواجـب قبـل حـدوث المـراد، فإنَّـه يُمتنـع أنْ يكـون كمـالاً قبـل حصـوله، أمـا إنْ عَنَـوا أنَّ إثبـات العلـل يقتضـي أنْ يكـون الله تعـالى عادمـاً لمـا لـيس كمـالاً قبـل وجـوده، فهـذا أيضـاً باطـل؛ لأنَّ مـا لـيس بكمـالٍ فـي وقـتٍ لا يكـون عدمـه نقصـاً، فمـا كـان قبـل وجـوده عدمـه أولـى مـن وجـوده، وبعـد وجـوده صـار وجـوده أولـى مـن عدمـه، لـم يكـن عدمـه قبـل وجـوده نقصـاً، ولا وجـوده بعـد عدمـه نقصـاً، بـل الكمـال عدمـه قبـل وقـت وجـوده، وجـوده وقـت ووجـوده، ولـذلك فـالحِكَم والغايـات فـي هـذا النـوع وجودهـا وقـت وجودهـا هـو الكمـال، وعـدمها حينئـذٍ نقـص، وعلـى هـذا فالنـافي هـو الـذي نسـب النقص إلى الله تعالى لا المثبت.(2)

2-إنَّ قـول الكلينـي أنَّ إثبـات العلـل نقصـاً؛ لأنَّـه يلـزم أنْ يكـون الله تعـالى مسـتكملاً بغيـره، فهـل يقصـد بـذلك أنَّ الحكمـة التـي يجـب وجودهـا إنَّمـا حصـلت لـه مـن شـيءٍ خـارج عنـه، أم يعنـي أنَّ تلـك الحكمـة نفسـها غيـرٌ لـه سـبحانه وتعـالى، وهـو مسـتكمل بهـا، فكـلا المعنيـين باطـل، فإنَّـه سـبحانه وتعـالى، لـم يسـتفد مـن غيـره كمـالاً بوجـهٍ مـن الوجـوه، بـل العـالم كلـه إنَّمـا اسـتفاد الكمـال الـذي فيـه منـه سـبحانه وتعـالى، وهـو لـم يسـتفد كمالـه مـن غيـره، كمـا لـم يسـتفد وجـوده مـن غيـره، والحكمـة هـي صـفة الله سـبحانه وتعـالى، وصـفاته

(1) انظر: ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية (ص92).

(2) انظر: ابن القيم، شفاء العليل (ص206،207).

ليست غيراً لـه، فـإنَّ حكمتـه سبحانه وتعـالى قائمـة بـه، وهـو الحكيم الـذي لـه الحكمـة، كما أنَّـه العلـيم الـذي لـه العلـم، فثبـوت حكمتـه لا يسـتلزم اسـتكماله بغيـرٍ منفصـلٍ عنـه، كمـا أنَّ كماله سبحانه وتعالى بصفاته، وهو لم يستفدها من غيره.(1)

3- إنَّ الله سـبحانه وتعـالى إذا كـان إنَّمـا يفعـل لأجـل أمـرٍ هـو أحـب إليـه مـن عدمـه، وحصـل مـراده الـذي يحبـه، وفعـل لأجلـه فهـذا غايـة الكمـال، وعدمـه هـو الـنقص، فـإنَّ مـن كـان قـادراً علـى تحصـيل مـا يحبـه، وفَعَلَـه فـي الوقـت الـذي يحـب علـى الوجـه الـذي يحـب فهو الكامل حقاً.(2)

4-العقـل الصـريح يقضـي بـأنَّ مـن لا حكمـة لفعلـه، ولا غايـة يقصـدها مـن فعلـه أولـى بـالنقص ممـن يفعـل لحكمـةٍ كانـت معدومـة ثـم صـارت موجـودة فـي الوقـت الـذي أراده، فكيـف يسـوغ لعاقـلٍ أنْ يقـول فعْـل الله تعـالى لحكمـةٍ يسـتلزم الـنقص، والكمـال ألا يفعـل لحكمة؟!!.(3)

5-إنَّـه مـا مـن محـذورٍ يلـزم مـن تجـويز فعْلـه سـبحانه وتعـالى لحكمـةٍ إلا والمحـاذير التـي يلـزم مـن كونـه يفعَلهـا لغيـر حكمـة أعظـم امتناعـاً، فـإن كانـت تلـك المحـاذير غيـر ممتنعـة كانـت محـاذير إثبـات الحكمـة أولـى بعـدم الامتنـاع، وإنْ كانـت محـاذير إثبـات الحكمـة ممتنعـة، فمحـاذير نفيهـا أولـى، ومـن المعلـوم أنَّ فعـل الحـي العـالم الاختيـاري لا لغايـةٍ ولا لغـرضٍ يـدعوه إلـى فعلـه لا يُعقـل، ولهـذا لا يصـدر ذلـك إلا مـن مجنـونٍ أو نـائمٍ؛ فالحكمـة والعلـة الغائيـة هـي التـي تجعـل المريـد مريـداً؛ فـإنَّ الفاعـل إذا علـم بمصـلحة الفعـل ونفعـه وغايتـه انبعثـت إرادتـه إليـه، فـإذا لـم يعلـم فـي الفعـل مصـلحة، ولا كـان لـه فيـه غـرض صـحيح، ولا داعٍ يـدعوه إليـه، فهـذا الـذي لا يعقلـه العقـلاء، وحينئـذٍ فنفـي الحكمـة والعلـة والغايـة عـن فعـل أحكـم الحـاكمين نفـي لفعلـه الاختيـاري فـي الحقيقـة، وذلـك أنقـص النقص.(4)

والكلينـي فـي ردِّه لظـواهر نصـوص التوحيـد اعتمـد علـى قيـاس الغائـب علـى الشـاهد، وإنَّ قيـاس الغائـب علـى الشـاهد مـن غيـر جـامع باطـل، وفسـاده ظـاهر؛ لأنَّ

---

(1) ابن القيم، شفاء العليل ، بتصرف (ص206،207).

(2) المصدر نفسه، بتصرف (ص208).

(3) انظر: المصدر نفسه (ص209).

(4) انظر: ابن القيم، شفاء العليل (ص209).

هنـاك فـوارق مثـل وجـوب وجـود أحـدهما وقدمـه وغنـاه وغيـر ذلـك، دون الآخـر، وهـذا يُقـال فـي سـائر الأقيسـة الفاسـدة، ولـيس معهـم حجـة علـى عمـوم مسـائلهم فـي التوحيـد سـوى هـذا القياس الفاسد.(1)

ولــذلك فنجــد أنَّ المتكلمــين علــى اخــتلاف مقــالاتهم فــي قيــاس الغائــب علــى الشـاهد مضـطربون، كـل مـنهم يسـتعمله فيمـا يثبتـه، وينكـره فيمـا ينفيـه، وإنْ كـان ذلـك فيمـا ينفيـه أولـى ممـا أثبتـه، ويـردُّ علـى منازعـه فيمـا اسـتعمله مـن القيـاس، وإنْ كـان قـد اسـتعمله هـو فـي موضـع آخـر مـا هـو دونـه، وسـبب ذلـك أنَّهـم لـم يمشـوا علـى أصـلٍ صـحيحٍ جـامعٍ، بــل صــار قبــولهم وردهــم هــو بحســب الظــن، لا بحســب مــا يســتحقه القيــاس العقلــي الصحيح.(2)

وخلاصــة الــرد علــى بــدع الكلينــي فــي التوحيــد: إنَّ الثابـت عـن النبـي صـلى الله عليـه وسـلم وعـن صـحابته الكـرام أنَّهـم لـم يخوضـوا فـي مثـل هـذه البـدع، ومـا يتعلـق بـذلك مـن مباحـث المتكلمـين الـذين سـار الكلينـي علـى مـنهجهم فـي التوحيـد، ومـن رغـب عـن طريقـة النبـي صـلى الله عليـه وسـلم فكفـاه ضـلالاً أنَّـه شـاقَّ الله تعـالى ورسـوله صـلى الله عليـه وسـلم، واتَّبـع غيـر سـبيل المـؤمنين، والله تعـالى يقـول: ﴿ **وَمَـنْ يُشَـاقِقِ الرَّسُـولَ مِـنْ بَعْـدِ مَـا تَبَـيَّنَ لَـهُ الْهُـدَى وَيَتَّبِـعْ غَـيْرَ سَـبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّـهِ مَـا تَـوَلَّى وَنُصْـلِهِ جَهَـنَّمَ وَسَـاءَتْ مَصِـيرًا** ﴾ [النساء:115]، ولـو لـم يكـن فـي الكـلام إلا مسـألة –هـي مـن مبادئـه– لكـان حقيقـاً بالــذم، وهــو قــول جماعــة مــنهم أنَّ مــن لــم يعــرف الله تعــالى بــالطرق التــي رتَّبوهــا، والأبحـاث التـي حرروهـا لـم يصـح إيمانـه، حتـى اعتُـرض علـى بعضـهم: إنَّ هـذا يلـزم منـه تكفيـر أبيـك وأسـلافك وجيرانـك، فقـال: لا تشـنع علـيَّ بكثـرة أهـل النـار، وقـد رُدَّ علـيهم بوجـهٍ مـن الـرد النظـري، وهـو أنَّ القائـل بـذلك كـافر شـرعاً لجعلـه الشـك فـي الله تعـالى واجبـاً، ويقتضـي أنَّ معظـم المسـلمين كفـار، ويـدخل فـي عمـوم كلامهـم السـلف الصـالح مـن الصـحابة والتـابعين، وهـذا معلـوم الفسـاد مـن الـدين بالضـرورة، وإلا فلـو كـان كلامهـم صحيحاً فلا يوجد في الشرعيات ضروري.(3)

---

(1) انظر: ابن تيمية، بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (ج159/4).

(2) انظر: المصدر السابق، (ج326/2)،(ج345/2)،(ج327/3).

(3) انظر: الوَلَّوي، ذخيرة العقبى في شرح المجتبى (ج215/37).

خلاصة المبحث:

إنَّ الأحاديث التي تتحدث عن توحيد الربوبية في صحيح البخاري كانت تدور حول إفراد الله تعالى بأفعاله المتعدية، وذكْر لوازم هذه الأفعال، وكانت مطابقة للقرآن الكريم، ونجد أنَّ الإمام البخاري رحمه الله قد استدل كثيراً بالآيات القرآنية، وأما الكليني فكان معتقده في ربوبية الله تعالى هي خلاصة بدع كلامية لم يدل عليها القرآن الكريم لا من قريب ولا من بعيد، وكان في عرضه لأفعال الله تعالى صعوبة وتكلف مذموم، وهذا فضلاً عن التناقض الكبير في كل مسائله، وقد كان اهتمام الكليني هو إثبات بعض أفعال الله تعالى بطريقة كلامية، وجعل ذلك هو أساس الدين.

المبحث الثاني

نواقض توحيد الربوبية بين البخاري والكُلَيني

المطلب الأول

نواقض توحيد الربوبية عند البخاري

إنَّ التوحيد هو رأس العدل وقوامه، ولقد خلق الله تعالى الخلق ليعبدوه ويُوحدوه، وأرسل رسله، وأنزل كتبه، ليقوم الناس بالقسط، والشرك بالذات منافٍ لهذا المقصود؛ ولذا كان أكبر الكبائر،[1] بل هو شرك عظيم؛ لأنَّه يتضمن القدح في رب العالمين، وتسوية الخالق بالمخلوق،[2] والله تعالى حرَّم الجنة على كل مشركٍ، وأباح دمه وماله، وأَبَى الله تعالى أنْ يقبل من مشركٍ عملاً، أو يقبل فيه شفاعةً، أو يستجيب له دعوةً،[3] وقد أورد البخاري رحمه الله في صحيحه أحاديث كثيرة تُحذِّر من الشرك،[4] وتبين عاقبته، ومنها قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الخَاسِرِينَ﴾ [الزُّمر:65]،[5] والغرض من الآية تشديد الوعيد على من أشرك بالله تعالى؛ فالشرك محذور منه في الشرائع كلها،[6] والله تعالى قد ذكر أنبياءه عليهم السلام، -وهم أفضل الخلق، وأعظمهم أعمالاً- أنَّهم لو أشركوا لحبطت أعمالهم، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ هُدَى الله يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام:88]، والشرك في توحيد الربوبية بإنكار وجود الله تعالى، أو تعطيله عن أفعاله قليل وجوده في الخلق، إلا أنَّ هناك من يشرك بالله تعالى شركاً

---

(1) انظر: ابن القيم، الجواب الكافي (ج128/1).

(2) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ج165/1).

(3) انظر: ابن القيم، الجواب الكافي (ج129/1).

(4) انظر: [البخاري: صحيح البخاري، استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم/ إثم من أشرك بالله تعالى وعقوبته في الدنيا والآخرة، ص1159/ قول الله تعالى، ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ الله إِلَهًا آَخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ [الفرقان:68}، ص809].

(5) [البخاري، صحيح البخاري، استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم/ إثم من أشرك بالله تعالى وعقوبته في الدنيا والآخرة، ص1159].

(6) انظر: ابن حجر، فتح الباري (ج551/17).

جزئياً،[1] كأنْ ينكر شيئاً من خصائص الربوبية، أو أنْ يَعْدِل الله تعالى ببعض مخلوقاته في شيءٍ ممَّا يستحقه سبحانه وتعالى استقلالاً، كأنْ يشهد أنَّ أحداً غير الله تعالى هو المعطي، أو المانع، أو الضار، أو النافع،[2] أو أنْ يعتقد منازعاً له سبحانه وتعالى في شيءٍ من مقتضيات ربوبيته، كاعتقاد متصرفٍ مع الله تعالى، ويُضادّه – أيضاً– اعتقاد مُشرِّع مع الله تعالى؛ وذلك لأنَّ ربوبية الله تعالى شاملة لأمره الكوني والشرعي كما مرَّ،[3] وقد ورد في صحيح البخاري أحاديث ذُكر فيها نواقض توحيد الربوبية إما بذكرها صراحةً، أو تضمناً بإنكارها، والرد عليها بالأدلة العقلية والحسية، التي لا ينكرها إلا مكابر أو جاحد، **وتفصيل نواقض توحيد الربوبية الواردة في صحيح البخاري على النحو التالي:**

1-شرك التعطيل:

وشرك التعطيل -بشكل عام- هو: "شرك يتعلق بذات المعبود، وأسمائه، وصفاته"،[4] وأمَّا شرك التعطيل في توحيد الربوبية فهو تعطيل ذات الرب سبحانه وتعالى، أو أحد أفعاله المتعدية، "والشرك والتعطيل متلازمان، فكل مشركٍ معطلٍ، وكل معطلٍ مشركٍ."[5]

وشرك التعطيل في توحيد الربوبية قسمان، وهما:

أ-تعطيل المصنوع عن صانعه وخالقه:[6]

وهو أقبح أنواع شرك التعطيل، وهذا النوع من الشرك قليل وجوده، فلم يقع إلا من شرذمة قليلين ممن فسدت فطرتهم، ومثاله شرك فرعون الذي أنكر وجود الله تعالى، قال الله تعالى مخبراً عن فرعون: ﴿ **وَمَا رَبُّ العَالَمِينَ**﴾ [الشعراء:23]، ففرعون استنكر أنْ يكون هناك رب غيره، وهذا كان جحوداً ومكابرةً منه؛ لأنَّه كان مستيقناً بوجود ربٍ للكون، قال تعالى عن فرعون وقومه: ﴿**وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا**

---

(1) انظر: ابن جبرين، شرح الطحاوية (ج12/3)، الحازمي، شرح العقيدة الواسطية (ج18/2).

(2) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج92/1).

(3) انظر: ص53 من هذا البحث.

(4) ابن القيم، الجواب الكافي (ج129/1).

(5) المصدر السابق (ج130/1).

(6) انظر: ابن القيم، الجواب الكافي (ج130/1)، الحازمي، شرح العقيدة الواسطية (ج14/6).

وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ [النمل:14]،[1] وقد أورد البخاري رحمه الله في صحيحه أحاديث تَرُدُّ مثل هذه الادعاءات وتنقضها، ومنها ما رواه جبير بن مطعم عن أبيه رضي الله عنهما، قال: «**سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ فِي المَغْرِبِ بِالطُّورِ، فَلَمَّا بَلَغَ هَذِهِ الآيَةَ:** ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بَل لَا يُوقِنُونَ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُسَيْطِرُونَ﴾ [الطُّور:35،36،37]، **قَالَ: كَادَ قَلْبِي أَنْ يَطِيرَ**،»[2] وجبير بن مطعم رضي الله عنه كان قد قَدِمَ على النبي صلى الله عليه وسلم في فداء الأسارى، وكان وقتها مشركاً، وكان سماعه هذه الآية من جملة ما حمله على الدخول في الإسلام بعد ذلك،[3] وقد فطن الصحابي الجليل لمعنى الآيات التي قرأها النبي صلى الله عليه وسلم، وكانت فرحته عند سماعه للآية لحسن تدبره لمعناها، ومعرفته بما تضمنته من بليغ الحجة،[4] فالله تعالى ألزم المنكرين لوجود الله تعالى الحجة في الآية الكريمة بقوله: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ﴾ [الطُّور:35]، أي إمَّا أنْ يكون لا خالق لهم أصلاً؛ فيكون العدم هو الذي أوجدهم، وهذا باطل، إذ لا معنى للعدم إلا عدم الوجود، فيلزم من قولهم بهذا الفرض الجمع بين النقيضين، وهو كون الشيء موجوداً ومعدوماً، والنقيضان لا يجتمعان ولا يرتفعان، ولا يمكن أنْ ينشأ أحدهما عن الآخر،[5] والفرض الثاني أنْ يكونوا خلقوا أنفسهم، وهذا في الفساد أكثر، وفي البطلان أشد؛ لأنَّ ما لا وجود له كيف يخلق؟،[6] ويلزم منه الدور كذلك؛ فكونهم خلقوا أنفسهم يستلزم وجودهم قبل الخلق؛ إذ لا يصدر الوجود من العدم ضرورةً،[7] وكونهم مخلوقين يستلزم تأخرهم عن مُوجِدهم، فتبين بطلان هذا الفرض، وإنْ جاز أنْ يدَّعوا خلق أنفسهم فليدَّعوا خَلْق السموات والأرض، وهذا محال قطعاً، فقامت عليهم الحجة،[8] بأنَّ لهم خالقاً، وهو الله سبحانه وتعالى.

---

(1) انظر: ابن تيمية، منهاج السنة النبوية (ج270/2).
(2) [البخاري: صحيح البخاري، تفسير القرآن/ بدون اسم، ص830: ح4854].
(3) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج437/7).
(4) انظر: ابن حجر، فتح الباري (ج603/8).
(5) الموسوعة العقدية- الدرر السنية، بتصرف (ج181/1) بترقيم الشاملة ألياً.
(6) انظر: الكرماني، الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري (ج110/18).
(7) الموسوعة العقدية- الدرر السنية، بتصرف (ج181/1) بترقيم الشاملة ألياً.
(8) انظر: القسطلاني، إرشاد الساري (ج358/7).

ب-تعطيل بعض أفعال الرب سبحانه وتعالى:[1]

وذلك بأنْ يكون المشرك مُقرّاً بالخالق سبحانه وتعالى، ولكنه عطَّل حقاً من حقوق الربوبية، كأنْ يجعل القدرة، أو التصرف، أو النفع، أو الضر، أو أي فعل من أفعال الله تعالى بِيَدِ مخلوقٍ، وهذا يعود في النهاية لتعطيل الخالق تعالى، والقدح في ربوبيته،[2] وقد أورد الإمام البخاري رحمه الله أحاديث في إبطال هذا الشرك ودحضه، مستدلاً بآيات قرآنية، ومنها قوله تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾ [الإسراء:56]،[3] أي ادْعُوا الذين زعمتم أنَّهم شركاء لله تعالى، فسَلُوهم أنْ يفعلوا بكم بعض أفعالنا، ككشف ضرٍّ ينزل بكم، فانظروا هل يملكون ذلك؟، فإنْ لم يقدروا فاعلموا أنَّكم مبطلون فيما ذهبتم إليه؛[4] فأنْ يستأثر المخلوق ببعض أفعال الرب تعالى، أو أنْ يقدر المخلوق على مساواة الرب في أفعاله، ضرب من الجهل والمكابرة الظاهرة.

2-شرك الأنداد[5]:

وهو أنْ يجعل لمخلوقٍ تدبيراً مع الله تعالى،[6] أو أنْ يجعل شيئاً من حقوق الله تعالى الخاصة به سبحانه وتعالى مشتركة مع مخلوق، فهذا من شرك الربوبية؛[7] لأنَّ "الله تعالى أثبت له حقاً لا يَشْرُكْه فيه مخلوق،"[8] والأنداد جمع مُحَلّى بأل التعريف، وهي للعموم الذي يفيد استغراق جميع أفراده، فكل من ساوى الله تعالى بغيره فقد جعل لله تعالى نداً، سواء كانت هذه المساواة في ذات الله تعالى، أو في أسمائه، أو صفاته، أو أفعاله، أو فيما يجب للخالق وحده دون المخلوق، وشرك الأنداد في الربوبية ما كان

---

(1) انظر: ابن القيم، الجواب الكافي (ج130/1).

(2) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج92/1)، الآثري، أنواع الشرك (ص4).

(3) انظر: [البخاري، صحيح البخاري، تفسير القرآن/ ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾ [الإسراء:56}، ص793] .

(4) انظر: الطبري، جامع البيان (ج394/20)، البغوي، معالم التنزيل (ج139/3).

(5) الأنداد جمع نِّد وهو: "مثل الشيء الذي يضاده في أمور ويُنَادُّه، والمراد بها في الحديث ما كانوا يتخذونه آلهة من دون الله تعالى،" ابن منظور، لسان العرب (ج420/3).

(6) انظر: عبد اللطيف، نواقض الإيمان القولية والعملية (ص97).

(7) انظر: الآثري، أنواع الشرك (ص4).

(8) ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج104/3).

فيه إشراك في ذات الله تعالى، أو في أفعاله المتعدية، وقد ذكر البخاري رحمه الله في صحيحه أحاديث كثيرة تدل على عِظم جُرْم من اتخذ مع الله تعالى نداً، ومن هذه الأحاديث ما رواه عن عبد الله رضي الله عنه[1] أنَّه قال: «**سَأَلْتُ –أَوْ سُئِلَ– رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ الذَّنْبِ عِنْدَ اللَّهِ أَكْبَرُ؟، قَالَ: أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ**»[2] أي أنْ تجعل لله تعالى نظيراً، وغيره لا يستطيع خلق شيءٍ،[3] وقول النبي صلى الله عليه وسل: "وهو خلقك،" يعني أنَّ الدلائل على بطلان هذا الفعل واضحة جلية؛ لأنَّ انفراد الله تعالى بالربوبية والخلق تُوجب عبادته وحده لا شريك له.[4]

وشرك الأنداد في توحيد الربوبية على قسمين:

القسم الأول: شرك التصرف:

وهو اعتقاد وجود متصرفٍ مع الله تعالى في شيءٍ من تدبير الكون، من إيجادٍ، أو إعدامٍ، أو إحياءٍ، أو إماتةٍ، أو دفع ضرٍ، أو جلب نفعٍ، أو غير ذلك،[5] فمن اعتقد شيئاً من ذلك فقد أشرك في ربوبية الله تعالى،[6] وقد اشتمل صحيح البخاري على أحاديث في إبطال هذا الشرك،[7] وللتأكيد على أنَّ الله تعالى هو المتفرد بالتصرف، فلا رادَّ لأمره، ولا معقِّب لحكمه، ومنها قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [النحل:40]،[8] أي إذا أردنا إيجاد شيءٍ فليس إلا أنْ نقول له احدُث فهو يحدث، والقول والمقول لبيان سرعة وجود المخلوقات عند تعلق

---

(1) هو عبد الله بن مسعود، انظر: ابن حجر، فتح الباري (ج13/491).

(2) [البخاري: صحيح البخاري، تفسير القرآن/ قول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ [الفرقان:68]، ص**809** : ح4761].

(3) انظر: القسطلاني، إرشاد الساري (ج7/10).

(4) انظر: الغنيمان، شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري (ج2/498).

(5) انظر: الحكمي، أعلام السنة المنشورة (ص25).

(6) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج1/92).

(7) انظر: [البخاري: صحيح البخاري، تفسير القرآن/ قل ادعوا، ص793، الجهاد والسير/ دعاء النبي صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام، وأن لا يتخذ بعضهم بعضا أرباباً، ص492].

(8) انظر: [المصدر السابق، التوحيد/ قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [النحل:40]، ص1251].

الإرادة والمشيئة الإلهية بها،[1] وهذا معنى قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس:82]، فأخبر الله تعالى أنَّ الأمر متقدم على الشيء المُكوَّن، فهو يشمل الخلق قبل وجودهم، ويشملهم كذلك بعد مماتهم، فالله تعالى بدأهم بأمره، ويعيدهم بأمره،[2] والشيء في كلا الآيتين يشمل ما وُجد، وما يمكن أنْ يتصوره الذهن موجوداً، ولا يُستثنى من ذلك شيء؛ فالقدرة تتعلق بكل ما تتعلق به المشيئة، فما شاء الله كان، ولا يكون شيء إلا بقدرته تعالى، فإنَّه سبحانه ﴿عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة:20]، أي أنَّ على كل ما يشاء قدير، فمنه ما قد شاءه فوُجد، ومنه ما لم يشأه فلم يُوجد، ولكن المعنى أنَّه قابل لأنْ يشاءه، فهذا العموم يتناول ما كان شيئاً في الخارج وفي العلم الإلهي، وما كان في العلم فقط؛[3] ولذلك فإنَّ المخلوق مهما كان لديه من القوة والعزم، ومهما مَلَكَ من الأسباب لا يستطيع فعل شيءٍ إلا أنْ يشاء الله تعالى، سواء كان نبياً، أو ملكاً، أو غير ذلك، فمثلاً في قصة سيدنا موسى عليه السلام مع الخضر عليه السلام، قال له موسى صلى الله عليه السلام فيما حكاه الله تعالى: ﴿ قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾ [الكهف:69]،[4] فَوَعَدَ موسى عليه السلام أنْ يصبر على ما يراه، وعلَّق ذلك على مشيئة الله تعالى، والتعليق هنا حقيقةً وليس للتبرك، ولكنَّ الله تعالى لم يشأ لموسى عليه السلام أنْ يصبر على ما يراه من الخضر فلم يصبر،[5] **ومن أمثلة شرك التصرف:**

أ-شرك عبَّاد القبور:

وهم الذين يزعمون أنَّ أرواح الأولياء تتصرف في هذا الكون نفعاً وضراً، وكذلك ما يعتقده بعض الباطنية والمتصوفة أنَّ أولياءهم يشاركون الله تعالى في تدبير العالم.[6]

---

(1) انظر: القسطلاني، إرشاد الساري (ج418/10)، ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج687/1).

(2) انظر: ابن حجر، فتح الباري (ج533/13)، الغنيمان، شرح كتاب التوحيد (ج222/2).

(3) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج383/8).

(4) انظر: [البخاري: صحيح البخاري، تفسير القرآن/ قول الله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ [الكهف:60] ، ص795 :ح4725].

(5) انظر: ابن حجر، فتح الباري (ج452/13)، الغنيمان، شرح كتاب التوحيد (ج296/2).

(6) انظر: ابن باز، العقيدة الصحيحة وما يضادها (ج13/1).

ولا مانع من أنْ نقدِّر الصالحين ونُجلَّهم، ولكن أنْ نجعل لهم شيئاً من حقوق الله الخاصة به سبحانه وتعالى من القدرة والتصرف، فهذا من الشرك في الربوبية، والله تعالى أنكر على من اعتقد شيئاً من ذلك، قال سبحانه وتعالى: ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّر عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴾ [الإسراء:56]،[1] وقال تعالى: ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ الله أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ ﴾ [الأحقاف:4]،وقد عقَّب الإمام البخاري رحمه الله على الآية بقوله: "أي أَبَلَغَكم أنَّ ما تدعون من دون الله تعالى خلقوا شيئاً؟."[2]

ب-شرك القدرية(المعتزلة):

وهم الذين يجعلون الإنسان مستقلاً بإحداث فعله،[3] ويقولون إنَّ أفعاله تحْدُث بدون مشيئة الله تعالى وقدرته،[4] فهم ينفون القدر، ويقولون لا قدر، والأمر أُنُف، ففيهم نوع من الشرك في هذا الباب، وهم يشبهون المجوس في ذلك،[5] وقد مرّ جانب من الرد عليهم سابقاً.[6]

القسم الثاني: إثبات فاعلٍ مستقلٍ مع الله تعالى:[7]

وهو شرك من أثبت مع الله تعالى إلهاً آخر، ولم يُعطِّل أسماءه وصفاته وربوبيته، كشرك النصارى الذين جعلوا الإله ثالث ثلاثة، فجعلوا المسيح إلهاً، وأمه إلهاً، وروح القدس إلهاً،[8] وقد ذكر البخاري رحمه الله هذا النوع من الشرك في باب قول الله تعالى: ﴿ يَا أَهْلَ الكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى الله إِلَّا الحَقَّ إِنَّمَا المَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ الله وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِالله وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا

---

(1) [البخاري: صحيح البخاري، تفسير القرآن/ قل ادعوا، ص793].

(2) [المصدر السابق، تفسير القرآن/ سورة "حم" الأحقاف، ص826].

(3) انظر: ابن القيم، الجواب الكافي (ج130/1).

(4) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج104/3).

(5) انظر: ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل (ج390/7).

(6) انظر: ص105 من هذا البحث.

(7) انظر: ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل (ج390/7).

(8) انظر: ابن القيم، الجواب الكافي (ج130/1).

ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ﴾ [النساء:171]،[1] فإنَّ النصارى يقولون بالأقانيم[2] الثلاثة، الأب، والابن، وروح القدس، ويزعمون بأنَّها ثلاثة آلهة في إلهٍ واحدٍ، ويقولون إنَّ المسيح هو الله، وأنَّه ابن الله –تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً–، فالنصارى حيارى متناقضون، وفي الآية السابقة ذكر سبحانه وتعالى قولهم بالتثليث والاتحاد، ونهاهم عنهما، وبيّن أنَّ المسيح إنَّما هو رسول الله، وكلمته ألقاها إلى مريم، وروح منه.[3]

(1) انظر: [البخاري: صحيح البخاري، أحاديث الأنبياء/ قول الله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ، ص578].

(2) الأقانيم: مفرد أقنوم، وهو الأصل والجوهر، انظر: جميل صليبا، المعجم الفلسفي (ج112/1).

(3) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج185/2)، المؤلف نفسه، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (ج15/2-16).

المطلب الثاني

نواقض توحيد الربوبية عند الكُلَيْني

ذكر الكُلَيْني في كافيه أموراً عدَّها نواقض تقدح في التوحيد وتُبطله، وكان التركيز فيها على إنكار بعض لوازم توحيد الربوبية، مثل: إنكار الصانع، أو إثبات إلهٍ مع الله تعالى، فنجد أنَّ أكثر رواياته في الردّ فيها على صنفين من الملاحدة، هما الثنوية[1] والدهرية،[2] وأمَّا أفعال الله تعالى المتعدية –التي هي أهم أجزاء توحيد الربوبية– فلم يتطرق إليها إلا بشكلٍ محدودٍ، وتكلَّم في معناها وكيفيتها بكلامٍ فلسفي لا طائل منه، وأثبت مشاركة بعض المخلوقين مع الله تعالى في أفعاله، وابتدع أنواعاً من الشرك لا يُفهم معناها، ولا يُدرى المراد منها، **ونواقض توحيد الربوبية عند الكليني كما يلي:**

1-إنكار وجود الله تعالى:

إنَّ الأصل الذي يقوم عليه التوحيد عند الكليني، إثبات وجود الله تعالى، وأكثر وجوه الكفر –كما يرى الكليني– تقع في إنكار وجوده تعالى، وقد ركَّز الكليني على نقض هذا المعتقد في رواياته، فنقل مناظرات مطولة لجعفر الصادق رحمه الله مع الزنادقة،[3] ونقل في روايات أخرى الحججَ والبراهين لدفع باطلهم، والطائفة المنكرة لوجود الرب تعالى التي ورد ذكرها في الكافي، هي الدهرية، فقد رُوى عن أبي عبد الله

---

(1) الثنوية :هم الذين قالوا بوجود إلهين اثنين أزليين، وهم النور والظلمة، فهم يقولون بأصلين للوجود، مختلفين تمام الاختلاف، كل منهما له وجود مستقل في ذاته، وحوادث الكون، تنتمي إلى أحد المبدأين، انظر: الشهرستاني، الملل والنحل (ج2/49)، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، موسوعة المفاهيم الإسلامية (ص174).

(2) الدهرية: هي مذهب كل من اعتقد قدم الزمان والمادة والكون، وأنكر الألوهية والخلق والعناية والبعث والحساب، وهم الذين قالوا لا تناهي للعالم، وأن النفوس تتناسخ، أي أنَّ أرواح البشر تنتقل من جسد كائن حي إلى جسد كائن حي آخر بعد موت الأول، فتشقى هذه الروح أو تسعد، حسب ما اكتسبه الإنسان الذى كانت الروح في جسده، إنْ خيراً فخير، وإنْ شراً فشر، انظر: ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل (ج1/77)، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، موسوعة المفاهيم الإسلامية العامة (ص288).

(3) انظر: [الكليني: الكافي، التوحيد/ حدوث العالم، وإثبات المحدث، 72-81: ح1، ح2،ح3، ح4]، وسيرد الكلام مفصلاً في الرد عليهم في مبحث أدلة الكليني في توحيد الربوبية.

رحمه الله أنَّه قال: "فأما كفر الجحود فهو الجحود بالربوبية، وهو قول من يقول: لا رب، ولا جنة، ولا نار، وهو قول صنفين من الزنادقة يُقال لهم الدهرية، وهم الذين يقولون: ﴿وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ [الجاثية:24]،"[1] والزنادقة الدهرية على قسمين: قسم أنكر المبدأ والمعاد جميعاً، وقسم أنكر المعاد، وقالوا بقدم العالم وأبديته، وقالوا بالتناسخ، وهو تعلُّق الروح بعد الموت ببدنٍ آخر، وهم الذين يقولون وما يهلكنا إلا الدهر، فزعموا أنَّ تولُّد الأشخاص وفسادها وحياتها وموتها مستندة إلى الدهر، وتأثير الكواكب وحركات الأفلاك.[2]

2-إثبات إلهٍ مع الله تعالى:

لقد ذكر الكليني بعض معتقدات الثنوية وذكر أنَّ أهمها، هو اعتقادهم بقدم المادة،[3] وقد أورد الرد عليهم في رواية منسوبة لعلي رضي الله عنه، قال فيها: "الحمد لله الواحد الأحد الصمد المتفرد، الذي لا من شيءٍ كان، ولا من شيءٍ خلق ما كان، قدرةً بانَ بها من الأشياء، وبانت الأشياء منه،"[4] وهذه الرواية فيها رد على الثنوية، وقد قال الكليني معقباً عليها: "إنَّ المراد بقوله: "لا من شيء كان،" هو نفي لحدوثه تعالى، وأنَّه خلق الأشياء واخترعها بلا أصلٍ ولا مثالٍ، وهذا نفي لقول من قال: إنَّ الاشياء كلها محدثة بعضها من بعض، وهم الثنوية الذين زعموا أنَّه لا يُحْدِث شيئاً إلا من أصلٍ ولا يُدبِّر إلا باحتذاء مثال، فدفع جميع حجج الثنوية وشبههم بقوله: "لا من شيء خلق ما كان؛" لأنَّ أكثر ما يعتمد الثنوية في حدوث العالم أنْ يقولوا: لا يخلو من أنْ يكون الخالق خلق الأشياء من شيء، أو من لا شيء، فقولهم: "من شيء" غير صحيح، وقولهم: "من لا شيء" محال؛ لأنَّ هذه الجملة متناقضة، "فمن" تُوجب شيئاً، وقولهم: "لا شيء" ينفيه، فأخرج أمير المؤمنين عليه السلام هذه اللفظة على أبلغ الألفاظ وأصحها، فقال: "لا من شيء خلق ما كان،" فَنَفَى "من" إذ كانت تُوجب شيئاً، ونَفَى "الشيء؛" إذ كان كل شيءٍ مخلوقاً، لا من أصلٍ أَحدَثَه الخالق،

---

(1) [الكليني: الكافي، الإيمان والكفر/ وجوه الكفر، 389/2: ح1].

(2) انظر: المازندراني، شرح أصول الكافي (ج67/10).

(3) إنَّ أهم معتقدات الثنوية هو القول بإلهين، وهذا يختلف عن الذي ذكره الكليني، ولكن سيتمُّ ذكر الثنوية على أنَّهم القائلون بإلهين كما هو متعارف، وعند الرد على الكليني سيتم التطرق إلى خطئه في ذكر معتقد الثنوية.

(4) [الكليني: الكافي، التوحيد/ جوامع التوحيد، 134/1: ح1].

ولـيس كمـا قالـت الثنويـة: إنَّـه خلـق مـن أصـلٍ قـديمٍ؛ فـلا يكـون تـدبير إلا باحتـذاء مثـال،"[1]
وأمـا الـرد علـى معتقـد القـائلين بـإلهين فقـد ورد نقضـه فـي منـاظرات لجعفـر الصـادق رحمـه الله مع الزنادقة المعتقدين بذلك.[2]

3-التوهم والشك في الله تعالى:

ذكـر الكلينـي أنَّ مـن أنـواع الشـرك فـي الـذات، الشـك فـي وجـود الله تعـالى، فقـد روى عـن أبـي عبـد الله رحمـه الله أنَّـه قـال: "مـن عَبَـدَ الله بـالتوهم فقـد كفـر،"[3] فهنـا ذكـر نوعـاً مـن أنـواع شـرك الـذات، وهـو أنْ يشـك الإنسـان فـي ربـه، وهـو المقصـود بقولـه: "مـن عبـد الله بـالتوهم،" وهنـا أطلـق العبـادة وأراد بهـا الاعتقـاد، فـالمراد أنَّ المـرء يجـب أنْ يكـون علـى يقـينٍ فـي وجـوده تعـالى، فـإذا توهمـه محـدوداً مُـدركاً بـالوهم فقـد كفـر؛ لأنَّ الشـك كفـر؛ ولأنَّ الله تعـالى غيـر محـدود، ولا يُـدرك بـالوهم؛ فمـن كـان متوهمـاً كـان عابـداً لغيـره؛ إذ المعبود الحق لا تناله الأوهام.[4]

4-اعتقاد أنَّ الله تعالى جسم أو صورة:

ظهـر فـي عهـد جعفـر الصـادق رحمـه الله مـن يعتقـد أنَّ الله تعـالى جسـم صـمدي نـوري، وقـد ردَّ جعفـر الصـادق رحمـه الله هـذا الاعتقـاد الفاسـد فـي روايـات عديـدة، ومنهـا مـا رُوي أنَّ زنـديقاً سـأل جعفـر رحمـه الله: "مـا هـو؟،[5] قـال: هـو شـيء بخـلاف الأشـياء، أرجـع بقـولي إلـى إثبـات معنـى، وأنَّـه شـيء بحقيقـة الشـيئية، غيـر أنَّـه لا جسـم، ولا صـورة، ولا يُحـس، ولا يُجـس، ولا يُـدرك بـالحواس الخمـس، لا تُدركـه الأوهـام، ولا تنقصـه الـدهور، ولا تغيـره الأزمـان،"[6] فـالله تعـالى يتنـزَّه عـن أنْ يكـون جسـماً؛ لأنَّ كـل جسـم ذو جـزءٍ، وكـل ذي جـزءٍ مفتقـر إلـى جزئـه الـذي هـو غيـره، وكـل مفتقـر ممكـن؛ فلـو كـان الصـانع جسـماً لكـان ممكنـاً، وهـو واجـب بالـذات، فيلـزم أنْ يكـون واجبـاً وممكنـاً جميعـاً، وهـذا محـال، وكـذلك لا يكـون صـورة؛ لأنَّ كـل صـورة سـواءً كانـت جسـمية أو غيرهـا محتاجـة

---

(1) [الكافي: الكليني، التوحيد/ جوامع التوحيد، 136/1-137]
(2) انظر: [المصدر السابق، التوحيد/ حدوث العالم، وإثبات المحدث، 80/1-81: ح5].
(3) [المصدر السابق، التوحيد/ المعبود، 87/1: ح1].
(4) المجلسـي، بحـار الأنـوار، بتصـرف (ج166/4)، وانظـر: الحـر العـاملي، الفصـول المهمـة فـي أصول الأئمة (ص165).
(5) الضمير يعود على الله تعالى.
(6) [الكليني: الكافي، التوحيد/ النهي عن الجسم والصورة، 81/1: ح5].

إلـى محـل، والصـانع الحـق لا يحتـاج إلـى شـيءٍ، ولا يحتـاج إلـى محـل يَحِـل فيـه، ولمَّـا كـان سـبحانه منزهـاً عـن الجسـمية ولواحقهـا، وجـب أنْ يكـون منزهـاً عـن أنْ يُـدرَك بحاسـةٍ؛ لأنَّ الحـواس إنَّمـا تُـدرِك الجسـم والجسـمانيات، وهـو تعـالى لـيس بجسـمٍ، ولا جسـماني، ولا كيفية له.[1]

5-تشبيه الخالق بالمخلوق، أو تعطيله:

إنَّ التوحيـد الحـق هـو التوسـط فـي معرفـة الله تعـالى بـين التشـبيه والتعطيـل، فتشـبيه الخـالق بـالمخلوق كُفْـر، وتعطيـل الـرب كُفْـر كـذلك، وقـد ورد نفـي هـذين الطـرفين فـي روايـة جعفـر رحمـه الله التـي قـال فيهـا: "ولكـن لا بـدَّ مـن الخـروج مـن جهـة التعطيـل والتشـبيه؛ لأنَّ مـن نفـاه فقـد أنكـره، ودفـع ربوبيتـه وأبطلـه، ومـن شـبهه بغيـره فقـد أثْبَتـه بصـفة المخلـوقين المصـنوعين، الـذين لا يسـتحقون الربوبيـة، ولكـن لا بـدَّ مـن إثبـات أنَّ لـه كيفيـة لا يسـتحقها غيـره، ولا يُشـارَك فيهـا، ولا يُحَـاط بهـا، ولا يعلمهـا غيـره،"[2] وهنـا ذكـر ضـرورة التوسـط فـي معرفتـه تعـالى بـين التعطيـل والتشـبيه، فـالله تعـالى موجـود لا كسـائر الموجـودات، فـلا أحـد يعـرف حقيقـة ذاتـه وصـفاته، وإنَّمـا يُعـرف بمفهـوم سـلبي، وهـو أنَّـه موجـود مغـاير لخلقـه فـي الـذات والصـفات وغيرهـا، والمـراد بالشـيئية عنـدما تُطلـق علـى الله تعـالى هـي الشـيئية الحقـة الثابتـة فـي حـد ذاتهـا، أو المـراد أنَّ شـيئيته عـين ذاتـه، وليسـت خارجـة عـن ذاتـه، ولـيس شـيئيته كمـا فـي الممكنـات التـي تكـون ماهيتهـا زائـدة عـن ذاتهـا، وهـذا هـو التوسـط الحـق فـي التوحيـد؛ لأنَّ النفـي هـو إنكـار الـرب، والتشـبيه إثباتـه بصـفة المخلوقين المصنوعين الذين لا يستحقون الربوبية، وهذا باطل.[3]

6-الإشراك في ولاية علي رضي الله عنه:

لقـد ذكـر الكلينـي إمامـة علـي رضـي الله عنـه، وجعـل مـن أنكرهـا ودفعهـا مشـرك؛ لأنَّ الله تعـالى هـو مـن جعلـه إمامـاً، فمـن نصـب معـه إمامـاً وأنكره فقد أشـرك؛ لأنَّـه وضـع دينـاً غيـر ديـن الله تعـالى،[4] فنسـب الكلينـي لأبـي جعفـر رحمـه الله أنَّـه قـال: "إنَّ الله عـزَّ

(1) انظر: المازندراني، شرح أصول الكافي (ج53،52/3).

(2) [الكليني: الكافي، التوحيد/ إطلاق القول أنه شيء، 83-84: ح6].

(3) انظر: المازندراني، شرح أصول الكافي (ج67/3).

(4) انظـر: المازنـدراني، شـرح أصـول الكـافي (ج65/10)، المؤلـف نفسـه، المجلسـي، بحـار الأنـوار (ج325،324/32).

وجل نصب علياً عليه السلام عَلَماً بينه وبين خلقه؛ فمن عرفه كان مؤمناً، ومن أنكره كان كافراً، ومن جهله كان ضالاً، ومن نصب معه شيئاً كان مشركاً، ومن جاء بولايته دخل الجنة، ومن جاء بعداوته دخل النار؛"[1] ولذلك فلا فرق بين من كفر بالله سبحانه وتعالى وبرسوله، وبين من كفر بالأئمة رحمهم الله، والإمامة أصل من أصول الدين، فمنكرها كافر قطعاً،[2] ولا نُخطئ إنْ قلنا إنَّ الولاية هي أهم أصول الدين عند الكليني وشيعته؛ لأنَّه لا ينفع المؤمن إيمانه إذا أنكر الولاية، فقد نُسب لأبي عبد الله رحمه الله أنَّه قال: "أَمَرَ [الله تعالى] الناس بمعرفتنا والرد إلينا والتسليم لنا، ثم قال: وإنْ صاموا وصلُّوا وشهدوا أنْ لا إله إلا الله، وجعلوا في أنفسهم أنْ لا يردُّوا إلينا، كانوا بذلك مشركين."[3]

الرد على ما عدَّه الكليني نواقض في توحيد الربوبية:

لقد ذكر الكليني أموراً تقدح في ربوبية الله تعالى، ولكن يظهر القصور من ناحية عدم استغراق أنواع الكفر في الربوبية، فلم يذكر أهم نواقض توحيد الربوبية، وهي إشراك المخلوقات في أفعاله تعالى المتعدية، وقد ذكر الكليني أنواعاً في الكفر تُخالف العقل، ولا نصيب لها في الواقع، وعدَّ أنَّ ترك بعض الاعتقادات –التي أتى الإسلام فأبطلها– من الشرك، في حين أنَّها الشرك بعينه، **وإجمال الرد على الكليني يتلخص فيما يلي:**

1–إنَّ أكثر وجوه الكفر تقع في إنكار ألوهية الله تعالى، وليس كما زعم الكليني، فكل الفرق تقرُّ بالخالق، والقرآن الكريم قد دلَّ على ذلك في مواضع كثيرة، وأدلة العقل والحس تشهد بذلك،[4] وهذا قد ذكره علماء الشيعة.[5]

2–إنَّ توحيد الربوبية هو إفراد الله تعالى بأفعاله المتعدية، والكليني لم يذكر ما يناقض توحيد الأفعال، وهو في عرضه لمسائل التوحيد إما أنَّه لا يذكر تلك الأفعال، أو يذكرها بشكلٍ مضطربٍ لا يُعرف معناه، بالرغم من أنَّها أمور معلومة بداهة، فمثلاً

---

(1) [الكليني: الكافي، الحجة/ في نتف وجوامع من الرواية والولاية، 437/1: ح7].

(2) انظر: البحراني، الحدائق الناضرة (ج153/18).

(3) [الكليني: الكافي، الإيمان والكفر/الشرك، 398/2: ح5].

(4) انظر: ص208 من هذا البحث.

(5) انظر: المازندراني، شرح أصول الكافي (ج6/3).

ذكـر المشـيئة والإرادة، وعـدَّها مـن الصـفات الفعليـة،[1] وكانـت تلـك الروايـات مـن أكثـر الروايـات المُشْـكِلة، والتـي حـاول فيهـا بيـان ماهيتهـا، ولكنهـا كانـت بعيـدة عـن المعنـى الصـحيح، ولـم يـذكر وجـوه الكفـر التـي يمكـن أنْ تقـع فيهـا،[2] ومحـور تركيـز الكلينـي علـى الخلـق والاختـراع دون سـائر الأفعـال، ومـع ذلـك فكـان تأصـيله لهـا بعيـداً عـن مـنهج القـرآن ودلالتـه، ولـم يـذكر مـا يُنـاقض المعتقـد الصـحيح، هـذا فضـلاً عمـا ادَّعـاه مـن مشـاركة البشـر لله تعـالى فـي أفعالـه، فالأئمـة عنـده يُحيـون ويُميتـون ويَرزقـون، وغيـر ذلـك ممـا نسبه للأئمة كذباً وزوراً.[3]

3-إنَّ التشـبيه والتعطيـل متفـق علـى نفيـه، ولا يُخاصـم فـي ذلـك إلا شـرذمة قليلـون، والكلينـي فـي نفـي التشـبيه تـارةً يقصـد نفـي النقـائص التـي يتنـزَّه عنهـا الله تعـالى، وتـارةً يقصـد نفـي مـا هـو ثابـت بالشـرع والعقـل، فهـم فـي نفـي التشـبيه كثيـراً مـا ينفـون بـه حقـاً، ويُسـمون ذلـك تشـبيهًا وتجسيمًا، وهـذا كـذب وتمويـه، وهنـاك مـن يظـن أنَّ كـل مـا قيـل فيـه أنَّـه تشـبيه يجـب نفيـه، ولـو سـاغ هـذا لكـان كـل مبطـلٍ يُسـمي الله تعـالى بأسـماء يُنَفِّـر عنهـا بعـض النـاس، ليُكـذِّب النـاس بـالحق الـوارد بالنصـوص الشـرعية، وبهـذه الطريقـة أفسـد الملاحـدة علـى طوائـف مـن النـاس عقـولهم وديـنهم، حتـى أخرجـوهم إلـى أعظـم الكفـر والجهالـة، وأبلـغ الغـيِّ والضـلالة،[4] وهـم كـذلك متناقضـون فـي قـولهم، وأوضـح دليـلٍ علـى فسـاد قـولهم وتناقضـهم أنَّهـم نفـوا بعـض مـا أثبتـه الله تعـالى لنفسـه، بحجـة تنزيـه الله تعـالى عـن التشـبه بـالمخلوقين، ومـع ذلـك وصـفوا الله تعـالى بصـفاتٍ يتصـف بهـا المخلـوق كـالوجود مـثلاً، ومـن المعلـوم بالضـرورة أنَّ فـي الوجـود مـا هـو قـديم واجـب بنفسـه، ومـا هـو مُحْـدَث ممكـن، يقبـل الوجـود والعـدم، ومعلـوم أنَّ هـذا موجـود، وذاك موجـود، ولا يلـزم مـن اتفاقهمـا فـي مسـمى الوجـود أنَّ يكـون وجـود هـذا مثـل وجـود ذاك، بـل وجـود هـذا يخصّـه ووجـود ذاك يخصّـه، واتفاقهمـا فـي اسـم عـام لا يقتضـي تماثلهمـا فـي مسـمى ذلـك الاسـم، وهـذا عنـد الإضـافة والتقييـد والتخصـيص،[5] وهـذا التعليـل نفسـه منقـول عـن الأئمـة، فقـد أورد الكلينـي كلامـاً لجعفـر رحمـه الله فـي مناظرتـه لزنـديقٍ قـال

(1) والكليني يقصد بالصفات الفعلية أفعال الله تعالى.

(2) وقد مرّ تفصيل ذلك، انظر: ص75.

(3) وسيأتي تفصيل المسائل المناقضة لتوحيد الربوبية عند الكليني في المطلب التالي.

(4) انظر: ابن تيمية، التدمرية (ص40).

(5) انظر: المصدر السابق (ص20).

فيـه: "التشـبيه هـو صـفة المخلـوق الظـاهر التركيـب والتـأليف، فلـم يكـن بـدّاً مـن إثبـات الصـانع لوجـود المصـنوعين والاضـطرار إلـيهم، وأنَّهـم مصـنوعون، وأنَّ صـانعهم غيـرهم ولـيس مـثلهم،.... قـال لـه السـائل: فقـد حددتـه إذ أثْبَـت وجـوده، قـال أبوعبـد الله عليـه السـلام: لـم أحدَّه، ولكنـي أثبتُّـه إذ لـم يكـن بـين النفـي والإثبـات منزلـة،"[1] فهنـا أزال جعفـر رحمـه الله وَهْـمَ الزنـديق، عنـدما اعتقـد أنَّ إثبـات الوجـود يقتضـي المماثلـة، فبـيَّن لـه أنَّ وجـوده تعـالى لا يعنـي تحديـده، لأنَّـه مغـاير لوجـود المخلـوقين، فـالوجود ممـا يُعـرض لـه العمـوم والاشـتراك، ولكـن وجـود الواجـب الوجـود لـيس كوجـود الممكـن،[2] فـإذا كـان هـذا قـولهم فـي الوجـود، **فلـمَ لا يكـون هـذا قـولهم فـي سـائر مـا أثبتـه الله تعـالى لنفسـه مـن مسميات التوحيد وكان مشتركاً في الاسم بينه وبين المخلوق؟.**

ثـمَّ إنَّ الشـيعة جعلـوا للأئمـةٍ صـفات إلهيـةً، أخبـر الله تعـالى أنَّـه المتفـرد بهـا، ولـم يكـن فـي هـذا تشـبيه علـى حـد زعمهـم، فكيـف جعلـوا إثبـات مـا أثبتـه الله تعـالى لنفسـه تشبيهاً؟.

4-إنَّ التشـبيه والتجسـيم هـو أعظـم الكفـر بالاتفـاق، ولكـن مـن المفارقـات العجيبـة أنَّ مـن قـال بالتشـبيه هـم الشـيعة، كأمثـال هشـام بـن الحكـم، وهشـام بـن سـالم الجـواليقي، ويعتبـر الشـيعة هـؤلاء مـن أعـاظم أصـحاب الأئمـة، ولـم يكفـروهم لقـولهم بالتشـبيه، بـل بقيـت لهـم المكانـة العاليـة، فالعجـب كـل العجـب أنَّهـم يتهمـون أهـل السـنة بالتشـبيه، ويجعلـونهم أشـد كفـراً مـن النصـارى لإثبـاتهم الصـفات، فـي حـين أنَّهـم لا يكفـرون أربـاب مـذهب التشـبيه، بـالرغم مـن أنَّ الروايـات التـي تثبـت قـولهم بالتشـبيه واردة فـي الكـافي نفسـه،[3] وكـل كتـب الفـرق قـد نسـبت لهـم هـذا المـذهب؛ فهشـام بـن الحكـم نُسـب إليـه التشـبيه بأبشـع صـوره، فإنَّـه زعـم أنَّ معبـوده جسـم، ولـه نهايـة، ولـه حـدّ طويـل عـريض عميـق، وزعـم أنَّـه نـور سـاطع، لـه قـدر مـن الأقـدار فـي مكـانٍ دون مكـانٍ، وأنَّـه ذو لـون وطعـم ورائحـة ومجسـة، لونـه هـو طعمـه، وطعمـه هـو رائحتـه، ورائحتـه هـي مجسـته، وهـو نفسـه لونـه،[4] فالشـيعة أحـق أنْ يُوصَـفوا بالتشـبيه الباطـل، حيـث يُشـبهون الله تعـالى بالمعـدومات والناقصـات،

---

(1) [الكليني: الكافي، التوحيد/ إطلاق بأنه شيء، 87/1: ح6].

(2) انظـر: المجلسـي، مـرآة العقـول (ج292/1،291)، المؤلـف نفسـه، بحـار الأنـوار (ج197/10)، الخوئي، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة (ج154/13).

(3) انظر: [الكليني: الكافي، التوحيد/ النهي عن الجسم والصورة، 104-106: ح1،ح4،ح5،ح6].

(4) انظر: الأشعري، مقالات الإسلاميين (ج44/1)، الشهرستاني، الملل والنحل (ج184/1).

ويجمعون بين التمثيل والتعطيل، أمثال المشركين،[1] وهذا يدلُّ أنَّهم يعتبرون الانتساب للمذهب الشيعي له المقام الأعلى، وأما التوحيد فيجدون لكل المقالات الكفرية فيه مخرجاً إذا كان القائل بها شيعياً.

5-إنَّ الطريقة الصحيحة في دحض أباطيل الزنادقة هي الطريقة القرآنية، والقرآن قد دحض باطلهم بأبلغ الأساليب وأصحها، ومعتقدات الملحدين التي ذكرها الكليني قد ورد الرد عليها بآيات قرآنية، فلمَ الإعراض عن آيات القرآن الكريم، واللجوء إلى حججٍ واهيةٍ لا تشفي عليلاً، ولا تروي غليلاً، فمثلاً في الرواية التي ذكر فيها الكليني معتقد الثنوية **قد أخطأ من وجهين:**

أولاً: إنَّ الكليني قد أخطأ في ذكر معتقدهم، فقد ذكر أنَّهم يقولون إنَّ الله تعالى خلق الأشياء من أصلٍ قديمٍ، وهذا غير صحيح؛ فإنَّ كل كتب الفرق لم يُذكر فيها هذا، ومعلوم أنَّ الثنوية هم الذين قالوا بوجود إلهين اثنين أزليين، وهم النور والظلمة.[2]

ثانياً: بالإضافة إلى الخطأ الفادح الذي وقع به الكليني في تعريفه للثنوية، فإنَّه ذكر في جوابه شيئاً من الصواب، ولكن لم يوفه حقه، فقد ذكر أنَّ الله تعالى لم يخلق الأشياء من أصلٍ قديمٍ، ولكن لم يذكر الحجة والبرهان على ذلك مع أنَّ دحض حجتهم قد ذُكر في القرآن الكريم، وكذلك فالتفريق بين القول: "من لا شيء"، وبين "لا من شيء،" هو سفسطة باطلة، ففي كتاب الله تعالى ورد: ﴿**اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ**﴾ [يس: 21]، فلو كانت حجته صحيحة لوجب أن يُقال: اتبعوا لا من يسألكم، فدلَّ على خطئه في التفريق بينهما، والحق أنَّ "من" تتقدم على "لا" والعكس، ولا تناقض في كلا الحالتين، ونظم الكلام هو الذي يحدد ذلك، ففي الآية السابقة تقدمت "من" على "لا،" وأمَّا مثال الصورة الثانية وهو تقدم "لا" على "من" قوله تعالى: ﴿**لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ**﴾ [فصلت: 42]، والتقديم والتأخير يكون لأغراضٍ بلاغيةٍ، والظاهر أنَّ "من" في الرواية بيانية فتقديم النفي عليها أو تأخيره لا يؤثر في المعنى، والكليني في هذا كله لم يذكر البرهان على بطلان قولهم، بل ذكر الصواب مجرداً عن الدليل.

---

(1) انظر: ابن تيمية، بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (ج561/3).

(2) انظر: الشهرستاني، الملل والنحل (ج49/2).

6-إنَّ ادعـــاء الكلينـــي أنَّ الإشــراك بولايـــة علـــي رضـــي الله عنـــه شــرك، قــول ظـــاهر الـبطلان، فـالقول أنَّ الولايـة أصـل مـن أصـول الـدين باطـل، فكيـف يكـون تركهـا شـركاً؟، فكمـا لا يخفـى أنَّ هـذا لـم يـردْ فـي القـرآن تصـريحاً ولا تلميحـاً، وولايـة علـي رضـي الله عنـه لـم تلـزم الأمـم السـابقة، ولـم تلـزم مـن مـات مسـلماً فـي عهـد النبـي صـلى الله عليـه وسـلم فكيـف يكـون تركهـا شـركاً؟،[1] وكـذلك فهـل يعقـل أنْ يكـون الإشـراك فـي الولايـة، يُضـاهي الشرك في الربوبية.

(1) سيأتي الرد عليهم في قولهم إنَّ الإمامة من أعظم أصول الدين في المطلب التالي.

المطلب الثالث

المسائل التي تناقض توحيد الربوبية في كتاب الكافي[1]

تعدُّ الإمامة عند الشيعة أصلاً من أصول الدين عند الرافضة،[2] إلا أنَّ معتقداتهم فيها تناقض التوحيد الذي بعث الله تعالى به النبيين عليهم السلام، وكذا لوازم مذهبهم في الإمامة تنقض أركان التوحيد.[3]

لقد جعل الكليني ما يَقرُب من ثلثي رواياته في "الأصول" عن الإمامة التي هي أعظم أصلٍ عند الشيعة، "فإنَّه لم ينادَ بشيءٍ كما نُودي بالولاية،"[4] فالإمامة –كما يزعمون– زمام الدين، وصلاح الدنيا والآخرة، وعزّ المسلمين، وهي أسُّ الإسلام النامي، وفرعه السامي،[5] ومن يطالع كتاب الحجة في الكافي يجد أكثره رواياتٍ مناقضة لتوحيد الربوبية، فهم قد جعلوا الأئمة أرباباً مع الله تعالى، فقد ذكر الكليني أنَّ الله تعالى خلق الأئمة ثم فوَّض إليهم أمور الخلق، وجعل الدنيا والآخرة في أيديهم يتصرفون بها كما يشاؤون، وذكر روايات لازمها القول بحلول الله تعالى في أئمتهم، ووَصَفَ الأئمة بصفات الربوبية فهم يحيون الموتى، ولهم إرادة مستقلة عن إرادة الله تعالى، ولهم ولاية تكوينية تخضع لها جميع ذوات الكون، ولهم ولاية تشريعية في

---

(1) في هذا المطلب سيتمُّ ذكر المسائل التي تنقض توحيد الربوبية المذكورة في كتاب الكافي، وأما في المطلب السابق فُذكرت المسائل التي عدَّها الكليني نواقض تقدح في توحيد الذات.

(2) أصول الدين عند الرافضة، التوحيد، النبوة، المعاد، الإمامة، العدل، ويقصد بالإمامة: إمامة الأئمة الإثني عشر من أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم، انظر: الطباطبائي، أصول العقيدة (ص47)، وبعضهم أثبت البرزخ كأصلٍ من أصول الدين بدلاً من العدل، انظر: الحائري، أصول الدين (ص7).

(3) "الصحيح أنَّ لازم المذهب ليس بمذهب، وليس كل من قال قولاً التزم لوازمه التي صُرِّح بفسادها،" ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل (ج108/8)، "ولكن إذا كان فاسداً [أي لازم المذهب] دلَّ على فساد المذهب،" ابن تيمية، قاعدة عظيمة في الفرق بين عبادات أهل الإسلام والإيمان وعبادات أهل الشرك والنفاق (ج99/1)، ولذلك كون لوازم مذهب الروافض يقتضي قدحاً في التوحيد، فهذا دلالة على فساد مذهبهم.

(4) [الكليني: الكافي، الإيمان والكفر/ دعائم الإسلام، 18/2: ح1].

(5) انظر: [المصدر السابق، الحجة/ باب نادر جامع في فضل الإمام وصفاته 492/1].

التحليل والتحريم، وتشريع الأحكام، ومجمل المعتقدات التي تناقض توحيد الربوبية في الكافي ما يلي:[1]

أولاً: الحلول[2] والتناسخ[3]:

ورد في الكافي روايات تدلُّ على حلول جزءٍ من الإله في أئمتهم، وذكر الكليني أنَّ الجزء الإلهي يتنقل بعد موت الإمام إلى الإمام الذي بعده، فأما روايات الحلول فمنها رواية منسوبة كذباً وزوراً لأبي عبد الله رحمه الله، رُوي أنَّه قال فيها عن الأئمة: "ثم مسحنا بيمينه، فأفضى نوره فينا،"[4] وأورد كذلك الكليني أنَّ الله تعالى خلق الأئمة من نور عظمته،[5] و"مَنْ" هنا للتبعيض، أي أنَّ أرواح الأئمة جزء من الله تعالى،[6] وهذا هو الظاهر من الروايات، والمازندراني ذكر في شرحه أنَّ المراد بهذه الروايات أنَّ النور الذي خُلق منه الأئمة مشتق من الله تعالى،[7] وبعضهم ذكر أنَّ إطلاق النور على الأئمة؛ "لأنَّهم أسباب لهداية الخلق، وعلمهم، وكمالهم، بل

---

(1) ومن باب الأمانة العلمية فإن هذا المبحث تم الاستفادة فيه من بعض الرسائل العلمية، وهي: الكليني وتقرير عقيدة الشيعة الإمامية من خلال كتاب الكافي، لمحمد عبد الله العمري، التناقضات العقدية في مذهب الشيعة الإثنا عشرية، لعزيزة علي الأشول العمري.

(2) الحلول هو:" عبارة عن اتحاد الجسمين بحيث تكون الإشارة إلى أحدهما إشارة إلى الآخر، كحلول ماء الورد في الورد، فيُسمى الساري حالًا، والمسري فيه محلًا"، الجرجاني، التعريفات (ص92).

(3) التناسخ: "هو عبارة عن تعلق الروح بالبدن بعد المفارقة من بدن آخر، من غير تخلل زمان بين التعلقين، للتعشق الذاتي بين الروح والجسد،" الجرجاني، التعريفات (ج68/1).

(4) [الكليني: الكافي، الحجة/ مولد النبي صلى الله عليه وسلم ووفاته، 440/1: ح3].

(5) انظر: [المصدر السابق، الحجة/ خلق الأئمة وأرواحهم وقلوبهم، 389/1: ح2].

(6) وبهذا تكون هذه الروايات مخالفة في معناها لقوله تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ [الحجر:29]، ولقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ﴾ [النساء:171]، فالمعنى في هذه الآيات أنَّ الروح خَلْق من خَلْق الله تعالى، أضافها الله تعالى إلى نفسه تشريفاً وتكريماً، كقوله ناقة الله، وشهر الله، فحقيقة الإضافة هي إضافة خَلْقٍ إلى خالق، انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج24/10)، ولكن النصارى اعتقدوا أنَّ المراد أنَّ عيسى عليه السلام هو جزء من الله تعالى، وهذا المعتقد هو معتقد الشيعة نفسه في أئمتهم، فهم يعتقدون أنَّ جزءاً من النور الإلهي قد حلَّ فيهم.

(7) انظر: المازندراني، شرح أصول الكافي (ج395/6).

ووجودهم، فهم علل غائية لوجود جميع الأشياء،"[1] ولكن الذي يتعين من هذه المعاني المعنى الأول، فهم يعتقدون أنَّ جزءاً من النور الإلهي قد حلَّ في أئمتهم، ومما يدلُّ على ذلك الروايات الكثيرة الصريحة في هذا الجانب، ومنها ما رواه الكليني: "وروحك ما جرى فيه من ربك،"[2] وكذلك ما ذكره الكليني أنَّ الأئمة لا يشاركهم أحد في أصل خلقتهم،[3] فلو كانت "مَنْ" في الروايات لابتداء الغاية لشاركهم آدم وعيسى عليهما السلام، بل وجميع الآدميين بنصِّ القرآن الكريم، وكذلك فهناك أوصاف تترتب على خلقة الأئمة بالكيفية التي ذُكرت، وهي أنَّهم صاروا محلاً للمعارف الإلهية، بل وحملوا حمولة الرب، وترتيب هذا الوصف على ذلك الحكم يقتضي العلِّية، فالمعنى أنَّهم لما خالفوا البشر في أصل خلقتهم، وكانوا أجزاء من نور الإله صاروا محلاً لأوصافه وعلومه، بل وحموا حمولته.

والأصل في النور أنْ يُطلق على ما يكون سبباً في ظهور الأشياء؛ ولذلك يُطلق على الله تعالى النور، نور الأنوار؛ لأنَّه منبع كل وجودٍ وعلمٍ وكمالٍ،[4] "وإطلاق النور على الأئمة من باب الحقيقة؛ لأنَّهم أنوار إلهيون مستورون بجلالبيب الأبدان؛"[5] ولذلك اتَّصف الأئمة بكل أوصاف الإله، وكما لا يُتصور الإحاطة بكنه حقيقة ذات الله تعالى وصفاته، فإنَّه لا يُتصور هذا بالنسبة إلى الأئمة، فحقيقة ذات الإمام وصفاته لا يعلمها إلا الله تعالى،[6] وبذلك ينفرد الأئمة عمن سواهم من البشر؛[7] لأنَّهم نور من عالم الملكوت.[8]

---

(1) المجلسي، مرآة العقول (ج353/2).

(2) [الكليني: الكافي، الحجة/ ما فرض الله تعالى ورسوله من الكون مع الأئمة، 209/1-208: ح4].

(3) روى الكليني عن أبي عبد الله رحمه الله أنَّه قال: "فكنا نحن خلقاً وبشراً نورانين، ولم يجعل لأحد في مثل الذي خلقنا منه نصيباً،" [المصدر السابق، الحجة/ خلق أبدان الأئمة وأرواحهم وقلوبهم، 389/1: ح2].

(4) انظر: المازندراني، شرح أصول الكافي (ج150/7).

(5) المصدر السابق (ج175/5).

(6) انظر: المصدر السابق (ج395/6).

(7) روى الكليني عن أبي عبد الله رحمه الله: "فكنا نحن خلقاً وبشراً نورانيين ولم يجعل لأحد في مثل الذي خلقنا منه نصيباً،" [الكليني: الكافي، الحجة/ خلق أبدان الأئمة وأرواحهم وقلوبهم، 389/1: ح2].

(8) المجلسي، مرآة العقول، بتصرف (ج272/4).

ومن الروايات التي ورد فيها معنى الحلول أيضاً الروايات التي أُطلق فيها بعض صفات الله تعالى على الأئمة، ومنها ما نُسب لأبي جعفر رحمه الله أنَّه قال: "نحن المثاني التي أعطاها الله نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم، ونحن وجه الله نتقلب في الأرض بين أظهركم، ونحن عين الله في خلقه، ويده المبسوطة بالرحمة على عباده،"[1] ورُوي عنه كذلك: "نحن حجة الله، ونحن باب الله، ونحن لسان الله، ونحن وجه الله، ونحن عين الله في خلقه، ونحن ولاة أمر الله في عباده."[2]

فالمراد هنا أنَّ الله تعالى خلقهم من نور عظمته، ونور الله تعالى صفة من صفات ذاته، فهم جزء من الله تعالى؛ لأنَّه أوجدهم من جزء من أجزائه، وهو النور الإلهي؛[3] ولأنَّ أئمتهم قد حلَّ فيهم الجزء الإلهي، كان لهم صفات يتميزون بها عن سائر البشر، ويُشاركون فيها الإله، وهو أنَّ فيهم روح القدس، والتي تجعل الأئمة منزَّهين عن النوم والغفلة والسهو والنسيان، فعن مفضَّل قال: "سألت أبا عبد الله عليه السلام عن علم الإمام بما في أقطار الأرض، وهو في بيته مُرخى عليه ستره، فقال: يا مفضَّل إنَّ الله تبارك وتعالى جعل في النبي صلى الله عليه وسلم وآله خمسة أرواح، روح الحياة، فبه دبَّ ودرج، وروح القوة، فبه نهض وجاهد، وروح الشهوة، فبه أكل وشرب، وأتى النساء من الحلال، وروح الايمان، فبه آمن وعدل، وروح القدس، فبه حمل النبوة،........وروح القدس لا ينام، لا يغفل، ولا يلهو، ولا يزهو، والأربعة الأرواح تنام، وتغفل، وتزهو، وتلهو، وروح القدس كان يرى به،"[4] وهكذا لا يكون الشخص المُغالى فيه مجرد مشاركٍ في صفات الله تعالى فقط دون حلول الله تعالى فيه، ولا يكون هو الله تعالى نفسه، وإنَّما هو صورة وشكل يتمثل فيها الإله عن طريق حلول الجزء الإلهي فيه.[5]

---

(1) [الكليني: الكافي، التوحيد/ النوادر 143/1 :ح3].

(2) [المصدر السابق، التوحيد/ النوادر، 145/1 :ح7]، ونسبوا لعلي رضي الله عنه أنَّه قال: "أنا عين الله، وأنا يد الله، وأنا جنب الله، وأنا باب الله" [الكليني: الكافي، التوحيد/ النوادر، 145/1 :ح8]

(3) انظر: جستنية، أثر الديانات الوثنية في عقائد الرافضة (ص359).

(4) [الكليني: الكافي، الحجة/ الأرواح التي كانت في الأئمة، 171/1: ح3].

(5) انظر: جستنية، أثر الديانات الوثنية في عقائد الرافضة (ص362).

إنَّ الأئمـة عنـد الشـيعة متفقـون فـي جميـع الصـفات، فهـم فـي العلـم والشـجاعة والطاعـة سـواء،[1] ويرجـع هـذا إلـى روح القـدس الـذي ينتقـل بمجـرد مـوت الإمـام إلـى الإمـام الـذي يليـه، وهـذه حقيقـة التناسـخ، ويظهـر هـذا المعتقد واضـحاً فـي الروايـة المنسـوبة لجعفـر رضـي الله عنـه أنَّـه قـال: "وروح القـدس، فبـه حمـل النبـوة، فـإذا قـبض النبـي صـلى الله عليـه وآلـه، انتقـل روح القـدس فصـار إلـى الإمـام، وروح القـدس لا ينـام، ولا يغفـل، ولا يلهـو، ولا يزهـو، والأربعـة الأرواح تنـام، وتغفـل، وتزهـو، وتلهـو،"[2] وهـذا المعتقـد يتمثـل في أنَّ الجزء الإلهي تتوارثه الروح المقدسة عن طريق التناسخ.

الرد والمناقشة:

إنَّ نـواقض توحيـد الربوبيـة فـي الكـافي تجعـل الـروافض علـى ديـنٍ جديـدٍ، تـأثروا بالإسـلام فـي شـيءٍ منـه، فتوحيـد الربوبيـة الـذي جعلـوه غـايتهم فـي التوحيـد، قـد أدخلـوا فيـه شـركيات ومعتقـدات مـا أنـزل الله بهـا مـن سلطان، والقـرآن الكـريم فيـه أدلـة كثيـرة جـداً تـدل علـى بطــلان ديـنهم، وإذا كانـت مخـالفتهم قـد أتـى القـرآن فأبطلهـا، فـلا يبقـى شـك فـي كفـرهم، وفسـاد مـذهبهم، ولإبطـال مـا أتـوا بـه مـن النـواقض –التـي اعتبروهـا معتقـدات– نبـدأ بـالرد علـيهم بآيـات الله تعـالى، التـي كفتنـا مؤونـة الـرد علـى الـروافض، فـالقرآن كمـا قـال النبـي صـلى الله عليـه وسـلم: «**إِنَّ هَـذَا الْقُـرْآنَ مَأْدُبَـةُ اللَّـهِ فَـاقْبَلُوا مِـنْ مَأْدُبَتِـهِ مَـا اسْـتَطَعْتُمْ، إِنَّ هَـذَا الْقُـرْآنَ حَبْـلُ اللَّـهِ، وَالنُّـورُ الْمُبِـينُ، وَالشِّـفَاءُ النَّـافِعُ عِصْـمَةٌ لِمَـنْ تَمَسَّـكَ بِـهِ، وَنَجَـاةٌ لِمَـنْ تَبِعَـهُ، لَا يَزِيـغُ فَيُسْـتَعْتَبَ، وَلَا يَعْـوَجُّ فَيُقَـوَّمُ، وَلَا تَنْقَضِـي عَجَائِبُـهُ، وَلَا يَخْلَـقُ مِـنْ كَثْـرَةِ الـرَّدِّ،**»[3] ونـورد فـي الـردِّ علـيهم بعـض الشـواهد مـن كتـاب الله تعـالى كأمثلـةٍ نـنقض بهـا مـذهبهم، ثـم نـذكر التنـاقض فـي ذكـر المعتقـد مـن خـلال روايـات الكـافي، وأخيـراً الـرد علـيهم مـن خـلال الروايـات المناقضـة لروايـات الكـافي، والمنسـوبة للأئمة من كتبهم المعتمدة.

---

(1) انظـر: [الكلينـي: الكـافي، الحجـة/ فـي أن الائمـة صـلوات الله علـيهم فـي العلـم والشـجاعة والطاعـة سواء، 275/1: ح1].

(2) [المصدر السابق، الحجة/ الأرواح التي كانت في الأئمة، 272/1: ح3].

(3) [الحـاكم: المسـتدرك علـى الصـحيحين، فضـائل القـرآن/ أخبـار فـي فضـائل القـرآن جملـة، 741/1 :ح2040]، قال عنه الحاكم: "حديث صحيح الإسناد ولم يُخرجاه".

الرد على الروايات التي تضمنت القول بالحلول والتناسخ:

إنَّ روايات الكافي ظهر فيها بعض المعتقدات الكفرية الوثنية واضحاً جليّاً، كاعتقاد الشيعة بالحلول والتناسخ، وهذه المعتقدات الكفرية من نتاج معتقدات الديانات الوثنية، التي تأثَّروا بها، وأدخلوها في رواياتهم، وأهم هذه المعتقدات:

1-القول بالحلول:

إنَّ القول بالحلول مذكور صراحةً في الروايات كمعتقدٍ يدين به الكليني وشيعته، ومثال ذلك قول جعفر رضي الله عنه في الرواية المنسوبة إليه: "إنَّ الله خَلَقَنا من نور عظمته، ثم صوَّر خَلْقَنا من طينة مخزونة مكنونة من تحت العرش، فأسكن ذلك النور فيه، فكنا نحن خلقاً وبشراً نورانيين، لم يجعل لأحدٍ في مثل الذي خلقنا منه نصيباً،"[1] وهذا القول لم يقلْ به الأوائل من الشيعة فقط، بل قد استشرى إلى علمائهم المعاصرين، فالخميني صرح بالحلول، فقال: "النتيجة لكل المقامات والتوحيدات عدم رؤية فعل وصفة حتى من الله تعالى، ونفى الكثرة بالكلية، وشهود الوحدة الصرفة،"[2] وهذا يعني أنَّ الخميني يقول بالحلول العام، وهذا نتيجة لتطور المذهب من الحلول الخاص بالأئمة إلى القول بالحلول العام.[3]

والقول بالحلول مخالف بداهةً لكل النصوص الشرعية، وهو قول يُخرج صاحبه من الملة، كما هو متفق عليه بين سائر المسلمين، وقد ردَّ علماء الإسلام على القائلين به، من النصارى، وغيرهم من الفرق التي تدين به.[4]

الرد والمناقشة:-

أ-الرد عليهم بالآيات القرآنية:

إنَّ أوضح الأدلة لردِّ مثل هذه المعتقدات الشركية، عدم ورود دليل عليها في القرآن الكريم، والكليني جعل القول بالحلول من العقائد؛ وهذا يقتضي أنْ تَرِد عليه أدلة بأجلى صورة، فلمَّا لم نجد دليلاً عليها؛ عُلم قطعاً أنَّه ابتداع في التوحيد، وقد ذمَّ الله تعالى من ابتدع في الدين

---

(1) [الكليني: الكافي، الحجة/ خلق أبدان الأئمة وأرواحهم وقلوبهم، 389/1: ح2].

(2) الخميني، مصباح الهداية إلى الخلافة والولاية (ص80).

(3) انظر: د.الرقب، الوشيعة في كشف كفريات وشنائع دين الشيعة (ص176).

(4) وفي الرد على النواقض عليهم لن يُذكر تفصيلات ردود العلماء على الحلول؛ لأن المقام يضيق، وللاطلاع على مزيد من الردود، انظر: البغدادي، الفرق بين الفرق (241/1)، القرطبي، الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام (92/1)، ابن تيمية، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (175/2)، الحكمي، معارج القبول (175/1).

ما ليس منه، قال تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الشُّورى:21]، فالقول بالحلول باطل ابتداءً لعدم وجود النصّ عليه، ويزيد هذا المعتقد بطلاناً أنَّه يُعارض القرآن الكريم معارضة واضحة، فالله تعالى أثبت لنفسه الحمد الذي يقتضي نفي المشابهة والمماثلة من جميع الوجوه، قال تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ للهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾[الإسراء:111]، والقول بالحلول جعل لأئمة الشيعة صفات إلهيةً، وصارت مشابهة للمخلوق بالخالق بوجهٍ من الوجوه، كوجود روح القدس فيهم، التي لا تنام، ولا تغفل، ولا تسهو، وجعلوا الأئمة هم حملة المعارف الإلهية، والله تعالى قال: ﴿اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ [البقرة:255]، ففي هذه الآية مَدَح الله تبارك وتعالى نفسه بنفي السِّنَة والنوم عنه، فإذا كان غيره يُشاركه في ذلك فلا وجه لهذا المدح. والجملة نفي للتشبيه، وتنزيه له تعالى أنْ يكون له مَثَلٌ من الأحياء؛ لأنَّ المخلوقات لا تخلو من ورود السِّنَة والنوم عليها، فكيف تشابه الله سبحانه وتعالى؟، وجملة (لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ) خبر رابع للفظ الجلالة،[1] فيجب أنْ ينفرد الخالق تعالى بنفي السنة والنوم، كما ينفرد بالألوهية والحياة والقيومية؛ لأنَّها أخبار فتشترك في الدلالة على الانفراد والتنزيه، وكل آية فيها تنزيه الله تعالى، ووصفه بصفات الكمال هي نفي للحلول، لأنَّ ذاته العليّة لا يمكن أن يحلَّ بعضها في المخلوق الضعيف الذي لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً.

إنَّ الكليني قد ذكر في رواياته أنَّ الأنبياء قد شاركوا الأئمة في أصل خلقتهم من النور الإلهي، وحلول الجزء الإلهي فيهم، والله تعالى أخبر عن أنبيائه أنَّهم بشر لا يختلفون في شيء في أصل خلقتهم، قال تعالى: ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ [إبراهيم:11]، فهذا يقتضي تكذيب هذه الروايات؛ لأنَّ الآيات أثبتت المماثلة في الخلقة بين الأنبياء وغيرهم من البشر، والنصارى لا شك في كفرهم؛ إذ قالوا بالحلول الخاص، واتحاد الرب بالمسيح خاصة، والله تعالى قد ردَّ على ادعاء النصارى في عيسى عليه السلام، قال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [آل عمران:59]، وشبهة

---

(1) انظر: درويش، إعراب القرآن وبيانه (ج1/ 382)، الألوسي، روح المعاني (ج2/ 316).

الحلول في عيسى عليه السلام أقوى من غيره، وقد نفاها الله تعالى، فحقيقته عليه السلام أنَّه بشر، فتكون هذه الآية من أبلغ الردود على الروافض القائلين بالحلول الخاص في أئمتهم.

إنَّ الروايات التي نُقلت عن الأئمة في مدحهم المفرط لأنفسهم شيء مثير للدهشة، فهل يمدح الإمام نفسَه بهذا الشكل المُفرط؟!!!، ويجعل لنفسه صفات إلهيةً، فيقول عن نفسه يد الله ووجه الله تعالى، ثمَّ ألم يكن لله تعالى يد و وجه وعين قبل أن يأتي الأئمة؟، وما هذا الإله الذي يحتاج في عينه ويده ووجهه إلى أحد عباده؟، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.[1]

ب-الرد على الكليني من خلال الروايات المتناقضة في الكافي:

إنَّ روايات الحلول في الكافي متناقضة، فمرةً يُذكر أنَّ الأئمة خُلقوا من نور عظمة الله تعالى، ولم يشاركهم في ذلك إلا الأنبياء، فقد أورد عن جعفر رضي الله عنه قوله: "إنَّ الله خلقنا من نور عظمته......ولم يجعل الله تعالى لأحدٍ في مثل الذي خلقنا منه نصيباً إلا للأنبياء،"[2] ومرة يورد أنَّ سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلي رضي الله عنه والأئمة اختلفوا في أصل خلقتهم عن سائر البشر، فقد أورد حديثاً قدسياً ورد فيه: "يا محمد إنِّي خلقتك وعلياً نوراً، (يعني روحاً بلا بدن)، قبل أنْ أخلق سماواتي وأرضي وعرشي وبحري، فلم تزل تهللني وتمجدني، ثم جمعت روحيكما فجعلتهما واحدة، فكانت تمجدني وتقدسني، وتهللني، ثم قسمتها ثنتين، وقسمت الثنتين ثنتين، فصارت أربعة، محمد واحد، وعلي واحد، والحسن والحسين ثنتان،......ثمَّ مسحنا بيمينه، فأفضى نوره فينا،"[3] فمثل هذه الروايات تدلُّ على انفراد النبي صلى الله عليه وسلم والأئمة عن البشر، بمن فيهم الأنبياء؛ فقد ذكر في الرواية أنَّ خلقهم متقدم على كل المخلوقات وفي الرواية الأولى أثبت المماثلة بين الأنبياء والأئمة؛ فهي بذلك تكون متناقضة، ولا يصح الاحتجاج بها، وهي كذلك مكذوبة متناً؛ لأنَّه ورد في القرآن الكريم أنَّ أول مخلوقٍ في البشر هو آدم عليه السلام، وورد كذلك أنَّ خلق السموات والأرض سابق على خلق البشر، فالله تعالى قال للملائكة في قصة خلق آدم عليه السلام: ﴿ قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ

---

(1) انظر: البرقعي، كسر الصنم (ج74/1).

(2) [الكليني: الكافي، الحجة/ خلق أبدان الأئمة وأرواحهم وقلوبهم عليهم السلام، 389/1: ح2].

(3) [المصدر السابق، الحجة/ أبواب التاريخ، 440/1: ح2].

غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [البقرة:33]، فالآية تدلُّ على أنَّ السموات والأرض كانتا مخلوقتين قبل خلق آدم عليه السلام، فبذلك يتضح أنَّ روايات الكافي موضوعة ومتناقضة، ولا يصح الاستدلال بها.

لقد أورد الكليني روايات تثبت أنَّ الأئمة كانوا يقولون إنَّهم بشر، ولا يرون لأنفسهم ما نُسب إليهم من روايات الغلو، فقد ورد في الكافي أنَّ حبراً سأل جعفر رحمه الله: "أنبي أنت؟،" فقال له جعفر رحمه الله: "لأمك الهبل، إنَّما أنا عبد من عبيد رسول الله صلى الله عليه وآله،"[(1)] وأورد عن سدير أنَّه قال: "قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إنَّ قوماً يزعمون أنَّكم آلهة، يتلون بذلك علينا قرآنا: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الأَرْضِ إِلَهٌ﴾ [الزُّخرف:84]، فقال: يا سدير سمعي وبصري وبشري ولحمي ودمي وشعري من هؤلاء براء، وبَرِئَ الله منهم، ما هؤلاء على ديني، ولا على دين آبائي، والله لا يجمعني الله وإياهم يوم القيامة إلا وهو ساخط عليهم،"[(2)] فهذه الروايات ذُكر فيها صراحةً أنَّهم بشر لا يختلفون عمن سواهم في شيءٍ، وأنَّ الأئمة كانوا يتبرؤون ممن يغلو فيهم، وأما القول بالحلول فيجعل الأئمة آلهة في الأرض، فهم مفوَّضون بأمر الله تعالى، ويحيون ويعلمون الغيب، وغير ذلك كثير مما أضفوه على أئمتهم من الصفات الإلهية.

ج-الرد على الكليني من خلال روايات الأئمة التي وردت في كتب الشيعة المعتمدة:

إنَّ الروايات المذكورة في كتب الشيعة المعتمدة، التي تذكر تبرُّؤ أئمة الشيعة مما نُسب إليهم من الكفريات والشنائع كثيرة، وقد نَقَلَ ذلك الرواة الذين أخذوا العلم عن الأئمة، ومن هؤلاء شريك حيث قال فيمن غلا في الأئمة: "إنَّ أقواماً من الناس يُحَدِّثون الناس بأحاديث منكرة ومكذوبة على جعفر بن محمد عليه السلام وعلى آله الطاهرين عليهم السلام، فيزعمون بأنَّ علياً في السحاب يطير مع الريح، وأنَّه كان يتكلم بعد الموت، وأنَّه كان يتحرك على المغتسل، وأنَّ إله السماء، وإله الأرض الإمام، فجعلوا لله شريكاً جهلاً وضلالاً، والله ما قال جعفر شيئاً من هذا قط، وكان

---

(1) [الكليني: الكافي ، التوحيد/ الكون والمكان، 90/1 :ح8]

(2) [المصدر السابق، الحجة/ في أنَّ الأئمة بمن يشبهون ممن مضى، وكراهية القول فيهم بالنبوة، 269/1: ح6].

جعفر أتقى لله وأورع من ذلك، فسمع الناس ذلك فضعفوه، ولو رأيت جعفرَ لعلمت أنه واحد من الناس."[1]

يتضح مما سبق أنَّ هذه العقائد غريبة عن الإسلام ولا تمت له بأي صلة، وقد ورثها الشيعة من قدمائهم؛ فديانة إيران القديمة شاعت فيها عقيدة حلول الإله في العظماء؛ فلذلك كانوا يقدّسون ملوكهم الساسانين،[2] والقول بالحلول لا تكاد تخلو منه ديانة من الديانات الوثنية؛ فالصائبة مثلاً من أهم معتقداتهم أنَّ الإله المعبود واحد في ذاته، وقد يظهر في الأشخاص، فالصانع المعبود واحد وكثير، فهو واحد في الذات والأصل والأزل، وكثير؛ لأنَّه يتكثر في الأشخاص الأرضية الخيرة الفاضلة، فإنَّه يظهر بها، ويتشخص بأشخاصها، ولا تبطل وحدته في ذاته،[3] والحلول إمَّا أنَّ يكون بحلول ذاته، أو يكون بحلول جزءٍ من ذاته، على قدر استعداد مزاج الشخص، والله تعالى عندهم يُسمى ملك النور، ومنه كان الضياء، ومن الضياء الأرواح المسيطرة على الظواهر الطبيعية،[4] وهذا مطابق تماماً لما يعتقده الشيعة، فالإله عندهم أصل النور، والأئمة عندهم الأرواح الخيِّرة التي حلَّ بها جزء من النور الإلهي، وأصبحت بذلك مسيطرة على الظواهر الطبيعية، وبذلك أضفى الشيعة الصبغة الدينية على المعتقدات الوثنية، وأدخلوها في دينهم كي ينصروا ويرفعوا معتقدهم في أئمتهم، وهو من أكبر الأمثلة على غلوهم الذي يخرجهم من الملة.

2-القول بالتناسخ:

الرد والمناقشة:

إنَّ القول بالتناسخ انتقل إلى الرافضة من المانوية[5] التي احتكت احتكاكاً مباشراً بالرافضة،[6] وليس أدلّ على بطلان هذا المعتقد من أنَّ جذوره وثنية، ويكفي

---

(1) المجلسي، بحار الأنوار (ج302/25).

(2) انظر: جستنية، أثر الديانات الوثنية في عقائد الرافضة (ص363).

(3) انظر: الشهرستاني، الملل والنحل (ج112/2).

(4) انظر: جستنية، أثر الديانات الوثنية في عقائد الرافضة (ص363).

(5) المانوية: سميت بذلك نسبة إلى مؤسسها "ماني،" وهي إحدى فرق الثنوية، فهم يقولون بمبدأي الخير والشر، أو النور والظلام، و"ماني" نشأ في بلاد فارس، فلا عجب من انتقال أراء المانوية إلى الروافض انظر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، موسوعة المفاهيم الإسلامية العامة (ج174/1).

(6) انظر: جستنية، أثر الديانات الوثنية في عقائد الرافضة (ص367).

في الرد عليهم إجماع جميع أهل الإسلام على تكفيرهم، وعلى أنَّ من قال بقولهم فإنَّه على غير الإسلام، وأنَّ النبي صلى الله عليه وسلم أتى بغير هذا، والنصوص الشرعية كلها، والإجماع على أنَّ الجزاء لا يقع إلا بعد فراق الأجساد للأرواح قبل يوم القيامة، ثمَّ بالجنة أو النار في موقف الحشر فقط، إذا جمعت الأجساد مع أرواحها التي كانت فيها،(1) **وتفصيل الرد عليهم كما يلي:**

أ-الرد عليهم بالآيات القرآنية:

إنَّ من تتبع آيات القرآن الكريم التي ذُكر فيها عن موت الإنسان وحسابه، يجدها من أولها إلى آخرها تبين أنَّ الجزاء الأخروي يقع بعد مفارقة الروح للبدن، فيكون في حياة البرزخ، وبعد ذلك يوم القيامة، قال تعالى: ﴿وَهُوَ القَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ المَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللهِ مَوْلَاهُمُ الحَقِّ أَلَا لَهُ الحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الحَاسِبِينَ﴾ [الأنعام:61،62]، فهذا يدل على أنَّ الروح تتلقاها الملائكة الموكلة بذلك، لا أنَّها تتناسخ، ولا فرق في ذلك بين الخلق كلهم، فيدخل في ذلك النبي صلى الله عليه وسلم وأئمة الشيعة، لعموم الأدلة الواردة في ذلك، وعدم وجود أدلةٍ مخصصةٍ لهذا العموم، وروح القدس التي يُؤيّد الله تعالى بها أنبيائه ليست جُزءاً من ذات الله تعالى، ولا تتناسخ بين البشر، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ البَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ القُدُسِ﴾ [البقرة:87]،فعلى القول إنَّ المراد بروح القدس جبريل عليه السلام،(2) فالمعنى يكون واضحاً فجبريل ليس جُزءاً من ذات الله تعالى، وعلى القول بأنَّ المراد هو الروح التي خُلق منها عيسى عليه السلام، فبالاتفاق أنَّها ليست جُزءاً من الله تعالى، وحتى الشيعة يقولون بكفر النصارى القائلين بالاتحاد، فعلى جميع الأقوال يكون قولهم باطلاً ظاهر البطلان، وينبغي الوقوف عند حدود القرآن، وعدم تجاوز بيانه؛ لأنَّ الوارد أنَّ الله

---

(1) انظر: ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل (ج77/1)، وانظر للرد على من قال بالتناسخ، الغزالي، فضائح الباطنية (ج49/1)، المؤلف نفسه، الاقتصاد في الاعتقاد (ج99/1)، الآمدي، غاية المرام في علم الكلام (ج297/1)، ابن تيمية، مختصر الفتاوى المصرية (ج2/1،107/221).

(2) لمعرفة الأقوال الواردة في معنى روح القدس، انظر: ابن الجوزي، زاد المسير (ج86/1)، ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج592/1).

تعالى أيَّد بعض أنبيائه بروح القدس، فهي لا تعمُّ كل الأنبياء فضلاً على أنْ تعمَّ غيرهم.

ب- **الرد على الكليني من خلال الروايات المتناقضة في الكافي:**

إنَّ الروايات في الكافي أثبتت أنَّ حكم الأئمة سيكون مثل حكم داود وسليمان عليهما السلام، وروح القدس يأتيهم بما ليس عندهم من العلم، فيحكمون بدون بينة،[1] وهذا التماثل يقتضي أنَّ الأنبياء عليهم السلام والأئمة سواء في التناسخ لروح القدس، فهل صار التناسخ لروح القدس بين الأنبياء إلى أنْ وصل للأئمة؟، أم أنَّه انفرد به النبي صلى الله عليه وسلم والأئمة؟، والقول الأول له روايات تُؤيده، فقد روى المجلسي أنَّ الإمام الغائب عندما يقوم فإنَّه سيقول: "يا معشر الخلائق، ألا ومن أراد أنْ ينظر إلى آدم وشيث، فها أنا ذا آدم وشيث، ألا ومن أراد أن ينظر إلى نوح وولده سام، فها أنا ذا نوح وسام، ألا ومن أراد أن ينظر إلى إبراهيم وإسماعيل، فها أنا ذا إبراهيم وإسماعيل، ألا ومن أراد أن ينظر إلى موسى ويوشع، فها أنا ذا موسى ويوشع، ألا ومن أراد أن ينظر إلى عيسى وشمعون فها أنا ذا عيسى وشمعون، ألا ومن أراد أن ينظر إلى محمد وأمير المؤمنين صلوات الله عليهما، فها أنا ذا محمد صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام، ألا ومن أراد أن ينظر إلى الحسن والحسين عليهما السلام، فها أنا ذا الحسن والحسين، ألا ومن أراد أن ينظر إلى الأئمة من ولد الحسين عليهم السلام، فها أنا ذا الأئمة عليهم السلام، أجيبوا إلى مسألتي،"[2] فهذا يناقض اختصاص تناسخ روح القدس بين النبي صلى الله عليه وسلم والأئمة التي تثبتها رواية الكليني التي رُوي فيها: "وروح القدس، فبه حمل النبوة، فإذا قبض النبي صلى الله عليه وآله، انتقل روح القدس فصار إلى الإمام،"[3] وهي كذلك مناقضة للقول بالتماثل بين الأئمة ودواد وسليمان عليهما السلام في تأييدهم بروح القدس، فالحاصل أن بعض الروايات تجعل روح القدس خاصاً بالنبي صلى الله عليه وسلم والأئمة، وروايات أخرى جعلتها عامة تتناسخ بين كل الأنبياء.

---

(1) انظر: [الكليني: الكافي، الحجة/ في الأئمة عليهم السلام أنهم إذا ظهر أمرهم حكموا بحكم داود وآل داود، 397/1،398: ح1، ح2].

(2) المجلسي، بحار الأنوار (ج53/9).

(3) [الكليني: الكافي، الحجة/ الأرواح التي كانت في الأئمة، 272/1: ح3].

ج-الرد على الكليني من خلال روايات الأئمة التي وردت في كتب الشيعة المعتمدة:

إنَّ علماء الشيعة قد ذكروا أنَّ القول بالحلول والتناسخ كفر، وأثبتوا أنَّ الإمامية الإثنا عشرية تُكفِّر مثل هذه الآراء، وهي بريئة من مقالات أولئك الأشخاص الذين يدَّعون الإسلام، وينتحلون مذهب التشيع ويقولون بهذه المقالات، ونقلوا عن الأئمة تكفير من يقول بذلك، والعجيب أنَّ مصادر الشيعة اعترفت بأنَّ الغلاة هم القائلون بمثل هذه المذاهب، وأنَّهم تأثَّروا بالديانات الوثنية،[1] ولكنهم ضربوا صَفْحاً عن الروايات القائلة بالتناسخ في كتبهم المعتمدة، وهناك طائفة أخرى تُحيل كل ذلك إلى التقية،[2] والسؤال: ما الذي دفع الأئمة للتقية في ذكر هذه المذاهب؟، فالتقية عند الخوف من عدوٍ، أو لإظهار موافقة معتقدٍ أمام المخالفين، والقول بالحلول والتناسخ بإجماع المسلمين كفر فلا يحتاج المرء للتقية؛ إذ لا يقول به إلا الغلاة الذين لا شك في كفرهم عند كل الطوائف؛ ولذلك فالأجدر أنْ يُقال إنَّ من يعتقد بالحلول والتناسخ يجب أنْ لا يقول بهما تقية أمام المسلمين، فإنَّه ليس من المعقول أنْ يخالف المجتمع تقية بإظهار قولٍ يعتقدون خلافه، وكذلك فإنَّه قد ورد عن الأئمة التكفير لمن قال بالحلول والتناسخ بشكلٍ صريحٍ، وأنَّهم أعلنوا ذلك واضحاً، ولعنوا وتبرؤوا من القائلين به، فهذا يعني أنَّ روايات الحلول والتناسخ قيلت كذباً وليس تقيةً، والتعارض في روايات إثبات الحلول والتناسخ، وروايات التكفير لمن قال بهما متقاربة في المرتبة والقوة، فيتعين قرينة مرجحة لمعرفة ما قيل تقية، ولا قرينة عند الشيعة، إلا القول تخرصاً وظناً بغير علم.

ثانياً: الاعتقاد بالتفويض:

لقد ذكر الكليني أنَّ الله تعالى خلق الأئمة، ثم فوَّض إليهم أمر الخلق والتشريع، فهم "ولاة أمر الله تعالى،"[3] وهم "خلفاء الله تعالى في أرضه،"[4] والخليفة هو صاحب المقام الأعظم؛ لأنَّه يخلُف الله تعالى في عباده، ويُبين لهم مراد الله تعالى،[5] والأئمة

---

(1) انظر: الغفار، شبهة الغلو عند الشيعة (ص24،25).

(2) انظر: العاملي، وسائل الشيعة (ج475/1)، (ج461/1)،(ج307/2)،(ج156/3) ، (ج163/11)، فإنَّه عزا كل الروايات المتناقضة التي لا يمكن الجمع بينها على أنَّها قيلت تقية.

(3) [المصدر السابق، الحجة/ أن الأئمة ولاية أمر الله وخزنة علمه، 192/1 :ح1].

(4) [المصدر السابق، الحجة/ أن الأئمة خلفاء الله تعالى، 193/1 :ح1]

(5) انظر: المجلسي، مرآة العقول (ج350/2)، عاشور، الولاية التكوينية لآل محمد (ص286).

قد حملوا حمولة الرب،[1] أي حملوا المعارف الإلهية، والعلوم اليقينية؛[2] ولذلك فوَّضهم الرب في أمور الدين والدنيا والآخرة، وأصل هذا التفويض أنَّ الله تعالى خَلَقَ الخَلْقَ، ثمَّ فوَّض إلى النبي صلى الله عليه وسلم أمر الدين والأمة،[3] والنبي صلى الله عليه وسلم فوَّض هذا الأمر إلى الأئمة،[4] ففي أمور الدنيا الإمام له مشيئة مطلقة، وله "خلافة تكوينية تخضع لولايتها وسيطرتها جميع ذرات الكون،"[5] والله تعالى جعلهم مُطاعين في السموات والأرض، ويطيعهم كل شيء حتى الجمادات، والأئمة إذا شاؤوا أمراً فالله تعالى لا يردُّ مشيئتهم،[6] والروايات في هذا الجانب كثيرة جداً، ومنها ما نُسب لأبي جعفر رحمه الله أنَّه قال: "عندنا خزائن الأرض ومفاتيحها."[7]

وقد أوجب الشيعة على من يزور قبر الحسين أنْ يستهلَّ الدعاء عند القبر بالقول: "...وبكم فَتَحَ الله، وبكم يختم الله، وبكم يمحو ما يشاء، وبكم يُثْبت، وبكم يُفك الذلُّ من رقابنا...وبكم تُنبت الأرض أشجاره، وبكم تُخرج الأشجار أثمارها، وبكم تُنزل السماء قطرها ورزقها، وبكم يكشف الله الكرب، وبكم يُنزل الله الغيث... وتستقر جبالها عن مراسيها."[8]

والأئمة كذلك لهم ولاية تشريعية في التحليل والتحريم، "فالله تعالى خلق محمداً وعلياً وفاطمة فمكثوا ألف دهرٍ، ثم خلق جميع الأشياء فأشهدهم خلقها، وأجرى طاعتهم عليها، وفوَّض أمورها إليهم، فهم يُحلُّون ما يشاؤون، ويحرمون ما يشاؤون،"[9] والأئمة هم ولاة أمر الله تعالى، وهم خزَّان علمه وتراجمه،[10] والله تعالى فوَّضهم في

---

(1) انظر: [الكليني: الكافي، الحجة/ أن الأئمة أركان الأرض، 196/1 :ح1]

(2) المازندراني، شرح أصول الكافي، بتصرف (ج186/5)، وانظر: المجلسي، مرآة العقول (ج371/2).

(3) انظر: [الكليني: الكافي، الحجة/ التفويض إلى النبي صلى الله عليه وسلم، 166/1 :ح4]

(4) انظر: [المصدر السابق، الحجة/ التفويض إلى النبي صلى الله عليه وسلم، 267/1-268:ح8].

(5) الخميني، الحكومة الإسلامية (ص52).

(6) المجلسي، مرآة العقول، بتصرف (ج143/3).

(7) [الكليني: الكافي، الحجة/ مولد أبي جعفر رحمه الله، 474/1: ح4].

(8) [المصدر السابق، الحج، زيارة قبر أبي عبد الله الحسين بن علي رحمه الله، 575/4-577: ح2].

(9) [المصدر السابق، أبواب التاريخ/ مولد النبي صلى الله عليه وسلم ووفاته، 441/1: ح5].

(10) انظر: [المصدر السابق، الحجة/ أن الأئمة بمن يشبهون فيما مضى، 269/1: ح6].

أمر الدين بعد أنْ أكملهم، بحيث أنَّهم لم يختاروا شيئاً إلا ما يوافق الحق؛[1] لذلك فإنَّ طاعة الإمام مفروضة،[2] والواجب على المسلمين ردُّ التنازع إليهم، والتسليم التام لما ورد عنهم، فالإمامة رياسة عامة، وهي ملك وسلطنة عظيمة لا يدانيها شيء من مراتب الملك والسلطنة.[3]

وفي الآخرة كذلك الأمر مُفوَّض للأئمة في مغفرة الذنوب، "فالإمام المُطهِّر من الذنوب،"[4] وعلي رضي الله عنه قسيم الله تعالى بين الجنة والنار، ولا يدخلها أحد إلا على حد قسمه،[5] فهو "منصوب من الله تعالى لتمييز أهل الجنة وأهل النار بسبب ولايته وتركها،... والأخبار بذلك متواترة."[6]

الرد على الروايات التي ورد فيها معتقد التفويض:

1-الرد عليهم بالآيات القرآنية:

إنَّ الله تعالى ذكر أنَّه المتفرد بالربوبية والخلق والتصرف مطلقاً، ولم يجعل ذلك لأحدٍ، ولم يفوّض لأحدٍ من ذلك شيئاً، فقد ذكر سبحانه أنَّه خلق كل المخلوقات، وتفرّد بالخلق والتصرف، قال تعالى: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ العَالَمِينَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ اِئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ [فصِّلت:٩-١١]، والله تبارك وتعالى يسند لنفسه الأفعال بصيغٍ تفيد الاختصاص، بحيث لا يبقى شك أنَّه متفرد بها، لا يشاركه غيره، فالاختصاص يفيد أنَّ الفاعل قد فَعَلَ ذلك الفِعْل على جهة الاختصاص به دون غيره، وأنَّه لا يصح أنْ يفعلها غيره، وهذا مثل قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنْثَى مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى﴾ [النَّجم43،44،45،46]، فهنا دلالة على اختصاصه تعالى بكل الأفعال المذكورة على جهة الانفراد، فقد أكد

---

(1) انظر: المجلسي، بحار الأنوار (ج349،348/25).

(2) انظر: [الكليني: الكافي، الحجة/ من يضل به بين دعوى المحق والمبطل، 356/1: ح16].

(3) المجلسي، مرآة العقول، بتصرف (ج325/2).

(4) [الكليني: الكافي، الحجة/ نادر جامع في فضل الإمام وصفاته 200/1 :ح1].

(5) انظر: [الكليني: الكافي ، الحجة/ أنَّ الأئمة هم أركان الأرض 196/1: ح1].

(6) المجلسي، مرآة العقول (ج367/2).

الجمل بذكر ضمير الفصل، وصيَّر الجملة اسمية في الآيتين الأوليين؛ لأنَّ الجملة الاسمية تدل على الاختصاص، وذكر ذلك تكذيباً وردّاً وإنكاراً لمن زعم أنَّه مشارك لله تعالى في هذه الخصال؛ ففي الضحك والبكاء ربما يتوهم مُتَوهم أنَّه بفعل الإنسان، وفي الإماتة والإحياء كذلك، وإنْ كان التوهم بعيداً في الأخير، لكن ربما يقول به جاهل، كما قال من حاجَّ إبراهيم الخليل عليه السلام حيث قال: ﴿قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ﴾ [البقرة:258]،وكما يقول به جُهّال الشيعة، وأمَّا خلق الذكر والأنثى من النطفة فلا يتوهم أحد أنْ يفعله أحد من الناس فلم يؤكد بالفصل، **والخلاصة** أنَّ الأمور التي تقع فيها المشاركة وردت بالجملة الاسمية، قطعاً لتوهم المشاركة، والأمور التي لا تقع فيها المشاركة، وردت بالجملة الفعلية؛ لأنَّه لا مطمع فيها للمشاركة.(1)

وقد ذكر سبحانه وتعالى أفعاله في أقوى مراتب الاختصاص، فمثلاً في قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [الذاريات:47]، هنا قدّم المفعول على فعله العامل الذي فيه ضميره، وهذه من أقوى صيغ الاختصاص.(2)

وتَرِد الآيات كذلك ومقصودها التحقق وتمكين ذلك المعنى في نفس السامع، بحيث لا يخالجه فيه ريب، ولا يعتريه شك، فتكون فيها دلالة على الاختصاص والتحقق والثبوت،(3) ومن هذا قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ﴾ [الحجر:23]،فهنا الآية تفيد الحصر، أي لا قدرة على الإحياء، ولا على الإماتة إلا لنا، فقد ذُكر في الآية(نحن)، وهي ضمير فصل دخلت عليه لام الابتداء، وأكَّد الخبر ب"إنّ"، وضمير الفصل لتحقيق الخبر وتأكيده،(4) وفيها إشارة إلى التوحيد، وعدم المشاركة بالمطلق؛ لأنَّ الاشتراك لا يكفي فيه ذكر النفس فقط للتعريف التام، فإنَّ زيداً إذا شاركه غيره في الاسم، لا يكفي أنْ يُعرِّف نفسه باسمه فقط، لحصول الاشتراك في

---

(1) انظر: الرازي، التفسير الكبير (ج280/29)، الطالبي، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز (ج15/2).

(2) للاختصاص أربعة مراتب، ومرتبة الاختصاص الواردة في الآية تُصنَّف على أنها إحدى الصور التي تعد أقوى مراتب الاختصاص، ولمعرفة مراتب الاختصاص، انظر: الأبياري، الموسوعة القرآنية (ج223/2،224).

(3) انظر: الطالبي، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز (ج2/ 16).

(4) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج14/ 39).

الاسم، فلما قال الله تعالى (إنا نحن)، أي ليس غيرنا أحد يشاركنا، فلا يحتاج لزيادة تعريف؛ لأنَّ الاشتراك منفي من أصله.[1]

فمن تدبر القرآن الكريم وأساليبه، لا يبقى عنده شك أنَّ الله تعالى مختص بالخلق والتدبير، وأنَّه لا يشاركه فيهما أحد، وأنَّه تعالى لم يفوِّض لأحدٍ، بل إنَّ أفعاله تعالى هي مقتضى صفاته القائمة بذاته تعالى، وحكمها حكم صفاته من جهة تعلقها بالمخلوق، وأما قول الشيعة بأنَّ الأئمة خلفاء الله تعالى، وأنَّه فوّضهم أمر خلقه، وأنَّ ولايتهم التكوينية تخضع لها كل ذرات الكون، فهذا من تخرصاتهم وشنائعهم، فضلاً عن كونها كفر صريح يخالف القرآن مخالفة صريحة، وحتى النبي صلى الله عليه وسلم ليس له من الأمر شيء، قال تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [آل عمران:128]، فالمعنى إما أنَّه ليس لك من أمر عبادي وعذابهم شيء إلا ما أُوحي إليك، أو أنَّ المراد هو الأمر الذي يُضاد النهي، أي ليس لك من أمر خلقي شيء، إلا إذا كان على وفق أمري، فتكون الآية بمعنى قوله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الحَاسِبِينَ﴾ [الأنعام:62]، وعلى القولين فالمقصود من الآية منعه صلى الله عليه وسلم من كل فعلٍ وقولٍ إلا ما كان بإذن الله تعالى وأمره، وهذا هو الإرشاد إلى أكمل درجات العبودية،[2] فإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم ليس له من الأمر شيء، فغيره أولى بعدم الاختصاص في شيءٍ، وفي الآيتين كذلك إبطال لروايات الكافي في أنَّ الأئمة مُفوَّضون في أمر التشريع، ففي قوله تعالى: ليس لك إذا كان المعنى أنَّ الأمر الذي هو ضد النهي، فالاستدلال ظاهر، وإن كان المعنى ليس لك من أمور الخلق شيء، وإنَّما أنت نذير، فيكون أمور خلقهم وتدبيرهم ليس إلى النبي صلى الله عليه وسلم، والأمر في الآية لفظ عام فيشمل الأمر الشرعي والكوني. وفي الآية الثانية ﴿أَلَا لَهُ الحُكْمُ﴾ [الأنعام:62]، قُصِر الحكم على الله تعالى، فابتدأ بأداة الاستفتاح، المؤذنة بالتنبيه إلى أهمية الخبر، وقدم المجرور في قوله: (له الحكم) للاختصاص، أي له لا لغيره،[3] ويشبهه قول الله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ العَالَمِينَ﴾ [الأعراف:54]، والمراد هنا أمر التكوين والتشريع، فعمَّت الآية نفي

---

(1) انظر: الرازي، التفسير الكبير (ج19/ 136،258/26).

(2) انظر: المصدر السابق (ج356/8).

(3) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج279/7).

المشاركة في الأمرين، فدَلَّ على أنَّه مختص بربِّ العالمين، ولا يصح أنْ يشاركه غيره، سواء كان ذلك بتفويضٍ أو غيره.

يتضح مما سبق أنَّ الآيات استُخدم فيها أساليب لا يصح فيها حمل حكمها إلا على الله تعالى، وإلا للزم الكذب في مضمونها؛ إذ إنَّه قصر أفعاله على نفسه سبحانه وتعالى، وهناك من يشاركه فيها بتفويضٍ منه تعالى، ولو كان كلام الكليني وشيعته صحيحاً لأصبحت أساليب القرآن ركيكة في التعبير عن مدلولاتها.

2- الرد على الكليني من خلال الروايات المتناقضة في الكافي:

إنَّ من تتبع روايات الكافي يرى تناقضها بكل وضوحٍ في مسألة التفويض للأئمة، فقد رُوي فيه عن الأئمة بطلان هذا القول صراحةً، ومنها ما نسبه لعلي رضي الله تعالى أنَّه قال عن الله تعالى: "ولم يطعْ مكرهاً، ولم يُمَلِّك مُفوِّضاً، ولم يخلق السماوات والأرض وما بينهما باطلاً،"[1] وأورد عن الأئمة قولهم بوجوب التفويض لله تعالى وحده، ومنها ما قاله أبو الحسن الأول رضي الله عنه عندما سُئل عن قول الله عزَّ وجل: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطَّلاق:3]، فقال: "التوكل على الله درجات، منها أن تتوكل على الله في أمورك كلها، فما فعل بك كنت عنه راضياً، تعلم أنَّه لا يألوك خيراً وفضلاً، وتعلم أنَّ الحكم في ذلك له، **فتوكل على الله بتفويض ذلك إليه؟**، وثقْ به فيها وفي غيرها،"[2] وهذا حكم عام، فأين قولهم إنَّ الأئمة هم المُفوَّضون في ذلك، وقد ذكر الكليني كذلك أحاديث قدسية تؤكد أنَّ الله تعالى هو المتفرد بشؤون خلقه، ومنها الحديث القدسي الذي نُسب إلى جعفر رضي الله عنه أنَّه رواه، حيث نسب فيه لرب العزة أنَّه قال: "بيدي مفاتيح الأبواب وهي مغلقة، وبابي مفتوح لمن دعاني، فمن ذا الذي أمَّلني لنوائبه فقطعته دونها، ومن ذا الذي رجاني لعظيمة فقطعت رجاءه منِّي، جعلت آمال عبادي عندي محفوظة،"[3] وذُكر عن الأئمة أنَّهم كانوا لا يعرفون عواقب الأمور، ويُفوِّضون أمورهم إلى الله تعالى كما يُفوِّض الناس تماماً، فقد رُوي عن علي بن الحسين رضي الله عنه أنَّه قال: "خرجت حتى انتهيت إلى هذا الحائط، فاتكأت عليه، فإذا رجل عليه ثوبان أبيضان، ينظر في تجاه

---

(1) [الكليني: الكافي، التوحيد/ الجبر والقدر والأمر بين الأمرين، 155/1: ح1].
(2) [المصدر السابق، الإيمان والكفر/ التفويض إلى الله تعالى والتوكل عليه، 65/2: ح5].
(3) [المصدر نفسه، الإيمان والكفر/ التفويض إلى الله تعالى والتوكل عليه، 66/2: ح7].

وجهي، ثم قال: يا علي بن الحسين مالي أراك كئيباً حزيناً؟، أعلى الدنيا؟، فرزق الله تعالى حاضر للبَرِّ والفاجر، قلت: ما على هذا أحزن، وإنَّه لكما تقول، قال: فعلى الآخرة؟، فوعد صادق، يحكم فيه ملك قاهر، أوقال: قادر، قلت: ما على هذا أحزن، وإنَّه لكما تقول، فقال: ممَّ حزنك؟، قلت: مما نتخوف من فتنة ابن الزبير، وما فيه الناس، قال: فضحك، ثم قال: يا علي بن الحسين هل رأيت أحداً دعا الله فلم يجبه؟، قلت: لا، قال: فهل رأيت أحداً توكل على الله فلم يكفه؟، قلت: لا، قال: فهل رأيت أحداً سأل الله فلم يعطه؟، قلت: لا، ثم غاب عني،"[1] فهذه رواية صريحة في ذكر تخوف الأئمة من الفتن، فهل من فوَّضه الله تعالى بأمور الدنيا والآخرة يتصرف بها كيف يشاء، يخشى من فتنة آدمي، ويغتمُّ لذلك؟.

وقد ذُكر صراحةً في روايات الكافي أنَّ الأئمة كانوا يذمون من فوَّض شيئاً إلى أحدٍ من العباد، وأنَّ الأئمة أنفسهم كانوا يُعلِّمون الناس التوكل على الله تعالى، دون أنْ يلجؤوا إليهم ولا إلى غيرهم،[2] ومنها ما نُسب لأمير المؤمنين رضي الله عنه أنَّه قال: "الإيمان له أركان أربعة: التوكل على الله، **وتفويض الأمر إلى الله**، والرضا بقضاء الله، والتسليم لأمر الله عزَّ وجلَّ"[3] ومثل هذه الروايات هي الحق، وهي تردُّ الروايات الشركية التي ورد فيها أنَّ الأئمة مفوَّضون، ويدبرون الكون بإذن الله تعالى، وينفعون ويضرُّون، فإنَّ هذا محال بداهةً، فهل أَذِنَ الله تعالى أن يُشرك به؟، وكيف يسند الله القوي العظيم لعباده الضعفاء شيئاً من تدبير كونه؟، وهؤلاء الأئمة جاؤوا من العدم وخرجوا من الدنيا، واعتراهم الصغر والكبر والصحة والسقم، والجوع والشبع، وعقولهم محدودة، وقدرتهم ناقصة في تدبير أمور الكون بما فيه من بلايين الخلائق من الأحياء والجمادات.[4]

3-الرد على الكليني من خلال روايات الأئمة التي وردت في كتب الشيعة المعتمدة:

إنَّ روايات الأئمة في كتب الشيعة المعتمدة التي ذُكر فيها أنَّهم بشر لا يملكون شيئاً أكثر من أنْ تُحصى، ومنها ما رُوي عن جعفر بن محمد رحمه الله قال:

---

(1) [الكليني: الكافي، ، الإيمان والكفر/ التفويض إلى الله والتوكل عليه، 64/2: ح2].

(2) انظر: [المصدر السابق، الإيمان والكفر/ التفويض إلى الله والتوكل عليه،68/2: ح8].

(3) [المصدر السابق، الإيمان والكفر/ خصال المؤمن، 47/2: ح2].

(4) انظر: الغامدي، براءة آل البيت مما نسبته إليهم الروايات (ص120)، صالح، عقيدة آل البيت بين أهل السنة والشيعة الإثنا عشرية (ص113).

"فواالله ما نحن إلا عبيد الذي خَلَقَنا واصطفانا، ما نقدر على ضرٍّ ولا نفعٍ، وإنْ رحمنا فبرحمته، وإنْ عذَّبنا فبذنوبنا، واالله ما لنا على االله حجّة، ولا معنا من االله براءة، وإنّا لميّتون، ومقبورون، ومنشورون، ومبعوثون، وموقوفون، ومسؤولون، ويلهم مالهم لعنهم االله؟، لقد آذوا االله، وآذوا رسوله صلى االله عليه وآله وسلم في قبره، وأمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين وعلي بن الحسين ومحمد بن علي صلوات االله عليهم، وهأناذا بين أظهركم،....أبيت على فراشي خائفاً وَجِلاً مرعوباً، يأمنون وأفزع، ينامون على فرشهم، وأنا خائف ساهر وَجِل،"[1] فهذه شهادة صريحة أنَّهم بشر لا يختلفون عن غيرهم من الناس في شيء، وهل الذي فوَّضه االله تعالى في أمور الدنيا لا يقدر على ضرٍ ولا نفعٍ؟، وتعمّه التغيرات التي تطرأ على البشر؟، ورُوي عن زرارة أنَّه قال: "قلت للصادق عليه السلام: إنَّ رجلاً من ولد عبد االله بن سبأ يقول بالتفويض، فقال: وما التفويض؟، قلت: إنَّ االله تبارك وتعالى خلق محمداً وعلياً صلوات االله عليهما، ففوَّض إليهما، فخلقا ورزقا وأماتا وأحييا، فقال عليه السلام: كذب عدو االله، إذا انصرفت إليه فاتْلُ عليه هذه الآية: ﴿أَمْ جَعَلُوا لله شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الوَاحِدُ القَهَّارُ﴾ [الرعد:16]."[2]

ثالثاً: الأئمة لهم ملكية مطلقة في الدنيا والآخرة:

أورد الكليني أنَّ "الدنيا كلها للإمام على جهة الملك، وأنَّه أولى بها من الذين هي في أيديهم،"[3] وملكيته مقتضية تمام تصرفه فيها، والآخرة كذلك في ملكيته، فقد رُوي عن جعفر الصادق رحمه االله: "الدنيا والآخرة للإمام يضعها حيث يشاء، ويدفعها إلى من يشاء، جائز له ذلك من االله تعالى،"[4] فاالله تعالى أورثهم الأرض على جهة الملكية؛ ولذلك فإنَّ لهم حقوقاً معلومةً واجبةً على المسلمين، وقد وردت روايات في بيان هذه الحقوق ومنها ما نُسب لأبي جعفر رحمه االله أنَّه قال: "وجدنا في كتاب علي عليه السلام: ﴿إِنَّ الأَرْضَ لله يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف:128]، أنا وأهل بيتي الذين أورثنا االله الأرض، ونحن المتقون، والأرض

---

(1) المجلسي، بحار الأنوار (ج289/25،290)
(2) المصدر السابق (ج343/25،344).
(3) [الكليني: الكافي، الحجة/ أنَّ الأرض كلها للإمام 409/1-410: ح8].
(4) [المصدر السابق، الحجة/ أن الأرض كلها للإمام، 409/1: ح5].

كلها لنا، فمن أحيا أرضاً من المسلمين فليعمُرها وليؤدِ خراجها إلى الإمام من أهل بيتي."[1]

الرد على اعتقادهم بملكية الإمام للدنيا والآخرة:

1-الرد عليهم بالآيات القرآنية:

إنَّ اعتقاد ملكية الله تعالى المطلقة للدنيا والآخرة هو من الأمور المعلومة من الدين بالضرورة، والآيات القرآنية في إثبات ذلك كثيرة جداً، ومتنوعة في أساليب الدلالة على ذلك، وتتحد في مدلولها، فمرةً يَرِد أنَّ الله تعالى هو مالك الملك يتصرف فيه حيث يشاء، ومرة يَرِد بنفي الملكية عن البشر عامة، ونفيها كذلك عن أشرف خلقه وهم رسله عليهم السلام، وقصرها على رب العالمين، وفي قول الله تعالى: ﴿فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَىٰ﴾ [النَّجم:25]، نسف للمعتقد الفاسد الذي يدين به الشيعة، فالآخرة هي العالم الأخروي، والأولى العالم الدنيوي، والمراد أنَّ كل ما تحتوي عليه الآخرة والأولى من أمور هي بيَدِ الله تعالى وحده، وتقديم المجرور لإفادة الحصر، أي لله تعالى لا للإنسان، والتفريع في الآية تصريح بمفهوم القصر الإضافي.[2][3]

والله تعالى بيّن أنَّ الإنسان هو خليفة، فملكيته ليست على الدوام، وهذا حكم في البشر عامة، ولا يُستثنى منه أحد، وأئمة الشيعة هم من جملة البشر، ولا تخصيص لهم بحال، والواقع يشهد بذلك، ففي حياتهم لم تكن لهم ملكية مطلقة للأرض، وبعد وفاتهم قد آلت إلى غيرهم، وهم لا يتصرفون بها بحالٍ من الأحوال إلا كتصرف سائر البشر، وأوضح من ذلك في الدلالة قوله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [البقرة:255]، فاللام في الآية للملك،

---

(1) [الكليني: الكافي، ، الحجة/ أن الأرض كلها للإمام، 407/1: ح1]، والأحاديث في إثبات ملكية الأئمة كثيرة، و تدل على أنَّهم يقصدون أنَّ الاستخلاف وراثة الأرض وهو على جهة التملك، الذي يقتضي مطلق التصرف، ومن هذه الروايات: "عندنا خزائن الأرض ومفاتيحها، ولو شئت أن أقول بإحدى رجليَّ أخرجي ما فيك من الذهب لأخرجت،" [المصدر السابق، الحجة/ مولد أبي عبد الله جعفر بن محمد، 474/1: ح4]

(2) القصر الإضافي: ما كان التخصيص فيه بحسب الإضافة إلى شيء آخر، انظر: القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة (ج3/ 6).

(3) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج27/112) .

والمـراد بالسـموات والأرض اسـتغراق أمكنـة الموجـودات، وقـد دلَّـت الآيـة علـى عمـوم الموجـودات بالموصـول وصـلته، وإذا ثبـت ملكـه للعمـوم، ثبـت أنَّـه لا يشـذّ عـن ملكـه موجـود، فحصـل معنـى الحصـر، ولكنـه زاده تأكيـداً بتقـديم المسـند- والمعنـى أي لـه لا لغيـره- لإفـادة الـرد علـى أصـناف المشـركين الـذين يعتقـدون المشـاركة؛ لأنَّ مجـرد حصـول معنـى الحصـر بـالعموم لا يكفـي فـي الدلالـة علـى إبطـال العقائـد الضـالَّة، فـالعموم فـي الآيـة لإثبـات الملكيـة، والقصـر لإبطـال عقائـد أهـل الشـرك بخصوصـية القصـر، وهـذه بلاغة معجزة.[1]

وبهـذا يتبـين خطـأ الكلينـي فـي تحريـف بعـض النصـوص، وقـولهم إنَّهـا تـدلُّ علـى أنَّ الله تعـالى قـد ملَّـك الأئمـة الأرض يتصـرفون بهـا كمـا يشـاؤون، كقـول الله تعـالى: ﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ﴾ [النـور:55]، فقد ذكر أنَّ المراد بالخلفـاء فـي الآيـة الأئمـة،[2] وقـد نقـل شُـرّاح الكـافي أنَّ المـراد بالآيـة أنَّ الله تعـالى سيسـتخلف الأئمـة فـي الأرض كمـا اسـتخلف آدم وداود عليهمـا السـلام،[3] فـإذا كـان هـذا تفسـيرهم للآيـة فهـذا؛ يقتضـي ألا يكـون ذلـك مختصـاً بالأئمـة، بـل بكـل مـن آمـن بـالنبي صـلى الله عليـه وسـلم، ويقتضـي كـذلك ألا يترتـب علـى هـذا الاسـتخلاف الاتصـاف بـأي صـفاتٍ إلهيـةٍ، ولكـن الشـيعة جعلـوا الأئمـة خلفـاء الله تعـالى فـي أرضـه، بمعنـى أنَّهـم القـائمون مقـام الـربِّ فـي أفعالـه، وهـذا مـا يُفهـم مـن دلالات نصوصـهم، فـإنَّ القـول بـأنَّ الملكيـة والاسـتخلاف للأئمـة هـو مـن جملـة ميـزاتهم يقتضـي أنَّـه مخـالف للملكيـة والاسـتخلاف المعهـودين، وإلا فـلا معنـى لمـدحهم بهـذه الخصـال، وإذا انضـم إلـى ذلـك وصـفهم بصـفاتٍ إلهيـةٍ، كـزعمهم أنَّ الله تعـالى قـد اسـتخلفهم وأعطـاهم تصـرفاً مطلقـاً فـي الأرض، وأصـبحوا عـين الله ويـده فـي عبـاده، وأصـبح لهـم مشـيئة عامـة يضـعون فيهـا مـا

(1) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج20/3).

(2) انظر: [الكليني: الكافي، الحجة/ أنَّ الأئمة خلفاء الله تعالى في أرضه، 194/1: ح3].

(3) انظـر: المازنـدراني، شـرح أصـول الكـافي (ج175/5،176)، المجلسـي، بحـار الأنـوار (ج166/24).

يشاؤون حيث يشاؤون، وهم مُفوَّضون في كل أمور العباد، وهو أحد معاني رواية أنَّ الأئمة حملوا حمولة الرب.[1]

وابتداءً فاللغة لا تُسعفهم، فمادة خلف تدلُّ على شيءٍ يجيء بعد شيءٍ يقوم مقامه، فيُقال: خلف فلان فلاناً، إذا كان خليفَته، وهذا إذا جاء بعده،[2] فالبشر خلائف يخْلُف بعضهم بعضاً، كما قال تعالى ولا يخلفون رب العالمين، والإنسان يَخْلُفُه غيره في حياته وبعد مماته بسبب ضعفه ونقصه،[3] وإذا قلنا بجواز القول: خليفة الله تعالى كما قاله بعض العلماء، فإنَّ هذا يكون من باب إضافة الشيء إلى فاعله، بمعنى مخلوف الله، يعني أنَّ الله تعالى استخلف عباده في الأرض، يخلفونه في عباده ليقيموا شرعه فيهم، وقد قال الله تعالى لداود عليه السلام: ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الحِسَابِ﴾ [ص:26]، فالله تعالى أقام عباده ليقيموا شرعه، وهو فوق عرشه لا يعزب عنه ذرة في السموات ولا في الأرض، فليس معنى الاستخلاف أنَّ الله تعالى وكَّل أحداً على عباده، وفوَّض إليه أمور الخلق.[4]

وأما معنى استخلاف الأئمة الوارد في الكافي فهو باطل قطعاً؛ لأنَّه ليس من باب إضافة الشيء لفاعله، ولو كان هذا المراد لشاركهم بذلك جميع البشر، وإذا كان استخلاف الأئمة -كما قيل في تفسير الآية- هو كاستخلاف آدم وداود، فيُقال لهم: هل استخلاف الله تعالى لهذين النبيين الكريمين ترتب عليه أنَّهما ملكا الدنيا والآخرة؟، وهل أصبحت لهما مشيئة مطلقة في التصرف، أم هل اتصفوا ببعض الصفات الإلهية كما هو وارد في الكافي؟، وما قولهم في قوله تعالى عن كافة البشر: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ العِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأنعام:165]؟، فآيات القرآن يجب أن يُحمل بعضها على بعض، ويُؤخذ القدر المشترك الذي اتفقت الآيات على إثباته، وكل الآيات التي

(1) انظر: [الكليني: الكافي، الحجة/ أن الأئمة هم أركان الأرض، 196/1: ح1].

(2) انظر: ابن فارس، مقاييس اللغة (ج210/2)، الجوهري، تاج اللغة وصحاح العربية (ج1356/4).

(3) انظر: ابن عثيمين، الشرح الممتع على زاد المستقنع (ج237/15).

(4) انظر: المرجع السابق (ج15/ 238).

ذُكر فيها لفظ الخليفة أو ما اشتُق منها كان معناه "اسم لما يُخلَف به شيء، أي يُجعل خَلَفاً عنه، أي عوضه، فهو فعيل بمعنى مفعول،"[1] وأما باقي التأويلات التي قال بها الشيعة فدونها خرط القتاد.

2-الرد على الكليني من خلال الروايات المتناقضة في الكافي:

إنَّ الأئمة كان عندهم من التقوى والورع الذي يُمتنع معه أنْ ينسبوا لأنفسهم ما ليس لهم، أو أنْ يبتدعوا في الدين ضلالاتٍ ما أنزل الله تعالى بها من سلطانٍ، والروايات التي تَلْفِظ ما نُسب إليهم من الباطل كثيرة، وقد أورد بعضها الكليني، ومنها ما رواه عن علي رضي الله عنه أنَّه قال: "فلا تكفوا عني مقالة بحق، أو مشورة بعدل، فإنِّي لست في نفسي بفوق ما أنْ أخطئ،[2] ولا آمن ذلك من فِعْلي، إلا أنْ يكفي الله من نفسي ما هو أملك به مني، **فإنَّما أنا وأنتم عبيد مملوكون لربٍّ، لا ربَّ غيره، يملك منا ما لا نملك من أنفسنا، وأخرجنا مما كنا فيه إلى ما صلحنا عليه**، فأبدلنا بعد الضلالة بالهدى، وأعطانا البصيرة بعد العمى،"[3] فهذا أمير المؤمنين يقول أنَّ نفسه بيَدِ الله تعالى، وقد سوَّى بينه وبين سائر المؤمنين في أنَّهم مملوكون لرب العالمين، وأورد الكليني كذلك عن الأئمة أنَّهم كانوا يُعلِّمون الناس أنْ يتبرؤوا من حَوْلِهم وقوتهم إلى حول الله تعالى وقوته، وأنْ يطلبوا حوائجهم ممن يملكها، فقد رُوي عن جعفر رحمه الله أنَّه علَّم رجلاً أصابه ضيق في العيش دعاء، فقال له: "إذا أردت أنْ تخرج إلى سوقك فَصِلِّ ركعتين أو أربع ركعات، ثم قل في دبر صلاتك: توجهت بلا حول مني ولا قوة، ولكن بحولك وقوتك، أبرأ إليك من الحول والقوة إلا بك، فأنت حولي، ومنك قوتي، اللهم فارزقني من فضلك الواسع رزقاً كثيراً طيباً،....فإنَّه لا يملكها أحد غيرك،"[4] وأوضح من ذلك ما أورده عن الأئمة أنَّهم كانوا يعترفون بملكية غيرهم، وأنَّ ملكهم لا يدوم، وأنَّ الأيام دول، فقد نسب الكليني لأبي جعفر رحمه الله أنَّه قال عن أبي الدوانيق:[5] "أما والله لا تذهب الليالي والأيام حتى يملك ما بين

---

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج210/8).

(2) هكذا وردت الرواية.

(3) [الكليني: الكافي، الروضة/ خطبة لأمير المؤمنين عليه السلام، 375/8،376: ح550].

(4) [المصدر السابق/ الصلاة في طلب الرزق، 474/3: ح3].

(5) هو أبو جعفر المنصور الدوانيقي ثاني الخلفاء العباسيين ومدة ملكه اثنتين وعشرين سنة، انظر: الراوندي، الخرائج والجرائح (ج130/2).

قطريها، ثم ليُطان الرجال عقبه، ثم لتذلنَّ له رقاب الرجال، ثم ليملكنَّ ملكاً شديداً، فقال له داود بن علي: وإنَّ ملكنا قبل ملككم؟ قال: نعم يا داود، إنَّ ملككم قبل ملكنا، وسلطانكم قبل سلطاننا، فقال له داود: أصلحك الله، فهل له من مدة؟، فقال: نعم يا داود، والله لا يملك بنو أمية يوماً إلا ملكتم مثليه، ولا سنة إلا ملكتم مثليها،"(1) فهنا ورد صراحةً أنَّ هناك من سيملك الأرض دون الأئمة، وأنَّ ملكهم لمدة، ولم يُفرِّق بين ملكهم وملك غيرهم، وهذا ما يشهد به الواقع، والوقائع التاريخية خير دليلٍ على ذلك.

3-الرد على روايات الكليني من خلال روايات الأئمة التي وردت في كتب الشيعة المعتمدة:

إنَّ ما اعتمد عليه الشيعة لنصرة معتقدهم في إثبات الملكية ورد ما ينسفها ويدحضها في أمهات كتبهم، في مواضع كثيرة، ومنها ما رُوي عن علي رضي الله عنه أنَّه قال: "إنَّا لا نملك مع الله شيئاً، ولا نملك إلا ما ملَّكنا، فمتى ملَّكنا ما هو أملك به منا كلَّفنا، ومتى أخذه منا وضع تكليفه عنَّا،"(2) وقد نُسب لابن عباس رضي الله عنه أنَّه قال لمعاوية رضي الله عنه: "وكل يشهد أنَّ لنا ملكاً، ولو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لبعث الله لأمره منا من يملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما مُلِئت ظلماً وجوراً، **لا تملكون يوماً واحداً إلا ملكنا يومين**، ولا شهراً إلا ملكنا شهرين، ولا حولاً إلا ملكنا حولين."(3)

وقد رووا عن الإمام الرضا رحمه الله أنَّه كان يقول في دعائه: "اللهمَّ إنِّي بريء من الحول والقوة، ولا حول ولا قوة إلا بك، اللهم إني أعوذ بك، وأبرأ إليك من الذين ادَّعوا لنا ما ليس لنا بحقٍ، اللهمَّ إني أبرأ إليك من الذين قالوا فينا ما لم نَقُلْه في أنفسنا، اللهمَّ لك الخلق، ومنك الرزق، وإياك نعبد وإياك نستعين، اللهمَّ أنت خالقنا، وخالق آبائنا الأولين، وآبائنا الآخرين، اللهمَّ لا تليق الربوبية إلا بك، ولا تصلح الإلهية إلا لك، فالعن النصارى الذين صغَّروا عظمتك، والعن المضاهئين لقولهم من بريتك، اللهمَّ إنَّا عبيدك، وأبناء عبيدك **لا نملك لأنفسنا نفعاً ولا ضراً ولا موتاً ولا حياةً ولا**

---

(1) [الكليني: الكافي، الروضة/ قصة أبي الدوانيق، وملك بني العباس، 211،210/8، ح256].

(2) المجلسي، بحار الأنوار (ج210/5)، الريشهري، ميزان الحكمة (ج1918/3)، الخوئي، منهاج البراعة شرح نهج البلاغة (ج485/21).

(3) المجلسي، بحار الأنوار (ج275/33)، الإربلي، كشف الغمة (ج52/2).

نشوراً، اللهمَّ من زعم أنَّا أرباب فنحن منه براء، ومن زعم أنَّ إلينا الخلق وعلينا الرزق، فنحن براء منه، كبراءة عيسى بن مريم عليه السلام من النصارى،"[1] وصراحة قول الإمام في أنَّ الأئمة لا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً تنسف قول الشيعة وباطلهم، ولا حجة لهم إلا أنْ يقولوا إنَّ هناك تقية بين العبد وربه.

رابعاً: **الأئمة وسائط بين الله تعالى وخلقه:**

لقد ذكر الكليني أنَّ الأئمة أبواب الله تعالى التي يُؤتى منها،[2] فهم واسطة بين الله تعالى وخلقه في جميع الأمور،[3] فهم باب علم الله تعالى، وتوحيده، وأحكامه، وأسراره،[4] ولا يمكن الوصول إلى قربه تعالى ورضوانه إلا بهم،[5] وقد ذكر الكليني: "أنَّ الله تعالى نصب علياً عَلَماً بينه وبين خلقه، فمن عرفه كان مؤمناً، ومن أنكره كان كافراً، ومن جهله كان ضالاً، ومن نصب معه شيئاً كان مشركاً،"[6] وهذا حكم عام في جميع الأئمة، فقد روي عن أبي عبد الله رحمه الله أنَّه قال: "نحن فيما بينكم وبين الله تعالى،"[7] أي لا واسطة بين العباد وبين الله تعالى إلا الأئمة، ولا تُقبل الأقوال والأفعال إلا بمتابعتهم؛[8] ولذلك "فكل من دان الله تعالى بعبادة يجهد فيها نفسه، ولا إمام له من الله تعالى فسعيه غير مقبول،"[9] والله تعالى جعل الأئمة واسطة بينه وبين خلقه؛ لأنَّ عظمته أرفع من أنْ يصل إليها كل طالبٍ، ورفعته أجلُّ من أنْ يدركها البشر؛[10] ولذلك فالواجب على المرء أنْ يعرف الأئمة؛ وولايتهم لأنَّهم أبواب الله تعالى

---

(1) الصدوق، الاعتقادات في دين الإمامية (ص100)، المجلسي، مرآة العقول (ج146/3).

(2) انظر: [المصدر السابق، الحجة/ أنَّ الأئمة خلفاء الله تعالى في أرضه، وأبوابه التي منها يؤتى، 193/1: ح2]

(3) المازندراني، شرح أصول الكافي، بتصرف (ج174/5).

(4) انظر: المازندراني، شرح أصول الكافي، بتصرف (ج175/5).

(5) انظر: المجلسي، مرآة العقول (ج350/2).

(6) [الكليني: الكافي، الحجة/ فيه نتف وجوامع من الرواية في الولاية، 437/1: ح7]

(7) [المصدر السابق، الحجة/ التفويض إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمور الدين، 265/1: ح1]

(8) المجلسي، مرآة العقول، بتصرف (ج142/3).

(9) [الكليني: الكافي، الحجة/ معرفة الإمام والرد إليه، 183/1: ح8]

(10) انظر: المازندراني، شرح أصول الكافي (ج175/5).

وحججه[1] وبدونهم لا يُعرف الله تعالى، وبدونهم لا تُقبل عبادة ولا شفاعة؛[2] لأنَّ الإمام ديَّان الدين، وفصل القضاء بين الخلق،[3] أي قاضي الدين وحاكمه، والفاصل بين الخلق المنصوب من قِبَل الله تعالى؛[4] ولذلك فالواجب على من يزور قبر أمير المؤمنين رضي الله عنه أنْ يسأله شفاعته حتى تُغفر ذنوبه، وأنْ يعوذ به من النار، وأنْ يلتجأ إليه من الملمات.[5]

الرد على الروايات التي ورد فيها أنَّ الأئمة وسائط بين الله تعالى وبين خلقه:

1-الرد عليهم بالآيات القرآنية:

إنَّ الاعتقاد بضرورة وجود وسائط بين الله تعالى وخلقه مطابق تماماً لمعتقد المشركين في آلهتهم، قال الله تعالى عنهم: ﴿**وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾ [يونس:18]، وقال أيضاً: ﴿**أَلَا للهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى**﴾ [الزُّمر:3]، فبئس الدين الذي يقوم على مماثلة المشركين في ضلالتهم التي أتى الإسلام ليهدمها، والآيات التي تردُّ هذا المعتقد واضحة وضوح الشمس في رابعة النهار، فهذا المعتقد لم يُذكر تلميحاً ولا تصريحاً في القرآن، بل ورد الرد على معتقديه، ونُفِيَ على من اصطفاهم الله تعالى على العالمين، فالله تعالى قال: ﴿**إِنَّ اللهَ اصْطَفَى آَدَمَ وَنُوحًا وَآَلَ إِبْرَاهِيمَ وَآَلَ عِمْرَانَ عَلَى**

---

(1) فقد روى الكليني عن أبي عبد الله رحمه الله أنَّه قال: "كان أمير المؤمنين باب الله الذي لا يؤتى إلا منه، وسبيله الذي من سلك بغيره هلك، وكذلك يجري لأئمة الهدى واحداً بعد واحد،" [الكليني: الكافي، الحجة/ باب أنَّ الأئمة هم أركان الأرض، 196/1:ح1]

(2) فقد روى عن الأئمة قولهم: "بنا عُبِد الله، وبنا عُرف الله، وبنا وُحّد الله تبارك وتعالى،" [المصدر السابق، التوحيد/ النوادر، 145/1: ح10]، وروي أيضاً: "الأوصياء هم أبواب الله التي يؤتى منها لولاهم ما عرف الله تعالى وبهم احتج الله تبارك وتعالى على خلقه،" [المصدر السابق، الحجة/ أن الأئمة خلفاء الله تعالى في أرضه التي يؤتى منها، 193/1: ح2]

(3) انظر: [المصدر السابق، الحج/ زيارة قبر أبي عبد الله الحسين بن علي، 572/4: ح1]

(4) انظر: المجلسي، ملاذ الأخبار في فهم تهذيب الأخبار (ج62/9)، البرجرودي، جامع أحاديث الشيعة (ج143/25).

(5) انظر: [الكليني: الكافي، الحج/ ما يقال عند قبر أمير المؤمنين عليه السلام، 569/4-571].

العَــالَمِينَ﴾ [آل عمـــران:33]، فهـؤلاء الـذين اصـطفاهم الله تعـالى علـى العـالمين لـم يكونـوا وسـائط بـين الله تعـالى وخلقـه، وقـد ذُكـر فـي القـرآن مـا سـيقوله عيسـى عليـه السـلام يـوم القيامـة : ﴿مَـا قُلْـتُ لَهُـمْ إِلَّا مَـا أَمَرْتَنِـي بِـهِ أَنِ اعْبُـدُوا اللهَ رَبِّي وَرَبَّكُـمْ وَكُنْـتُ عَلَـيْهِمْ شَـهِيدًا مَـا دُمْـتُ فِـيهِمْ فَلَـمَّا تَـوَفَّيْتَنِي كُنْـتَ أَنْـتَ الرَّقِيـبَ عَلَـيْهِمْ وَأَنْـتَ عَـلَى كُـلِّ شَيْءٍ شَـهِيدٌ﴾ [المائـدة:117]، وقـال نـوح عليـه السـلام فـي خطابـه لقومـه: ﴿إِنْ حِسَـــابُهُمْ إِلَّا عَـــلَى رَبِّي لَـــوْ تَشْـــعُرُونَ﴾ [الشـعراء:113] وعـن النبـي محمـد صـلى الله عليـه وسـلم: ﴿قُـلْ إِنِّي لَا أَمْلِـكُ لَكُـمْ ضَرًّا وَلَا رَشَـــدًا﴾ [الجـــنّ:21]، فالأنبيـاء لـم يكونـوا وسـائط بـين الله تعـالى وعبـاده، بـل كـانوا رسـلاً مبشـرين ومنـذرين، فكيـف يُقـال إنَّ الأئمـة وسـائط بـين الله تعـالى وعبـاده، وأنَّ العبـادات لا تُقبل إلا بالتقرب إليهم، وأنَّهم سيحاسبون الخلائق يوم القيامة؟.

وإذا كانـت العلـة للواسـطة بـين الله تعـالى وبـين عبـاده –كمـا يعتقـد الشـيعة– أنَّ عظمتـه أرفـع مـن أنْ يصِـلَ إليهـا كـل طالـبٍ، فمـا بـال القـرون الأولـى لـم يجـب علـيهم أنْ يتخـذوا الأئمـة وسـائط مـع أنَّ العلـة كانـت قائمـة؟، ولِـمَ وجبـت علـى أمـة محمـد صـلى الله عليـه وسـلم بخصوصـها؟، ولِـمَ لـم يكـن النبـي صـلى الله عليـه وسـلم وسـيطاً بـين الله تعـالى وعباده، وهـو أولـى بـذلك؟، والله تعـالى قـال: ﴿وَإِذَا سَـأَلَكَ عِبَـادِي عَنِّـي فَـإِنِّي قَرِيـبٌ أُجِيـبُ دَعْـوَةَ الـدَّاعِ إِذَا دَعَـانِ فَلْيَسْـتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُـوا بِي لَعَلَّهُـمْ يَرْشُـدُونَ﴾ [البقـرة:186]، ولـم يقـل للنبـي صـلى الله عليـه وسـلم إذا سـألك عبـادي فـاجعلهم يتوسـلون بـك، أو بالأئمـة لأنَّكـم وسـائطي بـين خلقـي، وقـال تعـالى: ﴿وَقَـالَ رَبُّكُـمُ ادْعُـونِي أَسْـتَجِبْ لَكُـمْ﴾ [غـافر:60]، فهـذا أمـر إلهـي بوجـوب دعـوة الله تعـالى، وأنَّ ذلـك يكـون بـدون واسـطة، وهـذا ظـاهر كـل النصـوص الشـرعية، وهـي واضـحة الدلالـة، والله تعـالى قـال: ﴿وَأَنَّ المَسَـاجِدَ للهِ فَـلَا تَـدْعُوا مَـعَ اللهِ أَحَـدًا﴾ [الجـنّ:18]، فهـذا أمـر مـن الله تعـالى لعبـاده أنْ يُوحِّـدوه فـي عبادتـه، وألاَّ يـدعوا معـه أحـداً وألاَّ يشـركوا بـه،[1] والمخاطـب فـي الآيـة هـو النبـي صـلى الله عليـه وسلم، فغيره أولى بهذا الأمر.

(1) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج8/ 244).

2-الرد على الكليني من خلال الروايات المتناقضة في الكافي:

إنَّ الروايات التي تُبطل هذا المعتقد الفاسد واردة في الكافي، فقد ورد أنَّ قائلاً قال لعلي رضي الله عنه: "وقد حملك الله تبارك وتعالى رعايتنا وولاَّك سياسة أمورنا، فأصبحت عَلَمَنا الذي نهتدي به، وإمامنا الذي نقتدي به،"(1) فهذا الذي يُفهم ويتبادر إلى الذهن بالنسبة لمهمة أمير المؤمنين رضي الله عنه، أنَّه إمام يُقتدى به، وليس واسطة بين الله تعالى وعباده، أو باب الإله الذي لا يمكن الدخول إلا من خلاله، وقد أقرَّه على ذلك أمير المؤمنين، ولا يمكن أن يكون ذلك تقية؛ فقد قاله رضي الله تعالى في موضع قوةٍ لأتباعه، وهذا حتى لا يخرج متنطع فيقول إنَّ ذلك قيل تقية.

إنَّ الإخلاص في الأعمال يقتضي أنْ يقصد الإنسان بعمله وجه الله تعالى، ومما يحبط العمل أنْ يشرك الإنسان في نيته، أو أنْ يتوسل ببشرٍ لكي يُقبل عمله، أو أنْ يجعله واسطة بينه وبين الله تعالى، وقد وردت روايات في الكافي على لسان الأئمة للحضِّ على الإخلاص، ومنها: "طوبى لمن أخلص لله العبادة والدعاء والحسنة، ثم قال: الإبقاء على العمل حتى يخلص أشد من العمل، والعمل الخالص، الذي لا تريد أنْ يحمدك عليه أحد إلا الله تعالى، والنية أفضل من العمل،"(2) وكذلك أورد الكليني في باب الدعاء روايات عن الأئمة، ولم يُذكر فيها أنَّهم كانوا يقولون بضرورة أخذهم وسائط، أو أنَّ العبادات لا تُقبل إلا بواسطتهم.

3-الرد على الكليني من خلال روايات الأئمة التي وردت في كتب الشيعة المعتمدة:

لقد أورد الشيعة روايات في ردِّ هذا المعتقد في كتاب نهج البلاغة، المنسوب لأمير المؤمنين علي رضي الله عنه، والذي يُعدُّ من أصح الكتب عندهم، فقد ورد عنه أنَّه قال: "واعلم أنَّ الذي بيده خزائن السماوات والأرض قد أَذِنَ لك في الدعاء، وتكفَّل لك بالإجابة، وأمرك أنْ تسأله ليعطيك، وتسترحمه ليرحمك، ولم يجعل بينك وبينه من يحجبه عنك، ولم يُلجئك إلى من يشفع لك إليه،"(3) وكذا وردت روايات واضحة الدلالة في عدم جواز التوسل بالبشر عامة، وبالموتى خاصة، فقد ورد عن علي رضي الله

---

(1) [الكليني: الكافي، الروضة/ خطبة لأمير المؤمنين عليه السلام بصفين، 357،356/8: ح550].

(2) [المصدر السالبق، الإيمان والكفر/ الإخلاص، 16/2: ح4].

(3) مختارات الشريف الرضى، نهج البلاغة (ج47/3).

عنه قوله: "فاسألوا الله تعالى به، وتوجهوا إليه بحبه، ولا تسألوا به بخلقه، إنَّه ما توجّه العباد إلى الله بمثله،"[1] فكيف يُجمع بين هذه الرواية وبين قولهم إنَّ العبادات لا تُقبل إلا بدعاء الأئمة والتوسل إليهم، والرواية السابقة عامة في الأحياء وفي الأموات، والكليني ذكر روايات في وجوب دعاء الأموات، وجَعْلِهم وسائط، مع أنَّ الوارد عن علي رضي الله عنه أنَّه قال عن الأموات: "فهم جيرة لا يجيبون داعياً، ولا يمنعون ضيماً، ولا يبالون مندبة،"[2] ونُسب إليه أيضاً: "لا في حسنة يزيدون، ولا من سيئة يُستعتبون."[3]

وفي المحصلة فإنَّ علماءهم كفرّوا كل من قال بتلك المعتقدات الكفرية، مع أنَّهم هم القائلون بها، والذين أصَّلوا لها، قال المجلسي: "اعلم أنَّ الغلو في النبي صلى الله عليه وسلم والأئمة عليهم السلام إنَّما يكون بالقول بألوهيتهم، أو بكونهم شركاء لله تعالى في المعبودية، أو في الخلق والرزق، أو أنَّ الله تعالى حلَّ فيهم، أو اتحد بهم، أو أنَّهم يعلمون الغيب بغير وحي أو إلهام من الله تعالى، أو بالقول في الأئمة عليهم السلام أنَّهم كانوا أنبياء، أو القول بتناسخ أرواح بعضهم إلى بعض، أو القول بأنَّ معرفتهم تُغني عن جميع الطاعات، ولا تكليف معها بترك المعاصي، **والقول بكل منها إلحاد وكفر وخروج عن الدين، كما دلَّت عليه الأدلة العقلية والآيات والأخبار السالفة وغيرها، وقد عرفت أن الأئمة عليهم السلام تبرؤوا منهم، وحكموا بكفرهم وأمروا بقتلهم**، وإنْ قَرَعَ سمعك شيء من الأخبار الموهمة لشيء من ذلك، فهي إما مؤولة، أو هي من مفتريات الغلاة."[4]

فهذه هي عقائد الرافضة قد أشركوا فيها، وأساؤوا إلى مقام الله تعالى الواحد الأحد، ووصفوه تعالى بصفات الحوادث والنقص، كحلوله تعالى ببعض أجساد الأئمة ورجالاتهم، وقد عبدوهم من دون الله تعالى، وجعلوهم باب الإله، وعينه وسمعه.[5]

(1) مختارات الشريف الرضى، نهج البلاغة (ج92/2).

(2) المصدرالسابق (ج220/1).

(3) المصدر نفسه (ج15/2).

(4) المجلسي، بحار الأنوار (ج346/25).

(5) الشحود، من مخازي الرافضة عبر التاريخ، بتصرف (ص91).

الفصل الثاني

تقرير توحيد الربوبية بين البخاري والكُلَيني

المبحث الأول

منهج البخاري والكُلَيني في تقرير توحيد الربوبية

المطلب الأول

منهج[1] البخاري في تقرير توحيد الربوبية:[2][3]

إنَّ قواعد الاتباع في أصول الدين واضحة، لا اضطراب فيها ولا اختلال؛ لأنَّها من عند الله الحكيم الخبير، قال تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء:82]، وهذا مطَّرد في مسائل الشرع كلها، فالله تعالى نزَّل الكتاب ﴿تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ [المائدة:89]، وإذا كان هذا في كل أمور الدين فهو في التوحيد من باب أولى؛ لأنَّه قطب رحى الإسلام، وعليه يتوقف قبول الأعمال وردُّها، ومنهج الإمام البخاري في صحيحه هو المنهج القرآني، فإنَّ التوقف عند الكتاب والسنة، والتسليم المطلق لهما، وعدم تقديم قول أحدٍ عليهما، هو الأساس في صحيح البخاري، وهذه أمور متواترة ومعلومة من الدين بالضرورة، وهي مطَّردة في صحيح البخاري كله، وهذا مع البعد عن التنطع والتكلُّف، أو التأثر بالبدع الحادثة، وسنذكر القواعد والمسائل العامة التي يمكن استنباطها من صحيح البخاري في عرضه لتوحيد الربوبية، وبعض الأمثلة التي تبينها، **وهي كما يلي:**

---

(1) إذا أطلق المنهج خاصة عند المتأخرين فإنَّه يُراد به في الغالب المسائل العامة في العلم المبحوث فيه، ويشمل الأدلة، ولكن إذا أُريد به معنى غير المسائل الكلية فإنَّه يُقيد، انظر: مصطفي وأخرون، المعجم الوسيط (ج975/2)، نور، منهج أهل السنة والجماعة ومنهج الأشاعرة في توحيد الله تعالى (ص50).

(2) المراد بالمنهج في هذا المطلب، القواعد والمسائل الكلية التي سار عليها البخاري في عرضه للتوحيد ومسائله وأدلته.

(3) تمَّ الاستفادة في هذا المطلب من بعض الرسائل العلمية، وهي: مناهج الإسلاميين في إثبات وجود الله تعالى ووحدانيته، للأستاذ الدكتور: صالح الرقب، ومنهج أهل السنة والجماعة ومنهج الأشاعرة في توحيد الله تعالى، للدكتور: خالد بن عبد اللطيف بن محمد نور، وتمَّ الاستفادة كذلك من الموسوعة العقدية –الدرر السنية.

1- **مسائل أصول الدين توقيفية:**

إنَّ كل مسائل أصول الدين -ومنها التوحيد- لا تثبت إلا بدليلٍ من القرآن الكريم والسنة النبوية، ولا مجال فيها للاجتهاد، فلا يُحكم في مسألة إلا بدليلٍ نقلي، فما ورد الخبر بإثباته أُثبت، وما عُلم من الخبر انتفاؤه نُفي،[1] وإلا فيُسكت عنه، وقد أورد البخاري رحمه الله تعالى قول النبي صلى الله عليه وسلم: «**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ، فَهُوَ رَدٌّ،**»[2] وهذا الحديث قاعدة عظيمة من قواعد الإسلام،[3] وهو أحد القواعد الثلاث التي تُردُّ إليها جميع الأحكام،[4] والنبي صلى الله عليه وسلم أوقف أمته في التوحيد، فيجب على الأمة أنْ تقف عند هذه الحدود ولا تتجاوزها؛[5] لأنَّ الإسلام بُني على عبادة الله وحده، وأنْ نعبده بما شرع، لا بالبدع والمحدثات،[6] ومن عمل خلاف السنة النبوية فأمره مردود باطل غير لا يُعتدُّ به،[7] وهذا الحديث لا تنحصر دلائله، ووصايا السلف بمضمونه كثيرة جداً.[8]

وقد ذكر البخاري رحمه الله أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا عُرضت عليه مسألة لا نصَّ فيها لا يجيب برأيٍ ولا قياسٍ،[9] بل إما بوحي يُتلى، وإما برسالةٍ

---

(1) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج431/16).

(2) [البخاري: صحيح البخاري، الصلح/ إذا اتفقوا على صلح جور فالصلح مردود، ص448: ح2697].

(3) انظر: النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (ج16/12).

(4) انظر: ابن تيمية، الفتاوى الكبرى لابن تيمية (ج206/1)، النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (ج16/12)، ابن حجر، فتح الباري (ج11/1).

(5) انظر: صوفي، المفيد في مهمات التوحيد (ج29/1)، تركي، مجمل اعتقاد أئمة السلف (ج123/1).

(6) انظر: ابن تيمية، الفتاوى الكبرى (ج79/6).

(7) انظر: النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم (ج16/12)، ابن حجر، فتح الباري (ج11/1)، ابن عبد البر، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (ج69/2).

(8) انظر: ابن تيمية، الفتاوى الكبرى (ج79/6).

(9) انظر: [البخاري: صحيح البخاري، الاعتصام بالكتاب والسنة/ ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يسأل مما لم ينزل عليه الوحي، فيقول: "لا أدري،" أو لم يجب حتى ينزل عليه الوحي، ولم يقل برأي ولا بقياس، ص1226].

عن الله تعالى،[1] فإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم توقف عند عدم وجود النص فغيره أولى.

2- الاعتصام بالكتاب والسنة، والتسليم المطلق لما فيهما:

إنَّ عامة من ضلَّ في باب التوحيد، أو عجز عن إصابة الحق، فإنَّما لإعراضه عن كتاب الله تعالى، ولتفريطه بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم، والله تعالى قد تكفَّل لمن عمل بالقرآن ألا يضل في الدنيا، ولا يشقى في الآخرة،[2] والإمام البخاري رحمه الله قد أورد: "كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة،"[3] وهو يدلُّ على هذا الأصل العظيم أعظم دلالة، وأورد كذلك أبواباً وأحاديث كثيرة في غيره تحمل الدلالة نفسها،[4] ومنها باب قول الله تعالى: **﴿أَطِيعُوا اللهَّ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ﴾** [النساء: 59]؛[5] ولذلك فإنَّه "لا يثبت إسلام من لم يُسلِّم لنصوص الوحيين، وينقاد إليها، ولا يعترض عليها، ولا يعارضها،"[6]، فيجب في الأمور –أعيانها وصفاتها- ما يحبه الله ورسوله، ويُكره منها ما كرهه الله ورسوله،[7] قال النبي صلى الله عليه وسلم: «**مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللَّهَ**»،[8] فأصل دين الله تعالى أنْ يكون سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم هو المُطاع أمره ونهيه، فهو

---

(1) انظر: الشافعي، الرسالة (ج314/7)، ابن حجر، فتح الباري (ج291/1).

(2) انظر: ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية (ج19/1).

(3) [البخاري: صحيح البخاري، الاعتصام بالكتاب والسنة،/ ص1220].

(4) انظر: [البخاري: صحيح البخاري، تفسير القرآن/ ﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ [النساء: 65]، ص765/ وباب ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا، اسْتَجِيبُوا للهَّ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَّ يَحُولُ بَيْنَ المَرْءِ وَقَلْبِهِ، وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال: 24]، ص777، وباب ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ [الحشر: 7]، ص836]، وغيرها كثير.

(5) انظر: [المصدر السابق، تفسير القرآن/ قَوْلِهِ تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللهَّ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُم﴾ [النساء: 59]، ص765: ح4584].

(6) ابن أبي العز الحنفي، شرح الطحاوية (ج191/1).

(7) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج343/3).

(8) [البخاري: صحيح البخاري، الأحكام/ قول اللَّه تعالى: ﴿وأَطِيعُوا اللهَّ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: 59]، ص1197: ح7137].

المعصوم في خبره عن الله تعالى، فيجب التسليم والانقياد له،[1] ومن ضرورة ذلك ولوازمه عدم تقديم قول أحدٍ على قول الله تعالى ورسوله مهما كانت مكانته، فأصول التشريع في مسائل أصول الدين مقتصرة على الكتاب والسنة.

3- **اشتمال الوحي على كل مسائل التوحيد:**

إنَّ مسائل التوحيد هي أصوله ودلائله، وهي أسسه وقواعده، والعقل السليم يجزم أنَّ هذه لا تُترك لاجتهاد البشر وآرائهم، بل يجب أنْ تكون من عند رب البشر؛ لأنَّ غاية إنزال الكتب، وبعثة الرسل هي توحيد الله تعالى، وعبادته وحده لا شريك له، والله تعالى قد أكمل الدين وأتمّه، وهذا مصدقاً لقوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة:3]،[2] ومن إكمال الدين إكمال الأدلة التي نَصَبَهَا الله تعالى لخلقه لبيان دينه،[3] وعلماء المسلمين أجمعوا على أنَّ أصول الدين قد اكتملت، ولكن بعضهم زاد الأحكام التشريعية،[4] ولوازم هذا أن يُجعل السمع هو الأصل الوحيد الذي يُرجع إليه في مسائل التوحيد؛ فالله تعالى قد أكمل دينه، وتلقاه الصحابة عن النبي صلى الله عليه وسلم فأيُّ حاجة لتقديم العقل، أو قول شخص على النقل؟،[5] وهل هذا إلا بمثابة تقديم البدعة على السنة؟، ولهذا قال تعالى: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء:59]، أي ردُّوه إلى كتاب الله تعالى، وسنة نبيه بعد موته، وهذا لفظ عام؛ -لأنَّه نكرة في سياق الشرط،-[6] وهذا يدل على وجوب جعل

---

(1) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج343/3).

(2) انظر: [البخاري: صحيح البخاري، الإيمان/ زيادة الإيمان ونقصانه، ص14].

(3) انظر: الطبري، جامع البيان (ج518/9).

(4) ابن حجر والقسطلاني رجحوا أنَّ المراد هو اكتمال أصول الأركان دون الأحكام التشريعية – أي الفروع-؛ لأنَّه نزل بعد هذه الآية بعض الأحكام التشريعية، انظر: ابن حجر، فتح الباري (ج246/13)، القسطلاني، إرشاد الساري (ج279/10)، وبعضهم قال: إنَّ المراد هو اكتمال الدين كله من الأصول والفرائض والسنن والحدود والحلال والحرام، انظر: الطبري، جامع البيان (ج518/9)، ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج232/7)، ابن الجوزي، زاد المسير (ج513/1)، ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج102/6).

(5) انظر: ابن حجر، فتح الباري (ج352/13).

(6) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج175/19).

النقل هو الأصل الوحيد في كل المسائل، ويدل باللازم العقلي على كمال الدين وتمامه.

4- البعد عن التنطع والتكلف، وعدم إثارة الشكوك والشبهات:

إنَّ أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم في ذمِّ التنطع، وفي وجوب البعد عن الشبهات كثيرة جداً، وهذا عام في كل مسائل الدين، وهو يشمل كل علم لم يَرِدْ عليه دليل من الشرع، ولا يدخل تحت أصلٍ من أصول التلقي، سواءً متفق عليه، أو مختلف فيه، أو لا يَنْبَنِي عليه عمل، أو يؤدي إلى ظهور علم بدعي، وذمّ التنطع أوضح ما يكون في مسائل التوحيد؛ لأنَّ التوحيد يدور عليها إيمان المرء، وقبول أعماله، وسعادته في الدارين؛ فلذلك كلما كانت إثارة الشبهات تتصل بالتوحيد أكثر كان النهي عنها أعظم.

وقد أفرد البخاري رحمه الله في صحيحه باباً: "ما يكره من كثرة السؤال، وتكلف ما لا يعنيه،"[1] والمقصود في هذا الباب هو السؤال الذي سببه التكلف، وهو أنْ يطلب ما ليس له فائدة، أو يدَّعي علم مالا يعلمه،[2] كأنْ يدقق النظر فيفرق بين متماثلين بفرقٍ ليس له أثر في الشرع، أو بالعكس، ففيه تضييع الزمان بما لا طائل منه، وكذلك التفريع على مسألةٍ لا أصل لها في الكتاب والسنة والإجماع، وأشدُّ المسائل المنهي البحث فيها هي عن الأمور الغيبية التي ورد الشرع بالإيمان بها مع ترك كيفيتها، ومنها ما لا يكون له شاهد في عالم الحس، ولا يُعرف إلا بالنقل الصرف؛ ولذلك يجب الإيمان بها من غير بحثٍ؛ لأنَّ البحث عنها يوقع في الحيرة والشك،[3] ولذلك فإنَّ الله تعالى أمر النبي صلى الله عليه وسلم أنْ يردَّ على الكفار بقوله تعالى: ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [ص:86]،[4] أي وما أنا ممن يتكلَّف التخرّص والافتراء بما لم يأمرني به الله تعالى، فلا أتقوَّل أو أدَّعي شيئاً بلا وحي من الله

---

(1) [صحيح البخاري: الاعتصام بالكتاب والسنة/ ما يكره من كثرة السؤال وتكلف ما لا يعنيه، ص1222].

(2) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج309/23).

(3) انظر: ابن حجر، فتح الباري (ج267/13)، القسطلاني، إرشاد الساري (ج308/10)، الشوكاني، نيل الأوطار (ج121/8).

(4) انظر: [البخاري: صحيح البخاري، تفسير القرآن/ قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [ص 86]، ص820].

تعالى،[1] ويُؤخذ من الآية الكريمة أنَّ ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم من الدين لا تكلف فيه،[2] فالطريقة القرآنية فطرية مُوصلة إلى عين المقصود، وهو العلم بالله تعالى وإخلاص العمل له، وعبادته تعالى، ففيها العلم والعمل كاملين.[3]

5-**العقل ليس دليلاً مستقلاً، بل معضداً للنقل:**

إنَّ للعقل مهامه ومجالاته التي لا يجب أنْ يتجاوزها، ووظيفة العقل في دلائل الوحي هي التدبر والفهم لهذه النصوص، والتسليم المطلق لهما، قال تعالى: ﴿**كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**﴾ [البقرة: 242]،[4] أي نبين دلائل الشريعة هذا البيان الواضح كي تعقلوها،[5] ووظيفة العقل الأساسية هي فهم وتدبر النصوص، قال تعالى: ﴿**وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا العَالِمُون**﴾ [العنكبوت:43]،[6] أي وما يعقل الأمثال المضروبة وفائدتها إلا العالمون، الذين يعقلون الأشياء كما ينبغي،[7] والعقل لا يستقل بمعرفة أحكام الوحي فضلاً على أنْ يُنْشِئَهَا، وإذا حصل هذا فيكون تخرصاً بغير علم، لأنَّ العقل له مجاله، فإذا استُعمل في غير مجاله فسَيَضِل، فدور العقل بالنسبة لدلائل الشرع هو أن يكون دليلاً معضداً ومؤيداً لما جاء في النقل؛ لأنَّ السمعيات ليس فيها ما يُناقض الأصول العقلية التي نعلم بها صحة السمع، بل الذي في السمع يوافق هذه الأصول،[8] ويجب أنْ يُعلم أنَّ الدليل الشرعي لا يُقابل بكونه دليلاً عقلياً، وإنَّما يُقابل بكونه دليلاً بدعياً، وذلك أنَّ الدليل الشرعي قد يكون سمعياً وقد يكون عقليًا.[9]

---

(1) انظر: الطبري، جامع البيان (ج243/21)، البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن (ج78/4)، ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج309/23).

(2) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج309/23).

(3) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج12/2).

(4) انظر: [البخاري: صحيح البخاري، الطلاق/ المتعة للتي لم يفرض لها، ص920].

(5) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج475/2).

(6) انظر: [البخاري: صحيح البخاري، العلم/ العلم قَبل القول والعمل، ص19].

(7) انظر: القسطلاني، إرشاد الساري (ج/167).

(8) انظر: ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل (ج1 /93).

(9) انظر: المصدر السابق (ج198/1).

6- الأخذ بالأدلة العقلية التي ورد بها السمع، أو وافقته:

إنَّ دلائل الشرع الخطابية كافية في هداية الإنسان إلى طريق الله تعالى، ولكن الله تعالى ذكر الأدلة العقلية لمن فسدت فطرته، ممن يرفضون المعرفة عن طريق الشرع،[1] وكذلك فإنَّ الأدلة العقلية تكون لتقريب المعنى في أذهان السامعين، وخاصة إذا كان الأمر غير معهود، فيأتي المثل القرآني فيُشبِّهه بأمرٍ معلومٍ مشاهدٍ، فيزداد المؤمن يقيناً؛ ولذلك فإنَّ من الأدلة العقلية ما يُعلم ويُشاهد؛ ولهذه الغايات فالقرآن دلَّ على الأدلة العقلية وبيّنها، ونبّه عليها وهي الطريقة البرهانية، وغايتها دعوة الخلق إلى الله تعالى، وهي تجمع بين نوعي العلم والعمل، والخبر والطلب،[2] ومن أمثلة الأدلة العقلية في صحيح البخاري،[3] قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ، وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا، هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [النحل: 75]،[4] فهذا مثل ضربه الله تعالى لنفسه وللأوثان، فالله تعالى مالك كل شيء، وهي لا تملك شيئاً،[5] فمن أشرك الأوثان بالله تعالى فمثله كمثل من سوَّى بين عبدٍ مملوكٍ عاجزٍ عن التصرف، وبين حرٍّ مالكٍ، قد رزقه الله مالاً فهو يتصرف فيه، وينفق منه كيف يشاء،[6] وبهذا نجد أنَّ القرآن الكريم قد اشتمل على خلاصة الطرق العقلية الصحيحة التي يُحتاج إليها في بيان التوحيد.

---

(1) انظر: ابن تيمية، الرد على المنطقيين (ص 330).

(2) انظر: ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل (ج198/1)، المؤلف نفسه، مجموع الفتاوى (ج45/2).

(3) وقد وردت أدلة عقلية كثيرة في صحيح البخاري ومنها قوله تعالى: ﴿وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ﴾ [الزمر: 29]، "مثل لآلهتهم الباطل والإله الحق،" وقوله تعالى: ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ [الزمر: 36]، "بِالأَوْثَانِ،" [البخاري: صحيح البخاري، تفسير القرآن/ قوْله تعالى: ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [ص 86]، ص820].

(4) انظر: [المصدر السابق، العتق/ من ملك من العرب رقيقاً، فوهب وباع وجامع وفدى وسبى الذرية، ص418].

(5) انظر: ابن الجوزي، زاد المسير (ج573/2).

(6) انظر: القسطلاني، إرشاد الساري (ج317/4).

7-السكوت عما سكت عنه الله ورسوله، وعدم الخوض في البدع الحادثة:

إنَّ واجب المسلم أنْ يُوقن ويُسلِّم للدليل الشرعي، وأنْ يسكت عما لم يرد في الشرع؛ لأنَّه لن يفيد إلا ضياع الأوقات بما لا طائل منه، والوقوع في الشبهات والمهلكات، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «**دَعُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ، إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِسُؤَالِهِمْ وَاخْتِلاَفِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ**»،[1] أي اتركوا السؤال في المواضع التي ليس فيها أمر ولا نهي، ولا تستكثروا من الاستفصال بما لا حاجة فيه ولا مصلحة؛ لأنَّه سبب الهلاك،[2] فالقاعدة التي يجب أنْ يُؤخذ بها للتعامل مع السمع أنَّ ما أثبته الشرع نُثبته، وما علم انتفاؤه نَنْفيه، فلا نثبت إلا بعلمٍ، ولا ننفي إلا بعلمٍ، وإنْ لم نعلم ثبوت هذه المسألة، ولم يرد بها الخبر لا نتكلم في الله تعالى بغير علم؛[3] لأنَّ التكلم بغير علم أصل الشبهات والمهلكات.

---

(1) [البخاري: صحيح البخاري، الاعتصام بالكتاب والسنة/ الاقتداء بسنن النبي صلى الله عليه وسلم، ص1222: ح7288].

(2) انظر: ابن حجر، فتح الباري (ج260/13)، القسطلاني، إرشاد الساري (ج308/10)، الصنعاني، التحبير لإيضاح معاني التيسير (ج707/4).

(3) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج3431/16).

المطلب الثاني

منهج الكليني في تقرير توحيد الربوبية

إنَّ المنهج الذي سار عليه الكليني في كتابه يكشف التأثر الواضح بالمنهج الكلامي، وبالبيئة التي عاش فيها الكليني، والتي كانت تتسم بإثارة الشبهات، والبعد عن المنهج القرآني في عرض مسائل التوحيد، فاستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير، والجانب الأبرز هو التأثر الواضح بالولاية، ومكانة الأئمة التي يعتقدونها، وهذا أغرق مروياته في بحر الغلو، ولم يسلم منها إلا النادر، **ويمكن بيان منهج الكليني في عرضه لتوحيد الربوبية من خلال النقاط التالية:**

1- بيان مسائل أصول الدين موقوف على الأئمة:

إنَّ النصوص الشرعية-كما يرى الكليني-لا يمكن فهم المراد منها، واستنباط الأحكام منها إلا بقيِّم يبين مرادها للناس، فمثلاً القرآن الكريم هو مصدر التشريع الأول، ولكنه غير كافٍ إلا في حال بيان الأئمة لمقصوده، فالإمام هو الذي يعرف ظاهر القرآن وباطنه، ومحكمه ومتشابهه، وناسخه ومنسوخه، وقد سُئل أبو جعفر رحمه الله: "هل يكفي القرآن؟، فقال: بلى إنْ وجدوا له مفسراً، قال-أي السائل-وما فسّره رسول الله صلى الله عليه وسلم؟، قال: بلى قد فسَّره لرجلٍ واحدٍ، وفسَّر للأمة شأن ذلك الرجل، وهو عليّ عليه السلام،"[1] فعليّ رضي الله عنه هو قيّم القرآن، وقوله هو الحجة على الناس؛ ولذلك فالناس بدون الإمام لا يستطيعون الوصول إلى الحق، بل يظلون في حيرتهم وشكهم يترددون، وقول الإمام في القرآن هو الحق،[2] وما سواه تخرصات، والأئمة ورثوا العلم واحداً بعد الآخر، وليس لأحدٍ أن يدَّعي أنَّ عنده جميع القرآن كله وعلومه إلا الأئمة،[3] والتوحيد كسائر أصول الدين موقوف معرفته على الأئمة، ويظهر هذا جليّاً في عدد الروايات الكبير المنقول عن الأئمة في كل مسائل التوحيد، وكذا في الروايات التي تبين مكانتهم في بيان التوحيد للناس، فقد أورد الكليني خطبة لعليّ رضي الله عنه، وقال معقّباً عليها: "وهي كافية لمن طلب

---

(1) [الكليني، الكافي، الحجة/ في شأن ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر:1]، 250/1: ح6].

(2) انظر: [المصدر السابق، الحجة/ الاضطرار إلى الحجة، 169/1: ح3].

(3) انظر: [المصدر نفسه، الحجة/ أنه لم يجمع القرآن كله ظاهره وباطنه غير الأوصياء283،282/1: ح2، ح3].

التوحيد إذا تدبرها وفهم ما فيها، فلو اجتمعت ألسنة الجن والإنس، ليس فيها لسان نبيٍ على أن يُبينوا التوحيد بمثل ما أتى به -بأبي هو وأمي- ما قدروا عليه، **ولولا إبانته عليه السلام ما علم الناس كيف يسلكون سبيل التوحيد.**"[1]

2-**العقل أساس أصول الدين:**

إنَّ الأساس الذي تقوم عليه مسائل التوحيد وأدلته – كما يرى الكليني- هو العقل؛ ولذلك فإنَّ أول كتابٍ في أصول الكافي: "كتاب العقل والجهل،"[2] إشارة إلى أنَّه أساس الدين، والله تعالى جعل التوحيد جنداً من جنود العقل، فقد أعطي العقل خمسة وسبعين جنداً ومنها: الإيمان، والتصديق، والعلم، والفهم، ومعرفة الله تعالى،[3] "فبالعقل عرف العباد خالقهم،"[4] وبه أخلصوا له الوحدانية،[5] ولذلك فلا دين لمن لا عقل له؛[6] لأنَّ الدين يتبع العقل؛ ولأنَّ أساس معرفة الله تعالى والاهتداء إليه هو العقل،[7] وأساس الأدلة التي ذكرها الكليني للدلالة على وجود الله تعالى، وإثبات أنَّه إله واحد هي أدلة عقلية، وأساس النظر عقلي أيضاً، وهذه المسائل هي أساس التوحيد عند الكليني؛ ولذلك فالله تعالى لا يغفر لمن لا عقل له، وحساب الله تعالى لعباده على قدر عقولهم.[8]

3-الاعتماد على المنهج الكلامي في إثبات العقائد:

إنَّ مسائل التوحيد في الكافي لا تكاد تخلو من الطرق البرهانية، التي تتَّسم بالمقدمات المعقدة، وطول العرض، وذكر المناظرات والجدليات،[9] فيثبت المسألة العقدية بأدلةٍ مبنيةٍ على المقدمات الكلامية العسيرة، ويكون فيها مبالغة في الإثبات والعرض للمسائل البديهية، فمثلاً مسألة وجود الله تعالى قد أطال فيها المقال، وذكر

---

(1) [الكليني: الكافي التوحيد/ جوامع التوحيد، 136/1: ح1].

(2) [المصدر السابق/ العقل والجهل، 10/1].

(3) انظر: [المصدر نفسه/ العقل والجهل، 20/1-22: ح14].

(4) [المصدر نفسه / العقل والجهل، 29/1: ح35].

(5) انظر: [المصدر نفسه / العقل والجهل، 25/1: ح23].

(6) انظر: [المصدر نفسه / العقل والجهل، 12/1: ح12].

(7) انظر: [المصدر نفسه / العقل والجهل، 21/1: ح14].

(8) انظر: [المصدر نفسه / العقل والجهل، 29/1،30: ح7، ح8].

(9) انظر: [المصدر نفسه ، التوحيد/ معاني الاسماء واشتقاقها،114/1/ جوامع التوحيد، 134/1].

الأدلـة علـى وجـوده تعـالى، والتـي تتبنـي علـى مقـدمات طويلـة لا حاجـة لـذكرها،[1]علـى الـرغم مـن أنَّهـا مسـألة بديهيـة، وكـذلك اسـتعمل المصـطلحات المبتدعـة التـي لا يخلـو القـول بهـا مـن الوقـوع فـي الخطـأ مثـل الجـوهر،[2] والعـرض،[3] والأعضـاء[4]، والأجـزاء،[5] والتركيـب،[6] وغيرهـا، وهـذا مـن التـأثر الواضـح بـالمنهج الاعتزالـي، والتـأثر كـذلك يظهـر فـي عـدم الاهتمـام بالتوحيـد العملـي، ومـا يتعلـق بـه مـن أحكـام، ممـا سـبّب ظهـور الشـركيات فيـه، وزادوا علـى المتكلمـين أنَّهـم أشـركوا كـذلك فـي التوحيـد العلمـي؛ ولـذلك فالمعتزلة أحسن حالاً من الروافض.

4-الاعتماد على التأويل الباطني لنصرة معتقداتهم:

إنَّ الشـيعة اعتمـدوا علـى التأويـل البـاطني للنصـوص الشـرعية لإثبـات معتقـداتهم الباطلـة، والسـبب فـي ذلـك أنَّ ظـاهر النصـوص الشـرعية لا تخـدم معتقـداتهم، وقـد ظهـر التأويـل البـاطني للقـرآن الكـريم فـي كتـاب الكـافي علـى وجـه الخصـوص؛ لأنَّ روايـات الكـافي موضـوعة لنصـرة مـذهبهم ابتـداءً، فاخترعوهـا وفـق أهـوائهم وعقائـدهم الفاسـدة فـلا حاجـة لتأويلهـا، وأمـا القـرآن الكـريم فـلا يوجـد فيـه دليـل مطلقـاً علـى معتقـداتهم الباطلـة، فلـذلك لجـؤوا للتأويـل، وتحريـف الكلـم عـن مواضـعه، اعتمـاداً علـى أنَّ القـرآن لـه ظـاهر وبـاطن، فقد نسب الكلينـي للنبـي صـلى الله عليـه وسـلم أنَّـه قـال عـن القـرآن: "ظـاهره حكـم، وباطنـه علـم، فظـاهره أنيـق، وباطنـه عميـق،"[7] وبـاطن القـرآن لا يعلمـه إلا الأئمـة، وقـد ورثـوه مـن النبـي صـلى الله عليـه وسـلم، فقـد أورد الكلينـي فـي تأويـل قـول الله تعـالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ﴾ [آل عمـران:7]، أنَّ "رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم أفضـل الراسـخين فـي العلـم، قـد علَّمـه الله تعـالى جميـع مـا أُنـزل عليـه مـن التنزيـل والتأويـل، ومـا كـان الله تعـالى ليُنـزل عليـه شـيئاً لـم يعلمـه تأويلـه، وأوصـياؤه مـن

---

(1) انظـر: [الكلينـي: الكـافي، التوحيـد/ حـدوث العـالم وإثبـات المحـدث، 72/1/ أنـه لا يعـرف إلا بـه، باب الكون والمكان، 88/1، باب حدوث الأسماء، باب معاني الأسماء واشتقاقها،112/1].

(2) انظر: [المصدر السابق، التوحيد/ جوامع التوحيد،139/1: ح4].

(3) انظر: [المصدر السابق، التوحيد/ جوامع التوحيد،137/1: ح1].

(4) انظر: [المصدر السابق، التوحيد/ النهي عن الجسم والصورة،105/1: ح4].

(5) انظر: [المصدر السابق، التوحيد/ النهي عن الجسم والصورة،106/1: ح6].

(6) انظر: [المصدر السابق، التوحيد/ القول إنه شيء، 84/1: ح6].

(7) انظر: [المصدر السابق، فضل القرآن/ في تمثل القرآن وشفاعته لأهله، 599/2: ح2].

بعده يعلمونه كله،....والقرآن خاص وعام، ومحكم ومتشابه، وناسخ ومنسوخ، فالراسخون في العلم يعلمونه،"[1] والتأويل للآيات القرآنية جائز للأئمة بلا شروط ولا قيود؛ لأنَّهم يعرفون علوم القرآن كلها، فهم خُزّان العلم الإلهي، ولهم أنْ يُظهروا المقصود من النصوص متى أرادوا،[2] وإنَّ المرء ليضيق ذرعاً من كثرة التحريف للآيات في كتاب الكافي تحت غطاء التأويل، وهو دليل على غلوهم وتنطعهم.[3]

وتوحيد الربوبية يظهر فيه آثار التأويل جليّاً، فالأئمة شاركوا الله تعالى في خصائص ربوبيته، واعتمدوا في إثبات ذلك على تأويل آيات القرآن، وعلى الروايات الموضوعة، ومن الروايات التي يظهر فيها التحريف واضحاً ما نُسب لأبي عبد الله رحمه الله في تفسير قوله تعالى: "﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الخَاسِرِينَ﴾ [الزُّمر:65]، قال: يعني إنْ أشركت في الولاية غيره، وفي قوله تعالى: ﴿بَلِ اللهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الزُّمر:66]، يعني بل الله فاعبد بالطاعة، وكن من الشاكرين أن عضدتك بأخيك وابن عمك،"[4] فهنا جعل الشرك مختصاً بالإشراك في ولاية علي رضي الله عنه، ولا يخفى على كل ذي لبٍّ أنَّ الشرك يتعلق بتعطيل الرب، أو مشاركة المخلوقين فيما لا يجب إلا للرب تعالى.

الرد على منهج الكليني في توحيد الربوبية:

1-إنَّ المنهج الذي سار عليه الكليني في عرضه للتوحيد وأدلته مبتدع، لم يردْ في القرآن الكريم، ولم يُعرف في زمن النبي صلى الله عليه وسلم، ولم يدعُ إليه، بل إنَّ كل الأنبياء والمرسلين لم يعلموا هذه الطرق البدعية؛ فدعوة الأنبياء في أصول الدين واحدة

---

(1) انظر: [الكافي: الحجة/ أن الأئمة عليهم السلام ولاة أمر الله وخزنة علمه، 213/1: ح2].

(2) [المصدر السابق، الحجة/ أنَّ الأئمة ورثوا علم النبي صلى الله عليه وسلم وجميع الأنبياء والأوصياء الذين من قبلهم، 223/1،224: ح1].

(3) انظر: [المصدر نفسه، الحجة/ فرض طاعة الأئمة، 185/1، في أنَّ الأئمة شهداء الله عز وجل على خلقه، 190/1، أنَّ الأئمة عليهم السلام هم الهداة، 191/1/ أنَّ الأئمة عليهم السلام نور الله عز وجل، 194/1، باب أنَّ الأئمة عليهم السلام هم العلامات التي ذكرها الله عز وجل في كتابه، 206/1، باب أنَّ الآيات التي ذكرها الله عز وجل في كتابه هم الأئمة عليهم السلام، 207/1، أنَّ أهل الذكر الذين أمر الله الخلق بسؤالهم هم الأئمة عليهم السلام210/1].

(4) [المصدر نفسه، الحجة/ فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية، 76/1: ح76].

لا تختلف، والمنهج الذي سار عليه الكليني له لوازم باطلة تدخل الإنسان في الكفر، ومنها:

أ-إنَّ معرفة الرب والإيمان به لو كانت موقوفة على هذه البدع، للزم أنَّ الأنبياء والمرسلين كانوا غير عارفين بالله تعالى ولا مؤمنين؛ إذ لم يعرفوا هذه الأدلة ولم يؤمنوا بها، وهذا من أعظم الكفر باتفاق المسلمين.[1]

ب-يلزم من ذلك أيضاً أنَّ بعثة الرسل كانت لإضلال الناس؛ إذ لم يبينوا لهم التوحيد، ومع ذلك قالوا إنَّ اتباعهم هو المُنجي من عذاب الله تعالى، المُوجب لدخول الجنة، ويقتضي كذلك أنَّ القرآن قد بيَّن طريق الشقاء؛ إذ قصر دخول الجنة على من أحب الله ورسوله، واتبع ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم،[2] دون بدع الشيعة التي قالوها في التوحيد.

ج-ويلزم كذلك أنَّ كل الأمم السابقة منذ نزول آدم عليه السلام إلى الأرض وحتى عهد أئمة الشيعة، كانوا على الشرك والضلال، حتى أتى الشيعة فبينوا التوحيد للعباد، وأما قبل ذلك فالكل كان على الضلال لا يعرف التوحيد الحق.

د- ويلزم منه كذلك أنَّ الله تعالى قد كلَّف عباده ما لا يطيقونه؛ إذ أمرهم بالتوحيد منذ وُجدت البشرية على الأرض، ومع ذلك لم يبينه لهم وهم لا يعرفونه، ثم بعد ذلك يعاقبهم على تركه، وجعل البشرية تموج بالشرك، وهو طعن في البيان والنصح الإلهي، وهذا من أعظم الشرك والكفر.

هـ-ومن لوازمه أيضاً أنَّ الله تعالى قد زكَّى الأنبياء عليهم السلام، وجعلهم أفضل البشرية وهم لا يستحقون ذلك؛ إذ إنَّهم لم يظهروا التوحيد، بل لم يعلموه، وهذا يُنافي حكمة الله تعالى وعدله.

2-إنَّ صعوبة المنهج الكلامي، وتناقض بعض أدلة التوحيد عند الكليني، وغموضها، واشتمالها على المقدمات المعقدة، تجعل من فهم التوحيد صعباً على خواص الشيعة، فضلاً عن العوام، فإنَّهم قد اعترفوا بأنَّ هناك روايات غامضة لا يمكن فهمها، وقد أورد الكليني: "باب ما جاء في أنَّ حديثهم صعب مستصعب،"[3] وهناك روايات فيها

(1) الموسوعة العقدية- الدرر السنية، بتصرف (ج202/1). بترقيم الشاملة ألياً.

(2) انظر: القفاري، أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثنا عشرية (ج34/1).

(3) [الكليني: الكافي، الحجة/ فيما جاء أن حديثهم صعب مستصعب، 401/1].

مـن التنـاقض والغمـوض؛ بحيـث خَفِـيَ علـى علمـائهم أنْ يفهموهـا،[1] فـإذا كـان هـذا حـال خواصـهم فمـا بـال العـوام؟!، فهـل جـاء التوحيـد لـيفهم بعضَـهُ الخاصـة مـن النـاس، ويجهلـه السـواد الأعظـم؟، وأيُّ حكمـةٍ فـي ورود روايـات فـي التوحيـد لا يمكـن فهمهـا إلا بضـرب من التخمين والتعسف في التأويل، مع عدم القطع بالمراد منها؟!.

3- إنَّ روايـات الكـافي تفـتح بـاب التأويـل والتعطيـل فـي التوحيـد الخبـري العلمـي،[2] كمـا سـيأتي، وهـذا فـتح لأبـواب الشـرك فـي العـالم الإسـلامي، وإذا تسـلَّط التأويـل علـى التوحيـد العلمي الخبري كان تسليطه على التوحيد العملي القصدي أسهل.[3]

4-إنَّ التوحيـد عنـد الشـيعة لـيس موقوفـاً علـى السـمع، وهـذا مـا يُفهـم مـن روايـات الكلينـي، فإنَّـه قـد جـارى المتكلمـين فـي بـدعهم، وكـذلك الشُـرَّاح قـد اختلفـوا فيمـا عـدُّوه مـن أعظـم أركـان التوحيـد، وهـذا يـدلُّ أنَّهـم يقـرُّون أنَّ هـذا التوحيـد لـيس توقيفيـاً، بـل فيـه مجـال للاجتهـاد والمخالفـة، ويلـزم مـن ذلـك أنْ يُكَفـروا بعـض علمـائهم المخـالفين لهـذه الأصـول، الذين خالفوا، ولم يقولوا بحدوث العالم.

5-إنَّ المـنهج الـذي اتَّبعـه الكلينـي فـي عرضـه للتوحيـد خـالف فيـه مروياتـه، فقـد ذُكـر فيهـا: "لا تجـاوزوا مـا فـي القـرآن،"[4] وهـذا تنـاقض ومخالفـة واضـحة لمـا سـار عليـه فـي عرضـه للتوحيـد؛ فإنَّـه لا يوجـد مسـألة مـن مسـائل التوحيـد فـي الكـافي وردت فـي القـرآن الكـريم، فضـلاً عـن المصـطلحات المبتدعـة فـي الكـافي، وإننـا لا نجـد الاسـتدلال بالآيـات القرآنيـة فيـه إلا نـادراً جـداً، فهـو إذن جـاوزوا القـرآن وخالفـه أعظـم مخالفـة، ومـن

---

(1) ومـن أمثلـة ذلـك روايـة، "إنَّ الله تبـارك وتعـالى خلـق اسـماً بـالحروف غيـر متصـوت، وبـاللفظ غيـر منطـق، وبالشـخص غيـر مجسـد، والتشـبيه غيـر موصـوف، وبـاللون غيـر مصـبوغ، منفـي عنـه الأقطـار، مبعـد عنـه الحـدود، محجـوب عنـه حـس كـل متـوهم، مسـتتر غيـر مسـتور، فجعلـه كلمـة تامـة علـى أربعـة أجـزاء معـاً، لـيس منهـا واحـد قبـل آخـر، فـأظهر منهـا ثلاثـة أسـماء لفاقـة الخلـق إليهـا، وحجـب منهـا واحـداً، وهـو الاسـم المكنـون المخـزون، فهـذه الأسـماء التـي ظهـرت، فالظـاهر هـو الله تبـارك وتعـالى، وسـخَّر سـبحانه لكـل اسـم مـن هـذه الأسـماء أربعـة أركـان، فـذلك اثنـا عشـر ركنـاً، ثـم خلـق لكـل ركـن منهـا ثلاثـين اسـماً فعـلاً منسـوباً"، [الكلينـي: الكـافي، التوحيـد/ حـدوث الأسـماء، 112/1: ح1]، فقـد حـارت في معناه عقول علمائهم وقد مرَّ.

(2) التوحيـد العلمـي الخبـري هـو توحيـد الربوبيـة والأسـماء والصـفات، والتوحيـد العملـي الإرادي الطلبـي هو توحيد الألوهية.

(3) انظر: ابن عبد الوهاب، الدرر السنية في الأجوبة النجدية (ص223).

(4) [الكليني: الكافي، التوحيد/ النهي عن الصفة بغير ما وصف به نفسه، 102/1: ح7].

المخالفات الواضحة للقرآن نفيه للصفات، وهو كذلك مخالف لرواياته، فإنَّ فيها ما يُوجب إثبات الصفات، كقول جعفر رحمه الله: "فاعلم رحمك الله أن المذهب الصحيح في التوحيد ما نزل به القرآن من صفات الله تعالى، فانفِ عن الله تعالى البطلان والتشبيه، فلا نفي ولا تشبيه،"[1] وورد كذلك: "الله أعلى وأعظم أنْ يُبلغ كنه صفته، فصفوه بما وصف به نفسه، وكفوا عما سوى ذلك،"[2] أليست هذه الروايات صريحة في إثبات الصفات؟، فما نزل به القرآن الكريم هو إثبات الصفات الإلهية، فلماذا هذا التناقض والمعارضة للقرآن الكريم؟.

6-إنَّ أصول الدين وأركانه ودلائله وضرورياته لا بدَّ أنْ تستند إلى نصٍ قرآني صريحٍ لا يحتمل إلا معنى واحداً، ولا يُحتاج لمعرفته إلى شرحٍ وتأويلٍ، سواء بروايات، أو بتفسيرات العلماء، وهذا يُغنِي العوام وغير المتخصصين عن البحث المُطول في دلالات الألفاظ والأدلة، ويُخرجهم من الجدال العقيم الذي ضلَّ فيه الجاهلون؛ فالباطل قد يبدو في صورة الحق؛ لأنَّ الشياطين يُوحون إلى أوليائهم زخرف القول غروراً ليجادلوا أولياء الله تعالى، ولا سيما إذا عُضِّد بروايات موضوعةٍ، بحيث تكون تلك الروايات صريحة في الدلالة على أصلهم الفاسد، ومفصلة بشكل دقيق لتوافق أهوائهم، وعلى ذلك فيسقط كل أصلٍ لا دليل عليه بهذه الشروط؛ لأنَّ كل القضايا الأصولية لا يحتاج عامة المسلمين للعلم بها سوى تلاوة نصوصها القرآنية، والإيمان بها على وجه الإجمال، فهي لا تحتاج إلى شرحٍ أو توضيحٍ، فضلاً عن أن تكون قضايا فلسفية، كثيرة المقدمات وعسيرة الفهم.[3]

7-إنَّ الأخذ بالتأويل الباطني للأدلة الشرعية فيه من الشر والالحاد في الدين ما لا يخفى، ويكفي ما حكاه علماؤهم في إبطال هذا التأويل، فالكليني أورد عن أبي جعفر رحمه الله تأويلات فاسدة، في قول الله تعالى: ﴿**فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**﴾ [النحل:43]، "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الذكر أنا، والأئمة أهل الذكر، وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿**وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ**﴾ [الزُّخرف:44]،

(1) [الكليني: الكافي، التوحيد/ النهي عن الصفة بغير ما وصف به نفسه، 100/1: ح1].
(2) [المصدر السابق، التوحيد/ النهي عن الصفة بغير ما وصف به نفسه، 102/1: ح6].
(3) انظر: الدليمي، المنهج القرآني الفاصل بين أصول الحق وأصول الباطل (ج1/ 13،14).

قال أبو جعفر عليه السلام: نحن قومه ونحن المسؤولون،"[1] قال علامة الشيعة المجلسي معقِّباً على هذه الرواية: "لو كان المراد بالذكر في الآية المباركة رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن المخاطب؟، ومن المراد من الضمير في قوله تعالى: لك ولقومك؟، وكيف يمكن الالتزام بصدور مثل هذا الكلام من المعصوم عليه السلام فضلاً عن دعوى القطع بصدوره؟."[2]

8-إنَّ التأويل الذي ورد في الكافي بشكلٍ كبيرٍ جداً هو من جنس التأويل الباطني الباطل الذي يتضمن تعطيل النصوص الشرعية، وفيه كذب على المتكلم أنَّه أراد بلفظه ذلك المعنى الباطني، فيكون هذا التأويل قد تضمن إبطال الحق، وتقرير الباطل، ونسبة المتكلم إلى ما لا يليق به من التلبيس والألغاز، وفيه القول على الله تعالى بلا علم أنَّه أراد معنىً فاسداً بعينه، وحتى يخرج الشيعة من هذه المحاذير عليهم أنْ يبينوا صلاحية اللفظ للمعنى الذي ذكروه في تأويلهم، ويثبتوا استعمال المتكلم لذلك اللفظ بمعناه المؤول في أكثر المواضع، حتى إذا ورد اللفظ في نصٍّ حُمل على ما عُهد من المتكلم استعماله فيه، ويجب على المُؤوِّل كذلك أنْ يُقيم دليلاً سالماً عن المعارض على المُوجب لصرف اللفظ عن ظاهره، وحقيقته إلى مجازه واستعارته، وإلا كان ذلك مجرد دعوى منه بلا دليلٍ، لا تُقبل؛ لأنَّ الأصل حمل الكلام على الحقيقة،[3] وهذا كلا قيّم ذكره الإمام ابن القيم في رد التأويلات الباطلة، وهذا يُقال في كل ما أوَّله الشيعة من النصوص الشرعية.

9-إنَّ التأويل الصحيح هو الذي يوافق ما دلَّت عليه النصوص الشرعية، وجاءت به السنة، وأما التأويل الفاسد هو ما خالفها، ولا فرق في ذلك بين الخبر والأمر، **والتأويل الباطل على عدة أنواع:**

أ-تأويل لا يحتمله اللفظ بوضعه، وهو ألا يُعرف في لغة العرب استعمال اللفظ لذلك المعنى.

ب- تأويل لا يحتمله السياق، وإنْ احتمله في غير ذلك السياق.

---

(1) [الكليني: الكافي، الحجة/ أن أهل الذكر الذين أمر الله الخلق بسؤالهم هم الأئمة عليهم السلام، 210/1: ح1].

(2) المجلسي، الوجيزة في علم الرجال (ص83).

(3) انظر: ابن القيم، شفاء العليل (ص82،83).

ج-تأويل لم يُؤْلَف استعماله في ذلك المعنى في لغة المخاطَب، وإنْ أُلِفَ في الاصطلاح الحادث، وهذا المواضع زلَّت فيها أقدام كثير من الناس.(1)

وكل ما أوَّله الشيعة من النصوص الشرعية لا يخرج عن هذه الأنواع الثلاثة، وهذه الأنواع كلها باطلة؛ لأنَّها خالفت النصوص الشرعية بلا دليلٍ معتبرٍ مساوٍ لها في القوة، وهي كذلك مخالفة للغة العربية، وللمعهود استخدامه من الألفاظ.

10-إنَّ المعنى الظاهر لا يجوز العدول عنه وتأويله **إلا بأحد أشياءٍ ثلاثة:**

أ-أنَّ يَعترض على الحقيقة مانع، يمنع من إجرائها على ظاهر الخطاب.

ب-أنْ تكون القرينة التي تُوجب صرف اللفظ عن حقيقته تصلح لنقل اللفظ من حقيقته إلى مجازه.

ج-أنْ يكون المحل الذي أُضيف إليه المعنى الحقيقي، لا يصلح لها، فحينئذٍ يُنتقل اللفظ من حقيقته إلى مجازه.

ولذلك فليس كل معنى يُفسَّر به اللفظ لمجرد المناسبة بين اللفظ والمعنى، فإنَّه لا يُكتفى أنْ يصلح وضع اللفظ لذلك المعنى، إذا كان المعنى خارجاً عن وجوه دلالة اللفظ؛ إذ الألفاظ التي يصلح وضعها للمعاني ولم تُوضع لها لا يحصى عددها إلا الله تعالى، ودلالة اللفظ على المعنى سمعية، فلا بدَّ أنْ يكون اللفظ مستعملاً في ذلك المعنى، بحيث يدلُّ على المعْنِيِّ به، ويكون ذلك وارداً في السمع.(2)

11-إنَّ المتأوِّلين لم يجنوا من تأويلهم الفاسد إلا تعطيل حقائق النصوص، وانتهاك حرمتها، وهم لم يتخلصوا مما ظنوه محذوراً، بل هو لازم لهم فيما فرُّوا إليه، أكثر مما فروا منه.(3)

12-إنَّ سبب خراب العالم، وفساد الدنيا والدين، هو فتح باب التأويل الفاسد، فما وقع من التفرق والاختلاف إلا من التأويلات الباطلة المستعملة في آيات القرآن والسنة، وقد تمسك بها المبتدعون على اختلاف أصنافهم في أصول الدين وفروعه، فكانت سبباً

---

(1) انظر: ابن القيم، الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة (192،189/1).

(2) انظر: ابن تيمية، بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (263،262/1)، المؤلف نفسه، مجموع الفتاوى (2/ 27).

(3) انظر: ابن القيم، الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة (192/1).

فـي التحـارب، وتفـرق الكلمـة، وتشـتت الأهـواء، وتصـدُّع الشـمل، حتـى صـاروا يُكفِّـرون ويسفكون دماء الآخرين ويستحلون أنفسهم وأموالهم.[1]

13-إنَّ مـنهج الكلينـي مخـالف للقـرآن فـي مقاصـده، فـالقرآن أخبـر بـالعلم بـالله تعـالى، والعمـل لـه، فجمـع بـين قـوتي الإنسـان العلميـة والعمليـة، الاعتقاديـة والقوليـة، ففـي الآيـات التـي يُـذكر فيهـا دلائـل وجـود الله تعـالى ووحدانيتـه، فإنَّهـا تكـون مقرونـة بالعمـل وهـو العبـادة، فالعبـادة لا بـدَّ فيهـا مـن معرفـة الله تعـالى مـع الإنابـة إليـه، والتـذلل لـه، والافتقـار إليـه، وأمـا الطـرق الكلاميـة فإنَّمـا تفيـد مجـرد الإقـرار والاعتـراف بوجـود الله تعـالى، وهـذا إذا حصـل مـن غيـر عبـادةٍ وإنابـةٍ كـان وبـالاً علـى صـاحبه، فالطريقـة الكلاميـة فيهـا علـم ناقص بلا عمل، والطريقة النبوية القرآنية السنية الجماعية فيها العلم والعمل كاملين.[2]

14-إنَّ المـنهج الـذي سـار عليـه الكلينـي فـي كتـاب الكـافي هـو ثمـرة البـدع التـي ظهـرت فـي الوسـط الإسـلامي، فمـع ظهـور فـرق الابتـداع، واخـتلاط المسـلمين بأهـل الشـك والريـب مـن أهـل الـبلاد المفتوحـة، حيـث أُخـذت مـنهم هـذه الأباطيـل، وقـد روَّج زنادقـة الـبلاد المفتوحـة هـذه المقـالات، حقـداً وحسـداً علـى الـدين وأهلـه، فعكفـوا علـى نشـر البـدع العقديـة المنحرفـة، وزرع الشُّـبَه والريبـة بـين المسـلمين، فمـثلاً بـلاد فـارس والعـراق وغيرهـا، قـد تعرَّضـت إلـى هجمـاتٍ فكريـةٍ مـن الصـابئة، ودهاقنـة الفـرق، ويعـاونهم اليهـود والنصـارى، والسـمنية الهنـود، الـذين كـانوا يطوفـون فـي الـبلاد الإسـلامية، ويزرعـون الشُـبَه والشـكوك، وهـذه الجماعـات بـدأت عملهـا فـي القـرن الأول الهجـري،[3] وجـاءت الفـرق المبتدعـة تـدعم دور الزنادقـة، وترفـع بـدعهم بجعلهـا مـن التوحيـد، ويظهـر هـذا واضـحاً عنـد مقارنـة توحيـد الشـيعة بـالقرآن الكـريم، فـلا يوجـد بينهمـا علاقـة مـن قريـبٍ أو بعيـدٍ، ونجـد التطـابق التـام فـي المسـائل والمصـطلحات المبتدعـة بـين الشـيعة والفـرق الضـالَّة، والتي نشأت نتيجة دخول الفكر الضالّ على المجتمعات المسلمة.

15-إنَّ روايـات الكـافي يظهـر فيهـا التشـابه الكبيـر مـع معتقـدات المعتزلـة، وهـذا لا يـدع مجـالاً للشـك أنَّهـم ورثـوا ضـلالتهم مـن الفكـر الاعتزالـي، فعلمـاء المعتزلـة أسـبق مـن علمـاء الشـيعة، فأوائـل علمـاء المعتزلـة كواصـل بـن عطـاء، وعمـرو بـن عبيـد، مـن أعيـان المائـة

---

(1) انظر: ابن القيم، الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة (348/1).

(2) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج12/1،13).

(3) انظر: القاضي عبد الجبار، المنية والأمل (ج37/1)، ابن تيمية، التسعينية (ج235/1).

الثانيــة،[1] وأوائـل علمــاء الشـيعة كعلــيّ القمــي، وأبــي جعفـر الكلينــي، وعلــي بــن بابويــه القمــي، مــن أعيــان المائــة الرابعــة،[2] وقـد اعتـرف بعـض علمــائهم بـأنَّ المعتزلــة قـد سـبقوهم فـي الاسـتدلالات التـي بنـوا عليهـا مـذهبهم، فمـثلاً: ذكـر صـاحب كتـاب "عصـرة المنجـود": إنَّ أول مـن اسـتدلَّ بـالأكوان الأربعـة علـى حـدوث الأجسـام هـو أبـو الهـذيل، وهــذا معتزلــي كمــا هــو معــروف،[3] وكـذلك اشـتُهر عـنهم النقـل عـن أئمــة المعتزلــة كالقاضــي عبـد الجبـار،[4] وهشـام بـن الحكـم الـذي هـو أشـهر رواة الكـافي كـان متكلمـاً يُجـاري المعتزلـة فـي مبـادئهم،[5] فهـم وإنْ أنكـروا صـلتهم بالمعتزلـة، فواقـع كتـبهم ينطـق بأنَّهم وَرِثوا ضلالاتهم.

16-إنَّ ممـا يؤكـد أنَّ توحيـد الشـيعة لا يُنسـب إلـى الأئمـة، وأنَّـه منحـول: أنَّ أول نسـخة مخطوطـة لكتـاب الكـافي ذُكـرت فيهـا الأصـول كانـت فـي القـرن التاسـع الهجـري (854-855)،[6] أي فـي عهـد الدولـة الصـفوية، وبالتحديـد فـي عهـد جنيـد، الـذي كـان شـيعياً جَلْداً متعصباً محارباً لأهل السنة، وقد كـان جنيد أعلن أنَّه انفصل عن أهل السنة، وقد تمَّ فـي عهد ملـوك الدولـة الصـفوية اسـتحداث البـدع والشـركيات فـي التوحيـد، التـي لـم تكـن تُعـرف مـن قبـل فـي البيئـة الإسـلامية،[7] وهـذا يبـدو جليـاً فـإنَّ المعتزلـة وإنْ كـانوا قـد ابتـدعوا فـي التوحيـد، وسـار الشـيعة علـى مـنهجهم، فـإنَّ الشـيعة قـد زادوا علـى ذلـك طامـات كثيـرة، وشـركيات لا عهـد بهـا لأحـدٍ مـن الفـرق التـي تَنسـب نفسـها إلـى الإسـلام، فتوحيـد الشيعة هو خلاصة بدع وضلالات المعتزلة، وشركيات استحدثها الصفويون.

---

(1) انظر: الزركلي، الأعلام (ج5/81، 8/108).

(2) انظر: نجف، علماء في رضوان الله (ص5-11).

(3) انظر: البياضي، عصرة المنجود (ص49).

(4) انظر: المصدر السابق (ص61).

(5) انظر: المصدر نفسه (ص49).

(6) انظـر: مـدخل كتـاب الكـافي (ج1/137)، مـع ملاحظـة أنَّ هـذا بالاعتمـاد علـى كتـاب الكـافي بتحقيـق مؤسسـة إحيـاء التـراث، طبعـة مركـز بحـوث دار الحـديث، أمـا روايـا الكـافي فاعتُمـدت نسـخة علي أكبر غفاري، طبعة دار الكتب الإسلامية.

(7) انظر: الشافعي، عبد العزيز، عودة الصفويين (ص8).

خلاصة المبحث:

إنَّ منهج الإمام البخاري رحمه الله تعالى في كتابه كان هو المنهج القرآني، فالتوقف عند النصوص الشرعية هو سمة الأحاديث، والتسليم لنصوص الوحي بلا تأويل متعسف، ولا تعطيل لها، وعدم تقديم قول أحدٍ عليهما، وهذا مطَّرد في صحيح البخاري كله، وهذا مع البعد عن التنطع والتكلُّف، أو التأثر بالبدع الحادثة، وأما الكليني فمنهجه هو المنهج الكلامي المبتدع، فقد ظهر في رواياته التأثر الواضح بالبيئة الكلامية في المصطلحات والأدلة وطريقة العرض، ومعتقد الولاية قد ظهر جلياً في كل معتقداته وحتى في التوحيد، وقد ظهر التأويل الباطني للنصوص بشكل كبير جداً.

المبحث الثاني

الأدلة الواردة في صحيح البخاري والكافي في إثبات توحيد الربوبية

المطلب الأول

الأدلة الواردة في صحيح البخاري في إثبات توحيد الربوبية

إنَّ التوحيد يشمل المسائل، ودلائلها، ودلائل المسائل هي الأدلة التي يُحتاج إليها لإثبات التوحيد ومسائله، وقد بيَّن الله تعالى ورسوله هذه الأدلة أتمَّ بيان، فلم تكن دلالة الوحي هي طريقة الخبر المجرد فقط،[1] بل جاءت مملوءة بأدلة إثبات الصانع وقدرته، ودلائل ربوبيته السمعية والعقلية.[2]

وأدلة توحيد الربوبية التي وردت في صحيح البخاري يمكن بيانها على النحو التالي:

1- دليل الفطرة:

إنَّ الله تعالى فطر عباده على معرفته، وجعل ذلك مركوزاً في فطرهم، والدليل إذا كان راسخاً في النفس يكون قوياً لا يحتاج الشخص معه إلى استدلالٍ؛ ولهذا فالفطرة هي أصل لكل الأدلة الأخرى الدالة على الإقرار بوجود الرب سبحانه،[3] وقد ورد دليل الفطرة في الأحاديث النبوية بشكل واضح، قال النبي صلى الله عليه وسلم: **«مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ، كَمَا تُنْتَجُ البَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ، هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ»**،[4] **ومن الشواهد على هذا الدليل ما يلي:**

أ-لجوء الإنسان وفزعه إلى خالقه سبحانه وتعالى عند الشدائد:

إنَّ الإنسان -سواء كان موحداً أو مشركاً- يلجأ إلى الله تعالى عند الشدة والحاجة، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ

(1) انظر: ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل (ج27/1، 28).

(2) انظر: المصدر السابق (ج92/1).

(3) الموسوعة العقدية- الدرر السنية، بتصرف (ج183/1). بترقيم الشاملة آلياً.

(4) [البخاري: صحيح البخاري، تفسير القرآن/ ﴿لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ﴾ [الروم: 30]، "لِدِينِ اللَّهِ"، ص812: ح4775]، وقد مرَّ معنى الحديث سابقاً.

بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾[يونس:22]، فإنَّ الإنسان إذا دنا من الهلكة توجَّه إلى الله تعالى يدعوه مخلصاً،[1] فالفطرة السليمة الإنسانية شهدت بوجود صانعٍ عليمٍ قادرٍ، وإنْ هم غفلوا عن هذه الفطرة في حال السراء فلا شك أنَّهم يلوذون إليه في حال الضراء،[2] فإنَّ هؤلاء المشركين إذا وقعوا في محنة، وظنَّوا أنَّ الهلاك قد أحاط بهم، أخلصوا الدعاء لله تعالى هنالك، دون أوثانهم وآلهتهم، وكان مفزعهم حينئذٍ إلى الله تعالى دونهم،[3] فالنفس مفطورة إلى مدبرٍ هو منتهى مطلب الحاجات، يُرغب إليه، ولا يُرغب عنه، ويُستغنَى به، ولا يُستغنَى عنه، ويَتوجه إليه، ويُفزع إليه في الشدائد،[4] ودعاؤهم في الضراء إقرار منهم بالله تعالى، ورجوع إلى الفطرة التي تنكروا لها.

ب-ورود التكليف بتوحيد العبادة أولاً:[5]

إنَّ معرفة الله تعالى لو لم تكن فطرية لكانت أول دعوة الرسل إليها، ولساغ لمعارضي الرسل أنْ يقولوا: نحن لم نعرف الله تعالى أصلاً فكيف تأمرونا بعبادته؟؛[6] وذلك أنَّ عبادة الله تعالى فرع عن معرفته، ولكن لمَّا كانت معرفة الله تعالى فطرية ضرورية لم يَرِدْ التكليف بمعرفة الصانع، وإنَّما ورد بمعرفة التوحيد، ونفي الشرك،[7] وقد كانت دعوة جميع الأنبياء إلى أقوامهم ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ [الأعراف: 65]،[8] فالرسل مبعوثون للتذكير بالفطرة وتطهيرها من تسويلات الشياطين،[9] والنبي صلى الله

---

(1) انظر: [البخاري، صحيح البخاري، تفسير القرآن/ سورة يونس، ص784].

(2) انظر: ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل (ج129/3).

(3) انظر: الطبري، جامع البيان (ج51/15).

(4) انظر: ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل (ج131/3).

(5) انظر: نور، منهج أهل السنة والجماعة والأشاعرة في توحيد الله تعالى (ص283).

(6) انظر: ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل (ج130/3).

(7) انظر: المصدر نفسه، (ج192/3).

(8) انظر: [البخاري: صحيح البخاري، أحاديث الأنبياء/ قولِ اللَّه تعالى: ﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ [الأعراف: 65]، ص559]، وهذه العبارة وردت على لسان نوح وهود وثمود وشعيب عليهم السلام [الأعراف:59،65،73،85].

(9) انظر: ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل (ج132/3).

عليه وسلم كانت دعوته كذلك إلى توحيد الله تعالى، وإخلاص العبادة له سبحانه وتعالى، ولهذا كانت وصيته عندما بعث معاذاً رضي الله عنه إلى اليمن أنْ يكون أول ما يدعوهم إليه عبادة الله تعالى وحده.[1]

2- دلالة الخلق:

إنَّ الإنسان يعلم ضرورةً وجوده حياً قادراً بعد أنْ لم يكن شيئاً، وأنَّ أول وجوده كان نطفةً، بحيث يمتنع فِي عقل كل عاقلٍ تصور أنْ هذه النطفة أصبحت إنساناً كاملاً بغير صانعٍ حكيمٍ، ويرى حوله هذا الكون بما فيه من المخلوقات التي تدل على وجود الله تعالى[2] وهذا الدليل يشمل دلالة الأنفس، ودلالة الآفاق، وَقد جمع الله تعالى ذكر دلالتي الأنفس والآفاق في قوله تعالى: **﴿سَنُرِيهم آيَاتِنَا فِي الْآفَاق وَفِي أنفسهم حَتَّى يتَبَيَّن لَهُم أَنه الْحق﴾** [فصلت:53].

وتفصيل الدلالتين على النحو التالي:

أ- دلالة الأنفس:

وهي آية خلق الإنسان، ومن أكثر الآيات وضوحاً، ولقد اهتمَّ القرآن بهذا الدليل؛[3] لكون الإنسان من أوضح الدلالات على وجود خالقه، قال تعالى: **﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالأُنْثَى﴾**[الليل: 3]،[4] والله تعالى يذكر الخلق مطلقاً، ويخصُّ بالذكر خلق الإنسان، وأنَّه خَلَقَه من علقةٍ، وهذا أمر معلوم لجميع الناس، والمراد بهذه الآية وأمثالها بيان الدليل على الخالق سبحانه وتعالى، وهذا يكون بمقدماتٍ مسلمةٍ لا يمكن أن تُجهل،[5] وقد ذُكرت دلالة خلق الإنسان في أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم في مواضع كثيرة، ومنها قوله صلى الله عليه وسلم: «**إنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا نطفة، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِك، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِك،**»[6]

---

(1) انظر: [البخاري: صحيح البخاري، الوحيد/ ما جاء فِي دعَاءِ النَّبِي صلى الله عليْه وسلم أمتَه إِلَى توحِيد اللَّهِ تبارك وتعالى، ص1236: ح7372].

(2) انظر: ابن الوزير، إيثار الحق على الخلق (ج46/1).

(3) انظر: الرقب، مناهج الإسلاميين (ص858).

(4) [البخاري: صحيح البخاري، تفسير القرآن/ ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالأُنْثَى﴾ [الليل:3]، ص851].

(5) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج261/16).

(6) [البخاري، صحيح البخاري، بدء الخلق/ ذكر الملائكة، ص540: ح3208].

ودلالـة ذلـك علـى الخـالق، أنَّ الإنسـان خُلـق مـن نطفـةٍ مسـتوية الطبيعـة، وقـد تغيَّـرت بـه الأحـوال، وانتقلـت بــه الأطـوار انتقـالاً عجيبـاً، حتـى صـار إنسـاناً سـويَّ الخلقـة، وكـذلك دلالـة الحكمـة العظيمـة، والخلقـة المحكمـة لوظيفـة كـل عضـوٍ تـدلُّ علـى وجـود خـالقٍ حكـيمٍ قادرٍ.[1]

ب- دلالة الآفاق:

وهـو دليـل النظـر والتفكـر فـي الكـون، ومـا فيـه مـن المخلوقـات العظيمـة، التـي تـدلُّ علـى وجـود الله تعـالى ووحدانيتـه، قـال تعـالى: **﴿إِنَّ فِي خَلْـقِ السَّـمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْـتِلاَفِ اللَّيْـلِ وَالنَّهَـارِ لآيَـاتٍ لِأُولِي الأَلْبَـاب﴾** [آل عمران:190]،[2] ومثـل هـذه الآيـات تكـون موقـع الحجـة مـن الـدعوى، وذلـك أنَّ الله تعـالى ذكـر أنَّـه الإلـه الحـق، ولا إلـه غيـره، وهـي قضـية مـن شـأنها أنْ تُتلقـى بالإنكـار مـن كثيـرٍ مـن النـاس، فناسـب إقامـة الحجـة لمـن لا يقتنــع، فجــاء بهــذه الــدلائل الواضــحة التــي لا يســع النــاظر إلا التسـليم إليهـا لشــدة وضوحها، ودلالتها على الخالق[3].

3- دلالة العناية والإتقان:

إنَّ الوجـود ومـا فيـه مـن مظـاهر العنايـة بالمخلوقـات عامـة، والإنسـان خاصـة، بـراهين قاطعـة علـى وجـود الخـالق، وعلـى كمالـه وتوحيـده،[4] فـالله تعـالى فطـر كـل المخلوقـات علـى استحسـان وضـع الشـيء فـي موضـعه، والإتيـان بـه فـي وقتـه، وعلـى اسـتقباح ضـد ذلـك وخلافـه، والله تعـالى يخـصُّ الشـيء بصـفاتٍ وأشـكالٍ وهيئـاتٍ ومقـادير بمـا هـو أنسـب لـه مـن غيـره، والتـي لا يليـق بـه سـواها، ومـن لـه نظـر صـحيح اسـتدلَّ بمـا شـاهده علـى مـا خفـي عنـه، وهـو وجـود الخـالق تعـالى،[5] وكـل مخلـوقٍ فيـه مـن كمـال الإتقـان مـا يـدلُّ علـى وجـود الخـالق،[6] فـالله تعـالى خلـق الإنسـان"﴿ فِي أَحْسَـنِ تَقْـوِيمٍ﴾

(1) انظر: ابن الوزير، إيثار الحق على الخلق (ج46/1).

(2) [البخاري، صحيح البخاري، تفسير القرآن/ قوله: **﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِأُولِي الأَلْبَابِ﴾** [آل عمران: 190]، ص761].

(3) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج76/2).

(4) انظر: الغامدي، حقيقة المثل الأعلى وآثاره (ج67/1).

(5) انظر: ابن القيم، مختصر الصواعق المرسلة (ج226/1).

(6) انظر: الغامدي، حقيقة المثل الأعلى وآثاره (ج67/1).

[التِّــين:4]، [أي] فــي أحســن خلــق،"[1] وكـذا الحــال فــي جميــع المخلوقــات، وهـذا الإتقــان شــامل للســموات والأرضــين ومــن فــيهنَّ، فلــولا فضــل الله تعــالى ورحمتــه وعنايتــه بخلقــه لمَـادَت الأرض بأهلهـا، ولاختـلَّ نظامهـا، قـال تعـالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِــكُ السَّــمَوَاتِ وَالأَرْضَ أَنْ تَــزُولاَ﴾ [فـاطر:41]،[2] فالآيــة لبيــان قـدرة الله سـبحانه وتعــالى، وبـديع صـنعه وأنَّـه المتفـرد بإمسـاك السـموات والأرض مـن الـزوال[3] وهـذه حجـة أجمـع عليهـا الكفـرة مـع المسـلمين، فـإنَّ الجميـع اتفقـوا أنَّ العـالم فـي الهـواء، أرضـه وسـماؤه ومـا فيـه مـن البحـار والجبـال، وقـد ثبـت بضـرورة العقـل أنَّ الثقيـل لا يستمسـك فـي الهـواء إلا بمُمْسـك، وأنَّ هـذا الإمساك الدائم المتقن[4] لا يقدر عليه إلا خالق قادر حكيم.

4-دلالة الهداية العامة:

وهــي هدايــة كــل نفــسٍ إلــى مصــالح معاشــها ومــا يُقِيمهــا، فــالله تعــالى أوجـد الخلـق، وهـداه هدايــةً عامــةً، وهــي تعليمــه ودلالتــه علــى ســبيل بقائــه، ومــا يحفظــه ويقيمــه،[5] والله تعالى قد ذكر هذا النـوع مـن الهدايـة فـي قولـه تعـالى: ﴿وَالَّــذِي قَــدَّرَ فَهَــدَى﴾ [الأعلـى:3]، وقـد اختــار البخــاري رحمــه الله تعــالى أنَّ المـراد هنـا نوعـا الهدايــة العامــة والخاصــة، فقــال فــي معنــى الآيــة: " قــدَّر الشــقاء والســعادة، وهــدى الأنعــام لمراتعهــا،"[6] فالهدايــة العامــة مــن أمثلتهــا أنْ جعـل لكـل دابـة مـا يصـلحها وهـداها لـه، وقـدَّر لكـل حيـوانٍ مـا يصـلحه، فهداه إليه، وعرَّفه وجه الانتفاع به.[7]

---

(1) [البخـاري: صـحيح البخـاري، أحاديـث الأنبيـاء/ قـول الله تعـالى: ﴿وَإِذْ قَــالَ رَبُّــكَ لِلْمَلَائِكَــةِ إِنِّي جَاعِــلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة:30] ، ص555].

(2) انظـر: [البخـاري، صـحيح البخـاري، التَّوْحِيـد/ قَـوْلِ اللَّـهِ تَعَـالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِــكُ السَّــمَوَاتِ وَالأَرْضَ أَنْ تَزُولاَ﴾ [فاطر:41]، ص1250].

(3) انظر: الشوكاني، فتح القدير (ج4/407).

(4) انظر: ابن الوزير، إيثار الحق على الخلق (ج1/54).

(5) انظر: ابن القيم، شفاء العليل (ص66).

(6) [البخـاري: صـحيح البخـاري، القدر/ قولـه تعـالى: ﴿قُــلْ لَــنْ يُصِــيبَنَا إِلَّا مَــا كَتَــبَ اللهُ لَنَــا﴾ [التوبــة:51]، ص1110].

(7) انظر: القسطلاني، إرشاد الساري (ج9/361).

5- دلالة المعجزة:

إنَّ دلالــة المعجـزات مــن أقــوى الــدلالات علــى وجـود الله تعـالى، لجمعهـا بــين أمـرين لـم يكـن نـزاع المبطلـين إلا فيهمـا أو فـي أحـدهما، وهمـا الحـدوث الضـروري للعـالم، ومخالفة المعجزة للطبائع والعادات.[1]

وقـد ورد عـن النبـي صـلى الله عليـه وسـلم أنَّـه قـال: «**مَـا مِـنَ الأَنْبِيَـاءِ نَبِـيٌّ إِلَّا أُعْطِـيَ مِـنَ الآيَـاتِ مَـا مِثْلُـهُ أُومِـنَ، أَوْ آمَـنَ، عَلَيْـهِ البَشَـرُ، وَإِنَّمَـا كَـانَ الَّـذِي أُوتِيـتُ وَحْيًـا أَوْحَـاهُ اللَّـهُ إِلَـيَّ، فَـأَرْجُو أَنِّـي أَكْثَـرُهُمْ تَابِعًـا يَـوْمَ القِيَامَـةِ**،»[2] أي أنَّ الأنبيـاء أُعطـوا معجـزات كانـت دلـيلاً علـى تصـديقهم فيمـا جـاءوا بـه،[3] والمعجـزة تـدلُّ علـى الوحدانيـة والرسـالة، فـالمعجزة تـدلُّ بنفسـها علـى ثبـوت الصـانع كسـائر الحـوادث، بـل هـي أخـصُّ مـن ذلـك؛ لأنَّ الحـوادث المعتـادة ليسـت فـي الدلالـة كـالحوادث الغريبـة، ولهـذا يُمجَّـد الـرب عنـدها، ويُعظَّـم مـا لا يكـون عنـد المعتـاد،[4] فـإذا جـاء الرسـول بـالمعجزة فهـو دليـل علـى أنَّـه مرسـل مـن عنـد الله تعـالى، ويشـمل الإقـرار بالربوبيـة ضـمناً، كمـا قـال موسـى عليـه السـلام لفرعـون: ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ﴾ [الإسراء:102].

6- دلالة الحسِّ:

إنَّ دلالــة الحــسِّ مــن أوضــح الــدلالات علــى وجــود الله عــزَّ وجــلَّ؛ لأنَّ الإنســان يشـاهدها واقعـاً، فهـو يـدعو الله تعـالى بشـيءٍ ثـم يسـتجيب الله تعـالى لـه،[5] وقـد وردت أمثلـة كثيـرة فـي صـحيح البخـاري علـى هـذه الدلالـة، ومـن ذلـك قولـه تعـالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ

---

(1) انظر: ابن الوزير، إيثار الحق على الخلق (ج54/1).

(2) [البخـاري: صـحيح البخـاري، الاعتصـام بالكتـاب والسـنة/ قـول النبـي صـلى الله عليـه وسـلم بُعثـت بجوامع الكلم، ص1220: ح7274].

(3) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج20/1).

(4) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج379/11).

(5) انظر: اللالكائي، شرح أصول اعتقاد أهل السنة (ج16/14).

الْغَالِبُونَ﴾[الصافات:171،172،173]،[1] ودلالة هذا من وجهين: **أحدهما:** استمرار نصر الأنبياء في عاقبة أمرهم، وإهلاك أعدائهم، **وثانيهما:** سلامتهم وأتباعهم ونجاتهم على الدوام من نزول العذاب عليهم، ونزوله على أعدائهم، فهذا يدلُّ على الله تعالى أوضح دلالة، حيث جمعت قدرته الباهرة خرق العادات في نصرتهم بالأسباب الباطنة والظاهرة، وكذلك عقوبات أعداء الله تعالى الخارقة،[2] والأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم التي وردت بتوجهه إلى الله تعالى بالدعاء واستجابة الله تعالى له أكثر من أن تُحصى، ومنها ما رُوي عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنَّه قال: «**يذْكُرُ أَنَّ رَجُلًا دَخَلَ يَوْمَ الجُمُعَةِ مِنْ بَابٍ كَانَ وِجَاهَ المِنْبَرِ، وَرَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَائِمٌ يَخْطُبُ، فَاسْتَقْبَلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَائِمًا، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلَكَتِ المَوَاشِي، وَانْقَطَعَتِ السُّبُلُ، فَادْعُ اللَّهَ يُغِيثُنَا، قَالَ: فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَيْهِ، فَقَالَ: "اللَّهُمَّ اسْقِنَا، اللَّهُمَّ اسْقِنَا، اللَّهُمَّ اسْقِنَا» قَالَ أَنَسُ: وَلاَ وَاللَّهِ مَا نَرَى فِي السَّمَاءِ مِنْ سَحَابٍ، وَلاَ قَزَعَةً وَلاَ شَيْئًا وَمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ سَلْعٍ مِنْ بَيْتٍ، وَلاَ دَارٍ، قَالَ: فَطَلَعَتْ مِنْ وَرَائِهِ سَحَابَةٌ مِثْلُ التُّرْسِ، فَلَمَّا تَوَسَّطَتِ السَّمَاءَ، انْتَشَرَتْ ثُمَّ أَمْطَرَتْ**».[3]

7- دلالة العقل:

إنَّ دلائل السمع مملوءة من ذكر الأدلة العقلية، التي هي من آيات اللّه الدالة على ربوبيته ووحدانيته، وعلمه وقدرته وحكمته ورحمته، وقد ورد الشرع بالخبر المجرد، وكذلك بالبراهين الدالة على وجوده تعالى، ما فيه هدى وشفاء،[4] ومن أوضح الأدلة على أنَّ العقل دليل على وجود الله تعالى قوله تعالى: **﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾** [الملك: 10]،[5] فهذا دليل على أنَّ العقل يشهد بوجوده تعالى،

---

(1) [البخاري: صحيح البخاري، التَّوْحِيدِ/ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات:171]، ص1250].

(2) انظر: ابن الوزير، إيثار الحق على الخلق (ج55/1).

(3) [البخاري: صحيح البخاري، أبواب الاستسقاء/ الاستسقاء في المسجد الجامع، ص166: ح1013].

(4) انظر: ابن القيم، مختصر الصواعق المرسلة (ج107/1).

(5) انظر: [البخاري: صحيح البخاري، العلم/ العلم قبل القول والعمل، ص19].

فالكفار قالوا إنَّهم لو استخدموا عقولهم ولم يُعطِّلوها، لَمَا كانت النار عاقبتهم جزاءً لهم على تكذيبهم، فالمراد بانتفاء السمع في الآية إعراضهم عن تلقِّي دعوة الرسل، وردَّهم لبراهين الرسالة، كما قال الله تعالى عن المشركين، ﴿وَقَالَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ الَّذِينَ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ [فصلت: 26]، وأما انتفاء العقل فهو تركهم للحجج العقلية، والتدبر في آيات الرسل، ودلائل صدقهم فيما يدعون إليه،[1] ومن أمثلة الأدلة العقلية قوله تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الخَالِقُونَ أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بَلْ لاَ يُوقِنُونَ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُسَيْطِرُونَ﴾ [الطور:36،37].[2]

(1) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج27/29).

(2) انظر: [البخاري: صحيح البخاري، تفسير القرآن/ بدون اسم، ص830: ح4845]، وقد سبق شرح هذه الآية وبيان وجه الدلالة منها.

المطلب الثاني

أدلة توحيد الربوبية عند الكُلَيْني

إنَّ إثبات وجود الله تعالى من مقتضيات توحيد الربوبية، والكلام في التوحيد يستلزم إثبات وحدانية الله تعالى، وأنَّه لا شريك له في الخلق والأمر، والكليني يذكر أدلة إثبات الصانع ويقرنها بأدلة وحدانيته تعالى، وجعل توحيد الذات يشمل إثبات وجوده تعالى، وأنَّه إله واحد؛ ولذلك سنذكر بإذن الله تعالى أدلة وجود الله تعالى، ووحدانيته عند الكليني.

أولاً: أدلة وجود الله تعالى:

لقد اهتمَّ الكليني بتقرير وجود الله تعالى، وذكر الأدلة العقلية لإثبات وجوده تعالى وأسهب فيها، وذكر في مسألة الوجود أدلة إثبات وجود الصانع، وذكر كذلك أدلة أنَّ الوجود غير زائد على الماهية، ولا تكاد تجد مسألة من مسائل التوحيد أُعطيت هذا الحجم من الاهتمام بإيراد الأدلة عليها مثلما أُعطيت هذه، **والأدلة على إثبات وجود الله تعالى في الكافي كما يلي:**

1-الأدلة العقلية:

إنَّ الدليل العقلي عند الكليني من أعظم الأدلة التي يُحتج بها في التوحيد، والله تعالى جعل حجتين على الناس، الحجة الظاهرة، وهي حجة الرسل والأنبياء، والحجة الباطنة وهي العقول،(1) والله تعالى -على حد زعم الكليني- جعل العقل أعظم دليلٍ على معرفته تعالى ووجوده ووحدانيته،(2) فهو أساس كل الأدلة، وما سواه مبني عليه؛ ولذا ورد في الرواية "العقل دليل المؤمن،"(3) فأصل معرفة الله تعالى عقلية، "فبالعقل عرف العباد خالقهم، وأنَّهم مخلوقون، وأنَّه المدبر لهم،....واستدلوا بعقولهم على ما رأوا من خلقه،....وعرفوا به الحسن والقبيح، وأنَّ الطاعة في الجهل، وأنَّ النور في العلم، فهذا ما دلَّهم عليه العقل؛"(4) ولذلك يجب على الإنسان أن يجعل أساس معرفته العقل حتى يهتدي، ومن لم يعقل عن الله تعالى لم يعقد قلبه على معرفة ثابتة، ولذلك

---

(1) انظر: [الكليني: الكافي/ العقل والجهل، 25/1: ح22].

(2) انظر: [المصدر السابق/ العقل والجهل،25/1: ح23، ح35].

(3) [المصدر السابق/ العقل والجهل، 25/1: ح24].

(4) [المصدر نفسه / العقل والجهل، 29،28/1: ح35].

فالعبادات لا تُقبل بدون عقل،[1] وما عُبد الله تعالى بأفضل من العقل، وكل هذا دليل على علو درجة العقول؛ ولذلك فالعجب من البلهاء المتدينين الذين يعدُّون طريقتهم ومذهبهم أسلم من طريقة العقلاء، ولا يعتمدون على العقل، ويقولون: إنَّ من اعتمد على عقله ضلَّ الطريق؛ لأنَّ الفكر مثار الشبهة،[2] ولا يعلمون أنَّه لا خير في دين الرجل، وإنْ ظهر عليه الصلاح حتى يُعلم كيف عقله،[3] **والأدلة العقلية على وجود الصانع في الكافي كما يلي:**

أ-برهان النظم:[4]

وهو الاهتداء إلى وجود الله تعالى عن طريق النظر في النظام الدقيق في الكون،[5] وقد ورد هذا الدليل في الكافي بصورةٍ جليةٍ، وفي أكثر من موضعٍ، ومنها ما أورده الكليني في خطبةٍ منسوبة لعلي رضي الله عنه، حيث قال فيها: "الحمد الذي لا يموت ولا تنقضي عجائبه؛ لأنَّه كل يوم في شأنٍ من إحداثٍ بديعٍ لم يكن،....الذي بطن من خفيات الأمور، وظهر في العقول بما يُرى في خلقه من علامات التدبير، الذي سُئلت الأنبياء عنه فلم تصفه بحدٍ ولا ببعضٍ، بل وَصَفَتْه بفعاله، ودلَّت عليه بآياته، لا تستطيع عقول المتفكرين جحده؛ لأنَّ من كانت السماوات والأرض فطرته، وما فيهنَّ وما بينهنَّ، وهو الصانع لهنَّ، فلا مدفع لقدرته، الذي نأى من الخلق فلا شيء كمثله."[6]

---

(1) انظر: [الكافي: الكليني، العقل والجهل، 27/1: ح30].

(2) الشعراني، تعليقاً على كتاب الكافي، بتصرف (ج326/1).

(3) انظر: [الكليني: الكافي، العقل والجهل، 26/1: ح28].

(4) النظم: هو خاصية تتحقق بين أمور مختلفة، سواء كانت لمركب، أو أجزاء، أو أفراد من ماهية واحدة، أو ماهيات مختلفة، ويكون بينها ترابط وتناسق، ومثاله التناسق الموجود بين أجزاء الشجرة، انظر: السبحاني، تلخيص محاضرات في الإلهيات (ص20).

(5) انظر: السبحاني، تلخيص محاضرات في الإلهيات (ص19،20) ، الفيض الكاشاني، أنوار الحكمة (ص21)، علم الهدى، معرفة الله تعالى دراسة في المعرفة العقلية والمعرفة الفطرية (ص224).

(6) [الكليني: الكافي، التوحيد/ جوامع التوحيد، 141/1: ح7].

وبرهان النظم له مقدمتان:

مقدمة حسية: وهي النظام السائد في الكون، الذي يعرفه الإنسان بالمشاهدة الحسية، أو بالتجربة العلمية، و**مقدمة عقلية:** وهي أنَّ العقل يدرك بأنَّ هذا النظام البديع يمتنع أنْ يكون صدفة، ولا يصدر إلا عن صانعٍ قادرٍ حكيمٍ، وقد جمعت الرواية المنسوبة إلى أبي الحسن رحمه الله هاتين المقدمتين، حيث سُئل: "فما الدليل عليه؟ فقال أبو الحسن عليه السلام: إنِّي لمَّا نظرت إلى جسدي ولم يمكنني فيه زيادة ولا نقصان في العرض والطول، ودفع المكاره عنه، وجرُّ المنفعة إليه، علمت أنَّ لهذا البنيان بانياً، فأقررت به، مع ما أرى من دوران الفلك بقدرته، وإنشاء السحاب، وتصريف الرياح، ومجرى الشمس والقمر والنجوم، وغير ذلك من الآيات العجيبات المبينات، علمت أن لهذا مُقدِّراً ومُنشِئاً."[1]

وهذا الدليل يشمل آيات الأنفس والآفاق،[2] فإنَّ الروايات السابقة قد ذُكر فيها آيات الله تعالى في السموات والأرض، وكذا في خلق الإنسان، وهذا الخلق المتقن البديع دالّ على وجود خالق له.[3]

ب-دليل الحدوث:

وتقرير هذا الدليل، أنَّ العالم كان مسبوقاً بالعدم، وهو متغير كذلك، فهو لا ينفك عن الحوادث، وهذا يستلزم الحدوث بطريق أولى،[4] وكل حادثٍ لا بدَّ له من مُحْدِث، والمُحْدِث إما أنْ تكون الحياة نفسها، وهو باطل، وإما أنْ يكون لها صانع قادر، وهذا ما تشهد به العقول والنفوس،[5] وقد وردت الروايات صريحة في إثبات هذا الدليل، ومنها الرواية المنسوبة إلى جعفر رحمه الله حيث قال فيها: "الحمد لله

---

(1) [الكليني، الكافي، التوحيد/ حدوث العالم وإثبات المحدث، 87/1: ح3].

(2) انظر: الريشهري، ميزان الحكمة (ج1880/3)، السبحاني، تلخيص محاضرات في الإلهيات (ص22)، علم الهدى، معرفة الله تعالى دراسة في المعرفة العقلية والمعرفة الفطرية (ص22،30).

(3) [الكليني: الكافي، التوحيد/ جوامع التوحيد، 139/1: ح5].

(4) انظر: المجلسي، بحار الأنوار (ج29/2).

(5) انظر: السبحاني، تلخيص محاضرات في الإلهيات (ص39).

المُلهم عباده حمده، وفاطرهم على معرفة ربوبيته، الدال على وجوده بخلقه، وبحدوث خلقه على أزله، وباشتباههم على أنْ لا شبه له، المستشهد بآياته على قدرته."[1]

وعمدة هذا الدليل إثبات حدوث العالم ونفي قدمه،[2] لكونه متغيراً، وينتقل من حالٍ إلى حالٍ؛ ولذلك نجد أنَّ الروايات التي يُذكر فيها أدلة الحدوث يتم التركيز فيها على إيراد الحجج على حدوث الأشياء، وقد وردت حجج هذا الدليل في رواية عن جعفر رحمه الله عندما سأله زنديق: "ما الدليل على حدث الأجسام؟، فقال: إنِّي ما وجدت شيئاً صغيراً ولا كبيراً إلا وإذا ضُم إليه مثله صار أكبر، وفي ذلك زوال وانتقال عن الحالة الأولى، ولو كان قديماً ما زال ولا حال، لأنَّ الذي يزول ويحول يجوز أنْ يُوجد ويُبطل، فيكون بوجوده بعد عدمه دخول في الحدث، وفي كونه في الأزل دخوله في العدم، ولن تجتمع صفة الأزل والعدم، والحدوث والقدم في شيءٍ واحدٍ، فقال عبد الكريم [ابن أبي العوجاء]: هبك علمت في جري الحالتين والزمانين على ما ذكرت، واستدللت بذلك على حدوثها، فلو بقيت الأشياء على صغرها من أين كان لك أنْ تستدل على حدوثهن؟، فقال العالِم-المقصود به جعفر رحمه الله- : إنَّما نتكلم على هذا العالم الموضوع، فلو رفعناه ووضعنا عالماً آخر، كان لا شيء أدلَّ على الحدث من رفعنا إياه ووضعنا غيره، ولكن أجيبك من حيث قدرت أنْ تلزمنا، فنقول: إنَّ الأشياء لو دامت على صغرها لكان في الوهم أنَّه متى ضُمَّ شيء إلى مثله كان أكبر، وفي جواز التغيير عليه خروجه من القدم كما أنَّ في تغييره دخوله في الحدث."[3]

وأدلة حدوث العالم الواردة في الرواية السابقة هي:

-تغير الأشياء وانتقالها من حالٍ إلى آخرٍ، فمثلاً كل شيء إذا ضممنا إليه مثله يكبر حجمه ويتغير، وهذا دليل الحدوث؛ فالقديم لا يتغير.

-إنَّ وجود العالم كان مسبوقاً بالعدم، فدلَّ على أنَّه ليس أزلياً؛ لأنَّ صفة العدم والأزل لا تجتمعان، فما ثبت قدمه انتفى عدمه، فدلَّ ذلك على حدوث العالم.[4]

---

(1) [الكليني: الكافي، التوحيد/ جوامع التوحيد، 139/1: ح5].

(2) انظر: البياضي، عصرة المنجود في الكلام (ص49)، فقد ذكر فيه طرق معرفة حدوث الأجسام كأساسٍ لدليل الحدوث.

(3) [الكليني: الكافي، التوحيد/ حدوث العالم، 82،81/1: ح6].

(4) انظر: المجلسي، بحار الأنوار (ج30/2).

-إنَّه يجوز أنْ يزول هذا العالم ويُبدَّل بعالمٍ أخرٍ، وهذا من أعظم الأدلة على حدوثه.(1)

وإذا ثبت حدوث العالم دلَّ على أنَّ له مُحْدِثاً، وهذه المقدمة الثانية من الدليل، فالإنسان إذا تأمل في نفسه علم أنَّ له صانعاً؛ لأنَّ الوجود ليس علة لنفسه، وقد أتى زمان كان عدماً، والمعدوم لا يُوجِد شيئاً،(2) وقد ورد الاستدلال بدليل الحدوث على وجود المُحدِث في رواية أبي الحسن رحمه الله حيث قال: "إنِّي لما نظرت إلى جسدي ولم يمكنني فيه زيادة ولا نقصان في العرض والطول، ودفع المكاره عنه، وجرِّ المنفعة إليه، علمت أنَّ لهذا البنيان بانياً فأقررت به."(3)

ج-دليل الإمكان:

ومعنى هذا الدليل أنَّ المخلوقات ممكنة، ولذلك فهي تحتاج إلى علةٍ لإخراجها من العدم إلى الوجود، بحيث تكون هذه العلة واجبة، لا يجري عليها الإمكان كباقي المخلوقات، وقد أورد الكليني هذا الدليل في الرواية المنسوبة إلى جعفر رحمه الله عندما سأله زنديق: "فما الدليل عليه؟، فقال أبو عبد الله رحمه الله: وجود الأفاعيل دلَّت على أنَّ صانعاً صنعها، ألا ترى أنَّك إذا نظرت إلى بناءٍ مشيدٍ مبنيٍ علمت أنَّ له بانياً، وإنْ كنت لم ترَ الباني، ولم تشاهده،"(4) فإنَّه قد استدلَّ في هذه الرواية بتركيبهم، وتغير أحوالهم على أنَّهم من الممكنات، وأنَّهم بحاجةٍ إلى صانعٍ منزَّهٍ عن صفات الإمكان، وإلا فلو كان الصانع ممكناً لكان مفتقراً إلى صانعٍ لاشتراك علة الافتقار.(5)

وتقرير هذا الدليل أنَّ الممكنات وأمر وجودها لا يخلو من فروض:

-أنَّ الممكنات لا علة لوجودها، وأنَّ كل ممكن هو علة لوجود نفسه، وهذا باطل؛(6) لأنَّ العقل يحكم بداهةً أنَّ كل موجودٍ ممكنٍ يحتاج علة لوجوده، أي أنَّ وجوده يتوقف

---

(1) انظر: المجلسي، بحار الأنوار (ج29/2).

(2) انظر: المازندراني، شرح أصول الكافي (ج42/3).

(3) [الكليني: الكافي، حدوث العالم، وإثبات المحدث، 78/1: ح3]

(4) [المصدر السابق، التوحيد/ حدوث العالم، وإثبات المحدث، 81،80/1: ح5]

(5) المجلسي، بحار الأنوار، بتصرف (ج31،30/3).

(6) انظر: السبحاني، تلخيص محاضرات في الإلهيات (ص35،33).

على شيءٍ آخر،[1] وهذا الفرض قد ورد نقضه في مناظرة جعفر رحمه الله مع زنديقٍ، حيث قال له جعفر رحمه الله: "أما ترى الشمس والقمر والليل والنهار يلجان فلا يشتبهان، ويرجعان، قد اضطرا ليس لهما مكان إلا مكانهما، فإنْ كانا يقدران على أنْ يذهبا فلم يرجعان؟، وإنْ كانا غير مضطرين فَلِمَ لا يصير الليل نهاراً، والنهار ليلاً؟، اضطرا والله يا أخا أهل مصر إلى دوامهما، والذي اضطرهما أحكم منهما وأكبر،"[2] فهنا استدلَّ جعفر رحمه الله على إثبات الصانع، باحتياج الحوادث السفلية إلى علةٍ أخرى غير ذاتها؛ لأنَّ الحركة الدورية تحتاج إلى فاعلٍ، والطبيعة ليست فاعلاً بنفسها، بل مضطرة، فنقض بذلك دعوى من قال إنَّه لا علة للأشياء إلا ذواتها، وأنَّها مستندة للدورات الفلكية.[3]

-أنَّ بعض الممكنات هي علة للبعض الآخر وبالعكس، وهذا باطل؛ لأنَّ الدور ممتنع، ووجه امتناعه أنَّ مقتضى كون الأول علة للثاني تقدمه عليه، ومقتضى كون الثاني علة للأول تقدم الثاني عليه، فينتج عن هذا الجمع بين النقيضين، وهو كون الشيء متقدماً ومتأخراً وهو محال،[4] وقد ورد نقض هذا الفرض في مناظرة جعفر رحمه الله لعبد الكريم بن أبي العوجاء حيث قال له جعفر رحمه الله: "يا عبدالكريم نقضت قولك؛ لأنَّك تزعم أنَّ الأشياء من الأول سواء، فكيف قدمت وأخرت؟،[5] "فالأرجح أنَّ المراد بقوله بالتقدم والتأخر، هو العلة والمعلولية، أي أنَّ نفيك للصانع؛ لأنَّك تزعم أنْ لا علية بين الأشياء، أي لا علة خارجة عن هذه الأشياء، وإنَّما كل شيء هو علة للآخر وبالعكس.[6]

-أنْ تكون بعض الممكنات معلولةً لبعضٍ آخرٍ، وذلك البعض معلول لآخر من غير أنْ ينتهي إلى علة ليست بمعلولة، وهو باطل؛ لأنَّ التسلسل[7] محال، فالسلسلة إذا

---

(1) انظر: السبحاني، تلخيص محاضرات في الإلهيات (ص33).

(2) [الكليني: الكافي، التوحيد/ حدوث العالم، وإثبات المحدث، 73/1،74: ح1]

(3) انظر: المازندراني، شرح أصول الكافي (ج12/2،13)، وتعليق الشعراني على الشرح (ج13/2).

(4) انظر: السبحاني، تلخيص محاضرات في الإلهيات (ص35).

(5) [الكليني: الكافي، التوحيد/ حدوث العالم، 77/1: ح2].

(6) انظر: المجلسي، بحار الأنوار (ج48/3).

(7) التسلسل هو: عبارة عن اجتماع سلسلة من العلل والمعاليل الممكنة المترتبة على بعضها بغير تناهٍ، انظر: السبحاني، تلخيص محاضرات في الإلهيات (ص33،35).

كانت معلولة، فما هي العلة التي أخرجت هذه السلسلة من العدم إلى الوجود؟، وعليه يجب انقطاع السلسلة وتوقفها عند نقطة خاصة، وهذا ورد إبطاله في رواية "انقطعت عنه الغاية، وهو غاية كل غاية،"(1) وقد مرّ تفسيرها.

-أنْ يكون وراء تلك الممكنات علة ليست بمعلولة، بل يكون واجب الوجود هو علة الوجود، وهذا هو المطلوب تقريره، والذي تشهد به العقول، وهذا القول ورد في إثبات معناه روايات كثيرة.(2)

2-الأدلة العقلية الواردة لإثبات وجود الله تعالى ووحدانيته(3)عند الكليني:

أ-دليل التمانع:

من أظهر الأدلة على وحدانية الله تعالى عند الكليني دليل التمانع، وقد ورد تقريره في روايات عديدة، ومنها رواية جعفر رحمه الله في مناظرته لزنديقٍ، حيث قال: "لا يخلو قولك إنَّهما اثنان من أنْ يكونا قديمين قويين، أو يكونا ضعيفين، أو يكون أحدهما قوياً والآخر ضعيفاً، فإنْ كانا قويين فلمَ لا يدفع كل واحدٍ منهما صاحبه، ويتفرد بالتدبير؟، وإنْ زعمت أنَّ أحدهما قوي والآخر ضعيف ثبت أنَّه واحد كما نقول، للعجز الظاهر في الثاني، فإنْ قلت إنَّهما اثنان، لم يخلُ من أنْ يكونا متفقين من كل جهةٍ، أو مفترقين من كل جهةٍ، فلما رأينا الخلق منتظماً، والفلك جارياً، والتدبير واحداً، والليل والنهار والشمس والقمر، دلَّ صحة الأمر، والتدبير وائتلاف الأمر على أنَّ المدبر واحد،"(4)، وهو الدليل المشار إليه في قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء:22]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ﴾ [المؤمنون:91]، وحاصل الدليل أنَّه لو كان أكثر من إلهٍ، فإنه في حالة اختلاف إرادتهما في إيجاد الأشياء، فإنَّ هناك احتمالات، وهي: إما وقوع إحدى الإرادتين، فهذا يعني عجز الإله الآخر، أو تبعية إرادته للآخر، والعجز والتبعية من صفات الممكن الحادث، وإما عدم وقوع الإرادتين، وهذا يدلُّ على أنَّ كليهما ليس

---

(1) [الكليني: الكافي، التوحيد/ الكون والمكان،89/1: ح4].

(2) انظر: [المصدر السابق، التوحيد/ جوامع التوحيد، 134/1-137: ح1،ح2].

(3) المقصود بالوحدانية إثبات إله واحد، ونفي التعدد في الآلهة، فالوحدانية هي نسبة إلى اسم الله تعالى الواحد، ومن معاني الواحد عند الكليني الذي لا نظير له في الوجود الذاتي.

(4) [المصدر السابق، التوحيد/ حدوث العالم، 80/1،81: ح5].

بواجبٍ؛ لأنَّ الواجب هو القادر النافذ الحكم، وإنْ قلنا بوقوع الإرادتين فهو محال؛ لاجتماع النقيضين؛[1] ولأنَّ ذلك أيضاً يؤدي إلى فساد العالم، لعدم الخلق والإيجاد والتكوين،[2] ولكن لما رأينا تمام الصنع بلا خللٍ علمنا أنَّ الخالق واحد،[3] فالنظام الكوني الدقيق، وعدم الفوضى من دلائل الوحدانية، وهو نتيجة من نتائج دليل التمانع، كما دلَّت عليه الرواية السابقة؛ حيث قال فيها: "فلما رأينا الخلق منتظماً، والفلك جارياً، والتدبير واحداً، والليل والنهار والشمس والقمر، دلَّ صحة الأمر والتدبير وائتلاف الأمر، على أنَّ المدبر واحد."[4][5]

ب- دليل الفرجة:

إنَّ إثبات إلهين في هذا العالم له لوازم باطلة تنقض القول بتعدد الآلهة، ومن هذه اللوازم، ضرورة إثبات الفُرْجة[6]بين الإلهين، وهذا باطل، فدلَّ على بطلان الدليل، وقد ورد هذا الدليل مفصلاً في إحدى مناظرات جعفر رحمه الله لزنديقٍ حيث قال: "ثم يلزمك إنْ ادعيت اثنين، فرجة ما بينهما حتى يكونا اثنين،[7] فصارت الفرجة ثالثاً بينهما قديماً معهما، فيلزمك ثلاثة، فإن ادَّعيت ثلاثة لزمك ما قلت في الاثنين حتى تكون بينهم فرجة، فيكونوا خمسة، ثم يتناهى في العدد إلى ما لا نهاية له في الكثرة،"[8] وبيان هذا الدليل أنَّه لو فُرض وجود إلهين قديمين للزم أن يكون بينهما فرجة؛ لأنَّه لو لم نَقُلْ بوجود الفرجة فيلزم أنَّه إله واحد، وليسا اثنين، وهذا يعني أنَّ هناك موجوداً قديماً مع الإلهين، فوجب أنْ تكون إلهاً مثلهما، وقلنا بوجوب أنْ تكون قديمة؛ لأنَّهما قديمان، فوجب أنْ تكون قديمةً ضرورةً، ولا يمكن أنْ تكون هذه الفرجة

---

(1) انظر: المازندراني، شرح أصول الكافي (ج46،45،44/3)، الأمير، شرح أصول العقائد (ج27،26/1).

(2) انظر: المازندراني، شرح أصول الكافي (ج83/3).

(3) انظر: علم الهدى، معرفة الله تعالى دراسة في المعرفة العقلية والمعرفة الفطرية (ص224).

(4) [الكليني: الكافي، التوحيد/ حدوث العالم، 81،80: ح5].

(5) وهناك من جعل وجود الفوضى مع تكثر الآلهة دليلاً مستقلاً، انظر: الأمير، شرح أصول العقائد (ج28/1)، ولكن الأولى هو أنَّ هذا يُفهم من دليل التمانع كنتيجة من نتائجه.

(6) الفرجة: هي ما يحصل بها الانفصال والتمايز، انظر: المازندراني، شرح أصول الكافي (ج47/3).

(7) يوجد ركاكة في الصياغة فالمقصود يلزمك عند القول بتعدد الآلهة أنْ تُثْبت بينهما فرجة.

(8) [الكليني: الكافي، التوحيد/ حدوث العالم، 81،80/1: ح5].

حادثة، وهذا ظاهر البطلان؛ لأنَّه يلزم من ذلك أنَّ الإلهين المفروضين كانا واحداً، ثم صارا اثنين، وكل متغير حادث مخلوق، ويلزم كذلك أنَّ الحادث المخلوق قد أثَّر في القديم وقسمه نصفين، وهذا باطل؛ لأنَّ الحادث لا يُؤثِّر في القديم، ويجب كذلك ألا تكون أمراً عَدَمياً؛ لأنَّها لو كانت أمراً عَدَمياً للزم ألا يكون كل واحد منهما متميزاً عن الآخر،[1] وأيضاً فالقول بالإثنينية في الآلهة يستوجب تعدد الآلهة إلى ما لا نهاية؛ لأنَّ ثبوت الفرجة بين كل إلهٍ وأخرٍ يستلزم التسلسل، أي أنَّه يلزم أنْ يكون بين الفرجة والإله الأول فرجة، وبين الفرجة والإله الثاني فرجة، فيكونون خمسة، وبين هذه الخمسة أيضاً فُرَج فيكونون تسعة؛ لأنَّه لا بدَّ بين كل فرجة وفرجة ما به الامتياز والاختلاف، فعند ذلك تكون آلهة لا عدَّ لها ولا حصر، وهذا لا يقول به أحد من العقلاء.[2]

ثانياً: الأدلة السمعية على وجود الله تعالى في الكافي:

1-دليل المعجزات:

ورد دليل المعجزات في بعض الروايات، ولم يتم التركيز عليه، وإنَّما ذُكر تعريضاً، ومنها ما ورد في الرواية المنسوبة إلى جعفر رحمه الله أنَّه قال: "كفى لأولي الألباب بخلق الرب المسخر، وملك الرب القاهر، وجلال الرب الظاهر، ونور الرب الباهر، وبرهان الرب الصادق، وما أنطق به ألسن العباد، وما أرسل به الرسل، وما أنزل على العباد دليلاً على الرب،"[3] فالمراد هنا بقوله: "وما أرسل به الرسل،" هو المعجزات التي أتى بها الأنبياء لإثبات صدقهم، وقد اختُلف في هذا الدليل، فقد عقَّب المازندراني في شرحه – وهو من كبار شُرَّاح الكافي– أنَّ ذلك مخصوص ببعض معجزاتهم كالبراهين المنطقية، وأما المعجزات الكونية فلا تدلُّ على صدق النبي؛ لأنَّ إثبات وجود الصانع بدلالة المعجزات يستلزم الدور،[4][5] فيتبين بذلك أنَّ هذا الدليل لم يتم التركيز عليه في روايات الكافي، وجمهور الإثنا عشرية لم يعدُّوه دليلاً.

---

(1) انظر: المازندراني، شرح أصول الكافي (ج47/3،48).

(2) انظر: الأمير، شرح أصول العقائد (ج27/1،28)، علم الهدى، معرفة الله تعالى دراسة في المعرفة العقلية والمعرفة الفطرية (ص235).

(3) [الكليني: الكافي، التوحيد/ حدوث العالم، وإثبات المحدث، 81/1،82: ح6].

(4) الدور: "هو عبارة عن كون الشيء موجوداً لثانٍ، وفي الوقت نفسه يكون الشيء الثاني موجوداً لذلك الشيء الأول، وهو ممتنع بداهة،" السبحاني، تلخيص محاضرات في الإلهيات (ص33).

(5) انظر: المازندراني، شرح أصول الكافي (ج59/3).

2-الأدلة القرآنية الدالة على التدبير:

ورد في الكافي الاستدلال ببعض الآيات التي تدلُّ على النظام الكوني الدقيق، وبتدبير الله تعالى للمخلوقات على وجود الخالق، ومنها استدلال أبي الحسن موسى بن جعفر رحمه الله بقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: 275]، والله تعالى جعل هذه آيات على ربوبيته، وكذلك آيات تدبير الله تعالى للكون تدلُّ المرء على معرفة تعالى.(1)

الرد على أدلة الكليني في توحيد الربوبية:

الرد الإجمالي:

1-إنَّ الكليني جعل غاية أدلته في توحيد الربوبية هو إثبات وجود الله تعالى، ونفي التعدد في الآلهة، وحشد الأدلة والبراهين لإثبات ذلك، وما ذهب إلى إثباته هو أحد مقتضيات الربوبية، وليس هو توحيد الربوبية،(2) وأما توحيد الربوبية الذي ورد معناه في القرآن الكريم، فاعتماد الشيعة فيه على روايات الكافي أوقعهم في الشرك، فمع وضوح مسائل الربوبية، إلا أنَّ شُرَّاح قد اختلفوا فيها، فالغموض والتكلف في إيضاح الواضحات جعلهم يتناقضون، ويقعون في الشركيات، ومثاله:

أ- **إشراكهم في أفعال الله تعالى:** فقد أشركوا في أخصِّ فعلٍ للربوبية وهو الخلق، وهذا لمَّا أخرجوا أفعال العباد بالدليل العقلي والنقلي، فقد زعموا أنَّ العباد خالقو أفعالهم، وقالوا: لا يُردُّ عليه أنَّه لو خلق غير الله تعالى لكان مثله في الخالقية والإيجاد، وهو منزَّه عن أنْ يُشاركه شيء، فقد قالوا في ردِّ هذه الشبهة، إنَّ معنى خالقية الله تعالى عبارة عن انتهاء سلسلة جميع المخلوقات إليه، فالخالقية بهذا المعنى مختصة به تعالى،(3) وأما المعاني الأخرى للخالقية فمشتركة بينه وبين عباده، وأما الآيات التي

---

(1) انظر: [الكليني: الكافي، العقل والجهل، 16،15/1: ح12].

(2) فليس كل من أقرَّ بوجود الله تعالى يكون قد أتى بتوحيد الربوبية، فتوحيد الربوبية له مقتضيات من لم يعتقد بها يُعد كافراً، انظر: الفوزان، إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد (ج52/1).

(3) انظر: المازندراني، شرح أصول الكافي (ج65،64/3).

فيهـا أنَّ الله تعـالى خـالق كـل شـيءٍ فهـي مخصوصـة بمـا سـوى أفعـال العبـاد، أو أنَّ المعنـى خـالق كـل شـيء إمـا بـلا واسـطة، وإمـا بواسـطة مخلوقاتـه،[1] وكـل هـذه الآراء أُعتمـد فيهـا علـى روايـات الكلينـي، فهـم مُشـبهة الأفعـال، نفـاة الصـفات،[2] فشـبّهوا الخـالق بـالمخلوق فـي الأفعـال، وقاسـوا أفعـال الله تعـالى علـى أفعـال عبـاده، وهـي بدعـة لـم تَـرِد فـي السـمع، بـل ورد مـا يردّهـا قطعـا، وأمـا التوحيـد الـذي أُثبـت فـي القـرآن والسـنة فنفـوه لمنع التشبيه –على حسب كذبهم.

ب- **مسـألة حـدوث العـالم:** إنَّ هـذه المسـألة بـالرغم مـن وضـوحها وإجمـاع المسـلمين عليهـا، إلا أنَّ شُـرّاح الكـافي قـد اختلفـوا فيهـا علـى طرفـي نقـيض، فبعضـهم جعـل إثبـات حـدوث العـالم لـيس مـن جهـة أنَّـه أمـر دينـي اعتقـادي، وذكـر أنَّـه لا يوجـد حـديث واحـد يـدل علـى حـدوث العـالم، وأنَّ القـول بقـدم العـالم تأدبـاً،[3] ومـن المعلـوم أنَّ القـول بقـدم العـالم هـو كفـر بالاتفـاق، وبعـض الشُـرَّاح كالمجلسـي جعـل إثبـات حـدوث العـالم هـو مـن ضـروريات الـدين، وأعظـم أصـول التوحيـد،[4] فيتضـح أنَّ الشـيعة قـد اختلفـوا فـي أهـم أوصـاف الربوبيـة، وأشـركوا فيهـا، فشـركهم فيمـا دونـه أعظـم، واخـتلافهم أشـد، وتنـازعهم في ذلك دلالة على فساد مذهبهم.

2-إنَّ مـن نظـر فـي معنـى الربوبيـة عنـد الكلينـي، وإلـى الأدلـة الكثيـرة الـواردة فـي إثبـات الصـانع، يحسـب أنَّ سـمة المجتمـع المسـلم هـو إنكـار وجـود الله تعـالى؛ فـإنَّ أكثـر موضـوعٍ تـمَّ الخـوض فيـه هـو منـاظرة الزنادقـة فـي وجـود الله تعـالى،[5] وهـو مخـالف للواقـع الـذي عاشـه المسـلمون، وإذا كـان أغلـب التوحيـد عنـد الكلينـي لإثبـات الصـانع، أو تقريـر أحـد مقتضـيات الربوبيـة، فـأين التوحيـد الخـاص بالموحـدين المقـرِّين بوجـود الله تعـالى، الـذين هـم السـواد الأعظـم؟، والعجيـب فـي ذلـك أنَّ كـل مـن شـرح روايـات الكـافي ذكـر أنَّ معرفـة الله تعـالى فطريـة ضـرورية، فقـد قـال المازنـدراني فـي شـرحه: "وقـد اختلـف النـاس

---

(1) انظر: المجلسي، بحار الأنوار (ج148/4).

(2) وهـذا وصـف أطلـق علـى المعتزلـة، والشـيعة يتفقـون معهـم؛ فمـنهج الشـيعة اعتزالـي، انظـر: الشهرستاني، الملل والنحل (ج18/1)، ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية (ج538/1).

(3) انظر: الشعراني، تعليقاً على شرح أصول الكافي للمازندراني (ج54/3).

(4) انظر: المجلسي، بحار الأنوار (ج101/1).

(5) انظـر: [الكلينـي: الكـافي، التوحيـد/ حـدوث العـالم واثبـات المحـدث،72/1-81: ح1، ح2، ح3، ح4، ح5]، وهي روايات طويلة فيها مناظرات مع الزنادقة.

فيه (أي حدوث العالم)، فذهب المسلمون واليهود والنصارى والمجوس إلى أنَّ الأجسام حادثة بذواتها وصفاتها،..... وإثبات موجود بالذّات، غير متّصف بالحدوث، موجد للعالم بالقدرة والاختيار، وفي هذا الباب يثبت وجوده بالدلائل العقليّة، والبراهين،... ويتمسّك بآثاره من الحوادث اليوميّة، والأحوال السفليّة والعلويّة، **التي لا يقدم منصف ذو حدس إلى إنكار حدوثها واستنادها إلى الصانع الحكيم القادر المختار،**"[1] وورد أيضاً أنَّ "مذهب اليهود والنصارى والمجوس باتفاقهم على إثبات صانع للعالم، والمجبول في الفطرة،"[2] فهل من الحكمة حشد عدد كبير من الأدلة لإثبات قضيةٍ معلومةٍ بالضرورة، وما فائدة التوحيد الوارد في الكافي في مثل زماننا، فإنَّا لا نجد من ينكر وجود الله تعالى في الوسط الإسلامي، فتعلَّمه لن يفيد المسلم شيئاً، فهم قد ملؤوا القلوب شكوكاً، وأثاروا الشبهات، فشككوا الموحدين في توحيدهم.

3- إنَّ أعظم مطلوبٍ في التوحيد كما يتبين في روايات الكافي هو إثبات الصانع، فهو أول باب في كتاب التوحيد،[3] وإنَّ جعله إثبات الصانع من أهم أصول الدين مناقض لمعنى أصول الدين، فمن المعلوم أنَّ الشيعة ترى أنَّ أصول الدين هي القواعد والأسس التي يقوم عليها الدين، والتي يجب على المسلم أنْ يعتقد بها، وبها يكون مسلماً مؤمناً،[4] وبالاتفاق فإنَّ إثبات الصانع عندهم لا يصير به الإنسان مؤمناً، وخلافهم مع جميع الطوائف التي تنتمي إلى الإسلام، ليس من بينها مسألة الإقرار بالصانع، بل إنَّ جميع من ينتسبون إلى اليهودية والنصرانية معترفون بوجود الله تعالى.

4-إنَّ الله تعالى خاطب نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وجميع الأنبياء عليهم السلام بأنَّهم لو أشركوا لحبطت أعمالهم،[5] ومعنى الشرك هنا الإشراك في العبادة، ولا يقول أحد إنَّ المراد بالشرك هنا هو إنكار الصانع، فدلَّ على أنَّ مجرد الإقرار بالربوبية ليس هو أصل دعوة الإسلام، ولا دعوة الأنبياء عليهم السلام كذلك، وليس هو المراد بمفرده

---

(1) المازندراني، شرح أصول الكافي (ج3/3،4).

(2) الشعراني، تعليقاً على شرح أصول الكافي للمازندراني (ج3/3).

(3) انظر: [الكليني: الكافي، التوحيد/ حدوث العالم واثبات المحدث،72/1].

(4) انظر: الصفار، مبادئ وأصول المعارف الإلهية (ص12،13).

(5) قال تعالى: ﴿ذَلِكَ هُدَى اللهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام:88].

مـن العبـاد، وهـذا يبـين خطـأ مـذهب الكلينـي حـين جعـل إثبـات الصـانع هـو الغايـة فـي التوحيد.

5-إنَّ دلائـل أصـول الـدين عنـد الشـيعة كـدلائل غيـرهم مـن المبتـدعين، وسـمتها أنّـه لا يمكـن إثباتهـا بالنصـوص القرآنيـة وحـدها، بـل تحتـاج إلـى شـرحٍ أو تفصـيلٍ أو تأويـلٍ فاسـد، ونجـد أصـحابها يخوضـون فـي الفلسـفة والكـلام والجـدال خوضـاً يصـعب علـى العـوام فهمـه، وهـذا يُثبـت أنَّ أصـول المبتـدعين ليسـت أصـولاً معتبـرة شـرعاً، وإلا لمـا احتاجـت إلـى شـروحاتٍ وتـأويلاتٍ،[1] ومـن المعلـوم أنَّ التأويـل والتفسـير لا يُثبِـت أصـلاً دون الـنص الصـريح؛ لأنَّ الله تعـالى جعـل أدلـة الأصـول نصوصـاً صـريحةً لا تحتـاج إلـى تأويـلٍ أو تفسـيرٍ؛ لأنَّ التأويـل والتفسـير عمـل بشـري، والإنسـان مهمـا بلـغ مـن العلـم لـيس معصـوماً مـن الخطـأ، فـإذا أُوكلـت أصـول الـدين إلـى تـأويلات البشـر صـارت عرضـةً للخطـأ، والأهـم مـن ذلـك أنَّ الأهـواء قـد تـتحكم فـي الإنسـان فتجعلـه يضـل الطريـق، ويفسَّـر النصـوص بمـا يوافـق هـواه، فوجـب لـذلك اعتمـاد الـنص القرآنـي وحـده فـي الأصـول، لأنَّـه ثابـت لفظـاً ودلالـة، ولا يتطـرق إليـه الخطـأ،[2] وقـد ظهـر الانحـراف فـي كـل الـديانات والفرق الضـالَّة بسـبب الأخطـاء والأهـواء البشـرية، فـإنَّ أصـولهم لـم تـرد فـي كتـبهم المنزَّلـة، وإنَّمـا هـي أمـور اسـتنتجوها، ومعـانٍ اسـتنبطوها مـن خـلال النصـوص، أو الأدلـة المتشابهة، أو الروايات الموضوعة.[3]

6-إنَّ الـدليل إذا تطـرق إليـه الاحتمـال سـقط بـه الاسـتدلال،[4] وهـذه قاعـدة أصـولية مشـهورة، وأدلـة التوحيد التـي اعتمـدها الشـيعة لا تخلـو مـن القـول بـالظن وبـلا دليـلٍ شـرعي معتبـر، وهـذا يُسـقط أدلـتهم، فهـم اعتمـدوا علـى شـبهاتٍ ظنيـة، عارضـوا بهـا النصـوص، ومـن المعلـوم أنَّ الـنصَّ هـو الـذي يكـون لفظـه لا احتمـال فيـه ولا يقبـل التأويـل، ووجـه ثـانٍ لـبطلان أدلـتهم، وهـو أنَّ التأويـل إنَّمـا يُسـلَّط علـى الـدليل فـي حـال وجـود دليـلٍ معـارضٍ

---

(1) انظر: الدليمي، المنهج القرآني الفاصل بين أصول الحق وأصول الباطل (ج64/1).

(2) انظر: المصدر السابق (ج68/1).

(3) انظر: المصدر السابق (ج76/1).

(4) انظـر: القرافـي، الفـروق (ج88/2)، السـبكي، رفـع الحاجـب عـن مختصـر ابـن الحاجـب (ج404/1).

أقوى منه،[1] والشيعة قد قلبوا هذه الحقائق فاستدلوا بأدلةٍ ساقطة تطرق الاحتمال إليها، بل والبطلان، وعارضوا بها النصوص الصحيحة وأوَّلوها بأدلةٍ موضوعةٍ.

7-إنَّ الأدلة على ربوبية الله تعالى إما نقلية، وإما عقلية، والشيعة من أضل الناس في المنقول، والمعقول من بين المذاهب، فهم من أكذب الناس في النقليات، ومن أجهل الناس في العقليات، يصدقون من المنقول بما يعلم العلماء بالاضطرار أنَّه من الأباطيل، ويكذبون بالمعلوم بالاضطرار، المتواتر أعظم تواتر في الأمة جيلاً بعد جيلٍ،[2] فمثلاً يقولون بدليل الفرجة الذي يُضحك العقلاء على عقولهم، ويأتون بمقدماتٍ عقليةٍ واهيةٍ لإثبات أدلتهم التي لا تقنع عوام الناس فضلاً عن خواصهم، كأدلتهم التي ذكروها لإثبات حدوث العالم.

8-إنَّ أشدَّ الناس كفراً كانوا من بُعث إليهم الرسل، وكانت أدلة الرسل كافية لردِّهم عن كفرهم، فموسى عليه السلام قد جادل فرعون الذي ادَّعى الربوبية، وحجة موسى قد دحضت باطل فرعون، كما ورد في أكثر من موضعٍ في القرآن الكريم،[3] وكذلك فقد ورد في الآيات القرآنية الرد على من أنكر البعث والمعاد،[4] وعلى من أنكر حدوث العالم، وعلى من نسب أفعال الله تعالى إلى نفسه،[5] وعلى من قال بربوبية الشمس والقمر والكواكب،[6] وبالجملة على كل المعتقدات الكفرية التي مرَّت على تاريخ البشرية، فالله سبحانه وتعالى بيَّن من الأدلة العقلية التي يُحتاج إليها في الرد على الكفار والملحدين أعظم بيان، ونهاية ما يذكره المبتدعة من الأدلة جاء القرآن بخلاصته على أحسن وجه، وذلك كالأمثال المضروبة التي يذكرها الله تعالى في كتابه،[7] وهذا معنى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ [الإسراء:89]، وبهذا لا يبقى مجال للشك أنَّ ما ذُكر في الكافي من الأدلة هو افتراء على دين الله تعالى، ومجادلة بالباطل لإدحاض الحق.

---

(1) انظر: الشاطبي، الموافقات (100/3).

(2) انظر: ابن تيمية، منهاج السنة النبوية (ج8/1).

(3) انظر: سورة [طه:49-55]، [الشعراء:23-28].

(4) انظر: سورة [يس:77-81]، [الجاثية:24-26]، [الأحقاف:33].

(5) انظر: سورة [البقرة: 258].

(6) انظر: سورة [الأنعام:76-80].

(7) انظر: ابن تيمية، الفتاوى الكبرى (ج129/1).

9-إنَّ كل من تبنى أصلاً لم يَرِد في كتاب الله تعالى، ولا في سنة نبيه صلى الله عليه وسلم كان متناقضاً في كلامه، ومتناقضاً مع غيره من الفرق الضالَّة، فمثلاً حينما ناظر متكلمو الشيعةِ فرقة الدهرية عجزت كل طائفةٍ عن تصحيح قولها لاشتراك الطائفتين في جحد أصولٍ فطريةٍ ضروريةٍ جاءت الرسل بكمالها وتمامها، وشهدت بها الأقيسة الصحيحة، فحجة كل واحدٍ من الطائفتين باطلة على أصل نفسه، كما هي باطلة على أصل خصمه، فكانت حججهم باطلة على الأصلين، كما أنَّ ذلك باطل على الأصول الصحيحة، فظهر مع بطلان أصولهم عِظَم تناقضهم من كل وجهٍ، وينبغي أنْ يُعلم أنَّ الذي سلَّط الزنادقة والفلاسفة على أمثال هؤلاء شيئان: **أحدهما:** ابتداعهم لدلائل ومسائل في أصول الدين تُخالف الكتاب والسنة، ويُخالفون بها المعقولات الصحيحة التي تُفسر بها النصوص الشرعية، **والثاني:** مشاركتهم لهم في العقليات الفاسدة من المذاهب والأقيسة، ومشاركتهم لهم في تحريف الكلم عن مواضعه، فإنَّهم لمَّا شاركوهم فيما شاركوهم في تأويل بعض نصوص التوحيد بالتأويلات الباطلة، كآيات الصفات كان هذا حجة للدهرية في تأويل نصوص المعاد وغيرها، فقالت لهم الدهرية: القول في آيات المعاد كالقول في آيات الصفات، فكان من حجتهم عليهم، وضموا ذلك إلى ما يقولوه المتكلمون ومن حذا حذوهم بأنَّ ظواهر الألفاظ لا تفيد اليقين، فقالوا لهم أنتم تقولون الظواهر لا تفيد القطع أيضًا، والآيات المتشابهة في القرآن الدالة على المشيئة والقدر ليست أقل ولا أضعف دلالةً من الآيات الدالة على المعاد الجسماني، ثم إنَّكم تُجوِّزون تأويل تلك الآيات، فلم لا تجوزون أيضًا تأويل الآيات الواردة ها هنا؟، فإنْ قالوا نحن لم نتمسك بآية معينة ولا بحديثٍ معينٍ، ولكن نعلم بالاضطرار إجماع الأنبياء من أولهم إلى آخرهم على إثبات المعاد البدني، فردُّوا عليهم أنَّه لم يُنقل عنهم كذلك تأويل الصفات والابتداع في التوحيد ما ليس منه، وكل هذا معلوم بالضرورة، فهنا يظهر الفرق في جواب المبتدعين فإنَّهم لا يمكن لهم أنْ يردُّوا باطلاً إلا من خلال رجوعهم للأصول الصحيحة، فهنا لن يستطيعوا رد باطل أمثال هؤلاء الزنادقة من خلال أصولهم في التأويل، وإخراج النصوص عن ظواهرها، بل بقولهم نحن نعلم بالاضطرار بمعاد الأبدان؛ لأنَّ الرسل أخبرت به، ولم يجعلوا مستند العلم بذلك دلالة القرآن والحديث والإجماع عليه، لأنَّهم عارضوهم بمثل ذلك وبأبلغ منه في أمر الصفات والقدر، فَعَدَلوا إلى ما ذكروه من أنَّا نعلم بالاضطرار

إخبارهم بالمعاد الجسماني، والذي ألجأهم إلى ذلك هو منهجهم الفاسد في التأويل والتحريف.[1]

الرد التفصيلي:

أولاً: الرد على الكليني في جعله العقل أساس معرفة الله تعالى، وقوله بوجوب النظر العقلي:

1-إنَّ ما ذكره الكليني في منزلة العقل، ومكانته في الدين مخالف للسمع، ومناقض لروايات الكافي، فإنَّه جعل العقل أصل معرفة الله تعالى، أي أنَّه يجب على المكلف أنْ يعرف الله تعالى بحكم عقله، مع قطع النظر عن حكم الله تعالى؛ فقد ورد في الكافي في روايةٍ منسوبةٍ لعلي رضي الله عنه قال فيها: "هبط جبرئيل على آدم عليه السلام فقال: يا آدم إنِّي أُمرت أنْ أُخَيرك واحدة من ثلاثٍ، فاخترها ودعِ اثنتين، فقال له آدم عليه السلام: يا جبرئيل وما الثلاث؟ فقال: العقل والحياء والدين، فقال آدم: إنِّي قد اخترت العقل، فقال جبرئيل للحياء والدين: انصرفا ودعاه، فقالا: يا جبرئيل إنَّا أُمرنا أنْ نكون مع العقل حيث كان، قال: فشأنكما وعرج،"[2] وأورد أيضاً: "إنَّ الله تعالى أكمل للناس الحجج بالعقول،"[3] فلذلك فعند الشيعة "وجوب معرفة الله تعالى مستفاد من العقل، وإنْ كان السمع قد دلَّ عليه،"[4] ومذهبه هذا باطل من وجوهٍ:

أ- إنَّ هذا القول مخالف للقرآن من وجوهٍ كثيرةٍ، ومنها:

-قوله تعالى: **﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا للهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾** [يوسف:40]،[5] فهذه الآية وما في معناها من الآيات[6] نصّ في المسألة، فقُصِر الحكم في الآية على الله تعالى، والمقصود به الحكم الشرعي بلا نزاع، فلا حكم

(1) انظر: ابن تيمية، بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (ج18/2،72/2،71).

(2) [الكليني: الكافي، العقل والجهل، 10/1: ح2].

(3) [المصدر السابق، العقل والجهل، 13/1: ح12].

(4) الحلي، ابن المطهر، نهج الحق (ص51).

(5) استدل بهذه الآية على بطلان مذهب الشيعة علامة الهند شاه عبد العزيز الدهلوي، انظر: مختصر التحفة الإثنى عشرية (ج70/1).

(6) أمثال قوله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾ [الأنعام:62]، ﴿إِنَّ اللهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ [المائدة:1].

للعقل، ولا لبشرٍ مع حكم الله تعالى، فالله تعالى ﴿يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ﴾ [الرعد:41]، فهنا أفاد انتفاء كل ما من شأنه أنْ يكون مُعقِّباً على حكمه، أي أنْ يَعقُب حكمه فيبطله،[1] وهو لفظ عام يشمل كل شيءٍ، ومن ضمنه العقل، ولا يُقال إنَّ هذا إبطال للدليل العقلي، فمذهب أهل السنة والجماعة أنَّ العقل يدلُّ على الخالق سبحانه وتعالى، ولكن العقل إما أنْ يكون قد دلَّ عليه السمع، فيكون دليلاً شرعياً عقلياً، وإما أنْ يكون دليلاً معضداً للسمع، فعلى كلا الحالتين لا يستقل العقل بمعرفة الأحكام وإنشائها.

وأما الكليني وتَبِعَه الشيعة في ذلك، جعلوا العقل دليلاً مستقلاً في معرفة أحكام الشرع، وهذا القول باطل؛ لأنَّ مبناه على تحكيم العقل، وامتناع العرفان بغيره، وكلاهما ممنوع.[2]

-قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء:15]، فلو كانت معرفة الله تعالى أمراً واجباً بحكم العقل، لوقع العذاب بترك ذلك قبل أنْ يبعث الله تعالى الرسل، وهذا باطل،[3] فدلَّ على بطلان مذهب الشيعة، في أنَّ النظر في معرفة الله تعالى واجب بحكم العقل، بناءً على أنَّه لا حاكم بالحسن والقبح سوى العقل، ولا حكم لله تعالى فيهما، بل إنَّهم جعلوا الله تعالى تابعاً في أفعاله لحكم العقل، ولا يجوز أنْ يخالفه، ولكن الحق أنَّ الله تعالى جعل حجته على خلقه هم رسله عليهم السلام، وليس ما ركَّب الله تعالى فيهم من عقول قال تعالى: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء:165].

ب- القول إنَّ معرفة الله تعالى واجبة بحكم العقل مخالف لما يرويه الكافي؛ حيث ورد فيه: "ليس لله على خلقه أنْ يعرفوا، وللخلق على الله تعالى أنْ يُعَرِّفهم، ولله تعالى على الخلق إذا عرَّفهم أن يقبلوا،"[4] فهنا بيَّن أنَّ العباد لا يجب عليهم معرفة شيءٍ إذا لم يُعرِّفهم الله تعالى، فلو كان العقل هو الحجة فيلزم على الخلق أنْ يعرفوا، حتى وإنْ لم ينزل البيان من الله تعالى، وأصرح من ذلك رواية: "إنَّ الله تعالى يحتج على العباد بما

(1) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج172/13).

(2) انظر: الألوسي، السيوف المشرقة ومختصر الصواعق المحرقة (ج337/1).

(3) انظر: الدهلوي، مختصر التحفة الإثنى عشرية (ج70/1).

(4) [الكليني: الكافي، التوحيد/ حجج الله على خلقه، 164/1: ح1].

آتـاهم وعـرَّفهم، ثـمَّ أرسـل إلـيهم رسـولاً، وأنـزل علـيهم الكتـاب، فـأمر فيـه ونهـى،"[1]، فكيـف يكون العقل هو الأصل ولا يُذكر، ويتم الاقتصار على حجة السمع؟.

2- إنَّ أركـان الـدين عنـد الشـيعة لا تثبـت اتفاقـاً عنـدهم إلا بحكـم الشـرع، وإنَّ معرفـة الله تعـالى عنـدهم هـي أسـاس التوحيـد، فيُقـال لهـم كمـا أنَّ النبـوة والإمامـة والمعـاد لا تثبـت إلا بالشـرع، ولا مجـال فـيهم لاجتهـاد العقـول، فقولـوا ذلـك فـي التوحيـد كـذلك، فكيـف يكـون توحيـد الله تعـالى الـذي هـو أعظـم مـن الإمامـة فيـه مجـال للحكـم العقلـي؟، والعجيـب أنَّ الشـيعة يأخـذون بـأقوال أئمـتهم دون مراجعـة، ولا إعمـال للعقـل وهـم بشـر، ويـردُّون كـلام الله تعالى إلى حكم عقولهم، فما لكم كيف تحكمون أيها الشيعة؟!!!.

3-القـول بـأنَّ العقـل هـو أفضـل مـا عُبِـد الله تعـالى بـه، وأنَّـه يجـب النظـر فـي أدلـة وجـود الله تعـالى كـي نتوصـل بهـا إلـى معرفتـه، يلـزم منـه أنَّ مـن مـات فـي مـدة النظـر والمهلـة لمعرفـة دلائـل وجـود الله تعـالى، وقبـل قبولـه الإسـلام مـات مطيعـاً لله تعـالى، مُقيمـاً علـى أمره، لا بدَّ من إدخاله الجنة كما يدخل المسلمون.[2]

4- إنَّ الكلينــي وشـيعته يقولــون إنَّ معرفــة الله تعــالى واجبــة بالعقـل، فيُقــال لهــم: ومــاذا تريـدون بـالوجوب؟، فـإنْ قيـل: أُريـد بـه مـا يكـون تركـه إثمـاً، وفعلـه ثوابـاً، فيُقـال لهـم: فقـد ثبت الشرع حيث قلتم بالثواب والإثم، وهو شرعي، فبطل قولك.[3]

5- إنَّ طريقــة النظــر التــي قــال بهــا الكلينــي والتــي ســار فيهــا علــى طريقــة المتكلمــين باطلـة، فـالقول إنَّ أول مـا يجـب علـى الإنسـان النظـر المـؤدي إلـى معرفـة الله عـزَّ وجـلَّ، وأنَّ النظــر العقلــي هــو أفضــل مــا عُبِـد الله تعــالى بــه، لــم يُنسـب منــه شــيء إلــى النبــي صــلى الله عليــه وســلم؟، ولا حتــى لنفــر الصــحابة الــذين يعتقــد الشــيعة إيمــانهم، فكيــف يجـوز أنْ يخفـى علـيهم أول الفـرائض وهـم صـدر هـذه الأمـة، والسـفراء بيننـا وبـين رسـول الله صــلى الله عليــه وســلم، ولــئن جــاز أنْ يخفــى أول واجــبٍ علــى الصــحابة، حتــى لــم يبينـوه لأحـدٍ مـن هـذه الأمـة، مـع شـدة اهتمـامهم بـأمر الـدين وكمـال عنـايتهم، فلعلـه خَفِـيَ علـيهم فرائض أُخَـر، ولـئن كـان هـذا جـائزاً فلقد ذهـب الـدين وانـدرس؛ لأنَّـا إنَّمـا نَبنِـي أقوالنـا علـى أقـوالهم، فـإذا ذهـب الأصـل فكيـف يمكـن البنـاء عليـه؟، وأمـا النظـر بقـدر مـا ورد بـه

---

(1) [الكافي: الكليني التوحيد/ حجج الله على خلقه، 165،164/1: ح4].

(2) انظر: بازمول، الانتصار لأصحاب الحديث (ج64/1).

(3) انظر: الدهلوي، مختصر التحفة الإثنى عشرية (ج79/1).

الكتاب والسنة لينال المؤمن بذلك زيادة اليقين وثلج الصدر وسكون، القلب فهذا لا يُنكر،[1] بل هو ما وردت الأدلة على مشروعيته، وأنَّه عبادة يتقرب بها المسلم إلى الله تعالى.

6-إنَّ ما يُدلل على فساد مذهبهم بوجوب النظر العقلي، أنَّهم لا يُكفِّرون عوام الشيعة، وهذا قد ناقضوا فيه أصولهم، حيث أثبتوا حقيقة المعرفة والإيمان بغير طريقها على أصولهم،[2] وحكموا بإيمان من لم يسلكها.

7- إنَّ القول بأنَّ النظر واجب بحكم العقل مخالف للقرآن الكريم؛ فإنَّه قد دلَّ على أنَّ النظر في معرفة الله تعالى واجب بحكم الشرع، وهذا في مثل قوله تعالى: ﴿فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الروم:50] وقوله تعالى: ﴿قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس:101].[3]

ثانياً: الرد على دليل النظم:

1-إنَّ برهان النظم الذي وردت الإشارة إليه في روايات الكافي وإنْ كان موافقاً لما جاء في القرآن الكريم من النظر في المخلوقات للاستدلال بها على الخالق، ولكنه مخالف من جهة المقدمات التي تُجعل للدليل، فإنَّ النظر الوارد في آيات القرآن الكريم يكون الاستدلال به مباشرة على المقصود، دون توسط المقاييس العقلية،[4] والمقدمات الكلامية الصعبة التي لا فائدة من ذكرها، بل هي من باب التنطع، والتكلف المذموم.

2-إنَّ دليل النظم من الأدلة السمعية، ولا يُحتاج في فهمه وإدراكه أي عناء، وأما طريقة الكليني فهي نفس طريقة المتكلمين بأنْ يذكر الأدلة السمعية، ولا يهتم بها على الوجه المطلوب، بل يذكر الدليل الشرعي ويثبته من جهة العقل، فهم كعادتهم لا يهتمون بالشرع لإثبات العقائد.[5]

---

(1) انظر: بازمول، الانتصار لأصحاب الحديث (ج1/61).

(2) انظر: المصدر السابق (ج1/74).

(3) الألوسي، السيوف المشرقة ومختصر الصواعق المحرقة (ج1/337).

(4) انظر: نور، منهج أهل السنة والجماعة والأشاعرة في توحيد الله تعالى (ص321).

(5) انظر: الرقب، مناهج الإسلاميين (ص337-338).

ثالثاً: الرد على دليل الحدوث:

1-إنَّ عمدة دليل الحدوث إثبات الإمكان الخارجي للمخلوقات، وهم يثبتون الإمكان الخارجي بمجرد إمكانه الذهني، وهو على معنى أنَّه لو قُدِّر وجوده لم يلزم من تقدير وجوده محال، والسؤال من أين يُعلم أنَّه لا يلزم من تقدير وجوده محال؟، فإنَّ هذه قضية كلية سالبة، فلا بدَّ من العلم بعموم هذا النفي،[1] ولا يجب أنَّ ما لم يظهر امتناعه يجب أنْ يكون ممكناً؛ لأنَّ الشيء قد يكون ممتنعاً لأمورٍ خفيةٍ لازمة له، فما لم يُعلم انتفاء تلك اللوازم، فلا يمكن الجزم بالإمكان وعدمه، وبذلك يتحقق الإمكان الخارجي، وأما الإمكان الذهني فحقيقته عدم العلم بالامتناع، وعدم العلم بالامتناع لا يستلزم العلم بالإمكان الخارجي، بل يبقى الشيء في الذهن غير معلوم الامتناع، ولا معلوم الإمكان الخارجي، وهذا هو الإمكان الذهني؛[2] وبذلك لا يمكن أنْ نبني دليل الحدوث على هذه المقدمة؛ لأنَّه غير مُسلَّم بها.

2-إنَّ من المقدمات التي تمَّ الاستدلال بها على حدوث العالم هو تغيره، وذُكر أنَّ التغير والحركة من علامات الحدوث، وهذا لا يُسلَّم به؛ لأنَّ كون ماهية الحركة مركبة من جزء سابقٍ، وجزء لاحقٍ لا يُنافي دوامها في ضمن أفرادها المتعاقبة، وهذا في حال كون أفرادها لا أول لها، وهو المعني بكونها أزلية، فيمكن للشيء أنْ يكون أزلياً وأفراده تتعاقب، وأما القول إنَّ ما كانت هذه صفته فلا يكون أزلياً فمقدمة غير مُسلَّم بها، بل إنَّ جماهير المسلمين يقولون إنَّه يجوز على الشيء أنْ يكون أبدياً حتى وإنْ كانت أفراده تتعاقب.[3]

3-إنَّ إثبات الصانع في القرآن بنفس آياته، والتي من بينها دليل الخلق، وهذا من غير احتياج إلى قياسٍ كليٍ تتوسط فيه المقاييس العقلية، كأنْ يُقال: العالم حادث، وكل حادث فلا بدَّ له من مُحْدِث، أو كل ممكن فلا بدَّ له من مُرَجِّح، فإنَّ الآيات واضحة الدلالة على مدلولها، دون الحاجة إلى توسط هذه المقدمات، وإقامة الأدلة المعقدة على كل مقدمة من هذه المقدمات، فالإنسان يعلم فقر نفسه وحاجتها إلى

---

(1) قوله: "سالبة كلية:" أي أنَّ المسألة عامة، فيجب أن يكون حكم النفي عاماً حتى يعم النفي جميع أفرادها.

(2) انظر: ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل (ج30/1).

(3) انظر: المصدر السابق (ج345/2،346).

خالقها من غير أنْ يخطر بباله أنَّها ممكنة، والممكن الذي يقبل الوجود والعدم، أو أنَّها محدثة، والمحدث المسبوق بالعدم، فلو لم يكن للفقر إلى الصانع علة إلا الإمكان، أو الحدوث، لما جاز العلم بالفقر إليه حتى تُعلم هذه العلة؛ إذ لا دليل على حاجتهم وفقرهم إلى الصانع إلا هذا، وهذا معلوم البطلان، فكل البشر يعلمون ضرورة فقرهم وحاجتهم إلى خالقهم، حتى وإنْ لم يعلموا هذه الأدلة، وهذه هي طريقة القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:22،21]، فقد بيَّن سبحانه وتعالى أنَّ نفس هذه الذوات آية على الله تعالى، ولمَّا وبَّخهم وبيَّن حاجتهم إلى الخالق، بيَّن أنَّهم يعرفون فقر أنفسهم بداهةً، فاستخدام طرق المتكلمين مخالف للقرآن الكريم في الوسائل، فوسيلة القرآن الكريم فطرية قريبة موصلة إلى المقصود، وأما الطرق الكلامية فهي معقدة وطويلة؛[1] لذلك يُقال حتى ولو كانت هذه الطرق صحيحة، لكن معرفة الله تعالى ليست مفتقرة إليها، وفيها طُول وعقبات تُبعد المقصود، فإنَّها كثيرة المقدمات ينقطع السالكون فيها كثيراً قبل الوصول، ومقدماتها في الغالب إما مشتبهة يقع النزاع فيها، وإما خفية لا يدركها إلا الأذكياء،[2] فكيف إذا كان أكثرها بدعاً وأباطيل وتخرصات.

رابعاً: الرد على دليل الإمكان:

1- إنَّ دليل الإمكان الذي قالوا به قد نقضوه بزعمهم أنَّ العباد خالقو أفعالهم؛ إذ التقدير على ذلك أنَّ الرب-حاشاه- عاجز عن الانفراد بمفعولٍ منفصلٍ عنه، وكما أنَّ واجب الوجود بنفسه تكون نفسه كافية في حقيقة ذاته وصفاته، غير مفتقر إلى غيره، فكذلك يجب ألا يكون مفتقراً إلى غيره في شيء من أفعاله ومفعولاته، ويجب أنْ يكون منزَّهاً عن شريكٍ له في الفعل والمفعول؛ لأنَّ أفعاله القائمة به سبحانه وتعالى داخلة في مسمى نفسه، فمفعول الرب صادر عن فعله، وافتقاره إلى غيره في بعض المفعولات يُوجب افتقاره في فعله، ويُوجب افتقاره أيضاً في صفته المتعلقة بهذا الفعل القائمة بالله تعالى، ولو كانت ذاته كاملة غنية لم تفتقر إلى غيره في فعلها، فافتقاره

(1) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج12،10،9/1).

(2) انظر: المصدر السابق (ج22/1).

إلـى غيـره بوجـهٍ مـن الوجـوه هـو وصـف لـه بالإمكـان المُنـاقض لكونـه واجـب الوجـود بنفسـه، وكـل مـا يُسـمى قـادراً أو فـاعلاً أو مـدبراً سـوى الله تعـالى فلـه شـريك هـو لـه كالشـرط، ولـه معـارض، هـو لـه مـانع وضـد، فمـا مـن مخلـوقٍ إلا لـه شـريك ونـدّ، والـرب سبحانه وحـده هـو الـذي لا شـريك لـه ولا نـدَّ لـه، بـل مـا شـاء كـان، ومـا لـم يشـأ لـم يكـن، ولهـذا لا يسـتحق غيـره أنْ يُسـمى خالقـاً ولا ربـاً مطلقـاً، والقـول بـأنَّ العبـاد لهـم مشـيئة مسـتقلة عـن مشـيئة الله تعـالى يـنقض ذلـك كلـه؛ لأنَّ ذلـك يقتضـي الاسـتقلال والانفـراد بـالمفعول المصـنوع، ولـيس ذلـك إلا لله تعـالى وحـده، فكمـا أنَّ الوحدانيـة واجبـة لـه لازمـة لـه، فالمشـاركة واجبـة للمخلـوق لازمـة، فالمخلوقـات ومـا فيهـا مـن الافتـراق والتعـداد والاشـتراك يوجـب افتقارهـا وإمكانهـا،[1] والحاصـل أنَّـه لـو كـان العبـاد خـالقي أفعـالهم؛ فيلـزم أنْ يشـاركوا الـرب فـي فعلـه، وفـي هـذا دليـل علـى فقـر الـرب وإمكانـه؛ لأنَّ مفعـول الـرب صـادر عـن فعلـه، وفعلـه متعلـق بصـفة قائمـة بذاتـه تعـالى، فتعـالى الله عمـا يقولـون علـواً كبيراً.

2- إنَّ الإمكـان والحـدوث متلازمـان، وهـو الـذي عليـه جمـاهير العقـلاء مـن الأولـين والآخـرين، حتـى قـدماء الفلاسـفة كأرسـطو وأتباعـه قـالوا بـذلك، فهـم يقولـون: إنَّ كـل ممكـنٍ فهـو محـدث، وكـذلك أنكـر الفلاسـفة الجـدد كـابن رشـد وغيـره التفريـق بينهمـا؛[2] ولـذلك فمـن الخطـأ جعـل دليـل الحـدوث منفصـل عـن الإمكـان، فـإن كليهمـا يـدلان علـى معنـى واحد، وإنْ خالفوا في ذكر مقدمات كل دليلٍ.

3-إنَّ الإمكـان والحـدوث دلـيلان علـى الافتقـار، لا يعنـي أنَّ هـذين الوصـفين جَعـلا الشـيء مفتقـراً، بـل فقـر الأشـياء إلـى خالقهـا لازم لهـا لا يحتـاج إلـى علـة، كمـا أن غنـى الـرب لازم لذاتـه، لا يفتقـر فـي اتِّصـافه بـالغنى إلـى علـة، وكـذلك المخلـوق لا يفتقـر فـي اتِّصـافه بـالفقر إلـى علـة، بـل هـو فقيـر لذاتـه، لا تكـون ذاتـه إلا فقيـرة فقـراً لازمـاً لهـا، ولا تسـتغنى إلا بـالله تعـالى،[3] فتبـين بـذلك أنَّ هـذه الطريقـة مخالفـة للشـرع والعقـل، وأنَّهـا مخالفـة لمـا بعـث الله تعـالى بـه رسـوله صـلى الله عليـه وسـلم، ولمـا فطـر عليـه عبـاده، وأنَّ

---

(1) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج34/2، 35، 36).

(2) انظر: المصدر السابق (ج514/5).

(3) انظر: المصدر نفسه (ج515/5).

أهلها من جنس الذين قالوا: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [الملك:10].[1]

خامساً: الرد على دليل الفرجة:

1-إنَّ دليل الفرجة الذي استدلَّ به الكليني ظاهر التهافت، وفيه من الأباطيل والخرافات ما لا يخفى، وخطأ هذا الكلام وتهافته واضح، فحتى وإنْ كانت الفرجة قديمة فهل يصح أنْ يُطلق عليها إلهاً؟، فالإله له صفاته التي يتصف بها، فهل الفاصل الذي يقع به التمايز يُطلق عليه إلهاً لمجرد أنَّه قديم؟، فأيُّ عقل يقرُّ بذلك؟، وهناك من شُرَّاح الكافي من قال بقدم العالم كما مرَّ فهل يلزم من مذهبه القول بتعدد الآلهة، فلو كان هذا التعليل صحيحاً في أنَّ الفرجة لو كانت قديمة لكانت إلهاً، فلزوم القول بإلهية العالم لو كان قديماً أولى، وهذا لا يقوله عاقل.

2-لو كان الأمر كما ذكر الكليني في برهان الفرجة، وكان دليلاً صحيحاً فلقائل أنْ يقول: بأنَّه حتى على القول بأنَّ الله تعالى واحد، فإنَّ الفرجة التي تُميِّز الربَّ عن مخلوقاته يلزم أنْ تكون إلهاً؛ لأنَّها يجب أنْ تكون قديمة قِدَم الرب، ولا يصح أنْ تكون أمراً عدمياً، وإلا للزم ألا يتميز الرب عن المخلوقات؛ فعلى هذا يلزم أنْ يكون إلهان، وهما الرب والفرجة القديمة التي بينه وبين مخلوقاته، فهنا معارضتهم بنفس دعواهم، ولا جواب لهم عن ذلك، فيتضح أنَّ هذه الجدليات الباطلة لا فائدة منها؛ لأنَّها لو كانت مع العوام فلن يفهموها، ولن تُفيدهم شيئاً في توحيدهم، ولو كانت مع أصحاب العقول فسيأتوا بالحجج الجدلية التي لا انتهاء لها، وبما لا قِبَلَ لهم بردها.

---

(1) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج13/168).

المبحث الثالث

مكانة توحيد الربوبية بين البخاري والكُلَيني

المطلب الأول

مكانة توحيد الربوبية عند البخاري

إنَّ وجود الله تعالى[1] وربوبيتَه من الأمور البديهية والضرورية، وآيات ودلائل وجوده تعالى أظهر وأشهر من أنْ يُسأل عنها، فإنَّ إقرار البشر بوجود خالقهم أعظم من إقرارهم بأي موجودٍ سواه.[2]

والإمام البخاري في صحيحه لم يذكر توحيد الربوبية استقلالاً بحشد الأدلة والبراهين عليه، بل أورده كقضيةٍ مسلّمةٍ. لأنَّ توحيد الربوبية لا يحتاج إلى استدلال، ولا يحتمل الجدال والمماراة،[3] وإنَّما أورده كي يتمّ التوصل من خلاله إلى غايات أخرى، فالاعتراف بالربوبية كسائر العلوم الضرورية التي يتمُّ ذكرها كمقدماتٍ مسلّم بها، ويُتوصل بها إلى حقائق تُبنى عليها، وأهمها إثبات توحيد الألوهية الذي ينكره المشركون وغيرهم من الكفار، وهذا هو منهج القرآن والسنة النبوية.[4]

ويمكن توضيح مكانة توحيد الربوبية عند البخاري من خلال النقاط التالية:-

1- الإقرار بالربوبية أمر فطري:

إنَّ الإقرار بالخالق أمر فطري ضروري، فالقلوب مفطورة على الإقرار بالله تعالى أعظم من الإقرار بغيره من الموجودات، وهذا في حق من سلمت فطرته، وقد يُحتاج إلى الأدلة عند تغير الفطرة لأحوال تَعرِض عليها،[5] وهذا معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم: « **مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ، كَمَا تُنْتَجُ البَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ، هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ**

---

(1) وهو من لوازم توحيد الربوبية كما مرّ.

(2) انظر: ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية (ج30/1-31).

(3) انظر: الغامدي، البيهقي وموقفه من الإلهيات (ج116/1).

(4) انظر: ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية (ج30/1).

(5) انظر: ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية (ج35/1)، ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج73/6).

جَذْعَاءَ، ثُمَّ تلا قوله تعالى: ﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾[الروم: 30]،»[1] "والفطرة هاهنا الإسلام، وهو المعروف عند عامة السلف من أهل العلم"[2]، فمعرفة الله مركوزة في الفطر، فكل مولودٍ يُولد على معرفة الله تعالى والإقرار به، فإذا لزم غير ذلك، فلأجل ما يَعرِض على الفطرة من التغيرات والأسباب الخارجية من جهة الأبوين، وأمَّا من سلم من ذلك استمر على الحق، فالكفر وإنكار الخالق ليس من ذات المولود ومقتضى طبعه.[3]

2- الإقرار بالربوبية لا يُدخل صاحبه في الإسلام، ولا ينفي عنه الشرك[4]:

إنَّ توحيد الربوبية من لوازم توحيد الألوهية، ولكنه ليس أساس الدين وغايته، ولم تُبعث الرسل للدعوة إليه وحشد الأدلة عليه، وإنَّما دعوتهم لعبادة الله تعالى، المتضمنة لمعرفته والإقرار بوجوده،[5] والدليل على ذلك أنَّ عامة المشركين كانوا يقرُّون بربوبية الله تعالى، وأنَّه خالق السموات والأرض، ولم يكن معتقدهم في الأصنام أنَّها مشاركة لله تعالى في ذلك، بل يقولون: ﴿هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [يونس:18]، ولم يدخلهم ذلك في الإسلام،[6] والله تعالى قد أخبر عنهم في ذلك فقال تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [الزخرف:87]، وقال: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [لقمان:25]، ولكنهم كانوا مع إقرارهم بربوبيته يشركون في عبادته؛ ولذلك قال الله تعالى عنهم: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾

---

(1) [البخاري: صحيح البخاري، تفسير القرآن/ ﴿**لا تبديل لخلق الله**﴾ [الروم: 30]، ص812: ح4775].

(2) ابن عبد البر، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (ج72/18)، وانظر: البيهقي، شعب الإيمان (ج178/9)، ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج245/4)، الحكمي، معارج القبول (ج91/1).

(3) انظر: ابن حجر، فتح الباري (ج248/3)، ابن الجوزي، كشف المشكل من الصحيحين (ج373/3)، النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (ج207/16)، العيني، عمدة القاري (ج149/2)، الشوكاني، نيل الأوطار (ج236/7).

(4) انظر: الفهد، الأصول الشرعية في التوحيد والشرك (ص3).

(5) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج15/2).

(6) انظر: ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية (ج31/1)، ابن عبد الوهاب، الدرر السنية في الأجوبة النجدية (ج28/2).

[يوسف:106]،[1] فمن كان توحيده ومنتهى تحقيقه هو توحيد الربوبية كان توحيده من توحيد المشركين.[2]

3-الربوبية لم تُذكر استقلالاً، بل مقترنة بغاية، ومنها:

أ-إلزام المشركين باعترافهم بتوحيد الربوبية ليقرُّوا بتوحيد الألوهية:[3]

لقد كان الكفار يقرُّون بتوحيد الربوبية، ولكنهم يشركون في عبادة الله تعالى؛ ولذا فالله تعالى يذكر دلائل ربوبيته، وأنَّه لا خالق ولا مدبر إلا هو، وأنَّ ذلك مستلزم أن لا يُعبد إلا الله تعالى، فيُجعل الأول دليلاً على الثاني،[4] كما في قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾ [البقرة:21-22]،[5] فهذا خطاب عام للكفار والمنافقين ألا يجعلوا لله تعالى أنداداً يعبدونهم كعبادة الله تعالى، وهم يعلمون أنَّه الخالق والمنعم دون الأنداد، وأنَّ له الوحدانية بالقوة والإمكان فلا يقدر على ما ذكره أحد سواه.[6]

والنبي صلى الله عليه وسلم عندما يذكر ربوبية الله تعالى فإنَّه يقرنها بألوهيته تعالى كقوله صلى الله عليه وسلم: «**اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ، أَنْتَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، ولَكَ الحَمْدُ أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، لَكَ الحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، قَوْلُكَ الحَقُّ، وَوَعْدُكَ الحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ، وَالجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ، اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، وَإِلَيْكَ**

---

(1) انظر: [البخاري: صحيح البخاري، التوحيد/ ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة :22]، ص1261].

(2) انظر: السفاريني، لوامع الأنوار البهية (ج307/1).

(3) انظر: نور، منهج أهل السنة والجماعة ومنهج الأشاعرة في توحيد الله تعالى (ج107/1).

(4) انظر: ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية (ج36/1).

(5) انظر: [البخاري: صحيح البخاري، تفسير القرآن/ قول الله تعالى:﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:22]، ص744، وكذا استدل في نفس الباب بقوله تعالى: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [فصلت:9]، ص744].

(6) انظر: البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن (ج93/1)، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج231/1)، ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير (ج43/1).

حَاكَمْتُ، فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَأَسْرَرْتُ وَأَعْلَنْتُ، أَنْتَ إِلَهِي لاَ إِلَهَ لِي غَيْرُكَ،»[1] فهنا ذكر الربوبية وأتبعها بالألوهية، وهي مقتضى الإيمان والإذعان والإنابة.[2]

ب-بيان الأدلة لمن فسدت فطرته، والرد عليهم:

لقد ذكر الإمام البخاري في صحيحه باب قوله: ﴿وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ [الجاثية:24]،[3] وفي هذه الآية يخبر الله تعالى عن قول الدهرية من الكفار، ومن وافقهم من مشركي العرب، أنَّهم قالوا: لا حياة لنا إلا حياتنا التي نحن فيها، ولا حياة سواها، إنكاراً منهم بالبعث بعد الممات،[4] وكانوا يسندون الحوادث إلى الدهر، فيقولون: إنَّ الذي يفنيهم ويهلكهم هو مرُّ الأيام والليالي، والله تعالى بيَّن أنَّهم يقولون ذلك تخرصاً، بلا علم ولا يقين،[5] وأنَّه سبحانه هو من يفنيهم ويهلكهم، وقد أورد الإمام البخاري للرد عليهم قول الله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء:104]،[6] أي أنَّه سبحانه وتعالى قد أخرجكم من العدم إلى الوجود، والذي قَدِر على البُداءة قادر على الإعادة بطريق الأولى.[7]

والله تعالى قد أكد البعث في الآية السابقة بأدلةٍ متعددةٍ، فقد أورد سبحانه الدليل قبل الدعوى[8] لتتمكن في النفس، ثم قال: ﴿**وعداً علينا**﴾، أي أنَّ ذلك حق واجب وكائن لا محالة، ثمَّ أكد ذلك بحرف التوكيد ﴿**إنا**﴾، وذكر فعل الكون، وهو يفيد

---

(1) [البخاري: صحيح البخاري، التوحيد/ ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ [الأنعام:73]، ص1238: ح7385].

(2) انظر: الغنيمان، شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري (ص181).

(3) انظر: [البخاري: صحيح البخاري، تفسير القرآن/ ﴿ **وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ**﴾ [الجاثية:24]، ص825].

(4) انظر: الطبري، جامع البيان (ج77/2)، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج268/7).

(5) انظر: الطبري، جامع البيان (ج77/22)، الألوسي، روح المعاني (ج24/19).

(6) انظر: [البخاري: صحيح البخاري/ قوله تعالى: ﴿**كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ**﴾ [الأنبياء:104]، ص801].

(7) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج270/7)، القسطلاني، إرشاد الساري (ج242/7).

(8) أي أورد الدليل على قدرة الله تعالى على البعث قبل إيراد دعوى إنكار البعث التي تُفهم من قوله تعالى {نعيده}.

أنَّ قدرتـه قـد تحققـت بمـا دلَّ عليـه الـدليل، وكـل ذلـك وجـوه للاهتمـام بتحقيـق وقـوع البعـث، والرد على من أنكر قدرة الله تعالى على البعث[1].

ج- زيادة المؤمن إيماناً:

وقـد وردت هـذه الغايـة كثيـراً فـي صـحيح البخـاري، مثـل بَـابُ قَوْلِـهِ: ﴿إِنَّ فِي خَلْـقِ السَّـمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْـتِلاَفِ اللَّيْـلِ وَالنَّهَـارِ لآيَـاتٍ لِأُولِي الأَلْبَـابِ﴾ [آل عمـران]،[2] ففـي هـذه الآيـة وجَّـه الله تعـالى أصـحاب العقـول للتـدبر فيمـا خلقـه الله تعـالى مـن السـموات والأرض، وفـي تعاقـب الليـل والنهـار، وفـي ذلـك آيـات وعظـات لأصـحاب العقـول الكاملـة التـي تـدرك الأشـياء بحقائقهـا، والنظـر يكـون فـي المخلوقـات، وفـي النظـام الـذي جُعـل فيهـا، والمقصـود فـي هـذه الآيـة بيـان تفـرد الله تعـالى بالملـك والقـدرة، والحـث علـى التفكـر والتدبر في مخلوقات الله تعالى ليزداد يقين المؤمن وإيمانه بربه.[3]

---

(1) انظـر: الـرازي، مفـاتيح الغيـب (ج19/22)، ابـن عاشـور، التحريـر والتنـوير (ج158/17)، وهنـاك عـدة أبـواب للـرد علـى مـن أنكـر بعـض خصـائص الربوبيـة، مثـل: [البخـاري: صـحيح البخـاري، القـدر/ ﴿وَحَـرَامٌ عَـلَى قَرْيَـةٍ أَهْلَكْنَاهَـا أَنَّهُـمْ لاَ يَرْجِعُـونَ﴾ [الأنبيـاء: 95]، ص1109، تفسير القـرآن/ ﴿قُـلْ ادْعُـوا الَّـذِينَ زَعَمْـتُمْ مِـنْ دُونِـهِ فَـلاَ يَمْلِكُـونَ كَشْـفَ الضُّرِّ عَـنْكُمْ وَلاَ تَحْـوِيلًا﴾ [الإسراء: 56]، ص793/ ﴿وَدًّا وَلاَ سُواعًا، وَلاَ يَغُوثَ وَيَعُوقَ﴾ [نوح: 23]، ص845].

(2) انظـر: [المصـدر السـابق، تفسـير القـرآن/ قولـه تعـالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْـقِ السَّـمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْـتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِأُولِي الأَلْبَابِ﴾ [آل عمران]، ص761].

(3) انظـر: جـامع البيـان، جـامع البيـان (ج473/7)، ابـن كثيـر، تفسـير القـرآن العظـيم (ج84/2)، الألوسـي، روح المعـاني (ج361/3)، ابـن عاشـور، التحريـر التنـوير (ج196/14)، وهنـاك عـدة أبـواب مشـابهة مثـل، [البخـاري: صـحيح البخـاري، التوحيـد/ مـا جـاء فـي تخليـق السـموات والأرض وغيرهـا مـن الخلائق، ص 1250، وباب ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى﴾ [البقرة: 260]، ص574].

المطلب الثاني

مكانة توحيد الربوبية عند الكليني

إنَّ ربوبية الله تعالى التي اعتنى بها الكليني لمْ يقررها بكامل لوازمها، ولمْ يذكر مقتضياتها، بل ذكر بعض أدلة إثبات الصانع فقط، مع الأخذ بعين الاعتبار ما ذكره من شركيات تُناقض توحيد الربوبية؛ ولذلك سيُذكر في هذا المطلب مكانة إثبات وجود الصانع عند الكليني، وسيُطلق عليه توحيد الربوبية تجاوزاً.

لقد اهتمَّ الكليني بتقرير وجود الله تعالى، وأقام الحجج والبراهين على ذلك من خلال رواياته، وأطال في ذلك المقال، وممَّا يدلَّ على ذلك أنَّ الروايات الواردة لإثبات الصانع في كتاب التوحيد في الكافي كانت أكثر من عُشر الروايات،[1] فلا تكاد تجد مسألة قد أُعطيت هذا الحجم من الاهتمام من حيث الروايات، وإيراد الأدلة مثلما أُعطيت هذه، وقد سار الكليني على طريقة المتكلمين في الاهتمام بإثبات وجود الله تعالى، وجعله أساس الدين، **وبيان مكانة إثبات وجود الله تعالى عند الكليني كالتالي:**

1-إثبات الصانع أساس التوحيد:

إنَّ أول باب في كتاب التوحيد في الكافي هو: "باب حدوث العالم، وإثبات المحدث،"[2] وفي هذا إشارة إلى أنَّه أساس التوحيد، ويمكن القول إنَّ أظهر مسألة في كتاب التوحيد، هو المناظرة مع الزنادقة، وإيراد الحجج عليهم، وردّ دعواهم بعدم وجود إلهٍ؛ ولذا فقد ذكر شُرَّاح الكافي أنَّ التوحيد هو إثبات وجود الصانع، ووحدته، وصفاته الذاتية والفعلية، وسائر ما يصح ويُمتنع عليه،[3] وهذا تعريف دقيق ومطابق لما عليه روايات الكافي، فعمدة التوحيد في الكافي هو إثبات وجود الله تعالى، وأنَّه إله واحد، وهذا من لوازم الربوبية كما مرَّ.[4]

---

(1) عدد الروايات الواردة في كتاب التوحيد في الكافي هي (219) رواية، وكان من بينها ما يقرُب من (30) رواية في إثبات الصانع، ومناظرة المنكرين، وهي من أطول الروايات، وأكثرها إيراداً للحجج.

(2) [الكليني: الكافي، التوحيد/ حدوث العالم، وإثبات المحدث، 72/1].

(3) انظر: المازندراني شرح أصول الكافي (ج1/3).

(4) وهذا قد مرّ تفصيله، انظر: ص67.

2-دعوة الرسل والأولياء كانت لإثبات الربوبية:

إنَّ مهمة الرسل كما يرى الكليني هو إثبات وجود الله تعالى، وأنَّه الخالق والمدبر، ولبيان دلائل وشواهد وجوده تعالى،[1] والكليني لا يُدرج التوحيد العملي ضمن أقسام التوحيد،[2] فعلى ذلك تكون مهمة الرسل إثبات وجود الصانع، وتقرير بعض أفعاله، ونفي الصفات عنه، وكذلك الأئمة مهمتهم في التوحيد كانت مُنصبَّة لإثبات الصانع، والرد على الزنادقة، والتعريف ببعض أفعال الله تعالى، وبخاصة الخلق والاختراع،[3] وقد ذكر الكليني خطبة مشهورة لعلي رضي الله عنه ذكر فيها دلائل وشواهد ربوبية الله تعالى،[4] وقال الكليني معقباً عليها: "وهي كافية لمن طلب التوحيد، إذا تدبرها وفهم ما فيها،"[5] وقال عنها الكليني إنَّها كافية في التوحيد؛ لأنَّ الغاية في التوحيد هو إثبات الصانع ووحدته، وقد تضمنت تلك الرواية كثيراً من الأدلة على ذلك، والرد على المنكرين.

3- تفسيره لكلمة التوحيد بأنَّ المراد منها الإقرار بوجود الله تعالى:

ذكر الكليني في بعض رواياته معني كلمة التوحيد، ومنها ما نسبه لأبي الحسن رضي الله عنه قال: سألته عن أدنى المعرفة، فقال: "الإقرار بأنَّه لا إله غيره، ولا شبه له، ولا نظير، وأنَّه قديم، مثبت، موجود، غير فقيد، وأنَّه ليس كمثله شيء،"[6] والمقصود بأدنى المعرفة هي ما يصير بها المرء مسلماً، والرواية تتضمن تفسير كلمة التوحيد، ومعناها الإقرار بوجود ذات الخالق، وقوله: "لا إله غيره،" للدلالة على نفي الشريك المُوجب للتوحيد المطلق، وأنَّه قديم، إذ لو كان حادثاً لكان مفتقراً إلى موجودٍ فلا يكون واجباً بالذات، ولو كان معه شيء في الأزل لمْ يجز أنْ يكون خالقاً له؛ لأنَّه لم يزل معه، فكيف يكون خالقاً له،[7] وعند تفسير كلمة التوحيد لمْ يتم التطرق إلى

---

(1) انظر: الكليني، مقدمة الكافي (ج6/1).

(2) كما سيأتي بيان ذلك، انظر: ص228.

(3) انظر: [الكليني: الكافي، التوحيد/ حدوث العالم واثبات المحدث، 172-81: ح1،ح2،ح3،ح4].

(4) [المصدر السابق، التوحيد/ جوامع التوحيد، 134/1،135: ح1]

(5) [المصدر نفسه ، التوحيد/ جوامع التوحيد، 136/1]

(6) [المصدر نفسه ، التوحيد/ أدنى المعرفة، 86/1: ح1].

(7) المازندراني، شرح أصول الكافي، بتصرف (ج90/3)، وانظر: الصدوق، عيون أخبار الرضا (ج107/1).

توحيد الإلهية مطلقاً، وحتى في "باب المعبود"[1] الذي كان واجباً أنْ يُورد فيه أهمية العبادة لم يذكرها مطلقاً، بل ذكر كلاماً فلسفياً لا معنى له، ولا طائل من ورائه.

4-أكثر وجوه الكفر تكون في الربوبية:

إنَّ الروايات في ذكر الكفر وأنواعه كان أكثرها يدور حول إنكار الربوبية، ومثال ذلك أنَّ الكليني أورد عن الزبيري أنَّه قال لأبي عبد الله رحمه الله: "أخبرني عن وجوه الكفر في كتاب الله تعالى قال: الكفر في كتاب الله على خمسة أوجه: فمنها كفر الجحود، -والجحود على وجهين-، والكفر بترك ما أمر الله تعالى، وكفر البراءة، وكفر النعم، فأما كفر الجحود فهو الجحود بالربوبية، وهو قول من يقول: لا رب، ولا جنة، ولا نار، وهو قول صنفين من الزنادقة يُقال لهم: الدهرية، وهم الذين يقولون: ﴿وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ [الجاثية:24]،وهو دين وضعوه لأنفسهم بالاستحسان على غير تثبُّت منهم، ولا تحقيق لشيءٍ مما يقولون، قال الله تعالى: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [الجاثية:24]، إنَّ ذلك كما يقولون، وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة:6]،يعني بتوحيد الله تعالى، فهذا أحد وجوه الكفر، وأما الوجه الآخر من الجحود على معرفة، وهو أنْ يجحد الجاحد وهو يعلم أنَّه حق، قد استقرَّ عنده، وقد قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ [النمل:14]،"[2] فأنواع الكفر في التوحيد الواردة في الرواية هي على ثلاثة أنواع: اثنان منها في توحيد الربوبية، وهو كفر الجحود بنوعيه، وأما كفر البراءة هو الذي يكون بين البشر حينما يتبرأ المؤمنين من الكافرين، وهذا من الإيمان، وأما كفر النعم فهو الذي يكون بعدم شكرها، وهذان النوعان ليس لهما علاقة بالتوحيد، وشُرّاح الكافي جعلوا الكفر مقصوراً على من أنكر ربوبية الله تعالى، ولم يجعلوا ترك أوامر الله تعالى كفراً، قال الشعراني: "والثلاثة الأخيرة منها غير الكفر المصطلح عنه المتشرّعة المتأخرين، إذ ليس كافر النعمة، ولا مرتكب الكبائر كافراً عندهم، والكفر بالمشركين وأعمالهم بمعنى البراءة منهم هو عين الإيمان، والكفر الذي يوافق اصطلاحهم هو

---

(1) [الكليني: الكافي، التوحيد/المعبود، 87/1].

(2) [المصدر السابق، الإيمان والكفر/ وجوه الكفر، 389/2،390: ح1].

المعنى الأول والثاني، أي كفر الجحود بوجهيه،"[1] فعلى هذا الاعتبار يكون الشرك مقتصراً على إنكار الصانع.

الرد على الكليني في جعله اعتقاد وجود الله تعالى وربوبيته أساس الدين:

1-إنَّ الاعتقاد بأنَّ أصل الدين هو الاعتراف بوجود الله تعالى وربوبيته مخالف للقرآن؛ فقد عُرض توحيد الربوبية في القرآن الكريم على أنَّه أمر مُسلَّم به،[2] تقرُّ به جميع المخلوقات، ولعل من أبرز الأمثلة قصة الهدهد مع سليمان عليه السلام؛ فقد ورد قوله في القرآن: **﴿أَلَّا يَسْجُدُوا للهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ (٣٦) اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾** [النمل:25،26]، فهذا كلام الهدهد وهو "عديم العقل، وقد خاطب سليمان عليه السلام بأعظم التوحيد، وأعلمه بذلك،"[3] وليس الأمر مقصوراً على الهدهد، بل إنَّ كل مَنْ في السموات الأرض يسبح بحمد الله تعالى، قال سبحانه وتعالى: **﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾** [الإسراء:44]، ولكن الشيعة كما قال تعالى: **﴿كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾** [الأعراف:197].

2-إنَّ ربوبية الله تعالى معلومة ضرورةً عند كل البشر، حتى المشركون كانوا مقرِّين بربوبية الله تعالى، والأدلة على ذلك كثيرة، **وهي على أنواع، ومنها:**

أ- قوله تعالى: **﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾** [العنكبوت:61]، وقد ورد إقرار المشركين بربوبية الله تعالى في ستة مواضع في القرآن الكريم،[4] فلم يكن معتقد المشركين في الأصنام أنَّها مشاركة لله تعالى في الخلق والتدبير،[5] بل قد أقروا أنَّ الله تعالى وحده هو الخالق.

---

(1) انظر: الشعراني، تعليقاً على شرح أصول الكافي للمازندراني (ج67/10).

(2) انظر: الغامدي، البيهقي وموقفه من الإلهيات (ص99).

(3) ابن تيمية، مجموع الرسائل الكبرى (ج344/2).

(4) انظر: [العنكبوت:63]، [لقمان:25]، [الزمر:38]، [الزخرف:9]، [الزخرف:87].

(5) انظر: ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية (ج31/1).

ب- إنَّ الله تعالى أخبر عن حال الكفار في الأمم السالفة، وأنَّهم كانوا مقرِّين بالله تعالى، كما أخبر الله تعالى عن التسعة رهط من قوم صالح عليه السلام، الذين تحالفوا بالله تعالى على قتل نبيهم وأهله،(1) قال الله تعالى عنهم: ﴿قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾[النمل:49]، فهؤلاء المفسدون المشركون تحالفوا على قتل نبيهم وأهله، وتقاسموا بالله تعالى، وهذا يدلُّ على أنَّهم كانوا مقرِّين بوجوده تعالى.(2)

ج- إنَّ أول دعوة للأنبياء عليهم السلام لأقوامهم كانت لعبادة الله عزَّ وجلَّ، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء:25]، فلو لمْ يكونوا مقرِّين بوجود الله تعالى لَكانَ من العبث أنْ يدعوا الرسل أقوامهم إلى عبادة الله تعالى وهم لا يعرفونه، ولرد أقوامهم عليهم نحن لا نعرف الله الذي تدعوننا لنؤمن به.(3)

د-إنَّ الله تعالى أخبر عن بعض عبادات المشركين التي يشركون فيها أوثانهم مع الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الأنعام:136]، فالمشركون كانوا يجعلون من حروثهم وأنعامهم وسائر أموالهم نصيباً لله تعالى، ونصيباً للأوثان، فما جعلوه لله صرفوه إلى الضيفان والمساكين،(4) فهذا يدلُّ على أنَّهم يقرُّون بالصانع، ولكنهم يشركون بعبادته، وكذلك فإنَّ المشركين كانوا يحجُّون ويعتمرون، ويزعمون أنَّهم على دين الخليل عليه السلام،(5) وكانوا يقولون في طوافهم: لبيك لا شريك لك إلا شريكاً تملكه وما ملك،(6)

---

(1) انظر: الطبري، جامع البيان (ج477/19).

(2) انظر: المصدر السابق (ج33/1).

(3) انظر: الموسوعة العقدية- الدرر السنية: (ج184/1)، بترقيم الشاملة آلياً.

(4) انظر: البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن (ج162/2).

(5) انظر: ابن عبد الوهاب، الدرر السنية في الأجوبة النجدية (ج28/2).

(6) الأزهري، حاشية الجمل على شرح المنهج، بتصرف (ج417/2).

وكانوا يُحرِّمون الأشهر الحرم، وقصة عبد المطلب مشهورة لما قابل أبرهة وقال له: أنا رب الإبل وللبيت رب يحميه.[1]

هـ-ومما يدلُّ على إقرارهم بالله تعالى ما هو مبثوث في ثنايا أشعارهم في الجاهلية؛ فإنَّ فيها أقوالاً تدل على إقرارهم بالله تعالى، ومن ذلك قول عنترة:

يا عبلَ أينَ من المنيَّةِ مهربي ... إنْ كان ربِّي في السَّماءِ قضاها[2].

وكذلك قول زهير ابن أبي سلمى:

فلا تكتُمُنَّ الله ما في نفوسكم... ليخفى ومهما يُكْتمِ الله يعلمِ

يُؤَخر فَيُوضَعْ في كتاب فَيُدَّخرْ... ليوم الحساب أو يُعَجَّلْ فينقم.[3]

فهذه بعض الأمثلة التي لا يبقى معها شك أنَّ الكفار كانوا مقرِّين بوجود الله تعالى، فأيُّ حاجةٍ بعد ذلك للخوض في أمر واضح وضوح الشمس في رابعة النهار، قال تعالى: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾ [يونس:32].

3-إنَّ قولهم بأنَّ معرفة الله تعالى نظرية لا يصح؛ لأنَّه لا بدَّ للعلوم النظرية من علوم أولية تنتهي إليها، ولولا هذه العلوم الفطرية لما قام نظر ولا استدلال،[4] وإنَّ العلم كلما كان الناس أحوج إليه كانت أدلته أظهر،[5] وأعظم حاجة للبشرية معرفة خالقها، والاهتداء إليه.

4- إنَّ الله تبارك وتعالى لم يقبل من المشركين مجرد اعتقادهم أنَّ الله تعالى هو الخالق والمدبر،[6] بل كانت الدعوة لتوحيد الألوهية، فلو لمْ تكن معرفة الله تعالى فطرية، لَمَا أقرَّ بها المشركون، ولو كان مجرد الإقرار بها كافياً لقُبل ذلك من المشركين.

---

(1) القيسي، الهداية إلى بلوغ النهاية (ج8440/12)، الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (ج794/4).

(2) البغدادي، منتهى الطلب من أشعار العرب (ج49/1).

(3) الشيباني، شرح المعلقات التسع (ج199/1)، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (ج106/11).

(4) انظر: نور، منهج أهل السنة والجماعة والأشاعرة في توحيد الله تعالى (ص278).

(5) انظر: ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية (ج35/1).

(6) انظر: ابن عبد الوهاب، الدرر السنية في الأجوبة النجدية (ج28/2).

الباب الثاني

توحيد الألوهية بين البخاري والكُلَيني

الفصل الأول

معنى توحيد الألوهية بين البخاري والكُلَيني

المبحث الأول

معنى توحيد الألوهية بين البخاري والكُلَيني

المطلب الأول

معنى توحيد الألوهية عند أهل السنة والجماعة

أولاً: معنى الإله والألوهية لغة:

الهمزة واللام والهاء أصل واحد، يدلُّ على التعبُّد،[1] ولفظ الجلالة "الله" أصله "إله،" على فِعال بمعنى مفعول، وهو مألوه أي معبود، وسُمِّيت الأصنام آلهة؛ لاعتقادهم أنَّ العبادة تحقُّ لها، وأسماؤهم تتبع اعتقاداتهم، لا ما عليه الشيء في نفسه،[2] وأما الألوهية فهي مصدر أَلِه يَأْلَه، أي عَبَدَ عبادة، والتألُّه التعبُّد والتنسُّك، والتأليه التعبيد، ومنها قوله تعالى: ﴿وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ﴾ [الأعراف:127]،-بكسر الهمزة فيها[3]- أي يذرك وعبادتك.[4]

ثانياً: معنى كلمة الله والألوهية شرعاً:

لفظ الجلالة "الله" عَلَم على الرب تعالى، وهو يدلُّ على ذاته تعالى، وعلى صفة الألوهية، ولا يُطلق على غيره، وهو متضمن لجميع معاني الأسماء الحسنى، وجميع صفات الكمال،[5] ويدلُّ على أنَّه مألوه معبود، تأْلَهه الخلائق محبةً وتعظيماً وخضوعاً وفزعاً إليه في الحوائج والنوائب،[6] والألوهية هي صفة لله تعالى، تعني استحقاقه تعالى للعبادة.[7]

---

(1) انظر: ابن فارس، مقاييس اللغة (ج127/1).

(2) انظر: الجوهري، الصحاح (ج2224/6)، ابن فارس، مقاييس اللغة (ج127/1).

(3) وهي قراءة شاذة في الآية.

(4) انظر: اليمني، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم (ج100/3).

(5) انظر: ابن حجر، فتح الباري (ج347/17)، السفاريني، لوامع الأنوار البهية (ج1/ 32).

(6) انظر: ابن تيمية، العبودية (ص53)، ابن القيم، مدارج السالكين (ج1/ 56)، المؤلف نفسه، بدائع الفوائد (ج1/ 24).

(7) انظر: ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم (ج358/4)، ابن القيم، بدائع الفوائد (ج1/ 19).

ثالثاً: معنى توحيد الألوهية عند أهل السنة والجماعة:

إنَّ تعريف توحيد الألوهية مأخوذ مما دلَّت عليه النصوص الشرعية،[1] وما أشار إليه علماء السلف المتقدمين،[2] ومعناه عبادة الله تعالى وحده لا شريك له،[3] فلا يُعبد إلا الله تعالى وحده، ولا يُدعى إلا هو، ولا يُلتجأ لكشف الضر إلا إليه، ولا لجلب الخير إلا إليه، ولا يُنذر إلا له، ولا يُذبح إلا له، ولا يُتوكل إلا عليه، ولا يُخاف إلا منه سبحانه، ولا يُستعان ولا يُستغاث إلا به وحده، إلى غير ذلك من أنواع العبادة، كالرغبة والرهبة،[4] والإنابة، والخشوع، والتألُّه له، والخضوع والذلّ، والحب والافتقار.[5]

وتوحيد الألوهية له شروط وأركان لا يتحقق إلا بها،[6] ويُسمَّى توحيد الألوهية، باعتبار إضافته إلى الله تعالى، وتوحيد العبادة والعبودية باعتبار إضافته إلى الخلق، ويُطلق عليه كذلك توحيد الله تعالى بأفعال العباد، وتوحيد العمل، وتوحيد القصد والطلب.[7]

---

(1) الآيات القرآنية التي تدل على هذا التوحيد كثيرة جداً، فكل آية ذُكِرت فيها العبادة نصاً، أو ذُكِر فيها أحد أنواعها هو دليل على هذا التوحيد، ومن أمثلة ذلك: [البقرة:21]، [البقرة:83]، [يونس:104]، [النحل:114]، [الكهف:16]، [الأنبياء:25]، [النور:56]، [العنكبوت:56]، [فصلت:37]، [الزخرف:45]، [الذاريات:56]، وأما الأحاديث التي دلّت على توحيد الألوهية فسيتم ذكرها عند الحديث عن معنى توحيد الألوهية عند البخاري.

(2) انظر: ابن بطة، الإبانة الكبرى (ج864/2)، ابن منده، الإيمان (ج369/1)، الطحاوي، العقيدة الطحاوية (ج31/1).

(3) انظر: ابن تيمية، العبودية (ص53)، ابن القيم، عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين (ص46)، المؤلف نفسه، طريق الهجرتين وباب السعادتين (ص 98).

(4) انظر: ابن حميد، التوحيد وبيان العقيدة السلفية النقية (ج21/1).

(5) انظر: ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية (ص64)، الصنعاني والشوكاني، تطهير الاعتقاد من أدران الإلحاد (ج50/1)، السفاريني، لوامع الأنوار البهية (ج129/1)، السعدي، القول السديد شرح كتاب التوحيد (ج19/1).

(6) لمعرفة شروط توحيد الألوهية وأركانه، انظر: الحكمي، معارج القبول (ج419/2-421)، الأشقر، العقيدة في الله (ص257-259).

(7) انظر: ابن عثيمين، شرح العقيدة الواسطية (ج24/1).

المطلب الثاني

معنى توحيد الألوهية عند البخاري

ذكر الإمام البخاري في صحيحه معنى توحيد الألوهية في مواضع كثيرة جداً من صحيحه، وذكر آيات وأحاديث في بيان شروطه وأركانه وبيَّن أهميته، فالمراد من كلمة التوحيد[1] هو توحيد الله تعالى في ألوهيته، وهو الغاية من خلق الخلق، وهو دعوة الرسل، وسبب ضلال الأمم لتفريطهم فيه، وذكر البخاري كذلك العبادة وأركانها، وأنَّها داخلة في مسمَّى الإيمان، وذكر الأمثلة التي ضربها الله تعالى لمن حقّق له العبودية، في مقابل من أشرك فيها، **وتفصيل هذه النقاط على النحو التالي:**

1- تفسيره كلمة التوحيد بتوحيد الألوهية:

ورد معنى كلمة التوحيد في صحيح البخاري، وهي تُفهم من دلالة مجموع الأحاديث التي تبين أنَّ "الدين كله داخل في العبادة،"[2] فالدين إيمان وإسلام وإحسان، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: «**كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَارِزًا يَوْمًا لِلنَّاسِ، فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ: مَا الإِيمَانُ؟، قَالَ: الإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَبِلِقَائِهِ، وَرُسُلِهِ وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ، قَالَ: مَا الإِسْلاَمُ؟، قَالَ: الإِسْلاَمُ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ، وَلاَ تُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمَ الصَّلاَةَ، وَتُؤَدِّيَ الزَّكَاةَ المَفْرُوضَةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، قَالَ: مَا الإِحْسَانُ؟، قَالَ: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ، قَالَ: مَتَى السَّاعَةُ؟، قَالَ: مَا المَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ، وَسَأُخْبِرُكَ عَنْ أَشْرَاطِهَا: إِذَا وَلَدَتِ الأَمَةُ رَبَّهَا، وَإِذَا تَطَاوَلَ رُعَاةُ الإِبِلِ البُهْمُ فِي البُنْيَانِ، فِي خَمْسٍ لاَ يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ، ثُمَّ تَلاَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾** [لقمان:**34**] **الآيَةَ، ثُمَّ أَدْبَرَ فَقَالَ: رُدُّوهُ، فَلَمْ يَرَوْا شَيْئًا، فَقَالَ: هَذَا جِبْرِيلُ جَاءَ يُعَلِّمُ النَّاسَ**

---

(1) إنَّ كلمة التوحيد عند أهل السنة والجماعة تعني نفي الإلهية عمَّا سوى الله تعالى، وإثباتها له تعالى بوصف الاختصاص، فمعنى "لا إله إلا الله" أي لا معبود بحق إلا الله تعالى، والإله هو المعبود المطاع، والمألوه هو الذي يستحق أن يُعبد، وكونه يستحق أن يُعبد لما اتصف به من الصفات التي تستلزم أن يُعبد، انظر: ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم (ج387/2)، ابن القيم، بدائع الفوائد (ج58/3).

(2) ابن تيمية، العبودية (ص47).

دِيــنَهُمْ،»[1] وكـل مـا ذكـره النبـي صـلى الله عليـه وسـلم داخـل فـي مُسـمَّى العبـادة، فهـي اسـم جـامع لكـل مـا شـرعه الله تعـالى مـن الأقـوال والأعمـال الباطنـة والظـاهرة،[2] ومـن أوضـح الأدلـة كـذلك علـى أنَّ مضـمون كلمـة التوحيـد هـو توحيـد الألوهيـة، أنَّ النبـي صـلى الله عليـه وسـلم كانـت أول دعوتـه إلـى توحيـد الله تعـالى، فعـن ابـن عبـاس رضـي الله عنـه قـال: «**لَمَّـا بَعَـثَ النَّبِـيُّ صَـلَّى اللهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ مُعَـاذَ بْـنَ جَبَـلٍ إِلَـى نَحْـوِ أَهْـلِ الـيَمَنِ قَـالَ لَـهُ: إِنَّـكَ تَقْـدَمُ عَلَـى قَـوْمٍ مِـنْ أَهْـلِ الكِتَـابِ، فَلْـيَكُنْ أَوَّلَ مَـا تَـدْعُوهُمْ إِلَـى أَنْ يُوَحِّـدُوا اللَّـهَ تَعَـالَى،»**[3] فـالمرء لا يصـير مسـلماً إلا بشـهادة التوحيـد، ومـن المعلـوم أنَّ مجـرد الإقـرار بوحـدة الخـالق لا يصـير بهـا المـرء مسـلماً، بـل لا بـدَّ أنْ يكـون الإقـرار لمجـامع التوحيـد الاعتقـادي كلهـا، كإثبـات العبوديـة لله تعـالى، وصـدق المعرفـة، ومـا يجـب مـن إثبـات الأحديـة لله تعـالى المنافيـة لمطلـق الشـركة، والصـمدية المثبتـة لـه تعـالى جميـع صـفات الكمـال، ونفـي الكفـء المتضـمن لنفـي الشـبيه والنظيـر،[4] ومـا ذُكـر مـن شـروط لكلمـة التوحيـد مـن المحبـة والإخـلاص والانقيـاد وغيرهـا تُوجـب أنَّ المـراد بهـا توحيـد العبـادة لله تعـالى؛ إذ لـو لـم يتحقـق ذلـك فـي المرء فإنَّـه لا يـدخل فـي الإسـلام؛ لأنَّـه لـم يُثْبِـت الإلهيـة لله تعالى.

2-الأحاديث التي تدلّ على شروط توحيد الألوهية في صحيح البخاري:

إنَّ كلمــة التوحيــد تعنــي أنَّــه لا معبــود بحــقٍ إلا الله تعــالى، وهــو معنــى توحيــد الألوهيـة، وهـذه الكلمـة لا بـدَّ لهـا مـن شـروط كـي تتحقـق، وهـذه الشـروط مـأخوذة مـن دلالـة الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة، **وهي:**

أ-العلم:[5]

وهـو أنْ يعلـم العبـد أنَّ الله عـزَّ وجـل هـو المعبـود وحـده، وأنَّ عبـادة غيـره باطلـة، وأنْ يعمـل بمقتضــى ذلـك العلـم، وتـأتي أهميـة هـذا الشـرط مـن جهـة كونـه يتقـدم العمـل

---

(1) [البخـاري: صـحيح البخـاري، الإيمـان/ سـؤال جبريـل النبـي صـلى الله عليـه وسـلم عـن الإيمـان، والإسلام والإحسان وعلم الساعة، وبيان النبي صلى الله عليه وسلم، ص15: ح50].

(2) ابن تيمية، العبودية، بتصرف (ص44).

(3) [البخـاري: صـحيح البخـاري، التوحيـد/ مـا جـاء فـي دعـاء النبـي صـلى الله عليـه وسـلم أمتـه إلـى توحيد الله تبارك وتعالى، ص1236: ح7372].

(4) ابن حجر، فتح الباري، بتصرف (61/9).

(5) انظر: الحكمي، معارج القبول (ج419/2)، الأشقر، العقيدة في الله (ص257)

بالتوحيد، فالعلم هو لازم التوحيد،[1] وقد أورد البخاري: "باب العلم قبل القول والعمل،"[2] والغاية من هذا الباب بيان أنَّ العلم شرط في صحة القول والعمل، فهما لا يعتبران إلا به؛ ولذلك يجب أن يتقدم على القول والعمل، والعلم هو المُصحِّح للنية التي لا يصح العمل إلا إذا صحَّت، وغاية الباب كذلك بيان مكانة العلم، فهناك من ظنَّ أنَّ القول بعدم نفع العلم إلا بالعمل هو تهوين لأمر العلم، والتساهل في طلبه،[3] ودليل هذا الشرط قوله تعالى: ﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزُّخرف:86]، والمقصود بشهادة الحق كلمة التوحيد، وأنَّها تنفعهم في حال كونهم علموا بقلوبهم ما شهدوه بألسنتهم، فشهادة التوحيد يجب أن تكون على علمٍ وبصيرةٍ.[4]

وقد استدلَّ الإمام البخاري على هذا الشرط، بقوله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ [محمد:19]،[5] ووجه الدلالة أنَّ الله تعالى بدأ بالعلم، وهو قوله تعالى: "فاعلم،" ثم ثنّى بالعمل "واستغفر،" والله تعالى أخبر عن الكفار أنَّ سبب عذابهم أنَّهم ليسوا من أهل العلم، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [الملك:10]،[6] والمعنى أنَّه لو كنَّا نسمع سمع من يَعِي ويفهم، أو نعقل عقل من يُميِّز لما كنَّا من أصحاب النار، أي لو كنا من أهل العلم لعلمنا ما يجب علينا، فعملنا به.[7]

---

(1) انظر: الحكمي، معارج القبول (ج419/2).

(2) [البخاري: صحيح البخاري: العلم/ العلم قبل القول والعمل، ص19].

(3) انظر: ابن حجر، فتح الباري (ج160/1).

(4) انظر: الطبري، جامع البيان (ج655/21)، البغوي، معالم التنزيل (ج350/7)، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج243/7).

(5) انظر: [البخاري: صحيح البخاري، العلم/ العلم قبل القول والعمل، ص19]

(6) انظر: [المصدر السابق، العلم/ العلم قبل القول والعمل، ص19].

(7) انظر: ابن حجر، فتح الباري (ج1/ 160).

ب- اليقين:[1]

وهو أنْ يقول كلمة التوحيد مُوقناً ومعتقداً بإلهية الله تعالى اعتقاداً جازماً، بحيث ينتفي معه كل شكٍ أو ريبٍ، والنبي صلى الله عليه وسلم أخبر أنَّ من ينجو من فتنة القبر من كان موقناً بمضمون الشهادتين، قال صلى الله عليه وسلم: «**مَا مِنْ شَيْءٍ لَمْ أَكُنْ أُرِيتُهُ إِلَّا رَأَيْتُهُ فِي مَقَامِي، حَتَّى الجَنَّةُ وَالنَّارُ، فَأُوحِيَ إِلَيَّ: أَنَّكُمْ تُفْتَنُونَ فِي قُبُورِكُمْ مِثْلَ أَوْ قَرِيبَ -لاَ أَدْرِي أَيَّ ذَلِكَ قَالَتْ أَسْمَاءُ - مِنْ فِتْنَةِ المَسِيحِ الدَّجَّالِ، يُقَالُ مَا عِلْمُكَ بِهَذَا الرَّجُلِ؟ فَأَمَّا المُؤْمِنُ أَوِ المُوقِنُ - لاَ أَدْرِي بِأَيِّهِمَا قَالَتْ أَسْمَاءُ - فَيَقُولُ: هُوَ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، جَاءَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَالهُدَى، فَأَجَبْنَا وَاتَّبَعْنَا، هُوَ مُحَمَّدٌ ثَلاَثًا، فَيُقَالُ: نَمْ صَالِحًا قَدْ عَلِمْنَا إِنْ كُنْتَ لَمُوقِنًا بِهِ. وَأَمَّا المُنَافِقُ أَوِ المُرْتَابُ -لاَ أَدْرِي أَيَّ ذَلِكَ قَالَتْ أَسْمَاءُ- فَيَقُولُ: لاَ أَدْرِي، سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فَقُلْتُهُ**»[2] والمعنى أنَّ هذه الكلمات تنفع من قالها موقناً بها، أي مخلصاً من قلبه، مصدقاً بثوابها،[3] ودليل هذا الشرط من كتاب الله تعالى: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ**﴾ [الحجرات:15]، أي لم يشكُّوا في وحدانية الله تعالى، وعملوا بما وجب عليهم من فرائض الله تعالى، بغير شكٍ منهم في وجوب ذلك عليهم،[4] فاشترط في صدق إيمانهم بالله تعالى ورسوله كونهم لم يشكوا،[5] وهذا معنى اليقين.

ج-الصدق المانع من النفاق:[6]

إنَّ شهادة التوحيد لا تنفع من قالها بلسانه وأنكرها بقلبه؛ ولذلك فإنَّه يُبتدأ بشهادة القلب، ثم يُثنّى بشهادة اللسان، فالإقرار يجب أنَّ يكون بإخلاص الشهادة، وليس كما شهد المنافقون،[7] وقد استدلَّ البخاري على كفر المنافقين بسبب كفرهم

---

(1) انظر: الحكمي، معارج القبول (ج419/2).

(2) [البخاري: صحيح البخاري، العلم/ من أجاب الفتيا بإشارة اليد والرأس، ص22: ح86].

(3) انظر: ابن حجر، فتح الباري (ج11/ 100).

(4) انظر: الطبري، جامع البيان (22/ 318)، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج390/7).

(5) انظر: الحكمي، معارج القبول (ج419/2)، الأشقر، العقيدة في الله (ص257).

(6) انظر: الحكمي، معارج القبول (ج420/2).

(7) انظر: المروزي، تعظيم قدر الصلاة (ج707/2).

الاعتقادي بقوله تعالى: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللهُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾ [النساء:88]،[1] والمعنى أنَّ الله تعالى يردُّ المنافقين إلى الكفر جزاءً لما أضمروه في قلوبهم من النفاق والتكذيب،[2] فالمنافقون مترددون، لا إلى المسلمين، ولا إلى الكافرين، يضطربون لا يبقون على حالة مستقيمة؛ لأنَّهم يسترون الكفر،[3] ولم يتحقق فيهم شرط الصدق؛ لذلك فإنَّ شهادة التوحيد لا تنفعهم يوم القيامة، ويقول لهم الأشهاد: ﴿هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [هود:18]،[4] فالإيمان إقرار لله بالربوبية، وخضوع لله تعالى في العبودية، وتصديق له في كل ما قال وأمر ونهى، والشاكّ في شيءٍ من ذلك فهو كافر.[5]

د-القبول:[6]

وهو أنْ يقبل المسلم ما تقتضيه كلمة التوحيد من لوازمٍ حتى ينتفع بثمارها، وقد أورد البخاري في بيان هذا الشرط قول النبي صلى الله عليه وسلم: «**مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الهُدَى وَالعِلْمِ، كَمَثَلِ الغَيْثِ الكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ، قَبِلَتِ المَاءَ، فَأَنْبَتَتِ الكَلأَ وَالعُشْبَ الكَثِيرَ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ، أَمْسَكَتِ المَاءَ، فَنَفَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ، فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةً أُخْرَى، إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ[7] لاَ تُمْسِكُ مَاءً وَلاَ تُنْبِتُ كَلأً، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللَّهِ، وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ**

---

(1) انظر: [البخاري: صحيح البخاري، تفسير القرآن/ قوله تعالى: ﴿هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [هود:18]، ص765].

(2) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج307/5).

(3) انظر: البغوي، شرح السنة (ج71/1).

(4) انظر: [البخاري: صحيح البخاري، تفسير القرآن/ قول الله تعالى: ﴿وَيَقُولُ الأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [هود:18] ، ص786].

(5) انظر: ابن بطة، الإبانة الكبرى (ج864/2).

(6) انظر: الحكمي، معارج القبول (ج420/2).

(7) القيعان جمع القاع وهو الأرض التي طينتها حرة وتنبت السدر، الحربي، غريب الحديث (ج58/1)، الهروي، تهذيب اللغة (ج23/3).

فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ،»[1] والهدى هو الدلالة الموصلة، والعلم هو معرفة الأدلة الشرعية، والذي قَبِل الهدى والعلم هو العالم المعلم، وهو بمنزلة الأرض الطيبة، شربت فانتفعت في نفسها، وأنبتت فنفعت، وأمَّا من أعرض فلم ينتفع، ولم ينفع، وهو من لم يدخل في الدين أصلاً، بل بلغه الهدى فاستكبر، ومثالها من الأرض الصماء الملساء المستوية التي لا تقبل الماء، ولا تنبت،[2] وهؤلاء هم الذين قال الله تعالى عنهم: ﴿**وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ**﴾ [المنافقون:5]،[3] وجملة "وهم مستكبرون،" بُنيت على الاسمية للدلالة على تمكُّن الاستكبار منهم؛[4] لأنَّ دلائل الحق ظاهرة واضحة تقتضي اتباعه، وآيات الطاعة والتسليم هي من معاني الانقياد والقبول.

هـ -الإخلاص:[5]

وهو تصفية العمل بالنية الصالحة عن جميع شوائب الشرك،[6] وألاَّ يكون من وراء الشهادتين غرض دنيوي، وإنَّما الغاية وجه الله تعالى، قال عزَّ وجلَّ: ﴿**إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الكِتَابَ بِالحَقِّ فَاعْبُدِ اللهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ أَلَا للهِ الدِّينُ الخَالِصُ**﴾ [الزُّمر:2،3]، فذكر في الآية الإخلاص العام بعد الإخلاص الخاص وموردهما واحد؛ ولذا كانت الآية الثانية في معنى التعليل، واللام في لفظ الجلالة "لله" للملك، الذي هو بمعنى الاستحقاق، أي لا يَحُقُّ الدين الخالص إلا لله تعالى، وهي الطاعة غير المشوبة بشوائب الشرك، فقوله: "**لله الدين الخالص**" فيه تقديم للمسند لإفادة الاختصاص، أي أنَّ الله تعالى مستحقه ومختصّ به،[7] ولهذا فكلمة التوحيد لا تنفع إلا من كان محقّقاً للإخلاص، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّه قال: «**قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ أَسْعَدُ**

---

(1) [البخاري: صحيح البخاري، العلم/ فضل من علم وعلم، ص21: ح79].

(2) انظر: ابن حجر، فتح الباري (ج1/ 176).

(3) [البخاري: صحيح البخاري، تفسير القرآن/ قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾ [المنافقون:5]، ص 839].

(4) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج128/14).

(5) انظر: الأشقر، العقيدة في الله (ص258).

(6) الموسوعة العقدية- الدرر السنية، بتصرف (266/1)، بترقيم الشاملة آلياً.

(7) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج317/23).

النَّـاسِ بِشَـفَاعَتِكَ يَـوْمَ القِيَامَـةِ؟ قَـالَ رَسُـولُ اللَّـهِ صَـلَّى اللهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ: لَقَـدْ ظَنَنْـتُ يَـا أَبَـا هُرَيْـرَةَ أَنْ لاَ يَسْـأَلُنِي عَـنْ هَـذَا الحَـدِيثِ أَحَـدٌ أَوَّلُ مِنْـكَ لِمَـا رَأَيْـتُ مِـنْ حِرْصِـكَ عَلَـى الحَـدِيثِ أَسْـعَدُ النَّـاسِ بِشَـفَاعَتِي يَـوْمَ القِيَامَـةِ، مَـنْ قَـالَ لاَ إِلَـهَ إِلَّا اللَّـهُ، خَالِصًـا مِـنْ قَلْبِـهِ، أَوْ نَفْسِـــهِ،»[1] فشـهادة التوحيـد لا تنفـع إلا مـن كـان مخلصـاً فيهـا؛ لأنَّـه لا يُقبـل مـن العمل إلا ما كان له خالصاً، وابتُغي به وجه الله تعالى.[2]

3-الأمثلة المضروبة في بيان توحيد الألوهية في صحيح البخاري:

إنَّ أسـاليب الدلالـة علـى توحيـد الألوهيـة كثيـرة جداً فـي صـحيح البخـاري، ومنهـا ضـرب الأمثلـة، ولقـد ضـرب الله تعـالى الأمثـال للنـاس فـي مسـائل أصـول الـدين لتقريرهـا فـي أذهـانهم، وقـد أورد الإمـام البخـاري رحمـه الله بعـض مـا ضـربه الله تعـالى مـن أمثلـةٍ لتقريـر توحيـد الألوهيـة،[3] ومنهـا قولـه تعـالى: ﴿ضَرَبَ اللهُ مَـثَلًا عَبْـدًا مَمْلُوكًـا لَا يَقْـدِرُ عَـلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الحَمْدُ للهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُـــونَ﴾ [النحـــل:75]،[4] والمثـل المضـروب هـو لبيـان حـال أهـل الشـرك، وحـال أهـل التوحيـد، فـالمراد بالعبـد المملـوك الـذي لا يقـدر علـى شـيء هـو الكـافر، فإنَّـه بقـي محرومـاً عـن عبوديـة الله تعـالى، وعـن طاعتـه، فصـار كالعبـد الـذليل الفقيـر، والمـراد بقولـه تعـالى: ﴿وَمَـــنْ رَزَقْنَـــاهُ مِنَّـــا رِزْقًـــا حَسَـــنًا﴾، هـو المـؤمن الـذي مـنَّ الله تعـالى عليـه بالتوحيـد، فإنَّـه مشـتغل بـالتعظيم لأمـر الله تعـالى، فبـيَّن الله تعـالى أنَّهمـا لا يسـتويان فـي المرتبـة والشـرف والقرب من رضوان الله تعالى.[5]

---

(1) [البخاري: صحيح البخاري، العلم/ الحرص على الحديث، ص24: ح99].

(2) انظر: ابن حجر، فتح الباري (ج28/6).

(3) انظـر: [البخـاري: صـحيح البخـاري، تفسـير القـرآن/ قولـه: ﴿وَمَـــا أَنَـــا مِـــنَ الْمُتَكَلِّفِـــينَ﴾ [ص86]، ص820].

(4) انظـر: [المصـدر السـابق، النفقـات/ ﴿وَعَـــلَى الـــوَارِثِ مِثْـــلُ ذَلِـــكَ﴾ [البقـــرة:233]، وهـل علـى المـرأة منه شيء؟، ص924].

(5) انظـر: الطبـري، جـامع البيـان (ج260/17)، الـرازي، التفسـير الكبيـر (ج246/20)، ابـن عاشـور، التحرير والتنوير (ج23/ 399).

4- الأحاديث التي ذُكرت فيها العبادة، ومكانتها، وأركانها:

إنَّ توحيد الألوهية إفراد الله تعالى بأفعال المكلفين، والعبادات لها أركان وشروط لا تتحقق إلا بها، والأحاديث في بيان أهميتها وأركانها وشروطها في صحيح البخاري أكثر من أن تُحصى، فقد ذكر رحمه الله أبواباً في بيان أنَّ العمل من الإيمان، وذكر حكم من ترك العمل،[1] وذكر أحاديث في بيان ركني العبادة، وهما كمال المحبة، وكمال الذل، فالعابد محب خاضع، بخلاف من يحب ولا يخضع، بل يحبه ليتوسل به إلى محبوبٍ آخرٍ، وبخلاف من يخضع لمن لا يحبه كما يخضع للظالم، فإنَّ كلاً من هذين ليس له عبادة محضة،[2] **وتفصيل هذين الركنين على النحو التالي:**

أ- كمال الخضوع والذلّ لله تعالى:

كلما كان الذلّ لله تعالى، والخضوع له وحده، كانت العبادة أكمل وأتمّ، فالعبد يذلّ لله تعالى خوفاً وخشيةً، ومحبةً وإنابةً، وطاعةً وفقراً وفاقةً،[3] والأحاديث في ذلك كثيرة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ في ظله....ورَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ**،»[4] فالبكاء من خشية الله تعالى هو سمة الصالحين، ودليل على حياة القلب بسبب الخوف من الله تعالى.

ب-كمال المحبة:

التعبُّد هو آخر مراتب الحب، يُقال: عبَّده الحب وتيَّمه إذا ملكه، والتعبُّد يدلُّ على كمال الحب، فأعلى مراتب المحبة التألُّه والتعبُّد،[5] وهذه المرتبة ذكرت صراحةً في أحاديث كثيرة، ومنها ما رواه البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه، عن

---

(1) انظر: [البخاري: صحيح البخاري، الإيمان/ الإيمان، وقول النبي صلى الله عليه وسلم: "بُني الإسلام على خمسٍ...،" ص8/ باب دعاؤكم إيمانكم، ص8/ تفاضل أهل الإيمان بالأعمال، ص10/ باب من قال: إنَّ الإيمان هو العمل، ص11]

(2) ابن تيمية، جامع الرسائل، بتصرف (ج284/2).

(3) انظر: ابن القيم، مدارج السالكين (ج224/1).

(4) [البخاري: صحيح البخاري، الرقاق/ البكاء من خشية الله تعالى، ص1019: ح6479].

(5) ابن القيم، مدارج السالكين، بتصرف (ج183/1).

النبـي صـلى الله عليـه وسـلم قـال: «**ثَـلاَثٌ مَـنْ كُـنَّ فِيـهِ وَجَـدَ حَـلاَوَةَ الإِيمَـانِ: أَنْ يَكُـونَ اللَّـهُ وَرَسُـولُهُ أَحَـبَّ إِلَيْـهِ مِمَّـا سِـوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِـبَّ المَـرْءَ لاَ يُحِبُّـهُ إِلَّا لِلَّـهِ، وَأَنْ يَكْـرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ**».[1]

(1) [البخاري: صحيح البخاري، الإيمان/ حلاوة الإيمان، ص9: ح16].

المطلب الثالث

معنى توحيد الألوهية عند الشيعة الإثنا عشرية

إنَّ توحيد الألوهية بمعنى إخلاص العبادات لرب العالمين لمْ يَرد في كتب علماء الشيعة الأوائل، ولا المتأخرين منهم، إلا نزعة ظهرت عند بعض المفسرين، وما ذُكر في كتب المتقدمين –عن توحيد الألوهية– كان ذكراً عرضياً، فلم يُذكر معناه بوضوحٍ، ولم تُذكر لوازمه، فمثلاً المفيد النعمان قال: "إنَّ الله عزَّ وجلَّ واحد في الإلهية والأزلية، لا يشبهه شيء، ولا يجوز أن يماثله شيء، وأنَّه فرد في المعبودية لا ثاني له فيها على الوجوه كلها والأسباب،"[1] فهنا ذكر تفرد الله تعالى بالإلهية، ولكن بمعنى نفي الشريك المماثل له سبحانه وتعالى، فقد عطف عليها أزلية الله تعالى، وجعل توحيد الإلهية من معاني أنَّ الله تعالى واحد، وقد مرَّ أنَّ معنى الواحد عند الشيعة لا يعني إفراد الله تعالى بالعبادة، وذكر تفرد الله تعالى في المعبودية ولم يجعلها من معاني الألوهية، وأمَّا باقي العلماء المتقدمين فيمكن القول: إنَّهم لم يتطرقوا لتوحيد الألوهية، ولم يعدُّوه من أقسام التوحيد،[2] وكذلك معظم المفسرين لم يذكروه ضمن أقسام التوحيد، فمثلاً: صاحب تفسير الأمثل عرَّف التوحيد: "هو وحدانية ذات اللّه تعالى، ونفي أي شبيه ومثيل له،"[3] وبعضهم جعل العبادة هي المعرفة، كناية عن أهميتها، وأنَّها مقصود العبادات، فمعرفة الله تعالى أول عبادة، وأصل توحيده معرفته.[4]

ولا تكاد تجد من علماء الشيعة من ذكر أنَّ توحيد الألوهية بمعنى استحقاق الله تعالى وحده للعبادة، إلا فيما ندر، كالذي ذكره المجلسي في ذكره للتوحيد حيث قال أنَّه: "يُطلق على معانٍ، أحدها: نفي الشريك في الإلهية، أي استحقاق العبادة، وهي أقصى غاية التذلل والخضوع، ولذلك لا يُستعمل إلا في التذلل لله تعالى؛ لأنَّه المولى لأعظم النعم بل جميعها، ولو بواسطة ووسائط، فهو المستحقُّ لأقصى الخضوع

---

(1) المفيد، أوائل المقالات (ص80).

(2) انظر: الصدوق، الاعتقادات (ص22،21)، الحلبي، تقريب المعارف (ج11/1).

(3) الشيرازي، مكارم، الأمثل في تفسير الكتاب المنزل (ج20 /555).

(4) انظر: الحراني، تحف العقول (ج1/16).

وغايتـه،"[1] فهنـا ذكـر توحيـد الإلهيـة ومقصـوده توحيـد العبـادة، ولكنـه لـم يقـرّره فـي كتابـه بشكل مفصَّل، ولم يذكر شروطه ولوازمه، ولم يبين أهمية العبادة.

ومعتقـد الشـيعة فـي التوحيـد هـو أنَّ نصـوص القـرآن الكـريم تُصـرِّح أنَّ هنـاك حقيقـة واحـدة وأساسـية أُرسـل مـن أجلهـا الأنبيـاء علـيهم السـلام، وهـي توحيـد الله تعـالى، فهو الـرب ولا رب سواه كما قـال عـز وجل: ﴿ أَأَرْبَـابٌ مُتَفَرِّقُـونَ خَـيْرٌ أَمِ اللهُ الوَاحِـدُ القَهَّـارُ ﴾ [يوسـف:39] ، وهـو الإلـه لا إلـه سـواه، وهـو المعبـود لا معبـود معـه، قـال عـز وجـل: ﴿ وَمَـا أَرْسَـلْنَا مِـنْ قَبْلِـكَ مِـنْ رَسُـولٍ إِلَّا نُـوحِي إِلَيْـهِ أَنَّـهُ لَا إِلَـهَ إِلَّا أَنَـا فَاعْبُـدُونِ ﴾ [الأنبيـاء:25]، وهـذا يتكـرر فـي آيـات كثيـرة، والمفـردات الأساسـية التـي تـدور حولهـا تلـك الآيـات هـي الـرب والإلـه والمعبـود، وترسَّـخ عنـد المسـلمين أنَّ **هنـاك معنـى فطريـاً واحـداً واضـحاً لكلمتـي الإلـه، والـرب وإنْ اختلـف منشـؤهما اللغـوي**، ويـتلخص بأنَّـه إشـارة إلـى الموجـود المـدبر لشـئون الكـون تـدبيراً ذاتيـاً مسـتقلاً غيـر مسـتمد مـن أيـة قـوى أخـرى، وهـو الـذي يُرجـع إليـه فـي الملمـات، والرجـوع إليـه رجـوع إلـى القـوة العظمـى التـي لا قـوة فوقهـا، وهـو مُجمـل التوحيـد، ومعنـى شـهادة أنْ لا إلـه إلا الله، وأمَّـا الشـرك فهـو تصـور تعـدد الإلـه، ولـيس الشـرك إلا الاعتقـاد بتعـدد مثـل هـذا الموجـود، وخَـرْق آلهـة أخـرى، أو الاعتقـاد أنَّ لهـا تـأثيراً مستقلاً فـي شئون الكـون؛ ولـذا كـانوا يتوجهـون إليهـا فـي العبـادة ويـدعونها، وفـي الغالـب الأعـم كـان علـى نحـو الاعتقـاد بالإلـه الأكبـر الـذي هـو الله، مـع الاعتقـاد بآلهـة أخـرى صـغيرة، اعتبروهـا أبنـاء لله، وكانـت تعبـد مـع الله تعـالى، أو أنَّهـا كانـت تُعبـد مـن دونـه كمـا نـصَّ القـرآن الكـريم، وكانـت تُعبـد لأنَّهـم كـانوا يعتقـدونها ذات قـدرات إلهيـة، هـي من قبيل قدرات الإله الأعظم.[2]

والشـيعة يعيبـون علـى أهـل السـنة والجماعـة أنَّهـم لا يوافقـون علـى الرؤيـة السـابقة للشـرك، ويميـزون بـين نـوعي التوحيـد الربوبيـة والألوهيـة، وأنَّهـم يـرون أنَّ البشـرية كانـت تقـع فـي شـرك الألوهيـة دون شـرك الربوبيـة؛ وأنَّ حقيقـة الشـرك عنـدهم عبـادة غيـر الله تعـالى مـع عبـادة الله تعـالى، مـع اعتقـاد هـذا المشـرك فـي العبـادة بـأنَّ الله تعـالى هـو الخـالق المـدبر لشـئون الكـون، فهـو يُوحـد الله تعـالى فـي ربوبيتـه ويُشـرك فـي عبادتـه،

(1) انظر: المجلسي، مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول (ج234/1).

(2) انظر: دشتي، الخلل الوهابي في فهم التوحيد القرآني (ص18،19).

ويرى الآلهة مجرد وسائط في عبادة الله الإله الأعظم،[1] وكذلك يعتبر الشيعة أنَّ إطلاق توحيد الألوهية على توحيد العبادة، وتوحيد الربوبية على التوحيد الذاتي خطأ؛ لأنَّ الألوهية ليست المعبودية، بل الرب والإله واللّه متساويان من حيث المبدأ والمفهوم.[2]

وبهذا يظهر أنَّ كل ما يُذكر في توحيد الإلهية عند الشيعة لا يُقصد به توحيد العبادة، بل يدخل في أقسام التوحيد الأخرى عندهم، وبشكل أدق يدخل في توحيد الذات، وحتى من انفرد منهم بجعله قسماً من أقسام التوحيد، لم يفرد له باباً مستقلاً يذكر فيه تعريفه مفصلاً ومعناه، ويورد لوازمه، بل يذكر أنَّ التوحيد قد يُطلق ويُراد به العبادة، وحتى فيما يعدُّونه من أجلِّ كتبهم، وهو نهج البلاغة الذي نسبوه لعليّ رضي الله عنه لم يُذكر فيه، ولا في شروحاته توحيد العبادة.[3]

وممَّا يؤكد أنَّ غالب من يذكر توحيد الإلهية لا يقصد به توحيد العبادة؛ أنَّهم يثبتون إلهية الله تعالى بأدلة نفي التعدد في الذات، فقد ذكر بعضهم أنَّ التوحيد هو الاعتقاد بأنَّ الله تعالى واحد، ليس مركباً من أجزاء وصفات، وأنَّه لا شريك له في ألوهيته، ولا في صفاته،[4] ثمَّ يذكر أدلة نفي الشريك عن الله تعالى، ويجعلها من أدلة إثبات الألوهية، مع ذكرهم أنَّ تعدد الإله يستدعي الاشتراك في الألوهية[5] وهناك من جعل توحيد الألوهية يدخل في توحيد الأفعال، مثل الخميني الذي قال: "والمقصود من الإله حسب ما ورد في ذيل الحديث الشريف[6] من نسبة الخير والشر إليه سبحانه، هو

---

(1) انظر: الدشتي، الخلل الوهابي في فهم التوحيد القرآني (ص18،19)، السبحاني، مفاهيم القرآن (ج428/10).

(2) انظر: السبحاني، مفاهيم القرآن (ج432/1).

(3) انظر: ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة (ص69).

(4) انظر: الخراساني، منهاج الصالحين (ج35/1).

(5) انظر: المصدر السابق (ج38/1).

(6) يقصد شرحه لحديث في الكافي: عن أبي عبد الله الصادق قال: "إن مما أوحى الله إلى موسى وأنزل عليه في التوراة: أني أنا الله لا إله إلا أنا، خلقت الخلق، وخلقت الخير، وأجريته على يدي من أحب، فطوبى لمن أجريته على يديه، وأنا الله لا إله إلا أنا، خلقت الخلق وخلقت الشر، وأجريته على يدي من أريده، فويل لمن أجريته على يديه" [الكليني: الكافي، التوحيد/ الخير والشر، 154/1:ح1].

مقام الألوهية الذي يكون إشارة إلى مقام توحيد الأفعال، والذي عبَّر عنه الحكماء العظام بقولهم: لا مؤثِّر في الوجود إلا الله."[1]

يتبين ممَّا سبق أنَّ الشيعة متفقون على عدم اعتبار توحيد العبادة قسماً مستقلاً من أقسام التوحيد، بل أدخلوه في أقسام التوحيد الأخرى، والغالب منهم أدخله في مضمون توحيد الذات، وبعضهم جعله معنىً من معاني توحيد الأفعال، ويتطابق الشيعة بذلك مع المتكلمين، الذين لم يعتبروا توحيد الألوهية من أقسام التوحيد، ولم يعتنوا بذكره ولا بتقريره.

(1) الخميني، الأربعون حديثاً (ص217).

المطلب الرابع

معنى توحيد الألوهية عند الكليني

لقد ذكر الكليني التوحيد ومعناه ولوازمه وأقسامه، ولم يجعل توحيد العبادة من أقسامه، بل وافق علماء الشيعة في استثنائه من التوحيد، وما ذُكِرَ من لفظ الإلهية فلم يَعْنِ به توحيد الألوهية بمعنى توحيد العبادة، وإنَّما قصد به إمَّا أنَّه بمعنى توحيد الذات، أو بمعنى أنَّها صفة منسوبة لله تعالى تأخذ حكم باقي الصفات، وأمَّا العبادة فقد جعل اعتقاد الولاية هي أساس العبادة، ونفى صحة عبادة من لم يعتقد بها، **وتفصيل هذه النقاط كالتالي:**

أولاً: الكليني يذكر الألوهية لا بمعنى توحيد العبادة:

لقد ذكر الكليني إلهية الله تعالى، وقصد بها معانيَ متعددةٍ، ولم يكن من بين هذه المعاني إفراد الله تعالى بالعبادة، **ومعنى الألوهية عند الكليني:**

1-ذكره الإله بمعنى تتضمنه كلمة الرب:

إنَّ كل ما ذكر الكليني في معنى الإله هو بعض معاني كلمة الرب، فقد روى عن عبد الله بن سنان قال: "سألت أبا عبد الله عليه السلام عن تفسير بسم الله الرحمن الرحيم، قال: الباء بهاء الله، والسين سناء الله، والميم مجد الله، وروى بعضهم: الميم ملك الله، والله إله كل شيء، الرحمن بجميع خلقه، والرحيم بالمؤمنين خاصة،"[1] واللام في لفظ الجلالة دليل على إلهيته بأنَّه هو الله، والألف واللام مدغمان لا يظهران على اللسان، ويظهران في الكتابة دليلان على أنَّ إلهيته لطيفة خافية لا تُدرَك بالحواس؛ لأنَّ تفسير الإله هو الذي أَلِه الخلق عن إدراكه بحسٍ أو بوهمٍ، ويظهر ذلك عند الكتابة، ليكون دليلاً على أنَّ الله سبحانه وتعالى أظهر ربوبيته في إبداع الخلق وتركيبهم،[2] ويظهر هذا التداخل جلياً بين معنى الإله والرب في روايات الكليني، فقد ذكر أنَّ المخلوقات "تشهد على أنفسها لصانعها بالربوبية والإلهية، لما فيها من آثار صنعه، وعجائب تدبيره،"[3] فهذه لطيفة نبَّه بها على أنَّ الإله هو الذي لا تتغير قدرته

---

(1) [الكليني: الكافي، التوحيد/ معاني الأسماء واشتقاقاتها،114/1: ح1].

(2) انظر: المجلسي، بحار الأنوار (ج224/3).

(3) الكليني، مقدمة الكافي (ج6/1).

إلى العجز، وكماله إلى النقص، ولو كان كذلك لأدى ذلك إلى القدح في إلهيته،[1] والله تعالى يُسمى الحق؛ لأنَّه هو الموجود حقيقة المتحقق وجوده وإلهيته،[2] المُبرَّأ مما لا يليق بوحدانيته، المرتفع عن الزوال والفناء بوجوب إلهيته،[3] فيتضح من هذه الروايات وشروحاتها أنَّ الرب يتضمن معنى الإله، وأنَّ معنى الإله شرعاً عند الكليني لا علاقة له بمعنى المعبود.

2-تفسيره الإلهية بمعنى توحيد الذات:

لقد ذكر الكليني أنَّ الإلهية هي من مقتضيات اسم الله تعالى الواحد الأحد، فقد ذكر في رواياته أنَّ: "الله جلَّ جلاله... واحد، لا واحد غيره، لا اختلاف فيه، ولا تفاوت، ولا زيادة، ولا نقصان،"[4] والمعنى أنَّ الله تعالى هو الواحد الذي لا نظير له، والتوحيد هو الإقرار بالوحدة، وهي الانفراد، والواحد هو الذي لا ينبعث من شيءٍ ولا يتحد بشيءٍ، ومعنى القول "الله أحد" أي أنَّه هو الذي يأْلَه الخلق عن إدراكه، والإحاطة بكيفيته فهو فرد بإلهيته،[5] فيتضح هنا أنَّ الإلهية صفة مختصَّة باسم الأحد، ولا يُدرك كيفيتها، حتى وإن قُرنت بلفظ المعبود أو التوحيد، صحيح أنَّ الإلهية حينما تُطلق مجردة تكون صفة لله تعالى، ولكن إذا قُرنت بلفظ التوحيد أو العبادة وما اشتُق من ألفاظها فتكون بالمعنى الخاص، وهو إفراد الله تعالى بالعبادة، وأمَّا الكليني فقد جعل الإلهية من خصائص الرب التي لا تعلّق لها بإخلاص العبادة، فقد جاء في رواية، "ولا يُطيقون حمل معرفة إلهيته، ولا يحدون حدوده؛ لأنَّه بالكيفية لا يتناهى إليه،"[6] فهنا جعل إلهية الله تعالى من لوازم الذات؛ ولذلك لا يمكن معرفتها، ولا الإحاطة بها، ولو كانت بمعنى العبودية لما اقتضت عدم القدرة على إدراكها، ولما كانت خافية على الخلق.

---

(1) انظر: المجلسي، بحار الأنوار (ج52/12).

(2) انظر: المجلسي، بحار الأنوار (ج367/81)، الخوئي منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة (ج259/9).

(3) انظر: المجلسي، بحار الأنوار (ج61/1).

(4) [الكليني: الكافي، التوحيد/ الفرق ما بين المعاني التي تحت أسماء الله وأسماء المخلوقين، 118/1،119: ح1].

(5) المجلسي، بحار الأنوار، بتصرف (ج223/3).

(6) [الكليني: الكافي، التوحيد/ جوامع التوحيد، 137/1: ح2].

3-القول إنَّ اعتقاد إلهية الأصنام هو كونها ذوات مستقلة:

إنَّ أوضح الأدلة على أنَّ الكليني يذكر إلهية الله تعالى ولا يقصد بها العبادة، أنَّه ذكر في رواياته أنَّ اعتقاد المشركين بإلهية الأصنام هو اعتقادهم أنَّها أرباب مستقلة بذواتها، فقد جاء في رواية: "ويوحدوه بالإلهية، بعد ما أضدوه بالتشريك وعبادة الأصنام،"[1] فالمشركون كانوا يعتقدون أنَّ إسناد الممكنات إلى مُؤثرٍ تام المؤثرية في الأزل، يُوجب كون الآثار أزلية دائمة، ويقتضي أنْ لا يحصل في العالم شيء من التغيرات ألبتة، ولكن على العكس فالتغيرات مشاهدة قطعاً، فلابدَّ من حيلة، فقالوا: إنَّ هناك مُؤثر قديم واجب لذاته، إلا أنَّ كل حادث مسبوق بحادثٍ آخرٍ حتى يكون انقضاء المتقدم شرطاً لحصول المتأخر عن ذلك المبدأ القديم، وهذا يكون بتوسط الأوثان، وعلى هذا الطريق يصير المبدأ القديم مبدأ للحوادث المتغيرة، فإذن لا بدَّ من توسط حركة دائمة يكون كل جزءٍ منها مسبوقاً بالآخر لا إلى أول، وهذا لا بدَّ له من جرم متحرك بالاستدارة وهو الفلك، فثبت أنَّ حركات الأفلاك هي المبادئ للحوادث الحادثة في هذا العالم، والمدبرات الملاصقة بها؛ فلذلك قالوا بإلهيتها، واشتغلوا بعبادتها وتعظيمها، واتخذوا لكل واحد منها هيكلاً مخصوصاً، وصنماً معيناً فاشتغلوا بخدمتها، فهذا هو دين عبدة الأصنام والأوثان،[2] فهنا يظهر جلياً أنَّ اعتقاد الإلهية اعتقاد ذوات متعددة للرب، وأنَّها تصدر منها الأفعال في الكون ابتداءً، فمفهوم الإلهية بعيد كل البعد عن مفهوم العبودية في الكافي، فإذا كان معنى اعتقاد إلهية الأصنام أنَّها ذوات مستقلة، فهذا يعني أنَّ إثبات إلهية الله تعالى هو إثبات وحدة ذاته تعالى، وليس إفراده بالعبادة.

ومن أشهر الأدلة على أنَّ الإلهية لا تعني توحيد العبادة، أنَّ دليل التمانع عند الكليني هو لإثبات وحدة الرب، ويقول شرّاح الكافي أنَّ هذا الدليل هو لإثبات إلهية الله تعالى، ومعناه أنَّه لو فُرض وجود إلهين، وكان لكل واحدٍ منهما تأثير للزم اجتماع مُؤثرين على أثرٍ واحدٍ، وإن كان التأثير لأحدهما لزم ترجيح الفاعل بلا مرجح، ولزم عجز الآخر، وهذا ينفي إلهيته، وإن اختلفا لزم التمانع والتطارد،[3] فهذا الدليل قيل إنَّه

---

(1) انظر: المازندراني، شرح أصول الكافي (ج48/1).

(2) انظر: المجلسي، بحار الأنوار (ج280،279/56).

(3) المازندراني، شرح أصول الكافي، بتصرف (ج105/1)، وانظر: المجلسي، بحار الأنوار (ج351/56).

لإثبات إلهية الله تعالى، ولكن يظهر جلياً أنَّه لإثبات وحدة الصانع، وليس لإثبات توحيد العبادة.

4-الإلهية معنى عام يقتضي الإقرار بأصول الدين:

أورد شُرَّاح الكافي أنَّ معنى إنكار الإلهية هو إنكار أصول الدين، أو جحد أصلٍ منها، فقد رُوي عن أبي جعفر رحمه الله أنَّه قال: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة، وأهل المنكر في الدنيا هم أهل المنكر في الآخرة،"(1) وقد وردت روايات تخصّ تعذيب المنكرين للإلهية، فقد رُوي: "ويُعذب المنكِر لإلهيته عذاب الأبد،"(2) والمقصود بالمنكِر هنا هو كل من أنكر أصلاً من أصول الدين،(3) فالإلهية قد تُطلق ويُراد بها معنىً عاماً ومصطلحاً يخصّ أصول الدين، وقد رُوي: "واعلموا أن المنكرين هم المكذبون، وأن المكذبين هم المنافقون."(4)

ثانياً: صرف معنى العبادة لولاية الأئمة:

إنَّ روايات الكافي قد ربطت بين توحيد العبادة وبين ولاية الأئمة، فلا تكاد تجد معنى يختصُّ بالعبادة إلا ربطوه بالأئمة، واستخدموا التأويل الباطني لآيات القرآن لصرف معناها إلى ولاية الأئمة، **والأمثلة في ذلك كثيرة جداً، ومنها:**

1-دعوة الأنبياء كانت لتقرير الولاية:

ذكر الكليني أنَّ دعوة جميع الأنبياء كانت إلى الولاية، فقد نسب لجعفر الصادق رحمه الله أنَّه قال: "ولايتنا ولاية الله تعالى التي لم يبعث نبيًا قط إلا بها،"(5) ومن المعلوم أنَّ دعوة الأنبياء قامت على توحيد الألوهية، ومع ذلك نسبوا للأئمة أنَّ

---

(1) [الكليني: الكافي، أبواب الصدقة/ أن أهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة، 30/4: ح3].

(2) الطبرسي، الاحتجاج (95/2).

(3) انظر: المجلسي، بحار الأنوار (ج194/10).

(4) [الكليني: الكافي، كتاب الروضة، 11/8: ح1].

(5) [المصدر السابق، الحجة/ فيه نتف وجوامع من الرواية في الولاية، 437/1: ح3].

دعوات الأنبياء قامت على تقرير ولايتهم،[1] وجعلوا المقصود بالإيمان الاعتقاد بولاية الأئمة.

2-الإمامة هي شرط قبول العبادة:

ورد في روايات الكافي أنَّ قبول العبادات منوط باعتقاد ولاية الأئمة، وجعل الكليني الأئمة سبب لعبادة الله تعالى، فقد روى عن جعفر رضي الله عنه أنَّه قال: "وبعبادتنا عُبد الله، ولولا نحن ما عُبد الله تعالى،"[2] والمعنى أنَّه لا تتأتى العبادة الكاملة إلا من الأئمة، فالولاية شرط قبول العبادة، والمعنى كذلك أنَّهم علَّموا الناس طريق عبادة الله تعالى وآدابها؛[3] ولذلك كانت الولاية هي أعظم أصول الدين عند الشيعة، فعن أبي جعفر رحمه الله قال: "بُني الإسلام على خمسٍ، على الصلاة والزكاة والصوم والحج والولاية، ولم يُنادَ بشيءٍ كما نُودي بالولاية؛"[4] ولذلك من أجهد نفسه بعبادةٍ وهو لا يعتقد بالولاية فسعيه غير مقبول.[5]

3-إشراك الأئمة من شروط كلمة التوحيد:

إنَّ من شروط كلمة التوحيد الإخلاص، ومن أخلَّ بالإخلاص كان منافقاً، قد نُقِض توحيده، ولكن في الكافي نجد أنَّ الكليني جعل هذا الشرط مشتركاً بين رب العالمين والأئمة، فجعل من شروط تمام الإيمان ولاية الأئمة، فنسب لأبي عبد الله رضي الله عنه أنَّه قال: "فمن سرَّه أن يُتمَّ الله تعالى له إيمانه حتى يكون مؤمناً حقاً حقاً فليفِ لله تعالى بشروطه التي اشترطها على المؤمنين، فإنَّه قد اشترط مع ولايته وولاية رسوله وولاية أئمة المؤمنين، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وإقراض الله قرضاً حسناً،"[6] وكذلك قد نُسب لأبي عبد الله رحمه الله أنَّه قال: "لو أنَّ قوماً عبدوا الله وحده لا شريك له، وأقاموا الصلاة، وآتوا الزكاة، وحجوا البيت، وصاموا شهر رمضان ثم قالوا لشيء صنعه الله أو صنعه رسول الله صلى الله عليه وآله ألا صنع خلاف

---

(1) انظر: صالح، عقيدة آل البيت بين أهل السنة والشيعة الإثنا عشرية في مسائل التوحيد (ص103).

(2) [الكليني: الكافي، التوحيد/ النوادر، 144/1: ح5].

(3) انظر: المجلسي، بحار الأنوار (ج197/24).

(4) [الكليني: الكافي، الإيمان والكفر/ دعائم الإسلام، 18/2: ح3].

(5) انظر: [المصدر السابق، الحجة/ فيمن دان الله تعالى بغير إمام من الله تعالى، 375/1: ح2].

(6) [المصدر السابق، كتاب الروضة، 10/8: ح1].

الذي صنع، أو وجدوا ذلك في قلوبهم لكانوا بذلك مشركين، ثم تلا هذه الآية: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء:65]،ثم قال أبو عبد الله عليه السلام : عليكم بالتسليم،"[1] فمقتضى كلمة التوحيد التسليم لله تعالى، والأخذ بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم من الشرائع، وأما إشراك الأئمة في ذلك فهو من الشرك، وأما الشيعة فقد جعلوا إخلاص الشهادة هو طاعة الله ورسوله وولاية أهل بيته.[2]

4-التأويل الباطني لنصوص العبادات بأن المراد منها اتباع الأئمة:

لقد ظهر في روايات الكافي التأويل الباطني لنصوص العبادات واضحاً جليّاً، وجعل تلك النصوص تخصُّ من اتبّع الأئمة، فمثلاً روى عن أبي عبد الله رحمه الله أنَّه سئل عن تفسير هذه الآية: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾ [المدَّثر:42،43]، قال: عَنَى بها لم نكُ من أتباع الأئمة الذين قال الله تبارك وتعالى فيهم: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ [الواقعة:10،11]، أما ترى الناس يُسمُّون الذي يلي السابق في الحلبة مصلياً، فذلك الذي عَنَى حيث قال: ﴿قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾ [المدَّثر:43]،"[3] وأمثال هذه التأويلات كثيرة في الكافي، وسيأتي تفصيلها عند الحديث عن المسائل التي تناقض توحيد الألوهية عند الكليني.

لقد ورد الرد على الكليني في ابتداعه لأقسام التوحيد ومعناه مفصلاً،[4] وأما إشراكهم في العبادات ومكانة الولاية عندهم سَتَرِدُ قريباً.[5]

---

(1) [الكليني: الكافي، الحجة/ التسليم وفضل المسلمين، 390/1، ح2].

(2) انظر: المجلسي، بحار الأنوار (ج15/3) وسيأتي قريباً الروايات الشركية التي تنقض الإخلاص.

(3) [الكليني: الكافي، الحجة/ فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية، 419/1: ح38].

(4) انظر: ص84 من هذا البحث.

(5) انظر: ص268 من هذا البحث.

خلاصة المبحث:

ذكر الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه معنى توحيد الألوهية في مواضع كثيرة جداً من صحيحه، وذكر آيات وأحاديث في بيان شروطه وأركانه وبيَّن أهميته، والأحاديث بمجموعها تدل على أنَّ المراد من كلمة التوحيد هو توحيد الله تعالى في ألوهيته، وذكر البخاري رحمه الله أنَّ توحيد الألوهية هو الغاية من خلق الخلق، وهو دعوة الرسل، وسبب ضلال الأمم لتفريطهم فيه، وذكر كذلك العبادة وأركانها، وأنَّها داخلة في مسمَّى الإيمان، وأما الكليني فلم يجعل توحيد العبادة من أقسام التوحيد، بل وافق علماء الشيعة في استثنائه من التوحيد، وما ذُكِرَ من لفظ الإلهية فلم يَعْنِ به توحيد الألوهية بمعنى توحيد العبادة، وإنَّما قصد به إمَّا أنَّه بمعنى توحيد الذات، أو بمعنى أنَّها صفة منسوبة لله تعالى تأخذ حكم باقي الصفات، وأمَّا العبادة فقد جعل اعتقاد الولاية هي أساس العبادة، ونفى صحة عبادة من لم يعتقد بها، فأدخل الشركيات التي لا تحصى في توحيد الألوهية.

المبحث الثاني

نواقض توحيد الألوهية عند البخاري الكُلَيني

المطلب الأول

نواقض توحيد الألوهية عند البخاري

إنَّ الشرك أعظم ذنبٍ عُصِي الله تعالى به، فالله عزَّ وجلَّ هو المُستحق أن يُعبد لذاته، والله تعالى لا يغفر أن يُشرك به، ويغفر ما دونه من الذنوب،[1] والشرك أساس المساوئ والرذائل، ومعمل الموبقات، فهو معصية لا تُجدي معها طاعة، ومنقصة لا يُجزي عنها أي كمال،[2] ومن أشرك بالله تعالى فقد عطَّل الغاية التي خُلِق لها، والشرك أعظم الباطل؛ لأنَّ المشرك ليس معه دليل سمعي ولا عقلي على شركه، بل هو محض افتراءٍ وضلالٍ، وأكثر أنواع الشرك يكون في توحيد الألوهية، والإسلام أتى ليهدم ضلالات المشركين في إشراكهم في ألوهية الله تعالى، واعتقادهم بتعدد الآلهة، والأحاديث النبوية الشريفة في بيان أنواع شرك الألوهية والتحذير منه كثيرة جداً، ونواقض توحيد الألوهية في صحيح البخاري هي على قسمين: **شرك أكبر**، وهو شرك في التوحيد ينقل عن الملة، **وشرك أصغر** يُحبط العمل، ولا ينقل عن الملة،[3] فحكم الشرك دائر بين قضايا منافيةٍ للتوحيد، وأخرى منافية لكماله، وهكذا الأمر بالنسبة للوسائل، فما أوصل للشرك الأكبر ونحوه أخذ حكمه، وما أوصل إلى الشرك الأصغر ونحوه أخذ حكمه،[4] ويندرج تحت كل منهما أنواع كثيرة، والتفصيل **على النحو التالي:**

أولاً: الشرك الأكبر:

وهو أن يُتَّخَذ شريك أو ند مع الله تعالى في ألوهيته، أو أنْ يُعْدل مخلوق بالله تعالى في بعض ما يستحقه وحده، فمن عبد غيره، أو توكل عليه فهو مشرك،[5]

(1) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج89/1).

(2) انظر: الجزائري، رسالة في الشرك ومظاهره (ص89).

(3) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج329/7).

(4) البريكان، المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية، بتصرف، نقلاً عن الموسوعة العقدية- الدرر السنية (ج106/3)، بترقيم الشاملة ألياً.

(5) انظر: ابن تيمية، الاستقامة (ج344/1)، الجزائري، رسالة في الشرك ومظاهره (ص14).

وحقيقة شرك الألوهية أنْ يضرع الإنسان بعبادة من العبادات إلى غير الله تعالى، من صلاةٍ، أو نذرٍ، أو استغاثةٍ في شدةٍ أو مكروهٍ فيما لا يقدر عليه إلا الله تعالى، ونحو ذلك، ويكون في الاعتقادات والأقوال والأعمال،[1] **وأنواع الشرك الأكبر هي:**

1-اعتقاد شريك مع الله تعالى في ألوهيته:[2]

وهو اعتقاد شريك مع الله تعالى في استحقاق العبادة، سواء كان ظن المشرك أنَّ ذلك الشريك إله مع الله تعالى، أو اعتقد بوحدانية الله تعالى في ربوبيته ولكن أشرك في ألوهيته، وقد مدح الله تعالى المؤمنين في مواضع كثيرة؛ لأنَّهم أفردوه في إلهيته، ومن هذه الآيات ما أورده البخاري عن ابن عباس رضي الله عنه أنه سُئل عن قول الله تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا** ﴾ [الفرقان:68]، فقال: "كانت هذه في الجاهلية،"[3] وقد كان معتقد المشركين أنَّ آلهتهم تستحق العبادة مع الله تعالى، وقد ورد إبطال هذا الشرك، والرد على دعوى المشركين في مواضع كثيرة في صحيح البخاري، ومنها قوله تعالى: ﴿ **مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا للهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾ [يوسف:40]،[4] ففي هذه الآية أُلزموا الحجة؛ لأنَّ الأصنام التي اعتقدوا أنَّها تستحق العبادة، هي آلهة متفرقة في العدد لا تضرّ ولا تنفع، فهم يعبدون أصناماً ليس لها من الإلهية شيء إلا الاسم؛ لأنَّها جمادات تُعبد من دون الله تعالى، فهي ذوات أسماء لا معاني لها، سمُّوها آلهة من تلقاء أنفسهم، ما أنزل الله تعالى بها من حجةٍ ولا سلطانٍ،

---

(1) انظر: عبد اللطيف، منهج أهل السنة والجماعة ومنهج الأشاعرة في توحيد الله تعالى (ج93/1).

(2) انظر: ابن تيمية، الاستقامة (ج344/1).

(3) [البخاري: صحيح البخاري، تفسير القرآن/ قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ [الفرقان:68]، ص810: ح4764].

(4) انظر: [المصدر السابق، التعبير/ رؤيا أهل السجون والفساد والشرك، ص1174].

والـدين القـويم هـو أن يُعبـد الله تعـالى وحـده،[1] وقـد أورد كـذلك البخـاري فـي صـحيحه آيات قرآنية أخرى للرد على هذا المعتقد الشركي.[2]

2-صرف شيءٍ من العبادات لغير الله تعالى:

العبـادة لا تجـوز إلا لله تعـالى وحـده، فهـو المُسـتحق لهـا، وكـل مـا يُسـمى فـي الشـرع عبـادة ويصـدق عليـه مُسـمَّاها فـإنَّ الله تعـالى يسـتحقها وحـده، ومـن أشـرك فيهـا أحـداً مـع الله تعـالى فقـد جـاء بالشـرك، وكُتِـب اسـمه فـي ديـوان الكفـر،[3] **وأقسـام هـذا الشرك:**

أ-شـرك الأقـوال: وأمثلـة هـذا الشـرك كثيـرة، ومنهـا: **شـرك الـدعاء**، والـدعاء هـو اسـتمداد وطلـب المعونـة مـن الله تعـالى وحـده، وحقيقتـه إظهـار الافتقـار والتـذلل إلـى الله تعـالى، والتبـرؤ مـن الحـول والقـوة إلا إليـه، وهـو سـمة العبوديـة، وفيـه معنـى الثنـاء علـى الله عـزَّ وجـلَّ، وإضـافة الجـود والكـرم إليـه؛ لأنَّـه المتفـرد بالملـك والقهـر والعطـاء والمنـع، ولازم ذلـك إفـراده بتوحيـد الإلهيـة؛ ولـذلك تعـيَّن أنْ لا يُـدعَى إلا هـو، وبَطَـلَ دعـاء مَـن سـواه، ممـن لا يملـك لنفسـه ضـراً ولا نفعـاً فضـلاً عـن غيـره؛ ولـذلك فـدعاء غيـر الله تعـالى، فيمـا لا يقـدر عليـه إلا الله سـبحانه وتعـالى، يعتبـر شـركاً أكبـر،[4] والله تعـالى أمـر عبـاده أنْ يـدعوه مخلصين لـه الدين، قال تعالى: ﴿**وَمَـا أُمِـرُوا إِلَّا لِيَعْبُـدُوا اللهَ مُخْلِصِـينَ لَـهُ الـدِّينَ حُنَفَـاءَ وَيُقِيمُـوا الصَّـلَاةَ وَيُؤْتُـوا الزَّكَـاةَ وَذَلِـكَ دِيـنُ القَيِّمَـةِ**﴾ [البيِّنـة:5]،[5] فالمقصد من الآيـة إبطـال الشـرك فـي عبـادة الله تعـالى، والأمـر هـو لعبـادة الله تعـالى بـإخلاص، أي اعبـدوا الله تعـالى غيـر مُشـاركين فـي عبادتـه معـه غيـره، والحنيـف هـو لقـب للـذي يـؤمن بـالله تعـالى وحـده دون شـريك،[6] والـدعاء يشـمل دعـاء العبـادة، ودعـاء المسـألة، والشـرك يقـع فيهمـا بـأنْ يُطلَـب

---

(1) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج9/192).

(2) انظـر: [البخـاري: صـحيح البخـاري، المغـازي/ أيـن ركـز النبـي الرايـة يـوم الفـتح، ص711: ح4288، تفسير القـرآن/ بـدون اسـم، ص820، التوحيـد/ قولـه تعـالى: ﴿**فَـلَا تَجْعَلُـوا للهِ أَنْـدَادًا وَأَنْـتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾ [البقرة:22] ، ص1261].

(3) انظر: السبكي، إرشاد الخلق إلى دين الحق (ج1/179).

(4) انظر: ابن عبد الوهاب، سليمان، تيسير العزيز الحميد (ج1/195).

(5) انظر: [البخاري: صحيح البخاري، الإيمان/ الزكاة من الإسلام، ص14].

(6) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج30/481،480).

من المخلوق ما لا يقدر عليه إلا الخالق، سواء أكان هذا المخلوق حياً أو ميتاً، نبياً أو ولياً، أو ملكاً، أو جنياً،[1] وقد ذمَّ الله تعالى من يدعو غيره، ممن لا يملكون شيئاً من دون الله تعالى، قال جلَّ وعلا: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾ [الإسراء:56]،[2] ويدخل في هذا الشرك الاستعانة، والاستعاذة، والاستغاثة، والاستجارة بغير الله تعالى، وقد وردت أحاديث نبوية في بيان أنّها عبادات لا تجوز إلا لله تعالى؛[3] لأنَّ أصل الشرك في العالم طلب الحوائج من البشر، وخاصة دعاء الأموات والاستغاثة بهم، والتوجّه إليهم، فإنَّ الميت قد انقطع عمله، وهو لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً، فضلاً عمن استغاث به، وسأله قضاء حاجته.[4]

ب-شرك الأعمال القلبية: ومن أمثلة هذا الشرك:

-**الشرك في النية والإرادة والقصد:** وهو أنْ يريد المرء بعمله غير وجه الله تعالى، وينوي شيئاً غير التقرب إلى الله تعالى وطلب الجزاء منه سبحانه وتعالى،[5] ومن أشرك في نيته فقد كفر كفراً أكبر،[6] والأعمال مرهونة بنياتها، قال النبي صلى الله

(1) انظر: ابن القيم، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (ج353/1)، ابن حجر، فتح الباري (ج379/13)، الحمدان، الدر النضيد (ج95/1).

(2) انظر: [البخاري: صحيح البخاري، التفسير/ قول الله تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾ [الإسراء:56]، ص793].

(3) انظر: [البخاري: صحيح البخاري، الصلاة/ التعاون في بناء المسجد، ص81: ح447، الفتن/ باب التعوذ من الفتن، ص1190: ح7090، التوحيد/ السؤال بأسماء الله تعالى والاستعاذة بها، ص1239: ح7393،ح7394،ح7395، ص1240: ح7396].

(4) انظر: ابن تيمية، مجموع فتاوى ابن تيمية (ج1/ 124،125)، العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري(1ج/117)، ابن عبد الوهاب، سليمان، تيسير العزيز الحميد (ج175/1،174).

(5) انظر: ابن القيم، الجواب الكافي (ج136/1).

(6) ولكن يجب التنبيه أنه لا بدَّ من التفريق بين شرك الإرادة المستوجب للشرك الأكبر والخلود في النار، وبين الشرك الأصغر المستوجب لحبوط العمل، وإن لم يكن مخرجاً من الملة، والضابط الفارق في ذلك هو النظر إلى النية والباعث على العمل، فمن كان عمله اتباعاً للهوى مطلقاً وإرادة الدنيا أصلاً كان مشركاً شركاً أكبر، ومن كان الباعث له على العمل حب الله تعالى وابتغاء رضوانه والدار الآخرة، لكن دخل مع ذلك حب الجاه أو نحو ذلك من أسباب الرياء، كان مشركاً شركاً أصغر، القرني، ضوابط التكفير (ص128).

عليه وسلم: «**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى،**»[1] فالحديث معناه على تقدير ما يقتضي أنَّ الأعمال تَتْبع النية، وعند فساد النية تنتفي العبادة، والمراد نفي صحتها؛ لأنَّ نفي الصحة أشبه بنفي الشيء نفسه، ولفظ العمل يتناول فعل الجوارح، ومنها اللسان فتدخل الأقوال،[2] ومن عَمِل عملاً بلا إخلاص وأراد السمعة والرياء جُوزي على ذلك بأنْ يفضحه الله تعالى، ويُظهر ما كان يبطنه، ويكون المرائي قد استحق سخط الله تعالى عليه،[3] قال النبي صلى الله عليه وسلم: «**مَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ اللَّهُ بِهِ، وَمَنْ يُرَائِي يُرَائِي اللَّهُ بِهِ،**»[4] والله تعالى لا يقبل أعمال أهل الرياء، بل تذهب هباءً منثوراً، قال تعالى: ﴿**مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ**﴾ [هود:15]،[5] وهذه الآية نزلت في أهل الرياء فهم يُعطون بحسناتهم في الدنيا، وذلك أنَّهم لا يُظلمون نقيراً، فمن عمل صالحاً لا يعمله إلا التماساً للدنيا، فإنَّ الله تعالى يوفيه الذي التمسه في الدنيا من المثابة، ويُحبط عمله الذي كان يعمله، وهو في الآخرة من الخاسرين.[6]

-**شرك الطاعات القلبية:** فبعض المعاني القلبية يجب أن يكون مختصاً برب العالمين، وما كان منها كذلك فهو عبادة تختصّ بالقلب، ولا تتعلق ولا تنبغي لغير الله تعالى، ويدخل فيها المحبة والتوكل والخوف والرجاء، فالإنسان إذا أشرك فيها مخلوقاً مع الله تعالى، أو صرف ما يختصّ بالله تعالى لمخلوقٍ فهو مشرك، **ومن أمثلة هذه الطاعات القلبية:**

*-**التوكل:** فهو عبادة لا تنبغي إلا لله تعالى، وإذا صُرف لغير الله تعالى كان شركاً،[7] والله تعالى أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أنْ يفرد الله تعالى بهذه العبادة قال تعالى: ﴿**وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ**

---

(1) [البخاري: صحيح البخاري، بدء الوحي/ كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله، ص5: ح1].

(2) انظر: ابن حجر، فتح الباري (ج13/1).

(3) انظر: الكرماني، الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري (ج20/23).

(4) [البخاري: صحيح البخاري، الرقاق/ السمعة والرياء، ص1094: ح6499].

(5) انظر: [المصدر السابق، الرقاق/ المكثرون هم المقلون، ص1086].

(6) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج310/4).

(7) انظر: ابن القيم، الجواب الكافي (ج136/1).

العَلِـــيمُ﴾ [الأنفـــال:61]،[1] وقـد ورد عـن النبـي صـلى الله عليـه وسـلم أنَّـه كـان يـدعو ويقـول: «**اللَّهُـمَّ لَـكَ أَسْـلَمْتُ، وَبِـكَ آمَنْـتُ، وَعَلَيْـكَ تَوَكَّلْـتُ، وَإِلَيْـكَ أَنَبْـتُ، وَبِـكَ خَاصَـمْتُ، وَإِلَيْـكَ حَاكَمْـتُ، فَـاغْفِرْ لِـي مَـا قَـدَّمْتُ وَمَـا أَخَّـرْتُ، وَمَـا أَسْـرَرْتُ وَمَـا أَعْلَنْـتُ،**»[2] "والتوكل على اللَّه تعالى جماع الإيمان".[3]

*-**الخــوف:** والمـراد بـه هـو الخـوف الـذي هـو مـن لـوازم الإلهيـة،[4] وهـذا لا يجـوز تعلُّقـه بغيـر الله تعـالى، فمـن اتَّخـذ مـع الله تعـالى نـداً يخافـه هـذا الخـوف فهـو مشـرك،[5] وقـد أورد الإمـام البخـاري "بـاب الخـوف مـن الله تعـالى،" وأورد فيـه قـول النبـي صـلى الله عليـه وسـلم: «**كَـانَ رَجُـلٌ مِمَّـنْ كَـانَ قَـبْلَكُمْ يُسِـيءُ الظَّـنَّ بِعَمَلِـهِ، فَقَـالَ لِأَهْلِـهِ: إِذَا أَنَـا مُـتُّ فَخُذُونِي فَذَرُّونِي فِـي البَحْـرِ فِـي يَـوْمٍ صَـائِفٍ، فَفَعَلُـوا بِـهِ، فَجَمَعَـهُ اللَّـهُ ثُـمَّ قَـالَ: مَـا حَمَلَـكَ عَلَـى الَّـذِي صَـنَعْتَ؟ قَـالَ: مَـا حَمَلَنِـي إِلَّا مَخَافَتُـكَ، فَغَفَـرَ لَـهُ**»[6] فـالخوف مـن الله تعـالى مُوجـب لرحمـة الله تعـالى وعفـوه ومغفرتـه، وأخبـر الله تعـالى عـن سـبب عـذاب المشـركين أنَّهم ﴿**كَـانُوا لَا يَرْجُـونَ حِسَـابًا**﴾[النَّبـأ:27] أي كـانوا "لا يخافونـه،"[7] وكـل مـا ذُكـر مـن الأحكام فهو متعلق بجميع الطاعات القلبية كالمحبة والرجاء وغيرها.

ج-شرك الأفعال:

إنَّ كـل مـا شـرعه الله تعـالى مـن العبـادات إذا صُـرفت لغيـره تعـالى، أو أُشـرك فيهـا مخلـوق مـع الله تعـالى، فـإنَّ هـذا يعتبـر شـركاً أكبـر مخرجـاً مـن الملـة بإجمـاع أهـل العلم،[8] **وهذا الشرك له صور كثيرة:**

---

(1) [البخـاري: صـحيح البخـاري، الجزيـة/ الموادعـة والمصـالحة مـع المشـركين بالمـال وغيـره، وإثـم مـن لم يفِ بالعهد، ص533].

(2) [المصـدر السـابق، التهجـد/ التهجـد بالليـل وقولـه عـز وجـل: ﴿وَمِـنَ اللَّيْـلِ فَتَهَجَّـدْ بِـهِ نَافِلَـةً﴾ [الإسراء:79]، ص183: ح1120].

(3) ابن أبي شيبة، الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار (ج76/6).

(4) فهناك خوف فطري جبلي لا ينافي التوحيد.

(5) انظر: ابن عبد الوهاب، سليمان، تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد (ج417/1).

(6) [البخاري: صحيح البخاري، الرقاق/ الخوف من الله تعالى، ص1091: ح6480].

(7) انظر: [المصدر السابق، تفسير القرآن/ بدون اسم، ص848].

(8) انظـر: ابـن عبـد الهـادي، الصـارم المنكـي (ص 145)، ابـن تيميـة، مجمـوع الفتـاوى (ج27/ 92)، الهيثمي، الإعلام بقواطع الإسلام (ص74).

-**الشـرك فـي الصـلاة:** وهـو مـن الشـرك الأكبـر؛ ولـذلك فقـد حـرَّم النبـي صـلى الله عليـه وسلم الصـلاة إلـى القبـر سـداً لذريعـة الشـرك، وحتـى لا يُظَـن أنَّ الصـلاة لله تعـالى وللنبـي صـلى الله عليـه وسـلم، وكمـا ذُكـر فوسـيلة الشـرك لهـا حكـم مـا أدَّت إليـه مـن الشـرك، فعـن عائشـة رضـي الله عنهـا أنَّ النبـي صـلى الله عليـه وسـلم قـال فـي مرضـه الـذي مـات فيـه: «**لَعَـنَ اللَّـهُ اليَهُـودَ وَالنَّصَـارَى، اتَّخَـذُوا قُبُـورَ أَنْبِيَـائِهِمْ مَسْـجِدًا، قَالَتْ[عائشـة رضـي الله عنهـا]: وَلَـوْلاَ ذَلِـكَ لَأَبْـرَزُوا قَبْـرَهُ غَيْـرَ أَنِّـي أَخْشَـى أَنْ يُتَّخَـذَ مَسْـجِدًا**»[1] فمفـاد الحـديث عـدم جـواز اتخـاذ القبـر مسـجداً، ويتنـاول الوعيـد مـن اتَّخـذ القبـور مسـاجد تعظيمـاً ومغـالاةً، كمـا صـنع أهـل الجاهليـة، وقـد جـرَّهم ذلـك إلـى عبـادتهم، ويتنـاول الوعيـد كـذلك مـن اتَّخـذ أمكنة قبورهم مساجد.[2]

-**الـذبح لغيـر الله تعـالى:** الـذبح عبـادة، ولا يجـوز التقـرب بهـا لغيـر الله تعـالى، فمـن ذبـح تقربـاً إلـى مخلـوقٍ، وتعظيمـاً لـه، وخضـوعاً لـه فقـد وقـع فـي الشـرك الأكبـر، وذبيحتـه محرمـة لا يجـوز أكلهـا، سـواء أكـان هـذا المخلـوق مـن الإنـس، أم مـن الجـن، أم مـن الملائكـة، أم كـان قبـراً، أم غيـره،[3] وقـد أورد البخـاري فـي بيـان حكـم الـذبح لغيـر الله تعالى قوله عزَّ وجل: ﴿**إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾ [البقـرة:173]،[4] والمعنـى أنَّ الله تعـالى قـد حـرَّم مـا ذُبـح للآلهـة والأوثـان، وسُـمِّي عليـه بغيـر اسـمه، أو أُهـلَّ بـه لغيـره، كمـا كانـت العـرب فـي الجاهليـة، وذلـك أنَّهـم كـانوا إذا ذبحـوا أو نحـروا للصـنم صـاحوا باسـم الصـنم عنـد الـذبح، فقـالوا باسـم الـلات، أو باسـم العـزى أو نحوهمـا، وكـذلك كـان عنـد الأمـم التـي تعبـد آلهـة إذا قربـت لهـا القـرابين،[5] وحكـم التحـريم عـام فـي كـل مـا لـم يُـذكر اسم الله تعالى عليه، أو أُريد به التقرب للمخلوق.

---

(1) [البخـاري: صـحيح البخـاري، الجنـائز/ مـا يكـره مـن اتخـاذ المسـاجد علـى القبـور، ص216: ح1330].

(2) انظر: ابن حجر، فتح الباري (ج1/ 524).

(3) انظـر: ابـن القـيم، الجـواب الكـافي (ج139/1)، التميمـي، فـتح المجيـد شـرح كتـاب التوحيـد (ج143/1).

(4) انظر: [البخاري: صحيح البخاري، الذبائح والصيد/ إذا أكل المضطر، ص952].

(5) انظر: الطبري، جامع البيان (ج319/3)، ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج120/2).

ثانياً: الشرك الأصغر:

وهذا الشرك من أكبر الكبائر، ويحبط العمل، ولكنه لا يُخرج من الملة، وهو ذريعة إلى الشرك الأكبر ووسيلة للوقوع فيه، وأفراده لا تنضبط لكثرتها،(1) **وهو على أقسام:**

1-شرك الأعمال القلبية:

وهو أنْ يعتقد المرء اعتقاداً مُوجباً لإحباط عمله، ومعرِّضاً لغضب الله تعالى؛ لأنَّ الشارع قد نهى عنه، **ومن أمثلته:**

أ-الرياء: وهو شرك قلبي، ولكن متعلقه قد يكون عبادة قولية، وقد يكون فعلية. وهو أنْ يُظهر الإنسان العمل الصالح للآخرين أو يُحسِّنه عندهم، أو يظهر عندهم بمظهر مندوب إليه ليمدحوه، ويُعظَّم في أنفسهم، فمن أراد وجه الله تعالى والرياء معاً فقد أشرك مع الله تعالى غيره في هذه العبادة،(2) وقد أورد البخاري أمثلة على هذا الشرك، ومنها: "باب الرياء في الصدقة،" وأورد فيه قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالمَنِّ وَالأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآَخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللهُ لَا يَهْدِي القَوْمَ الكَافِرِينَ**﴾ [البقرة:264]،(3) أي لا تُبطلوا صدقاتكم بالمنِّ والأذى، فتكونوا كمن راءى الناس بصدقته فأبطلها، فيُظهر أنَّه يريد وجه الله تعالى، ولكن قصده مدح الناس له، أو شهرته بالصفات الجميلة، ليُشكر بين الناس، مع قطع نظره عن معاملة الله تعالى وابتغاء مرضاته وجزيل ثوابه؛ ولذلك نفى عنهم صفة الإيمان، ومثلهم كالصخر الأملس الذي عليه تراب، وأصابه المطر الشديد فتركه لا شيء عليه من ذلك التراب، بل قد ذهب كله، وكذلك أعمال المرائين تذهب وتضمحل عند الله تعالى، وإنْ ظهر لهم أعمال فيما يرى الناس كالتراب.(4)

---

(1) انظر: ابن القيم، الجواب الكافي (ج1/92)، ابن عبد الوهاب، سليمان، تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد (ج1/29)، السلمان، الكواشف الجلية عن معاني الواسطية (ص222).

(2) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج7/ 329)، السلمان، الكواشف الجلية عن معاني الواسطية (ص237).

(3) انظر: [البخاري: صحيح البخاري، الزكاة/ الرياء في الصدقة، ص230].

(4) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج2/ 417)، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج1/ 694).

ب-الطيـرة:[1] والتطيـر يُنـافي التوحيـد؛ لأنَّ المتطيـر قطـع توكلـه علـى الله تعـالى واعتمـد علـى غيـر الله تعـالى، وتعلَّـق بـأمر لا حقيقـة لـه، بـل هـو وهـم وتخييـل، ولا تـأثير لـه فـي الأحـداث، وهـذا لا شـك أنَّـه يُخِّـل بالتوحيـد؛ لأنَّ التوحيـد عبـادة واسـتعانة،[2] قـال تعـالى: ﴿إِيَّـاكَ نَعْبُـدُ وإِيَّـاكَ نَسْـتَعِينُ﴾ [الفاتحـة:5]، وقـال تعـالى: ﴿فَاعْبُـدْهُ وَتَوَكَّـلْ عَلَيْـهِ﴾ [هـود: 123]، والنبـي صـلى الله عليـه وسـلم قـد نهـى عـن الطيـرة، وهـو إبطـال لمـا كـانوا يعتقدونـه فـي الجاهليـة فـي التطيـر،[3] قـال صـلى الله عليـه وسـلم: «**لاَ عَـدْوَى وَلاَ طِيَـرَةَ، وَالشُّـؤْمُ فِـي ثَـلاَثٍ: فِـي المَـرْأَةِ، وَالـدَّارِ، وَالدَّابَّـةِ**»[4] ومـن سـمات المـؤمنين أنَّهـم لا يتطيـرون فعـن ابـن عبـاس رضـي الله عنـه أنَّ رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم قـال: « **يَـدْخُلُ الجَنَّـةَ مِـنْ أُمَّتِـي سَـبْعُونَ أَلْفًـا بِغَيْـرِ حِسَـابٍ، هُـمُ الَّـذِينَ لاَ يَسْـتَرْقُونَ، وَلاَ يَتَطَيَّـرُونَ، وَعَلَـى رَبِّهِـمْ يَتَوَكَّلُونَ**».[5]

2-شرك الأقوال:

وهـي الأقـوال التـي يكـون فيهـا تسـوية للمخلـوق بالخـالق، أو صـرف بعـض الألفـاظ التـي تخـتص بالخـالق لغيـره، ولكنهـا لا تُوجـب خروجـاً مـن الملـة، وشـرك الأقـوال لـه أمثلـة كثيـرة، ومنهـا: **الحلـف بغيـر الله تعـالى**، فـاليمين عبـادة مـن العبـادات التـي لا يجـوز صـرفها لغيـره الله تعـالى،[6] فيحـرم الحلـف بغيـره تعـالى، لقولـه صـلى الله عليـه وسـلم: «**أَلاَ، إِنَّ اللَّـهَ يَنْهَـاكُمْ أَنْ تَحْلِفُـوا بِآبَـائِكُمْ، فَمَـنْ كَـانَ حَالِفًـا فَلْيَحْلِـفْ بِاللَّـهِ، وَإِلَّا فَلْيَصْـمُتْ**،»[7] فمـن حلـف بغيـر الله تعـالى، سـواء أكـان نبيـاً، أم وليـاً، أو غيـره فقـد ارتكـب كبيـرة مـن كبـائر الـذنوب، ووقـع فـي الشـرك؛ لأنَّ الحلـف فيـه تعظـيم للمحلـوف بـه، فمـن

(1) وأصـله أن يُعتبـر حـال الطـائر إذا طـار، فـإن تيـامن فعلـوا، وإن تشـاءم تركـوا، واعتقـدوا أن ذلـك مشئوم، ثم أُطلق على كل ما يُتشاءم به، انظر: ابن حجر، فتح الباري (ج151/1).

(2) ابن العثيمين، القول المفيد على كتاب التوحيد (ج560/1).

(3) انظر: ابن حجر، فتح الباري (ج151/1).

(4) [البخاري: صحيح البخاري، الطب/ الطيرة، ص985: ح5753].

(5) [المصدر السابق، الطب/ من اكتوى أو كوى غيره وفضل من لم يكتو، ص978: ح5705].

(6) انظر: الكاساني، بدائع الصنائع (ج2/3).

(7) [البخـاري: صـحيح البخـاري، الأدب/ مـن لـم يـر إكفـار مـن قـال ذلـك متـأولاً أو جـاهلاً، ص1033: ح6107].

حلف بغير الله تعالى كائناً من كان، فقد جعله شريكاً لله عز وجل في هذا التعظيم الذي لا يليق إلا به سبحانه وتعالى، وهذا من الشرك الأصغر.[1]

3-شرك الأفعال:

وهي أمور تُقارن الأفعال فتجعلها منافية لكمال التوحيد، وهكذا الأمر نفسه بالنسبة للوسائل، فما أوصل إلى الشرك الأصغر ونحوه أخذ حكمه،[2] ومن أمثلته السحر، وهو من الكبائر، وحرام بالإجماع، وقد عدَّه النبي صلى الله عليه وسلم من الموبقات، والسحرة قد استبدلوا الإيمان ومتابعة الرسل بما تتلوه الشياطين، وما لهم في الآخرة من نصيب، والسحر لا دين له، بل هو مُحرم في جميع أديان الرسل عليهم السلام،[3] والنبي صلى الله عليه وسلم قَرَنَ السحر بالشرك للدلالة على أنَّه يُشاركه في الحكم، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**اجْتَنِبُوا السَّبْعَ المُوبِقَاتِ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا هُنَّ؟، قَالَ: الشِّرْكُ بِاللَّهِ، وَالسِّحْرُ،**»[4] والسحر منه ما يكون كفراً، ومنه ما لا يكون كفراً، فإنْ كان فيه قولاً أو فعلاً يقتضي الكفر فهو كفر،[5] ويدخل في شرك الأفعال الكهانة والعرافة، وكذلك كل وسيلة تُؤدي إلى الشرك الأصغر تأخذ حكمه، كبناء المساجد على القبور، وقد ورد النهي عنها في الأحاديث النبوية كما مرَّ.[6]

---

(1) انظر: الحملاوي، كتاب التوحيد المسمى التخلي عن التقليد والتحلي بالأصل المفيد (ص61)،

(2) انظر: المقريزي، تجريد التوحيد (ج23/1).

(3) انظر: ابن عبد الوهاب، سليمان، تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد (ص326).

(4) [البخاري: صحيح البخاري، الحدود/ رمي المحصنات، ص1149: ح6857].

(5) انظر: ابن حجر، فتح الباري (ج10/ 224).

(6) انظر: ص253 من هذا البحث.

المطلب الثاني

نواقض توحيد الألوهية عند الكُلَيني

إنَّ ما يقدح في توحيد العبادة وفقاً لروايات الكافي، أنْ يتوجه الإنسان بعبادته لمخلوقٍ، ظناً منه أنَّه إله مع الله تعالى، والنوع الآخر من الشرك، هو صرف العبادة استقلالاً لغير الله تعالى، مع اعتقاد صاحبها بوحدانية الله تعالى، فالشرط لإطلاق الحكم بالشرك تحقُّق قيد الاستقلالية. فالشرك معناه الاشتراك في الأمر، وإشراك أحد مع الله تعالى في أي مورد من الموارد التي يُطلب فيها الخلوص إلى الله تعالى، أو جعل الإنسان شريكاً مستقلاً لله تعالى؛ فقد تحقَّق الشرك،[1] وأما أكثر ما يقع في شرك العبادة، ويكون سبباً في بطلانها، هو ترك ولاية الأئمة، والشرك عند الكليني يمكن تقسيمه إلى شركٍ أكبرٍ، وشركٍ أصغرٍ، **والتفصيل على النحو التالي:**

أولاً: الشرك الأكبر: ويمكن تقسيمه إلى نوعين:

النوع الأول: الشرك بناءً على سببه ومتعلقه:

وينقسم هذا الشرك بحسب متعلقه إلى قسمين، قسم يتعلق بالله تعالى، وهو الشرك الذي يكون بسبب اعتقاد صحة صرف العبادات لغير الله تعالى استقلالاً، وقسم يتعلق بالأئمة، ويكون هذا الشرك بسبب جحد الولاية، فالشرك في هذا النوع سبب وقوعه اعتقاد تلك المعتقدات، وينقسم إلى قسمين:

1-الشرك المتعلق بالإله:

وهو الشرك المتعلق بصرف العبادة لغير الله تعالى استقلالاً، سواء كان لاعتقاد إلهٍ مع الله تعالى، أو اعتقاد استحقاق المخلوق للعبادة استقلالاً، مع اعتقاد وحدانية الله تعالى، "وبهذا لا يمكن أن نُسمي ذلك المسلم الموحد الذي يخضع ويتذلل أمام قبر الرسول صلى الله عليه وآله مشركاً عابداً للقبر؛ لأن الخضوع لا يعني العبادة،"[2] وهذا الشرك قد يكون لفظياً وقد يكون عملياً، ويكون باعتقاد ألوهية المعبود، أو ربوبيته، أو الاعتقاد باستقلاله في فعله بأنَّه يملك شأناً من شؤون وجوده وحياته

---

(1) مركز الأبحاث العقائدية، شبكة الشيعة العالمية.

(2) العاملي، الانتصار (ج316/5).

علـى وجـه الاسـتقلال، فكـل عمـل مصـحوب بهـذا الاعتقـاد يعـد شـركاً بـالله،[1] وأمـا دعـاء الأئمـة والاسـتغاثة بهـم، فهـو لا يعـدو أن يكـون توسـلاً بهـم إلـى الله تعـالى، واتخـاذهم وسـائل لإجابـة طلبـاتهم عنـد الله تعـالى، لقـربهم منـه، ومكـانتهم عنـده؛ ولأنَّهـم حلقـات الوصـل، ووسـائط بـين المـولى وعبيـده، وهـذا الحكـم فـي كـل عظـيم عنـد الله تعـالى مـن الأوليـاء الـذين يُتوسـل بهـم إلـى الله تعـالى، فـالحكم عـام للأوليـاء والصـالحين جميعـاً، وإن كـانوا متفـاوتين فـي مراحـل القـرب، وكـل هـذا لا يعـدُّ شـركاً إذا اعتُقـد بأنـه لا مـؤثر فـي الوجـود إلا الله سـبحانه وتعـالى؛ ولـذلك فـإنَّ مـا يقـع فـي المشـاهد -التـي يعـدُّها الشـيعة مشـاهد مقدسـة- مـن الزائـرين مـن التوسـل لـيس شـركاً، ولا يضـادّ التوحيـد،[2] وأقسـام هـذا الشرك:

أ-الشرك الوَاحدي:[3]

وهـو أنْ يعتقـد الفـرد أنَّ هنـاك مِـثْلاً وشـبيهاً لله عـزَّ وجـلَّ فـي مقـام الألوهيـة، وأنْ يطلـب الشـيء مـن غيـر رب العـالمين؛ معتقـداً أنَّـه إلـه، وهـذا الاعتقـاد يتنـافى مـع التوحيـد الواحـدي، وأمـا صـرف العبـادة لغيـر الله تعـالى مـع اعتقـاد وحدانيـة الله تعـالى فلـيس شـركاً، ولا فرق في صرف العبادة لحيٍ أو ميتٍ.[4]

وهـذا النـوع مـن الشـرك هـو الـذي وقـع فيـه عُبَّـاد الأوثـان، فكانـت الأنصـاب -وهـي الأصـنام التـي كانـت تُنصـب لـذبح القـرابين عليهـا- تُحتـرم ويُتبـرك بهـا، وهـي روحانيـات الكواكـب التـي كـانوا يعتقـدون أنَّهـا أربـاب الأنـواع؛ ولأنَّهـم كـانوا غـائبين عـن الحـواس، متعـالين عـن الجهـات، كـانوا يـرون وجـوب تجسـيدهم بالأنصـاب، حتـى يـتم بـذلك أمـر التقـرب العبـادي،[5] وقـد ورد عـن أبـي جعفـر رحمـه الله أنَّـه سُـئل: "فمـا الأنصـاب؟، قـال: ما ذبحوه لآلهتهم."[6]

---

(1) انظر: العاملي، الانتصار (ج317/5).

(2) انظر: الأميني، الغدير (ج292/3).

(3) وسُـمي بهـذا الاسـم نسـبة إلـى اسـم الله تعـالى الواحـد، فمـن معـاني الواحـد عنـد الشـيعة الـذي لا ثـاني له في الوجود الذاتي كما مرَّ، فيكون الشرك الواحدي هو الاعتقاد المناقض لذلك.

(4) انظر: الخميني، كشف الأسرار (ص51).

(5) انظر: الطبطبائي، تفسير الميزان (189/6)، البروجردي، تفسير الصراط المستقيم (ج414/3).

(6) [الكليني: الكافي، المعيشة/ القمار والنهبة، 122/5،123: ح2].

ب–الشرك بسبب صرف العبادة لغير الله تعالى استقلالاً مع اعتقاد وحدانيته تعالى:

فالعبادة لا تُصرف للمخلوق استقلالاً، ومن فعل ذلك فهو مشرك، حتى وإنْ اعتقد وحدة الرب تعالى، **وهو على أنواع: فقد يكون شركاً قلبياً:** كالاعتقاد بأنَّ للمولى تعالى شريكاً يستحق العبادة استقلالاً، **ويكون عملياً:** كأنْ يأتي العبد بعبادةٍ لغير المولى تعالى، فيصلِّي الفرد لمخلوقٍ من مخلوقات الله تعالى، أو يصوم له، وهذا هو الرياء، قال أبو عبد الله رحمه الله: "اجعلوا أمركم هذا لله تعالى، ولا تجعلوه للناس، فإنَّه ما كان لله فهو لله، وما كان للناس فلا يصعد إلى الله،"[1] فهنا بيَّن أنَّ ما كان للناس استقلالاً فهو باطل، وأما صرف العبادات لمخلوقٍ مع الله تعالى فليس شركاً، كدعاء الأئمة والاستغاثة بهم،[2] فهذا النوع يستنبط من مجموع روايات الكافي، فإنَّه قد أورد روايات فيها استشفاع بالأئمة، وبدعائهم والتوسل بهم إلى الله رب العالمين، ولم يعتبر ذلك شركاً، وهذا ما أكَّده علماؤهم من أنَّ التوجه بالعبادة لله تعالى مع إشراك المخلوقين بها لا يعد شركاً،[3] بل هو التوحيد، وقد ورد في الرواية السابقة أنَّ ما كان للناس فلا يُقبل، والمعنى ما كان للناس استقلالاً فلا يُقبل، فتكون الرواية مقيدة بمجموع الروايات الأخرى.

2–الشرك المتعلق بالأئمة:

وهو الشرك الذي يقع بسبب جحد الولاية، وهو أخطر أنواع الشرك؛ لأنَّ العبادات لا تُقبل بدون متابعة الأئمة وولايتهم، وقد نُسب لأبي عبد الله رحمه الله أنَّه قال: "قال رسول الله صلى الله عليه: طاعة علي عليه السلام ذل، ومعصيته كفر بالله تعالى، قيل: يا رسول الله وكيف يكون طاعة علي عليه السلام ذلاً، ومعصيته كفراً بالله تعالى؟، قال: إنَّ علياً عليه السلام يحملكم على الحق فإنْ أطعتموه ذُللتم، وإنْ عصيتموه كفرتم بالله عزَّ وجل،"[4] ورُوي عن جعفر رحمه الله أنَّه قال عن قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ عَلَى حَرْفٍ﴾ [الحج:11]: "إنَّ الآية تنزل في الرجل ثم تكون في أتباعه، قلت–المقصود به ضريس ناقل الرواية–: كل من نصب دونكم شيئاً

(1) [الكليني: الكافي، التوحيد/ الهداية أنها من الله تعالى، 166/1: ح3].

(2) انظر: العاملي، الانتصار (ج317/5)، الخميني، كشف الأسرار (ص47–51).

(3) انظر: الأميني، الغدير (ج292/3).

(4) [الكليني: الكافي، الإيمان والكفر/ الكفر، 388/2: ح17].

فهو ممن يعبد الله على حرف؟، فقال: نعم،"[1] ومن أتى بالعبادات وأنكر الولاية فقد وقع في الشرك، وحبط عمله؛ فقد روى الكليني عن أبي عبد الله رحمه الله أنَّه قال: "لو أنَّ قوماً عبدوا الله وحده لا شريك له، وأقاموا الصلاة، وآتوا الزكاة، وحجوا البيت، وصاموا شهر رمضان، ثم قالوا لشيءٍ صنعه الله تعالى، أو صنعه النبي صلى الله عليه وسلم: ألا صنع خلاف الذي صنع؟، **أو وجدوا ذلك في قلوبهم، كانوا بذلك مشركين**، ثم تلا هذه الآية: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء:65]، ثم قال أبو عبد الله: فعليكم بالتسليم."[2]

النوع الثاني: الشرك بناءً على نوعه، وهو ينقسم إلى:

1- الشرك الاعتقادي:

وهو اعتقاد ما يُوجب الخروج من الملة، كالشك في الله تعالى، أو اعتقاد صحة صرف العبادات لغير الله تعالى، وقد روى الكليني عن أبي عبد الله رحمه الله أنَّه قال: "من شكَّ في الله تعالى، وفي رسول صلى الله عليه وآله فهو كافر،"[3] فهنا ذكر أنواعاً من الكفر، وهي الشك في الله تعالى، أو في رسالة النبي صلى الله عليه وسلم، أو الشك في ولاية الأئمة، والشك في الإمامة كالشك في الرسالة، والشاك فيهما كافر، وجب قتله مع القدرة.[4]

وقد ورد في الكافي نوع آخر من أنواع الشرك الاعتقادي لا يُفهم معناه، ولا المراد منه، وهو أنْ يعبد المرء اسم الله تعالى ومعناه، فقد روى عن أبي عبد الله رحمه الله أنَّه قال: "من عَبَدَ الله بالتوهم فقد كفر،.... ومن عَبَدَ الاسم والمعنى فقد أشرك، ومن عَبَدَ المعنى بإيقاع الأسماء عليه بصفاته التي وصف بها نفسه، فعقد عليه قلبه، ونطق به لسانه في سرائره وعلانيته، فأولئك أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام حقاً،"[5] فذكر هنا نوعاً من الشرك الاعتقادي وهو اعتقاد أنَّ العبادة هي لاسم الله

---

(1) [الكليني: الكافي ، الإيمان والكفر/ الشرك،397/2،398: ح4].

(2) [المصدر السابق ، الحجة/ التسليم وفضل المسلمين، 390/1: ح2].

(3) [المصدر نفسه ، الإيمان والكفر/ الكفر، 386/2: ح10].

(4) المازندراني، شرح أصول الكافي، بتصرف (ج62/10).

(5) [الكليني: الكافي، التوحيد/ المعبود، 87/1: ح1].

تعالى ومعناه، فهذا حاله كمن عَبَدَ أكثر من إله، وهو المقصود بقوله: "من عبد الاسم والمعنى فقد أشرك،" أي من عَبَدَ الحروف أو المفهوم الوصفي، وصورة هذا الشرك أنْ يعبد الإنسان الاسم المركب من الحروف، مثل الله والرحمن والرحيم، ويعبد المعنى،[1] والمراد منه هو الذات المقدسة المنزهة عن التركيب والحدوث، فمن عَبَدَ الاسم والمعنى أي عَبَدَ المجموع فقد أشرك، حيث جعل الاسم مشاركاً للمعنى في استحقاق العبادة، فيكون قد اتخذ إلهين اثنين، بل آلهة لتعدد الأسماء وتكثُّرها؛ لأنَّ الحروف والمفهوم غير الواجب الخالق للكل تعالى شأنه، وأمَّا التوحيد فهو أنْ يعبد المعنى وحده، ويذكر اسماً من أسمائه، باعتبار أنَّه دالّ عليه، على ما جرت عليه العادة من انتقال الذهن من اللفظ إلى المعنى، فمعنى قوله: "ومن عبد المعنى بإيقاع الأسماء عليه بصفاته التي وصف بها نفسه، فعقد عليه قلبه، ونطق به لسانه في سرائره وعلانيته، فأولئك أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام حقاً،"[2] فالمعنى أي من عبد المعنى حال كون ذلك العابد آخذاً بصفاته، أو حال كون المعنى مأخوذاً بصفاته، أو حال كون الأسماء متلبسة بصفاته التي وصف بها نفسه كان موحداً.[3]

2-الشرك اللفظي في العبودية:

كأنْ يخضع ويتذلل الفرد لغير الله تعالى من خلال القول، مع الاعتقاد بأنَّ المخضوع له إله وربّ، وكما لو قال أحد الأفراد كلاماً أو وصفاً في حق غير الله عزَّ وجلَّ يدلّ على التذلّل والخضوع له، وكان القائل معتقداً بألوهية المقُول له، أو كان معتقداً بتحقُّق صفة خاصة بالمولى تعالى في مخلوقٍ استقلالاً، ومثاله ما رواه الكليني عن هشام بن الحكم أنَّه قال: "قال أبو شاكر الديصاني: إنَّ في القرآن آية هي قولنا، قلت: ماهي؟، فقال: ﴿**وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَٰهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَٰهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ**﴾ [الزُّخرف:84]، فلم أدرِ بما أجيبه، فحججت فخبرت أبا عبد الله عليه السلام فقال: هذا كلام زنديقٍ خبيثٍ، إذا رجعت إليه فقل له: ما اسمك بالكوفة؟، فإنَّه يقول فلان فقل له: ما اسمك بالبصرة؟، فإنَّه يقول: فلان، فقل، كذلك الله ربنا، في السماء

(1) انظر: المجلسي، بحار الأنوار (ج166/4)، المؤلف نفسه، مرآة العقول (ج303/1).

(2) [الكليني: الكافي، التوحيد/ المعبود، 87/1: ح1].

(3) المازندراني، شرح أصول الكافي، بتصرف (ج97/3).

إلـه، وفـي الأرض إلـه، وفـي البحـار إلـه، وفـي القفـار إلـه، وفـي كـل مكـان إلـه،"[1] فهنـا اعتقد الزنـديق أنَّ معتقده بوجـود إلهـين موجـود فـي القـرآن الكـريم، فهـو ممـن يقـول بوجـود إلهـين أحـدهما فــي السـماء وهــو النــور المعبـر عنــه بيــزدان، والآخـر فــي الأرض وهــو الظلمــة المعبــر عنهــا بــأهرمن،[2] وقـد ردَّ عليــه جعفـر رضـــي الله عنـــه بـــإيراد المعنـــى الصحيح للآية الكريمة.

3-الشرك العملي في العبودية:

كـأنَّ يـأتي العبـدُ بأفعـالٍ تُـدلّل علـى الخضـوع والتـذلّل لغيـر الله عـزَّ وجـلَّ، مـع الاعتقاد بأنَّـه إلـه ورب فـي مقابل المـولى تعـالى، كمـا لـو سجد عَبْدٌ لغيـر الله تعـالى وهـو يعتقد بكـون المسـجود لـه ربّـاً فـي مقابـل الإلـه الواحـد القهّـار، فهـذا يتنـافى مـع التوحيـد فـي العبوديـة التـي أشـار إليهـا المـولى تعـالى فـي آيـات كثيـرة، ومنهـا قولـه: ﴿إِيَّـاكَ نَعْبُـدُ وَإِيَّـاكَ نَسْـتَعِينُ﴾ [الفاتحــة:5]، وقـد ورد عـن أبـي جعفـر رحمـه الله أنَّـه قـال: "فمـن اختـار علـى الله عـزَّ وجـل، وأبــى الطاعــة، وأقــام علــى الكبــائر فهــو كــافر، ومــن نصــب دينــاً غيــر ديــن المـؤمنين فهـو مشـرك،"[3] والـذي صـرف عبادتـه لغيـر الله تعـالى يكـون قـد اختـار مخلوقـاً علــى الله تعــالى، وروى عــن أبــي عبـد الله رحمــه الله قــال: "مــا بعــث الله نبيــاً حتــى يأخـذ عليـه ثـلاث خصـال: الإقـرار لـه بالعبوديـة، وخلـع الأنـداد، وأنَّ الله يقـدم مـا يشـاء، ويـؤخر مــا يشــاء،"[4] فالمقصــود بالأنــداد هــي مــا كــانوا يتخذونـــه آلهــة مــن دون الله تعــالى، فيصـرفون إلـيهم العبـادات مـن دون الله تعـالى، والإخـلاص هـو تنزيـه النيـة والعمـل عـن أنْ يكون لغيره تعالى.[5]

ثانياً: الشرك الأصغر:

إنَّ مفهـوم الشـرك الأصـغر وفقـاً لروايـات الكلينــي، هـو تـرك أوامـر الله تعــالى، ولكـن يُشـترط اعتقـاد الولايـة حتـى يُعتبـر تـرك العمـل شـركاً أصـغر؛ لأنَّ الشـرك الأصـغر

---

(1) [الكليني: الكافي، التوحيد/ قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الحَكِيمُ العَلِيمُ﴾ [الزُّخرف:84]، 128/10،192:ح10].

(2) المازندراني، شرح أصول الكافي (ج6/3)، النائيني، الحاشية على أصول الكافي (ص425).

(3) [الكليني: الكافي، الإيمان والكفر/ الكفر، 383/2،384: ح2].

(4) [المصدر السابق، التوحيد/ البداء، 147/1: ح3].

(5) انظر: المازندراني، شرح أصول الكافي (ج253/4)، العاملي، وسائل الشيعة (10/4).

لا يُخرج من الملة، وعدم اعتقاد الولاية يخرج من الملة اتفاقاً عند الشيعة، قال أبو عبد الله رحمه الله: "إنَّ الله عزَّ وجل فرض فرائض موجبات على العباد، فمن ترك فريضة من الموجبات فلم يعمل بها وجحدها كان كافراً، وأمر [رسول] الله بأمورٍ كلها حسنة، فليس من ترك بعض ما أمر الله عزَّ وجلَّ به عباده من الطاعة بكافر، ولكنه تارك للفضل، منقوص من الخير،"(1) وهذه الرواية مقيدة برواياتٍ أخرى؛ فإنَّ من قام بالفرائض مطلقاً دون اعتقاد الولاية يكون مشركاً شركاً أكبر، لا يُقبل منه عمله، ومن الأمثلة على الشرك الأصغر خصال النفاق الأصغر إذا فعلها معتقد الولاية، وهذا ما قاله جعفر رحمه الله عندما سُئل: "**رجل على هذا الأمر** إنْ حدث كذب، وإنْ وعد أخلف، وإنْ اؤتمن خان، ما منزلته؟، قال: هي أدنى المنازل من الكفر، وليس بكافرٍ،"(2) فهنا قيَّد كون تلك الخصال من الشرك الأصغر إذا كان المرء معتقداً للولاية، وأما المسلم كامل الإيمان لو أتى بكل العبادات، بدون اعتقاد الولاية فهو مشرك.

والشرك الأصغر محبط للعمل، فرُوي عن أبي عبد الله رحمه الله أنَّه سُئل عن قوله تعالى: ﴿**وَمَنْ يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الآَخِرَةِ مِنَ الخَاسِرِينَ**﴾ [المائدة:5]، فقال: "ترك العمل الذي أقرّ به، ومن ذلك أنْ يترك الصلاة من غير سقم ولا شغل."(3)

وكل ما أدَّى إلى الشرك فهو شرك، ووسائل الشرك تأخذ حكم ما أدَّت إليه من الشرك، روى الكليني عن أبي جعفر رحمه الله أنَّه قال: "كل شيءٍ يجرّه الإقرار والتسليم فهو الإيمان، وكل شيء يجرّه الإنكار والجحود فهو الكفر."(4)

الرد على ما اعتبره الكليني نواقض في توحيد الألوهية:

1-إنَّ آيات القرآن الكريم جاءت واضحة الدلالة على أنّ الله تعالى هو المعبود، ولا معبود سواه، ومن ذلك قوله سبحانه: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾ [البقرة:21]، فأنكر عليهم ما عبدوا من دون الله تعالى من

---

(1) [الكليني: الكافي، الإيمان والكفر/ الكفر، 383/2: ح1].

(2) [المصدر السابق، الإيمان والكفر/ في أصول الكفر وأركانه، 290/2: ح5].

(3) [المصدر نفسه ، الإيمان والكفر/ الكفر، 384/2: ح5].

(4) [المصدر نفسه ، الإيمان والكفر/ الكفر، 387/2: ح15].

المعبودات الباطلة، وقال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [النحل: 73]، والآيات في وجوب افراد الله تعالى بالعبادة أكثر من أنْ تُحصى، وهي واضحة الدلالة على وجوب أنْ تكون لله تعالى وحده، ولا يَشْرُكْه فيها مخلوق، سواء اعتقد أنَّه وساطة أو غير ذلك.(1)

2-إنَّ للعبادة أسساً يجب أن تُقام عليها حتى تُقبل، وهي:

أ- أن تكون العبادة خالصة لله وحده، لا يشاركه فيها بشر، أو حجر، أو كوكب، أو شجر، لقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ [الزمر:11].

ب- أن تكون العبادة موافقة للشرع، فيتحقق فيها اتباع كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، لقوله سبحانه: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ النحل:116، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "فإنَّ دين الإسلام مبني على أصلين: أحدهما أن يُعبد الله وحده لا يشرك به شيء، والثاني: أنْ يُعبد بما شرعه على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم، وهذان هما حقيقة قولنا أشهد أن لا إله إلا لله، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله".(2)

ولكنَّ الشيعة ومنهم الكليني في كافيه جعلوا توحيد الألوهية محصوراً باعتقاد ولاية الأئمة، التي هي أصل قبول الأعمال عندهم، وعليها مدار الثواب والعقاب، وخالفوا أركان توحيد الألوهية أعظم مخالفة، فجعلوا الشرك هو الإخلاص، وعبدوا الله تعالى بالبدع والمحدثات الشركية، وقد وردت بعض الروايات عن الأئمة في بيان ركني توحيد الألوهية ولكن ما استقرَّ عليه الشيعة هو رفض مثل هذه الروايات والأخذ بما يناقضها.

3-لقد وردت بعض الروايات التي تُناقض قول الكليني إنَّ الولاية تنفع بدون عمل، فعن جابر قال: "دخلت على أبي جعفر الباقر فقال: أيُكتفي ممن ينتحل التشيع أن يقول بحبنا أهل البيت؟!، فوالله ما شيعتنا إلا من اتقى الله وأطاعه، وما كانوا يُعرفون يا جابر إلا بالتواضع والتخشع والأمانة، وكثرة ذكر الله، والصوم والصلاة،

(1) انظر: ابن تيمية، العبودية (ص 45،44)، صالح، عقيدة أل البيت بين أهل السنة والشيعة الإثنا عشرية (ص153).

(2) ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج365/1).

والبر،......وكانوا أمناء عشائرهم في الأشياء، قال جابر: فقلت: يا ابن رسول الله ما نعرف اليوم أحداً بهذه الصفة، فقال: يا جابر لا تذهبنَّ بك المذاهب، حسب الرجل أن يقول: **أحب عليا وأتولاه، ثم لا يكون مع ذلك فعالاً؟، فلو قال: إني أحب رسول الله، فرسول صلى الله عليه وسلم خير من علي عليه السلام، ثم لا يتبع سيرته، ولا يعمل بسنته ما نفعه حبه إياه شيئاً**، فاتقوا الله تعالى، واعملوا لما عند الله تعالى، ليس بين الله تعالى وبين أحد قرابة، أحب العباد إلى الله عزَّ وجلَّ [وأكرمهم عليه] أتقاهم وأعملهم بطاعته، يا جابر **والله ما يتقرب إلى الله تبارك وتعالى إلا بالطاعة، وما معنا براءة من النار**، ولا على الله لأحد من حجة، من كان لله مطيعاً فهو لنا ولي، ومن كان لله عاصياً فهو لنا عدو، وما تُنال ولايتنا إلا بالعمل والورع،"[1] وهذه الروايات موافقة للنصوص الشرعية، ولكن لا يُؤخذ بها وبأمثالها، وتُؤول إما أنها قيلت تقية، أو بتمحلات المعاني، وهي دليل بطلان المذهب بسبب هذا التناقض الواضح.

4-إنَّ صرف العبادات لغير الله تعالى مثل دعاء الأئمة والاستغاثة بهم والتوسل إليهم من الشركيات الواضحة، فالله تعالى قال: ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف:180]، ولم يقل سبحانه: فادعوه بأسماء الأئمة، أو مقامات الأئمة أو مشاهدهم، وإذا كان صاحب الزمان عندهم قد عجز عن الخروج إلى شيعته خوفاً من القتل، فكيف يوصف بأوصافٍ خارقةٍ وكأنَّه إله؟، ويُطلب منه الحاجات مما لا يقدر عليه إلا الله تعالى، وهو عاجز عن حماية نفسه، قد قبع في سردابه وتوارى عن الأنظار.[2]

5-لقد ذكر الكليني أنواعاً من الشرك لا يقول بها عاقل، فيُقال للكليني هل مرَّ على البشرية كلها شخص قال: أنا سأعبد اسم الله تعالى دون معناه، أو سأعبد الاسم والمعنى؟، فهل هذا يخطر على قلب بشر، ومن المضحكات المبكيات أنَّه جاء في نهاية الرواية قول هشام بن الحكم -ناقل الرواية-: "فوالله ما قهرني أحد في التوحيد حتى قمت مقامي هذا،"[3] ونحن لا ندري من هم الذين قهرهم هشام بمعرفته لهذه

---

(1) [الكليني: الكافي، الإيمان والكفر/ الطاعة والتقوى، 74/2: ح2].

(2) انظر: القفاري، أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثنا عشرية (ج466/2).

(3) [الكليني: الكافي، التوحيد/ المعبود، 87/1: ح2].

الروايــة؟، ولعـل النــاس قـد دخلـت فــي ديـن الله أفواجــاً ممــن كــانوا يعبـدون اسـم الله تعــالى ومعناه!!!!.

6- إن التفريــق بــين الاســم والمســمى (فــالكليني يقصــد بــالمعنى المســمى فــي قولــه: "مــن عبـد الاســم والمعنــى")، هــو مــن البــدع الحادثــة التــي أدخلهــا المبتــدعون علــى التوحيــد، والقــول الصــواب هــو القــول إنَّــا نعبــد الله تعــالى المســمى بأســماء الجــلال، والموصــوف بصـفات الكمـال، القائمـة بذاتـه سـبحانه وتعـالى، ولا نقـول إن الصـفة هـي عـين الـذات، ولا غيـر الـذات إلا بعـد الاستفصـال؛ لأن فـي إطلاقهـا تلبـيس وإيهـام، وهـذا فضـلاً عـن كونهـا مبتدعـة، وكثيـراً مـا يُـراد بهـا باطـل، وهـي مسـألة اشـتهرت بـين المبتـدعين، وأول مـن قـال بهــا الجهميــة لتأييــد بــاطلهم فــي مســألة كــلام الله تعــالى، وقــد ذكــر شــيخ الإســلام هــذه المسألة مفصّلة ورد على من جانب الصواب فيها.(1)

7-قـول الكلينـي إنَّ أسـماء الله تعـالى هـي غيـر المسمى، يلـزم منـه أنَّـه لا يجـوز أنْ نـدعو الله تعـالى بأسـمائه، فـلا يجـوز أن نقـول يـا رحمـان يـا رحـيم، فـلازم روايـة الكلينـي أن مـن عَبَـدَ الاسـم دون المعنـى فقـد أشـرك، والـدعاء وسـؤال الله هـي مـن عبادتـه، وهـذا بعينـه قـول الكفـار عـن حينمـا اعترضـوا علـى النبـي صـلى الله عليـه وسـلم؛ لأنَّـه كـان يـدعو الله تعـالى بأسـماء متعـددة فظنـوا أنَّـه يـدعو إلهـين، فنزلـت الآيـة فـي الـرد علـى معتقـدهم الفاسـد، قـال تعالى: ﴿ قُـلِ ادْعُـوا اللهَ أَوِ ادْعُـوا الـرَّحْمَنَ أَيًّـا مَـا تَـدْعُوا فَلَـهُ الأَسْـمَاءُ الحُسْـنَى وَلَا تَجْهَـرْ بِصَـلَاتِكَ وَلَا تُخَافِـتْ بِهَـا وَابْتَـغِ بَـيْنَ ذَلِـكَ سَـبِيلًا﴾ [الإسراء:110]، ففـي هذه الآيـة أمـر الله تعالى نبيـه أنْ يقـول- للمشـركين المنكـرين دعـاء الله تعـالى بأسـماء متعـددة،- ادعـوا أيهـا القـوم بـأيِّ اسم من أسمائه تعالى، فإنَّما تدعون واحداً، وله الأسماء الحسنى.(2)

وأمـا اعتبـار الكلينـي أنَّ الولايـة أسـاس الـدين وأنَّ الأعمـال لا تُقبـل بـدونها فقـد مـرَّ سابقاً.(3)

---

(1) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج190/6-203).

(2) انظر: الطبري، جامع البيان (ج580/17).

(3) انظر: ص323 من هذا البحث.

المطلب الثالث

المسائل التي تُناقض توحيد الألوهية في كتاب الكافي[1]

إنَّ روايات الكافي تنضح كفراً وشركاً في توحيد الألوهية، فلا تكاد تجد عبادة إلا ودخلها الشرك، وحتى لوازم توحيد الألوهية وشروطها قد أُبطلت بمعتقداتٍ فاسدةٍ تقدح فيها، وكل هذه الشركيات تندرج تحت شرك الطاعة للمخلوقين من دون الله تعالى، ومخالفة أوامر الله تعالى؛ فالشيعة أطاعوا كبراءهم فيما شرَّعوه لهم من بدعٍ وشركياتٍ، فجعلوهم آلهة يُشرِّعون من دون الله تعالى، وأخذوا برواياتهم التي وضعوها كذباً وزوراً على أئمة أهل البيت، وتركوا نصوص القرآن الكريم، وصحيح السنة النبوية، **وسيتمُّ ذكر بعض الشركيات الواردة في روايات الكافي على سبيل المثال لا الحصر:**

أولاً: الشرك في العبادات القلبية:

لقد أوجب الله تعالى معتقدات يجب على كل مؤمنٍ أن يدين بها لله تعالى، وهي لا تحقُّ إلا له سبحانه وتعالى، ولكنَّ الشيعة عمدت إليها فصرفتها إلى معانٍ شركيةٍ، وقصدت بها أئمتها، **ومن أمثلة الطاعات القلبية التي أُشرك فيها في كتاب الكافي:**

1-الإيمان:

جعل الكليني الإيمان مختصاً بالتصديق بالولاية، واستدلَّ على ذلك بآيات حُرِّف معناها، فنسب لأبي جعفر رحمه الله أنَّه قال في قوله تعالى: ﴿قُولُوا آَمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا﴾ [البقرة:136]، "إنَّما عنى بذلك علياً عليه السلام وفاطمة والحسن والحسين، وجرت بعدهم في الأئمة عليهم السلام، ثم يرجع القول من الله تعالى في الناس فقال: ﴿فَإِنْ آَمَنُوا ﴾، يعني الناس، ﴿بِمِثْلِ مَا آَمَنْتُمْ بِهِ﴾، يعني علياً وفاطمة والحسن والحسين والأئمة عليهم السلام، ﴿فَقَدِ اهْتَدَوْا﴾، إلى أمير المؤمنين عليه السلام،"[2] ونَسَب لأبي عبد الله رحمه الله أنَّه قال في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ اللهَ

---

(1) في هذا المطلب سيتم ذكر المسائل التي تناقض توحيد الألوهية في كتاب الكافي، وأما في المطلب السابق فذُكرت الأمور التي عدَّها الكليني نواقض.

(2) [الكليني: الكافي، الحجة/ فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية، 415،414/1: ح19].

حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات:7]، "يعني أمير المؤمنين،"[1] والتحريف لمصطلح الإيمان وارد في رواياتٍ كثيرةٍ، واتّباعاً لهذا التأويل جعل الكليني النصوص التي تنهى عن الشرك مختصَّة بالشرك في ولاية الأئمة، ففي قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الخَاسِرِينَ﴾ [الزُّمر:65]، ادعى أنَّ معناها: "إن أشركت في الولاية غيره،"[2] فهذا أهم وصفٍ وغايةٍ قد أُوِّل بالولاية، وهذا معتقد الشيعة عامة في مفهوم الإيمان، وأنَّه مختصّ بمعرفة الأئمة والتصديق بهم.[3]

2-الطاعة:

لقد عمد الكليني إلى بعض الآيات التي وردت في وجوب طاعة الله تعالى فجعلها مختصة بالأئمة، فقد روى عن أبي عبد الله رحمه الله أنَّه قال في قول الله عز وجل: "﴿وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ [في ولاية علي وولاية الأئمة من بعده] فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:71]، هكذا نزلت،"[4] والطاعة في الآية الكريمة لفظ عام مختصّ في وجوب طاعة الله تعالى فيما أمر به على لسان نبيه، ولكنَّ الشيعة خصُّوه بطاعة الأئمة، وقد ذكر الكليني: "باب فرض طاعة الأئمة،"[5] وذكر فيه أنَّ الأئمة هم أولو الأمر الذين أمر الله تعالى بطاعتهم في الآية: ﴿أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء:59]."[6]

---

(1) [الكليني: الكافي، الحجة/ فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية، 426/1: ح71].

(2) [المصدر السابق، الحجة/ فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية، 427/1: ح76].

(3) انظر: الطوسي، التهذيب (ج36/3)، المجلسي الأول، روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه (ج502/2)، البحراني، الحدائق الناضرة (ج21/9)، الحويزي، تفسير نور الثقلين (ج113/2).

(4) [الكليني: الكافي، الحجة/ فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية، 414/1: ح8].

(5) [المصدر السابق، الحجة/ فرض طاعة الأئمة، 178/1].

(6) [المصدر نفسه ، الحجة/ فرض طاعة الأئمة، 178/1: ح7].

3-الولاء:

إنَّ من معاني الولاية -الواردة في القرآن الكريم- ما هو مختصّ بالله سبحانه وتعالى، ولا يجوز صرفه لغيره تعالى، وهذا المعنى ورد في قول الله تعالى: ﴿هُنَالِكَ الوَلَايَةُ للهِ الحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾ [الكهف:44]، وفي الآية قراءتان: بفتح واو الولاية، وبكسرها، فمن فتح الوَلاية فإنَّه أراد الموالاة والنصرة، ومن كسر أراد السلطان والملك،[1] وعلى كلا المعنيين فلفظ الولاية مختصّ، برب العالمين كما يقتضي سياق الآية ومعناها، ولكنَّ الكليني جعل المراد بالولاية ولاية الأئمة، فقد نسب لأبي عبد الله رحمه الله أنَّه قال عن قول الله تعالى: ﴿هُنَالِكَ الوَلَايَةُ للهِ الحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾ [الكهف:44]، "ولاية أمير المؤمنين عليه السلام."[2]

4-التقوى:

التقوى تعني الخوف من الله تعالى واتِّقاء عقابه، وأمَّا الشيعة فقد جعلوها مختصة بمعرفة الإمام وطاعته، فقد نسب الكليني لأبي جعفر رحمه الله أنَّه قال: "الرحمة في قوله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف:156]، ...علم الإمام، ووسع علمه [أي علم الإمام] الذي هو من علمه [أي علم الله تعالى]، ﴿كُلَّ شَيْءٍ﴾ هم شيعتنا، ثم قال: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ [الأعراف:156]، يعني ولاية غير الإمام وطاعته،"[3] فقد ذُكرت الرحمة في الآية والمقصود بها علم الإمام، وأنَّه وسع كل شيء، ثم ذكر الله تعالى أنَّه سيُثبت الرحمة وإقرارها عند ظهور المهدي للذين يتقون- أي يبتعدون عن- ولاية غير الإمام العدل.[4]

5-الإخلاص:

إنَّ من شروط كلمة التوحيد أنْ يقولها المرء ويعمل بها مخلصاً، يبتغي بها وجه الله تعالى، وأمَّا الكليني فجعل شرط كلمة التوحيد أنْ يُشرِك المرء بكلمة التوحيد، وسمَّى ذلك إخلاصاً، فروي عن أبي عبد الله رحمه الله أنَّه قال: "يا أبان إذا قدمت

---

(1) انظر: ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير (ج87/3).

(2) [الكليني: الكافي، الحجة/ فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية، 418/1: ح34].

(3) [المصدر السابق، الحجة/ فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية، 429/1: ح83].

(4) المازندراني، شرح أصول الكافي، بتصرف (ج11 /177).

الكوفة فارِو هذا الحديث: من شهد أن لا إله إلا الله مخلصاً وجبت له الجنة، قال: قلت له: إنَّه يأتيني من كل صنف من الأصناف أفأروي لهم هذا الحديث؟، قال: نعم يا أبان، إنَّه إذا كان يوم القيامة، وجمع الله تعالى الأولين والآخرين فتُسلب لا إله إلا الله منهم، إلا من كان على هذا الأمر،"[1] فجعل شرط الإخلاص اعتقاد الولاية، ويُعضدها رواية: "أنَّ رجلاً أتى أبا جعفر عليه السلام فسأله عن الحديث الذي رُوي فيه أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من قال لا إله إلا الله دخل الجنة، فقال أبو جعفر عليه السلام: الخبر حق، فولّى الرجل مدبراً، فلما خرج أمر بردِّه، ثم قال: يا هذا إنَّ للا إله إلا الله شروطاً، ألا وإنِّي من شروطها،"[2] والروايات بهذا المعنى كثيرة جداً،[3] فالله تعالى –على حد زعم الشيعة– جعل إخلاص كلمة التوحيد أن يُشرك فيها الأئمة، ومن وحَّد الله تعالى بلا ذلك الشرط فهو مشرك.

ثانياً: الشرك في العبادات القولية:

1–الدعاء:

إنَّ الله تعالى جعل الدعاء هو العبادة، ولا يجوز صرف الدعاء للمخلوق، ولكن كثيراً من الروايات في الكافي ورد فيها شرك الدعاء، فقد نسب الكليني للإمام الرضا رحمه الله أنَّه قال: "الإمام الأنيس الرفيق، والوالد الشفيق، والأخ الشقيق، والأم البرة بالولد الصغير، **ومفزع العباد في الداهية النآد،**[4] الإمام أمين الله تعالى في

(1) [الكليني: الكافي، الدعاء/ من قال: لا إله إلا الله مخلصاً، 516/2: ح1].

(2) الطبرسي، مستدرك الوسائل (ج359/5)، القمي، علي، فقه الرضا (ص290)، المجلسي، بحار الأنوار (ج13/3).

(3) ومن هذه الروايات ما رُوي أنَّه جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال: "يا رسول الله هل للجنة من ثمن؟، قال: نعم، قال: ما ثمنها؟، قال: لا إله إلا الله، يقولها العبد مخلصاً بها، قال: وما إخلاصها؟، قال: العمل بما بعثت به في حقه وحب أهل بيتي، قال: فداك أبي وأمي وإن حب أهل البيت لمن حقها؟، قال: إن حبهم لأعظم حقها،" المجلسي، بحار الأنوار (ج13/3)، ومنها أيضاً الرواية التي نُسب للرب العزة قوله: "أنا الله لا إله إلا أنا وحدي، عبادي فاعبدوني، وليعلم من لقيني منكم بشهادة أن لا إله إلا الله مخلصاً بها أنه قد دخل حصني، ومن دخل حصني أمن عذابي، قالوا: يا ابن رسول الله وما إخلاص الشهادة لله؟، قال: طاعة الله ورسوله وولاية أهل بيته عليهم السلام،" المجلسي، بحار الأنوار (ج15/3).

(4) المراد بقوله: "مفزع العباد في الداهية النآد،" أي أن "الإمام مفزع للعباد إذا دهمهم أمر فزعوا إليه ليدفعه عنهم،" المازندراني، شرح أصول الكافي (ج211/5).

خلقه، وحجته على عباده، وخليفته في بلاده، والداعي إلى الله تعالى، والذابّ عن حرم الله تعالى، الإمام المطهر من الذنوب، والمبرأ عن العيوب،"[1] وذكر الكليني روايات تُؤول الآيات التي وردت صريحةً في وجوب إفراد الله تعالى بالدعاء، فجعل المراد منها إشراك الأئمة في الدعاء، فنسب لأبي عبد الله رحمه الله أنَّه قال: "﴿ذَٰلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللهُ وَحْدَهُ (وأهل الولاية) كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ للهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾ [غافر:12]،"[2] بل وجعل من أسباب قبول الدعاء سؤال الله تعالى بجاه المخلوق، فذكر أنَّ أبا عبد الله رحمه الله كان "أكثر ما يُلِحُّ به في الدعاء على الله تعالى بحق الخمسة، يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين صلوات الله عليهم،"[3] وذكر أنَّ الأئمة كانوا يُعلِّمون الناس أنْ يفزعوا إلى المخلوق دون الخالق في النوائب، فنسب لأبي عبد الله رحمه الله أنَّه قال لرجلٍ من شيعته: "إذا نزل بك أمر فافزع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وصَلِّ ركعتين تهديهما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وابكِ أو تباك، وقل: يا محمد، يا رسول الله أشكو إلى الله تعالى وإليك حاجتي، وإلى أهل بيتك الراشدين، وبكم أتوجه إلى الله تعالى في حاجتي،"[4] فالتوسل لله تعالى بمقام إنسان صالح، وطلب شيء من اللّه تعالى عن طريق التوسل بجاه ذلك الإنسان عند الله تعالى، لا يُنافي التوحيد،[5] ومعتقد الشيعة أنَّ من وحَّد الله تعالى بالدعاء فهو هالك، وأمَّا من دعا الله تعالى بالأئمة أفلح، ومن دعا بغيرهم هلك واستهلك،[6] وبلغت جرأتهم في هذا الباب أنْ قالوا: "إنَّ دعاء الأنبياء استجيب بالتّوسل والاستشفاع بهم،"[7] ومستندهم في ذلك الرواية المنسوبة لأبي الحسن رحمه الله أنَّه قال فيها عن قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ للهِ فَلَا

---

(1) [الكليني: الكافي، الحجة/ نادر جامع في فضل الإمام وصفاته، 198/1،199: ح1].

(2) [المصدر السابق، الحجة/ فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية، 421/1: ح46].

(3) [المصدر نفسه ، الدعاء/ دعوات موجزات لجميع الحوائج للدنيا والآخرة، 580/2: ح11].

(4) [المصدر نفسه ، الصلاة/ صلاة الحوائج، 376/3،377: ح1].

(5) انظر: الصدوق، الأمالي (ص462)، الخاجوئي، الرسائل الفقيهة (ج290/2)، القمي، عباس، الأنوار البهية (ص316).

(6) انظر: المجلسي، بحار الأنوار (ج102/23)، كاشف الغطاء، كشف الغطاء عن الشريعة الغراء (ج501/3)، العاملي، الحر، وسائل الشيعة (ج103/7).

(7) المجلسي، بحار الأنوار (ج319/26)، الشاهرودي، مستدرك سفينة الأنوار (ج339/2).

تَـدْعُوا مَـعَ اللهِ أَحَـدًا﴾ [الجـنّ:18]، قال: "هم الأوصياء،"[1] والمراد بالمساجد إما المواضـع التـي بُنيـت للعبـادة، أو الصـلوات، وعلـى هـذا فتأويـل الخبـر أنْ يكـون المـراد بهـا بيـوت الأئمـة ومشـاهدهم؛ فـإنَّ الله تعـالى جعلهـا محـلاً للسـجود، أي الخضـوع والتـذلل والطاعـة، فيُقّـدر مضـاف فـي الأخبـار، وعلـى هـذا الوجـه يُحتمـل التعمـيم بحيـث يشـمل سـائر البقـاع المشـرفة، ويكـون ذكـر هـذا الفـرد لبيـان أشـرف أفرادهـا، أو أنْ يكـون المـراد بهـا الأئمـة، **ويكـون أمـراً بإتيـانهم ودعـائهم وطـاعتهم،**[2] وقـد ذكـر الكلينـي عشـرات الروايـات فـي فضـل دعـاء الأئمـة عنـد زيـارة المشـاهد التـي يعـدُّونها مقدسـة،[3] فـروى عـن أبـي عبـد الله رحمـه الله أنَّـه قـال: "إذا أردت زيـارة الحسـين عليـه السـلام فـزره وأنـت حـزين مكـروب شعث مُغبر جائع عطشان، **وسَلْه الحوائج**، وانصرف عنه، ولا تتخذه وطناً."[4]

2-الاستغاثة بالأئمة:

إنَّ الشـيعة الإماميـة تسـتغيث بـأئمتهم لكشـف النـوازل التـي لا يقـدر علـى كشـفها إلا الله تعـالى، فمـثلاً أورد الكلينـي أنَّ الإمـام هـو مفـزع العبـاد فـي النوائـب،[5] وذكـر الكلينـي عـن الأئمـة أنَّهـم كـانوا يُعلِّمـون النـاس أنْ يعـوذوا بـالمخلوق للخـلاص مـن عـذاب الله تعـالى، فقـد ورد فـي الكـافي: "اللهـم رب الأربـاب، صـريخ الأحبـاب، إنـي عُـذت بـأخي رسـولك مَعـاذاً، ففُـكَ رقبتـي مـن النـار، آمنـت بـالله ومـا أنـزل إلـيكم، وأتـولى آخـركم بمـا توليت به أولكم، وكفرت بالجبت والطاغوت، واللات والعزى."[6]

والانحـراف العملـي الـذي وقـع فيـه الشـيعة بسـبب هـذه الروايـات أكثـر مـن أنْ يُحصـى، فصـاروا يعتقـدون أنَّ أئمـتهم، الشـفاء الأكبـر والـدواء الأعظـم، لمـن استشـفى بهـم، فمـن خـرافتهم أنَّـه إذا كـان للمـرء حاجـة إلـى الله عـزَّ وجـلَّ فيجـب عليـه أنْ يكتبهـا علـى رقعـة، ويطرحهـا علـى قبـرٍ مـن قبـور الأئمـة إنْ شـاء، أو يشـدَّها ويعجـن طينـاً نظيفـاً ويجعلهـا فيـه، ثـم يطرحهـا فـي نهـرٍ جـارٍ، أو بئـرٍ عميقـة، أو غـدير مـاءٍ، فإنَّهـا تصـل إلـى الإمـام،

---

(1) [الكليني: الكافي، الحجة/ فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية، 425/1: ح65].

(2) انظر: المجلسي، بحار الأنوار (ج23 /331).

(3) انظر: [الكليني: الكافي، الحج/ أبواب الزيارات، 548/4].

(4) [المصدر السابق، الحج/ نادر، 587/4: ح2].

(5) انظر: [المصدر السابق، الحجة/ نادر جامع في فضل الإمام وصفاته، 200/1: ح1].

(6) [الكافي، الكليني: الحج/ دعاء عند قبر أمير المؤمنين رضي الله عنه، 570/4،571].

وهـو يتـولى قضـاء تلـك الحاجـة بنفسـه،[1] وهنـاك نـواقض قوليـة كثيـرة واردة فـي الكـافي كالاستعاذة بالأئمة، والاستجارة بهم، والحلف بهم، وغير ذلك كثير.[2]

3-طلب الاستشفاء بتربة الحسين:

يعتقد الشيعة أنَّ تربـة الحسـين شـفاء مـن كـل داءٍ، وهـذا بنـاءً علـى مـا ورد عنـدهم مـن روايـات تُثبـت ذلـك، وقـد ورد بعضــها فــي الكــافي، وأوجبـوا التوسـل إلــى الله تعـالى بحـق تلـك التربـة بقـول: "بسـم الله، اللهـمَّ بحـق هـذه التربـة الطـاهرة، وبحـق البقعـة الطيبـة، وبحـق الوصـي الـذي تواريـه، وبحـق جـده وأبيـه وأمـه وأخيـه، والملائكـة الـذين يحفُّـون بـه، والملائكـة العكـوف علـى قبـر وليـك ينتظـرون نصـره صـلى الله علـيهم أجمعـين، اجعـل لـي فيهـا شـفاءً مـن كـل داءً، وأمانـاً مـن كـل خـوف، وعـزّاً مـن كـل ذلٍّ، وأوسـع بهـا علـي فـي رزقـي، وأصِّـح بـه جسـمي،"[3] وقـد ذكـر المجلسـي -تفسـيراً وتأكيـداً لهـذه الروايـة- قرابـةً مـن ثـلاثٍ وثمـانين روايـة فـي كتابـه بحـار الأنـوار عـن تربـة الحسـين وفضـائلها وأحكامهـا وآدابهـا، ومنهـا روايـة: "ثـم يقـوم ويتعلـق بالضـريح ويقـول: يـا مـولاي، يـا ابـن رسـول الله إنِّـي آخـذ مـن تربتـك بإذنـك، اللهـم فاجعلهـا شـفاءً مـن كـل داءٍ، وعـزاً مـن كـل ذلٍ، وأمنـاً مـن كـل خـوفٍ، وغنـىً مـن كـل فقـرٍ،"[4] كمـا ويُفتـى معاصـروهم بـأن يـأكلوا مـن تربـة الحسـين للاستشـفاء بهـا، ويـرون لهـا فضـيلة لا تلحـق بهـا أي تربـة حتـى تربـة قبـر النبـي صـلى الله عليـه وسـلم،[5] وطلـب الشـفاء مـن تربـة الحسـين لا يُعـد شـركاً ولا كفـراً، إذا مـا تمَّ الطلب، مع الاعتقاد أنَّ الله تعالى هو من سيستجيب إلى الدعاء.

ثالثاً: الشرك في العبادات العملية:

1-الشرك في الصلاة:

إنَّ الشـرك فـي الصـلاة وقـع فـي جوانـب متعـددة عنـد الشـيعة، فقـد أُوِّلـت بعـض نصـوص الصـلاة بـأنَّ المـراد منهـا اتبـاع الأئمـة، وجعلـوا تمـام الصـلاة عنـد القبـور، بـل

---

(1) انظر: المجلسي، بحار الأنوار (ج34/91).

(2) انظر: [الكليني: الكافي، الحج/ ما يُقال عند قبر أمير المؤمنين، 571/4]

(3) [المصدر السابق، الحج/ نادر، 589/4: ح8].

(4) المجلسي، بحار الأنوار (ج137/98)، الطبرسي، حسين، مستدرك الوسائل (ج339/10).

(5) انظر: الخميني، تحرير الوسيلة (ج165/2).

وتجاوز الأمر إلى جعل صرف الصلاة لأصحاب القبور سبباً في زيادة فضيلة الصلاة، **ومن مظاهر هذه الشركيات:**

أ-تأويل نصوص الصلاة باتباع الأئمة:

لقد أوَّل الكليني بعض الآيات الواردة في الصلاة إلى أنَّ المراد منها اتباع الأئمة، فنسب لأبي عبد الله رحمه الله أنَّه سُئل عن تفسير قوله تعالى: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ﴾ [المدَّثر:42]، قال: "عنى بها لم نكُ من أتباع الأئمة الذين قال الله تبارك وتعالى فيهم: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ [الواقعة:11]، أما ترى الناس يُسمّون الذي يلي السابق في الحلبة مصلياً، فذلك الذي عنى حيث قال:﴿قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾ [المدَّثر:43]، لم نكُ من أتباع السابقين."[1]

ب-الإشراك في نية الصلاة:

إنَّ الشرك في الصلاة عند الشيعة يقع في النية والأركان، فهم يتوجهون بصلاتهم لأصحاب القبور في حال زيارتهم للمشاهد المقدسة، وحتى في حال عدم زيارتهم، فينوي الشيعي الشرك في نيته حتى تزداد فضيلة الصلاة، فقد نسب الكليني لأبي عبد الله رحمه الله أنَّه قال: "إذا بعدت بأحدكم الشقة، ونأت به الدار، فلْيَعْلُ أعلى منزله، وليصلِ ركعتين، وليؤم بالسلام إلى قبورنا، فإنَّ ذلك يصل إلينا."[2]

ج-تمام الصلاة يكون عند المشاهد المقدسة:

وهذا جانب آخر من شركهم، وهو أنَّهم جعلوا الصلاة في بعض المشاهد لها فضل وأجر مضاعف، فرُوي عن أبي عبد الله رحمه الله أنَّه قال: "مكة حرم الله، وحرم رسوله، وحرم أمير المؤمنين عليهما السلام، الصلاة فيها بمائة ألف صلاة، والدرهم فيها بمائة ألف درهم، والمدينة حرم الله، وحرم رسوله، وحرم أمير المؤمنين صلوات الله عليهما، الصلاة فيها بعشرة آلاف صلاة، والدرهم فيها بعشرة آلاف درهم، والكوفة حرم الله، وحرم رسوله، وحرم أمير المؤمنين عليهما السلام، الصلاة فيها بألف صلاة، والدرهم فيها بألف درهم،"[3] وهذا المعنى تؤكده روايات كثيرة في الكافي؛ فعن أبي

---

(1) [الكليني: الكافي، الحجة/ فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية،419/1: ح38].

(2) [المصدر السابق، الحج/ النوادر، 587/1: ح1].

(3) [الكليني: الكافي، الحج/ بدون اسم، 586/4: ح1].

شبل قال: "قلت لأبي عبد الله رحمه الله: أزور قبر الحسين عليه السلام؟، قال: نعم زُرِ الطيب، **وأتمَّ الصلاة فيه**، قلت: فإنَّ بعض أصحابنا يرون التقصير، قال: إنما يفعل ذلك الضعفة."[1]

د-الإخلال في شروط الصلاة:

لقد أوجب الشيعة على زائر القبر أنْ يستقبله بالصلاة وإنْ خالف القبلة، فرُوى عن أبي عبد الله رحمه الله أنَّه قال: "إذا فرغت من السلام على الشهداء فأت قبر أبي عبد الله عليه السلام، فاجعله بين يديك، ثم تصلي ما بدا لك،"[2] والإخلال في شروط العبادات هنا يُخلُّ بتوحيد الألوهية؛ لأنَّ ركني توحيد العبادة أن يُعبد الله تعالى بما شرع، وأن تكون العبادة خالصة لله تعالى، والشيعة في مخالفتهم لشروط العبادات قد أخلُّوا بتلك الأركان، فأشركوا مع الله تعالى، وعبدوه بالبدع والمحدثات.[3]

2-الشرك في الحجّ:

لقد جعل الكليني الحجَّ إلى المشاهد أعظم من الحجِّ إلى بيت الله الحرام، وجعل طقوساً خاصة للزيارة، وهذا معتقد عامة الشيعة بأنّ زيارة مشاهد وقبور أئمتهم أعظم من الحج إلى بيت الله العتيق، ولقد صدق شيخ الإسلام ابن تيمية عندما قال: "وأمَّا المشاهد فيعظمونها أكثر من المساجد، حتى قد يرون أنَّ زيارتها أولى من حجِّ بيت الله الحرام، ويُسمّونها الحجّ الأكبر، وصنف ابن المفيد منهم كتاباً سماه: "مناسك حج المشاهد،" وذكر فيه من الأكاذيب والأقوال ما لا يوجد في سائر الطوائف، وإن كان في غيرهم أيضاً نوع من الشرك والكذب والبدع، لكن هو فيهم أكثر، وكلمَّا كان الرجل أتبع لمحمد صلى الله عليه وسلم كان أعظم توحيداً لله تعالى، وإخلاصاً له في الدين، وإذا بعد عن متابعته نقص من دينه بحسب ذلك، فإذا كثر بعده عنه ظهر فيه من الشرك والبدع ما لا يظهر فيمن هو أقرب منه إلى اتباع الرسول،"[4] وقد كان شيخ الإسلام عالماً بما عليه الروافض من طامات وشركيات.

---

(1) [الكليني: الكافي ، الحج/ بدون اسم، 587/4: ح6].

(2) [المصدر السابق، الحج/ زيارة قبر أبى عبد الله الحسين بن علي عليهما السلام، 578/4: ح4].

(3) وينبغي التفريق بين الإخلال بشروط العبادات الذي يُخِلُّ بالتوحيد، وبين الذي يُخِلُّ بالعبادة وحدها، فمثلاً لو انتقض وضوء شخص وهو يصلي فإنَّ عبادته تبطل، وعليه الإعادة، وهذا لا يُخِلُّ بالتوحيد، وأمَّا من أخلَّ بشروط العبادات أخذاً بالروايات الموضوعة، وبأقوال أصحاب البدع الذين جعلوا أنفسهم مُشَرِّعين مع الله تعالى، فهذا يُخلُّ بتوحيد الألوهية، ويكون شركاً محبطاً للعمل.

(4) ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج498/17).

والروايات في تفضيل زيارة قبور الأئمة ومشاهدهم المقدسة كثيرة في الكافي، ومتفاوتة في إثبات الفضل، ولها طقوس خاصة لتأديتها حتى يكتمل فضل الزيارة، وهذه الروايات ساهمت بانحراف الشيعة بشكل كبير؛ فأصبحت زيارة الأضرحة فريضة من فرائض مذهبهم يكفر تاركها، وقد أورد المجلسي باباً بعنوان: "أنَّ زيارته [الحسين رضي الله عنه] واجبة مفترضة مأمور بها، وما ورد من الذمِّ والتأنيب والتوعد على تركها،"[1] **والتفصيل على النحو التالي:**

أ-الروايات في فضل زيارة قبر الحسين:

لقد ذكر الكليني فضل زيارة قبر الحسين، وتفاوتت الروايات في إثبات فضل الزيارة حتى وصل به الأمر أنْ يَعدِل زيارةِ الحسين بزيارة الله تعالى فوق عرشه – تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كثيراً- **والروايات في تفضيل زيارة قبر الحسين على النحو التالي:**

-**زيارة قبر الحسين تعدل عشرين حجة:** فقد نسب لأبي عبد الله رحمه الله أنَّه قال: "إنَّ زيارة قبر الحسين تعدل عشرين حجة، وأفضل من عشرين عمرة وحجة؛"[2] ولذلك فمن فاته الحجّ فيُجزئ عنه زيارة قبر الحسين؛ لأنَّه يكون قد أتى بما يفوق الحج في الفضل.[3]

- **زيارة القبر في يوم عيد تعدل مائة حجة:** وهذا أيضاً مروي عن أبي عبد الله رحمه الله حيث نُسب إليه أنَّه قال: "أيُّما مؤمنٍ أتى قبر الحسين عليه السلام عارفاً بحقه..... في يوم عيد كتب الله تعالى له مائة حجة، ومائة عمرة، ومائة غزوةٍ مع نبيٍّ مرسلٍ، أو إمامٍ عدلٍ،"[4] بل وأعظم من ذلك أنَّه جعل كل خطوة تُخطى لزيارة القبر له بها حجة تامة، فروى عن أبي عبد الله رحمه الله قوله: "إنَّ المؤمن إذا أتى قبر الحسين عليه السلام يوم عرفة واغتسل من الفرات، ثم توجه إليه كتب الله تعالى له بكل خطوة حجة بمناسكها، ولا أعلمه إلا قال: وغزوة مع أبي عبد الله عليه السلام."[5]

---

(1) المجلسي، بحار الأنوار (ج1/98)، الشاهرودي، مستدرك سفينة الوسائل (ج352/4).

(2) [الكليني: الكافي، الحج/ فضل زيارة أبي عبد الله الحسين عليه السلام، 580/4: ح2].

(3) انظر: [المصدر السابق، الحج/ فضل زيارة أبي عبد الله الحسين عليه السلام، 583/4: ح11].

(4) [المصدر السابق، الحج/ فضل زيارة أبي عبد الله الحسين عليه السلام، 580/4: ح1].

(5) [المصدر السابق، الحج/ فضل زيارة أبي عبد الله الحسين عليه السلام، 580/4: ح1].

-**زيارة قبر الإمام علي بن موسى تعدل سبعين ألف حجة:** لقد غالت الروايات في إثبات فضل زيارة قبور أئمتهم، فجعلوا فضلها يصل إلى سبعين ألف حجةٍ، فنُسب لأبي الحسن موسى أنَّه قال: "من زار قبر ولدي عليّ كان له عند الله تعالى كسبعين حجة مبرورة، قال: قلت: سبعين حجة؟، قال: نعم وسبعين ألف حجة،"(1) والروايات كثيرة في إثبات فضل زيارة قبور الأئمة، وأنَّها تعدل فضيلة الحج آلاف المرات.(2)

-**زيارة قبور الأئمة تعدل زيارة الله تعالى فوق عرشه:** إنَّ من أعظم الغلو الوارد في الكافي أنَّه جعل زيارة قبور الأئمة كزيارة الله تعالى فوق عرشه، فقد نسب الكليني لأبي الحسن أنَّه قال: "**ربُّ حجة لا تُقبل، ومن زاره [أي الإمام] وبات عنده ليلة كان كمن زار الله تعالى في عرشه؟**، قال:....إذا كان يوم القيامة كان على عرش الرحمن أربعة من الأولين، وأربعة من الآخرين، فأمَّا الأربعة الذين هم من الأولين فنوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام، وأما الأربعة من الآخرين فمحمد وعلي والحسن والحسين صلوات الله عليهم، ثمَّ يُمد المضمار فيقعد معنا من زار قبور الأئمة عليهم السلام، إلا أنَّ أعلاهم درجة وأقربهم حبوة زوَّار ولدي علي عليهم السلام،"(3) وهذا الإفك نسبوه كذلك لأبي عبد الله رحمه الله؛ فقد أورد الكليني أنَّ جعفر رحمه الله سُئل: "ما لمن زار رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال: كمن زار الله عزَّ وجلَّ فوق عرشه."(4)

-**زيارة قبور الأئمة مغفرة للذنوب، ومضاعفة للأجور، واستحقاق للشفاعة:** إنَّ ما أثبته الكليني لزيارة قبور الأئمة من الفضل لا يكاد يُحصى، ومنها أنَّه نسب لأبي عبد الله رحمه الله أنَّه قال: "مكة حرم الله، وحرم رسوله، وحرم أمير المؤمنين عليهما السلام، الصلاة فيها بمائة ألف صلاة، والدرهم فيها بمائة ألف درهم، والمدينة حرم الله، وحرم رسوله، وحرم أمير المؤمنين صلوات الله عليهما، الصلاة فيها بعشرة آلاف صلاة، والدرهم فيها بعشرة آلاف درهم، والكوفة حرم الله، وحرم رسوله، وحرم أمير المؤمنين عليهما السلام، الصلاة فيها بألف صلاة، والدرهم فيها بألف درهم،"(5) وأكثر

---

(1) [الكليني: الكافي، الحج/ فضل زيارة الإمام أبي الحسن الرضا،4 /585: ح4].

(2) انظر: [المصدر السابق، الحج/ فضل الزيارات وثوابها، 579/4].

(3) [المصدر السابق ، الحج/ فضل زيارة الإمام أبي الحسن الرضا، 585/4: ح4].

(4) [المصدر نفسه ، الحج/ فضل زيارة الإمام أبي الحسن الرضا، 585/4،586: ح5].

(5) [المصدر نفسه ، الحج/ بدون اسم، 586/4: ح1].

الناس استحقاقاً لشفاعة الأئمة يوم القيامة أكثرهم زيارة لقبورهم، وورد كذلك أنَّ الإمام يُطهر من زاره من الذنوب، ويخلصه من المعاصي، فقد نسب الكليني للحسين رضي الله عنه أنَّه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا أبتاه ما لمن زارك؟، فقال رسول الله

صلى الله عليه وسلم: يا بني من زارني حياً أو ميتاً، أو زار أباك، أو زار أخاك، أو زارك كان حقاً عليَّ أن أزوره يوم القيامة، وأخلصه من ذنوبه."(1)

-**الحجُّ لا يتمّ إلا بزيارة المشاهد المقدسة:** إنَّ شرط قبول فريضة الحجِّ هو زيارة الأئمة في حال وجودهم، وزيارة قبورهم في حال موتهم، فعن أبي جعفر رحمه الله قال: "تمام الحجِّ لقاء الإمام،"(2) وأورد الكليني باباً في بيان هذا الشرط بعنوان: "باب أنَّ الواجب على الناس بعد ما يقضون مناسكهم أن يأتوا الإمام، فيسألونه عن معالم دينهم، ويعلمونهم ولايتهم ومودتهم له،"(3) وأورد فيه روايات تبين أنَّ من أدَّى الحجَّ ولم يؤدِ مناسك الزيارة فحجُّه غير مقبول، وعمله كأعمال الجاهلية.(4)

ب- طقوس زيارة قبور الأئمة:

لزيارة قبور الأئمة طقوس خاصة، حتى يكتمل ثواب حجِّهم إلى هذه المشاهد المقدسة، **ومن هذه الطقوس:**

-استقبال القبر واستدبار القبلة للصلاة:

إنَّ الواجب عند زيارة القبر أن يستقبله الزائر بالتقبيل والصلاة، حتى وإن كان مخالفاً لجهة القبلة، فقد روى الكليني في كيفية الزيارة للقبر، ومما ذُكر فيها: "ثمَّ امشِ إليه حتى تأتيه من قِبَل وجهه، فاستقبل وجهك بوجهه، وتجعل القبلة بين كتفيك، ثم قل: السلام عليك يا حجة الله وابن حجته،"(5) وهذه الرواية فسَّرتها رواية أخرى قيل

---

(1) [الكليني: الكافي، الحج/ فضل زيارة النبي صلى الله عليه وآله، 548/4].

(2) [المصدر السابق، الحج/ اتباع الحج بالزيارة، 549/4: ح2].

(3) [المصدر نفسه ، الحجة/ أنَّ الواجب على الناس بعد ما يقضون مناسكهم أن يأتوا الإمام فيسألونه عن معالم دينهم، ويعلمونهم ولايتهم ومودتهم له، 392/1].

(4) انظر: [المصدر السابق، الحجة/ أنَّ الواجب على الناس بعد ما يقضون مناسكهم أن يأتوا الإمام فيسألونه عن معالم دينهم، ويعلمونهم ولايتهم ومودتهم له، 392/1: ح2]، وانظر: الشاهرودي، مستدركات علم رجال الحديث (ج40/1).

(5) [المصدر السابق، الحج/ فضل زيارة أبي عبد الله الحسين بن علي، 576/4: ح2].

فيها: "ثم تستقبل الضريح بوجهك، وتجعل القبلة خلفك،"[1] قال المجلسي: "إنَّ استقبال القبر أمر لازم، وإن لم يكن موافقًا للقبلة، واستقبال القبر للزّائر بمنزلة استقبال القبلة، وهو وجه الله تعالى، أي جهته التي أمر الناس باستقبالها في تلك الحالة."[2]

-الطواف بالقبور:

اتفق المسلمون على أنَّه لا يشرع الطواف إلا بالبيت المعمور، ولكنَّ شيوخ الشيعة شرَّعوا لأتباعهم الطواف بأضرحة الموتى من الأئمة، ووضعوا روايات ونسبوها لآل البيت يسندون فيها هذا الشرك إليهم كذباً وزوراً، فذكروا أنَّهم كانوا يطوفون بقبر النبي صلى الله عليه وسلم، روى الكليني عن ابن أبان أنَّه قال: "بينا أنا ذات يوم دخلت أطوف بقبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأيت محمد بن علي الرضا عليهما السلام يطوف به،"[3] فالطواف بالقبور قد ورد في بعض زيارات الأئمة لقبر النبي صلى الله عليه وسلم وهو فضيلة تلحق بها قبور الأئمة.[4]

-دعاء أصحاب القبور، والتوسل إليهم:

نُقل عن أئمة الشيعة أدعية يشرع قولها عند زيارة قبورهم، ولكل إمام نصّ يجب أن يُلتزم به، فمثلاً عند زيارة قبر علي رضي الله عنه يجب أنْ يقول الزائر: "أتيتك يا أمير المؤمنين عارفاً بحقك، مستبصراً بشأنك، معادياً لأعدائك، موالياً لأوليائك، بأبي أنت وأمي، أتيتك عائذاً بك من نار اسْتحقَّها مثلي بما جنيت على نفسي، أتيتك زائراً أبتغي بزيارتك فكاك رقبتي من النار، أتيتك هارباً من ذنوبي التي احتطبتها على ظهري، أتيتك وافداً لعظيم حالك ومنزلتك عند ربي، فاشفع لي عند ربك، فإنَّ لي ذنوباً كثيرة، وإنَّ لك عند الله مقاماً معلوماً، وجاهاً عظيماً، وشأناً كبيراً، وشفاعةً مقبولة، وقد قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿ **وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ** ﴾

---

(1) المجلسي، بحار الأنوار (ج178/99)، وانظر: العاملي، علي، معجم أحاديث الإمام المهدي (ج211/4).

(2) المجلسي، بحار الأنوار (ج369/98)، وانظر: العاملي، علي، الوهابية والتوحيد (ص210).

(3) [الكليني: الكافي، الحجة/ ما يضل به بين دعوى المحق والمبطل في أمر الإمامة، 353/1: ح9].

(4) انظر: الطبرسي، حسين، مستدرك الوسائل (ج336/10)، السبزواري، مهذب الأحكام في بيان الحلال والحرام (ج233/4)، الشعراني، تعليقاً على شرح أصول الكافي للمازندراني (ج300/6).

[الأنبيـــاء:28]، اللهـم رب الأربـاب، صـريخ الأحبـاب، إنِّـي عُـذت بـأخي رسـولك معـاذاً فَفُكَّ رقبتــي مــن النــار، آمنــت بــالله، ومــا أنــزل إلــيكم، وأتــولي آخــركم بمــا توليــت بــه أولكــم، وكفـرت بالجبـت والطـاغوت والـلات والعـزى،"[1] فهـذا مثـال علـى الشـركيات التـي تطفـح بهـا أدعيـة الشـيعة عنـد زيـارتهم لقبـور الأئمـة، فزيـارة القبـور التـي شُـرعت للـدعاء للميـت، ولتـذكُّر الأخـرة، والخـوف مـن الله تعـالى جعلهـا الشـيعة مقامـاً للشـرك بـالله تعـالى، وقـد بوَّب الكليني أبواباً فيما يجب قوله عند قبر كل إمام من الأئمة.[2]

3-بناء القبور، وتعظيمها، وتجصيصها، وبناء المساجد عليها:

مـن أوضـح ملامـح الـدين الشـيعي تقـديس القبـور والاهتمـام ببنائهـا وعبادتهـا، وقـد أورد الكلينـــي بـــاب: "تطيـــين القبـــر وتجصيصـــه،"[3] ونســـب للأئمـــة كـــذباً وزوراً أنَّهـــم كـــانوا يجصصـــون القبـــور، فـــروى أنَّ "أبـــا الحســـن (موســـى) لمـــا رجـــع مـــن بغـــداد ومضـــى إلـــى المدينـــة ماتـــت لـــه ابنـــة بفيـــد،[4] فـــدفنها، وأمـــر بعـــض مواليـــه أن يُجصـــص قبرهـــا، ويُكتـــب علـــى لـــوحٍ اســـمها، ويجعلـــه فـــي القبـــر،"[5] ولقـــد اهـــتمَّ الشـــيعة ببنـــاء قبـــور أئمـــتهم وتجصيصـها، وجعلـوا ذلـك مـن خصـائص الأئمـة؛ لـئلا تنـدرس قبـورهم؛ ولـئلا يُحـرم النـاس مـن زيـارتهم، وأخـذ الثـواب العظـيم، والأجـر الجزيـل بتلـك الزيـارات، وهـو مـن ضـروريات المـــذهب الشـــيعي، وممـــا اتفقـــوا عليـــه ســـلفاً عـــن خلـــف،[6] وقـــد استفاضـــت الروايـــات بالترغيـب فـي ذلـك فـي كتـب الشـيعة المعتمـدة، وأولهـا كتـاب الكـافي، الـذي خصّـص أبوابـاً فـي ذكـر فضـل زيـارة القبـور،[7] وفـي الحـضِّ علـى إقامتهـا، والمبالغـة فـي الاعتنـاء بهـا، وقـد ألحـق الشـيعة قبـور العلمـاء والصـلحاء أيضـاً بهـذا الحكـم؛ لأنَّهـم يزعمـون أنَّ فـي ذلـك

---

(1) [الكليني: الكافي، الحج/ دعاء آخر عند قبر أمير المؤمنين، 571/4].

(2) انظر: [المصدر السابق، الحج/ ما يُقال عند قبر أمير المؤمنين، 569/4/ دعاء آخر عند قبر أمير المؤمنين، 569/4/ زيارة قبر أبي عبد الله الحسين، 572/4].

(3) [المصدر السابق، الجنائز/ تطيين القبر وتجصيصه، 201/3].

(4)"مدينة فيد من بلاد البادية وهي في نصف الطريق ما بين بغداد ومكة،" الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق (ج380/1).

(5) [الكليني: الكافي، فروع الكافي/ سل الميت، وما يقال عند دخول القبر، 202/3: ح3].

(6) انظر: الجواهري، جواهر الكلام (ج336/6)، اللاري، التعليقات على رياض المسائل (ص289).

(7) انظر: [الكليني: الكافي، الحج، أبواب الزيارات، 548/4].

تعظيماً لشعائر الإسلام، وتحصيلاً لكثير من المصالح الدينية، ومنها إحياء الزيارة والتبرك،[1] وجعلوا هذه الشركيات تحقيقاً لنبوءة آل البيت، فقد نسبوا لعلي بن الحسين رحمه الله أنَّه قال: "كأنِّي بالقصور وقد شُيدت حول قبر الحسين، وكأنِّي بالأسواق قد حُفت حول قبره، فلا تذهب الأيام والليالي حتى يُسار إليه من الآفاق."[2]

الرد على المسائل التي تناقض توحيد الألوهية عند الكليني:

إنَّ البيئة الشيعية بيئة خصبة لاحتضان الشرك، فرواياتهم التي يعتمدون عليها باطنية، وهي مخالفة للنصوص الشرعية، وللمعلوم من الدين بالضرورة، ومعلوم أنَّ الشيعة لا يشترطون صحة سند الروايات، وهي مخالفة كذلك للغة العرب، وما أُثِر عنهم استخدامه من المعاني والألفاظ، وفساد مذهبهم واضح وضوح الشمس في رابعة النهار، فمن كان دينه البدع، ومعتقده الخرافة، أنَّى يخفى بطلان مذهبه عند كل من لديه ذرة إيمانٍ، أو مسكة عقلٍ.

وقد أفضت روايات الشيعة ببعضهم إلى الكفر والشرك، وببعضهم إلى التهاون بوظائف العبادات، وسبب ذلك إعراضهم عن نصوص الشارع، وطلبهم حقائق الأمور من غيره،[3] **وهذه بعض أوجهٍ في بيان فساد الشركيات الواردة في الكافي:**

1-إنَّ النزعة الباطنية التي مال إليها الكليني في تفسيره لآيات القرآن ظاهرة البطلان؛ لذا فإنَّ كثيراً من مفسري الشيعة لم يجنحوا إليها، وقالوا بخلافها، وهذا أوضح برهان على بطلان رواياتهم، فإذا كان أرباب التفسير عند الشيعة قد رفضوا أمثال تلك التُرّهات، فكيف بغيرهم؟!، فمثلاً رواية الكليني في تفسير قول الله تعالى: ﴿ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ للهِ العَلِيِّ الكَبِيرِ﴾ [غافر:12]، أنَّ المراد به ولاية الأئمة، هو قول باطل ومردود، والطبرسي[4] -وهو من أعلام مفسري

(1) انظر: الحلي، ابن المطهر، تذكرة الفقهاء (ج460/2)، الجواهري، جواهر الكلام (ج340/4).

(2) القمي، ابن بابويه، من لا يحضره الفقيه (ج178/1)، القرشي، حياة الإمام الحسين (ج429/1).

(3) انظر: ابن حجر، فتح الباري (ج350/13).

(4) هو الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي المفسر الشيعي المشهور، مصنّف "مجمع البيان في تفسير القرآن،" مولده سنة عشر وسبعين وأربعمائة، ووفاته سنة ثمان وأربعين وخمسمائة، اللجنة العلمية، موسوعة طبقات الفقهاء، بتصرف (ج225/6-227).

الشيعة القدامى- لم يرضَ بهذا التأويل الباطني، وفسَّر الآية الكريمة على مقتضى الظاهر، وأنَّ المقصود بالخطاب هم المشركون الذين إذا دُعوا إلى شهادة التوحيد تعجبوا، وقالوا: ﴿أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا﴾ [ص:5]، وأما إذا أُشرك معبود آخر من الأصنام والأوثان آمنوا وصدقوا،[1] وهذا المعنى هو ما عليه معظم مفسري الشيعة،[2] إذاً فما فسره الكليني قد دحضه مفسرو الشيعة.

2-إنَّ التراث الشركي الذي استقرّت عليه الشيعة الإثنا عشرية قد جاء ما يردُّه على لسان الأئمة، والشيعة هم الذين نقلوا هذه الروايات، فمثلاً جاء في تفسيرهم "البرهان،" عن حبيب بن معلى الخثعمي قال: "ذكرت لأبي عبد الله عليه السلام ما يقول أبو الخطاب، فقال: "أجِلَّ إليّ ما يَقُلْ، قال: في قوله عز وجل: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللهُ وَحْدَهُ﴾ [الزُّمر:45]، أنَّه أمير المؤمنين ﴿وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ [الزُّمر:45]، فلان وفلان، قال أبو عبد الله عليه السلام: **من قال هذا فهو مشرك بالله عزَّ وجلَّ ثلاثًا، أنا إلى الله منهم بريء ثلاثًا، بل عنى الله بذلك نفسه،** قال: فالآية الأخرى التي في "حم" قول الله عز وجل: ﴿ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ للهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾ [غافر:12]، ثم قلت: زعم أنَّه يعني بذلك أمير المؤمنين، قال أبو عبد الله عليه السلام: من قال هذا فهو مشرك بالله عزَّ وجلَّ ثلاثًا، أنا إلى الله منهم بريء ثلاثًا، بل عنى الله تعالى بذلك نفسه،"[3] فإذا كان مثل هذه التأويلات هي كفر، كما ذهب إليه جعفر الصادق رحمه الله، فهذا يقتضي تكفير الكليني الذي يعتقد بتلك المعتقدات، ويلزم ردّ كتاب الكافي؛ لأنَّه يوجد في ثناياه كثير من أمثال هذه الشركيات.

3-إنَّ السنة هي ما سار عليه النبي صلى الله عليه وسلم، أو قرّر صحابته الكرام عليه، وقد أورد الكليني أنَّ ما تركه النبي صلى الله عليه وسلم بدعة، فقد روى عن أبي جعفر رحمه الله أنَّه سُئل عن صوم يوم عاشوراء فقال: "صوم متروك بنزول شهر رمضان، والمتروك بدعة، قال نجبة -راوي الحديث-: فسألت أبا عبد الله من بعد أبيه

(1) انظر: الطبرسي، مجمع البيان (ج8 /344).

(2) انظر: الطباطبائي، تفسير الميزان (ج6/87،88).

(3) البحراني، البرهان في تفسير القرآن (ج4/714).

عن ذلك، فأجابني بمثل جواب أبيه، ثم قال: أما إنَّه صوم يومٍ ما نزل به كتاب، ولا جرت به سنة،"[1] ومن المعلوم أنَّ كل ما أحدثه الشيعة من شركيات لم تُنقل عن النبي صلى الله عليه وسلم، بل إنَّ النبي صلى الله عليه وسلم أتى لينقضها، وهي معلومة ضرورة أنَّها بدع شركية ما أنزل الله تعالى بها من سلطانٍ، وقد ذكر الكليني كذلك أنَّ من ترك سنة النبي صلى الله عليه وسلم فقد كفر،[2] فهل ما يفعله الشيعة هو من سنة النبي صلى الله عليه وسلم؟، أو مما نُقل عنه أنَّه فعله صلى الله عليه وسلم، أو قرّر عليه الصحابة الكرام؟.

إنَّ ما اعتمد عليه كافي الشيعة في إثبات البدع تحريف النصوص الدينية، والأخذ بشبهات ظنَّوها أدلة، عارضوا بها النصوص الصحيحة، ومسألة زيارة القبور وسؤال المقبورين والاستغاثة بهم خير دليل على ذلك، فإنَّها لم تَرِد في القرآن الكريم، ولم تمضِ بها سنة النبي صلى الله عليه وسلم، ولم يفعلها خيار الصحابة الذين لا يكفروهم الشيعة، وما استندوا عليه هو شبهات في فهم النصوص الصحيحة، ورواية نصوص موضوعة كالتي في الكافي، يقول الشيخ الصدوق: "كل خبر يخالف....التوحيد فهو موضوع مخترع، وكل حديث لا يوافق كتاب الله تعالى فهو باطل، وإن وُجِد في كتاب علمائنا فهو مُدلس،"[3] فهذه شهادة من كبار علماء الشيعة تنسف ما عليه الكليني من الضلال والشرك.

4-إنَّ التساؤل الذي يُطرح هو أنَّ الكافي ادَّعى فضائل لما ابتدعه من الشركيات في العبادات تفوق ما فرضه الله تعالى على عباده، فكيف لم تُذكر فضائلها في القرآن الكريم؟، وهل يُعقل أن يُذكر الحجُّ في أكثر من موضع من القرآن الكريم، ولا يُذكر فضل زيارة قبور الأئمة ولو لمرة واحدة، مع أنَّها تفوق فضيلة الحج، بل وتساوي زيارة الله تعالى على عرشه -كما زعمت رواياتهم-؟!!، وهذا التساؤل قد تنبَّه إليه الشيعة أنفسهم، فقد رووا أنَّ ابن أبي يعفور قال لأبي عبد الله رحمه الله: "قد فرض الله تعالى على الناس حجُّ البيت، ولم يذكر زيارة قبر الحسين عليه السلام، فقال: وإن كان كذلك، فإنَّ هذا شيء جعله الله هكذا، أما سمعت قول أمير المؤمنين حيث يقول: إنَّ باطن القدم أحق بالمسح من ظاهر القدم، ولكنَّ الله تعالى فرض هذا على العباد، أو

---

(1) [الكليني: الكافي، الصيام/ صوم عرفة وعاشوراء، 146/4: ح4].

(2) انظر: [الكليني: الكافي، فضل العلم/ البدع والرأي والمقائيس، 56/1: ح10].

(3) الصدوق، الاعتقادات (ص 22،23).

مـا علمـت أنَّ الموقـف لـو كـان فـي الحـرم كـان أفضـل لأجـل الحـرم، ولكـنَّ الله تعـالى صـنع ذلـك فـي غيـر الحـرم،"[1] وهـذا التعليـل المتهافـت هـو أيضـاً دليـل علـى بطـلان المـذهب؛ فاعتقـاد الشـيعة أنَّ زيـارة المشـاهد المقدسـة أفضـل مـن زيـارة بيـت الله الحـرام، لا يعني أنّها عبادة مفروضة؛ فإنَّ الله تعالى لم يفرضها كالمسح على باطن القدم.

5-إنَّ روايـات الكـافي ترمـي إلـى تعطيـل شـرائع الإسـلام؛ فـإنَّ الشـرك وصـل فـي روايـات الكـافي إلـى حـد أنَّـه روى عـن الشيعة أنَّهـم كـانوا يتمنـون أنَّهـم ذهبـوا لزيـارة القبـور بـدلاً مـن أداء فريضـة الحـجِّ، ونسـب الكلينـي فـي رواياتـه الموضـوعة أنَّ الأئمـة أقـرّوهم علـى ذلـك، فقـد روى الكلينــي عــن معاويـة بـن وهـب أنَّـه قـال: "اسـتأذنت علـى أبـي عبـد الله رحمـه الله، فقيـل لـي: ادخـل، فـدخلت فوجدتـه فـي مصـلاه فـي بيتـه، فجلسـت حتـى قضـى صـلاته، فسـمعته وهـو يُنـاجي ربـه، ويقـول: يـا مـن خصَّـنا بالكرامـة، وخصَّـنا بالوصـية، ووعـدنا الشـفاعة، وأعطانـا علـم مـا مضـى ومـا بقـي، وجعـل أفئـدة مـن النـاس تَهـوِي إلينـا، اغفـر لـي ولإخـواني ولـزوار قبـر أبـي عبـد الله الحسـين، الـذين أنفقـوا أمـوالهم وأشخصـوا أبـدانهم رغبـةً فـي برّنـا، ورجـاءً لمـا عنـدك فـي صـلتنا، وسـروراً أدخلـوه علـى نبيـك صـلواتك عليـه، وإجابـةً مـنهم لأمرنـا، وغيظـاً أدخلـوه علـى عـدونا، أرادوا بـذلك رضـاك فكـافئهم عنَّـا بالرضـوان، واكلأهـم بالليـل والنهـار، واخلـف علـى أهـاليهم وأولادهـم الـذي خلفـوا بأحسـن الخلـف،...... اللهـم إنَّ أعـداءنا عـابوا علـيهم خـروجهم، فلـم يـنههم ذلـك عـن الشـخوص إلينـا، وخلافـاً مـنهم علـى مـن خالفنـا، فـارحم تلـك الوجـوه التـي قـد غيَّرتهـا الشـمس، وارحـم تلـك الخـدود التـي تقلبـت علـى حفـرة أبـي عبـد الله،.... فمـا زال وهـو سـاجد يـدعو بهـذا الـدعاء، فلمـا انصـرف قلـت: جعلـت فـداك لـو أنَّ هـذا الـذي سـمعت منـك كـان لمـن لا يعـرف الله تعـالى لظننـت أنَّ النـار لا تطعـم منـه شـيئاً، **والله لقـد تمنيـت أن كنـت زرتـه ولـم أحـجّ، فقـال لـي: مـا أقربـك منـه، فمـا الـذي يمنعـك مـن إتيانـه**، ثم قـال: يـا معاويـة لـم تـدع ذلـك؟، قلـت: جعلـت فـداك لـم أدرِ أنَّ الأمـر يبلـغ هـذا كلـه، قـال: يـا معاويـة مـن يـدعو لـزواره فـي السـماء أكثـر ممـن يـدعو لهـم فـي الأرض،"[2] وممَّـا يؤكـد أنَّهـم يريـدون الصـدَّ عـن ديـن الله تعـالى؛ أنَّهـم رووا عـن أئمـتهم تعلـيلات لفضـل زيـارة القبـور، وأنَّهـا تفـوق فضـيلة الحـجِّ، وأنَّ كـربلاء وأمـاكن مشـاهدهم المقدسـة أفضـل مـن بلـد الله الحـرام، فنسـبوا لأبـي عبـد الله رحمـه الله أنَّـه سُـئل: "إنَّ الله تعـالى يبـدأ بـالنظر إلـى زوار الحسـين

---

(1) العاملي، وسائل الشيعة (ج514/14)، المجلسي، بحار الأنوار (ج33/98).

(2) [الكليني: الكافي، الحج/ فضل زيارة أبي عبد الله الحسين، 582/4: ح11].

عشية عرفة قبل نظره إلى أهل الموقف؟، فقال: نعم، قلت: وكيف ذلك؟، قال: لأنَّ في أولئك أولاد زنا، وليس في هؤلاء أولاد زنا،"[1] وقد ورد في الكافي ما يدلّ على ذلك، فنسب لأبي جعفر أنه قال: "والله إنَّ النّاس كلّهم أولاد بغايا ما خلا شيعتنا."[2]

وهذه الروايات الموضوعة أثَّرت في انحراف الشيعة بشكل كبير، وهي مذهبهم الذي يسيرون عليه ويدينون به لله رب العالمين، وهم قد جعلوا كربلاء أقدس من مكة المكرمة، فنسبوا لعلي بن الحسن أنَّه قال: "اتّخذ الله أرض كربلاء حرمًا آمنًا مباركًا قبل أن يخلق الله أرض الكعبة ويتّخذها حرمًا بأربعة وعشرين ألف عام، وقدّسها وبارك عليها، فما زالت قبل خَلْق الله الخلق مقدّسة مباركة، ولا تزال كذلك حتى يجعلها الله أفضل أرض في الجنّة، وأفضل منزل ومسكن يسكن فيه أولياءه في الجنّة،"[3] وتقديسهم لأرض كربلاء؛ لأنَّها ضمت جسد الحسين رضي الله عنه فاستمدت قداستها بوجوده فيها، فهل كان الحسين رضي الله عنه مدفونًا فيها قبل خلق الكعبة بأربعة وعشرين ألف عام؟، أم هي معدة لاستقباله منذ غابر الأزمان؟، وإذا كان كل هذا الفضل بوجود جسد الحسين رضي الله عنه فلماذا لمْ تُفضّل المدينة وفيها جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم؟، وهو يكشف أنَّه ليس الهدف تقديس الحسين رضي الله عنه؛ ولكن الكيد للأمة ودينها.[4]

لقد ورد في روايات الكافي أنَّ الروافض كانوا يتمنون زيارة قبور أئمتهم بدلاً من أداء فريضة الحج، وأنَّ الأئمة أقرُّوهم على ذلك، وآخر ما استقرَّ عليه مذهب الروافض من الشرك ما نسبوه لأبي عبد الله رحمه الله أنَّه كان يحضُّ على زيارة القبور بدلاً من أداء فريضة الحجِّ، فنسبوا إليه كذباً وزوراً أنَّه قال لرجل من مواليه: "يا فلان أتزور قبر أبي عبد الله الحسين بن علي عليهما السلام؟، قال: نعم إنِّي أزوره بين ثلاث سنين مرة، فقال له وهو مُصفر وجهه: أما **والله الذي لا إله إلا هو لو زرته كان أفضل مما أنت فيه، فقال له: جعلت فداك أَكُلُ هذا الفضل؟، فقال: نعم، والله لو أنِّي حدثتكم بفضل زيارته، وبفضل قبره لتركتم الحج رأساً، وما حجَّ منكم أحد،**"[5] وعلى

---

(1) الطوسي، تهذيب الأحكام (ج51/6)، ابن قولويه، كامل الزيارات (ص317).

(2) [الكليني: الكافي، الروضة/ في الخمس والفيء، 285/8: ح431].

(3) الحر العاملي، وسائل الشيعة (ج516/14)، المجلسي، بحار الأنوار (ج202/54).

(4) القفاري، أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثنا عشرية، بتصرف (ج424/2).

(5) المجلسي، بحار الأنوار (ج33/98)، البروجردي، جامع أحاديث الشيعة (ج402/12).

هـذا يظهـر كـذبهم فـي التبـاكي علـى أداء فريضــة الحــج؛ فـإنَّ عبـادتهم مكـاء وتصـدية، وصـد عـن ديـن الله تعـالى؛ فـإنَّ أمثـال هـذه الروايـات الموضـوعة هـي مـن صـنع أيـادي خفيـة أراد أصـحابها لمراقـد الأئمـة أن تكـون بـدائل يضـاهون بهـا الكعبـة، وليصـرفوا قلـوب النـاس عنهـا إلـى تلـك القبـاب والمشـاهد؛ ففـي الوقـت الـذي هوَّنـوا فيـه مـن شـأن الحـجِّ عظَّمـوا شـأن المـزارات تعظيمـاً شـديداً، وجعلـوا النـاس يحجُّـون إليهـا، ويطوفـون بهـا، ويدعون أصحابها ويستغيثون بهم.[1]

6-إنَّ مـا ابتدعـه الشـيعة مـن مناسـك لزيـارة القبـور يردُّهـا روايـات الأئمـة فـي الكـافي؛ فقد أورد الكلينـي عـن محمـد بـن مسـلم عـن أحـد الأئمـة[2] قولـه: "لا تشـرب وأنـت قـائم، ولا تَبُـلْ فـي مـاء نقيـع، **ولا تطـف بقبـر**؛....فـإنَّ الشـيطان أسـرع مـا يكـون إلـى العبـد إذا كـان علـى بعض هـذه الأحـوال، وقـال: إنَّـه مـا أصـاب أحـد شـيئاً علـى هـذه الحـال فكـاد أنْ يفارقـه، إلا أن يشـاء الله عـزَّ وجـلَّ،"[3] فهـذه روايــة صـريحة فـي عـدم جـواز الطـواف بـالقبور، وقـد أجهـد المجلسـي نفسـه لتحريـف هـذه الرّوايـة فقـال: "يُحتمـل أن يكـون النّهـي عـن الطّـواف بالعـدد المخصـوص الـذي يُطـاف بالبيـت،.... ويُحتمـل أن يكـون المـراد بـالطواف المنفـي هنـا التغـوط،"[4] وأمثـال هـذه التـأويلات لا يسـتطيع أحـد أن يـأتي بهـا إلا أربـاب البلاغـة من الشيعة، فلا ندري على أية لغة يكون الطواف بمعنى التغوط؟!!!.

7- وممـا يـدلل علـى أنَّ ديـن الكلينـي وشيعته هـو ديـن البـدع أنَّهـم يعملـون بمـا لـم يـرد عـن أئمــتهم، فهـم ينسـبون الشـركيات للأئمــة كـذباً وزوراً، ويعملـون كـذلك بمـا لـم يـرد عليـه روايـات، -وكمـا أورد الكلينـي- فـإنَّ البـدع فـي العبـادات لـم تكـن علـى عهـد النبـي صـلى الله عليــه وســلم،[5] ولا علــى عهــد الأئمــة، أي أنَّهــم يتعبــدون بــذلك مجــاراةً لأســلافهم، وتقليـدًا لهـم، فكـأنّ الشـرك وأعمالـه المنتشـرة فـي أمهـات كتـبهم لـم تمـلأ مـا فـي نفوسـهم، فتعلقوا بما عليه من سبقهم كحال المشركين الذين قالوا: ﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الزُّخرف:22]، وكل إمام يُنسب إليه من المبادئ الشركية

---

(1) موقع فيصل نور، موقف الشيعة من بعض العبادات، بتصرف.

(2) هكذا ورد في الكافي دون تحديد اسم الإمام.

(3) [الكليني: الكافي، الأشربة/ كراهية أن يبيت الانسان وحده، والخصال المنهى عنها لعلة مخوفة، 534/6: ح8].

(4) المجلسي، بحار الأنوار (ج127/97).

(5) انظر: [الكليني: الكافي، الإيمان والكفر/ دعائم الإسلام، 19/2،20: ح6]

الجديدة التي لم تكن موجودة قبله، حتى الإمام المعدوم الذي لم يُولد، له قوانين جديدة في هذا الباب.(1)

8- إنَّ التناقض يظهر جليًّا فيما رواه الكافي في حكم البناء على القبور، فقد أورد رواية عن سماعة أنَّه سأل جعفر رحمه الله عن زيارة القبور، وبناء المساجد فيها، فقال: "أمَّا زيارة القبور فلا بأس بها، **ولا تبنى عندها المساجد،**"(2) وأورد الكليني كذلك عن أبي عبد الله رحمه الله أنَّه قال: "قال أمير المؤمنين: بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم في هدم القبور وكسر الصور،"(3) والإمامية مجمعون على مخالفة هذه الروايات من وجهين: بناء المشاهد على القبور، والصلاة عندها، وأداء الطقوس والمناسك، عند القبور وغيرها من المشاهد المقدسة بزعمهم.

9-ومن أكبر الأدلة على بطلان مذهب الروافض هو تناقض رواياتهم، فهم يعتقدون معتقدات قد ورد في أمهات كتبهم ما يدحضها، فمثلاً يتخذون القبور مساجد، وذكروا روايات عن الأئمة في النهي عن ذلك؛ فعن علي بن الحسين قال: "قال النبي صلى الله عليه وسلم: لا تتّخذوا قبري قبلةً ولا مسجداً؛ فإنَّ الله عزّ وجلّ لعن اليهود حيث اتّخذوا قبور أنبيائهم مساجد،"(4) ولكنَّهم قد خالفوا أمثال هذه الروايات-كما مرّ في روايات الكليني- فحكموا بكفر وشرك من ترك زيارة قبور الأئمة؛ لأنَّ زيارة قبورهم تدل على كمال إيمان الزائر بالولاية، فمن تركها فقد كفر، واستحقَّ الخلود في النار، ويستدلون بما كذبوه على آل البيت، فرووا عن أبي عبد الله الصادق رحمه الله أنه سُئل عمن ترك زيارة قبر الحسين رضي الله عنه من غير علّة، فقال: "هذا رجل من أهل النار،"(5) وهذا القول معلوم الفساد؛ فإنَّه قد عُلم بالتواتر وبالاضطرار أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم لم يشرع لأمته أن يبنوا على قبر نبيٍ، ولا على قبر رجلٍ صالحٍ من أهل البيت، ولا من غيرهم، ولم يكن على عهده مشهد مبني على قبر.(6)

---

(1) انظر: القفاري، أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثنا عشرية (ج2/472).

(2) [الكليني: الكافي، الجنائز/ زيارة القبور،228/3: ح2].

(3) [المصدر السابق، الأشربة/ تشييد البناء، 528/6: ح11].

(4) الحلي، ابن المطهر، منتهى الطلب (ج7/434)، الحر العاملي، وسائل الشيعة (235/3)، المجلسي، بحار الأنوار (ج80/313).

(5) الحر العاملي، وسائل الشيعة (ج14/432)، ابن قولويه، كامل الزيارات (ص357)

(6) ابن تيمية، منهاج السنة النبوية، بتصرف (ج1/479).

10- إنَّ اهتمام الشيعة بالمشاهد المقدسة كان هو المعول الهادم لأصل التوحيد في ديار الشيعة، حيث عمرت بيوت الشرك التي يسمَّونها المشاهد، وعُطِّلت بيوت التوحيد، وهي المساجد، فنجد لهم عنايةً ظاهرة، واهتماماً واسعاً بأمر المشاهد ومناسكها كاهتمامهم بمسألة الإمامة، وقد خَصصت مصادرهم المعتمدة له قسمًا خاصًا مما لا تجده في كتب المسلمين الموحدين،[1] فمثلاً في كتاب "الكافي" ذُكرت عدة أبواب في الزيارات وفضلها،[2] وكل كتب الشيعة المعتمدة قد ساروا على المعتقد نفسه، ففي "بحار الأنوار" للمجلسي، كتاب مستقل سمّاه: "كتب المزار،" شمل مئات الروايات، وقد استغرق في ذلك حوالي ثلاثة مجلدات، وفي "وسائل الشيعة" للحر العاملي ذكر (106) بابًا بعنوان: "أبواب المزار،" وفي الوافي للكاشاني عقد ثلاثة وثلاثين بابًا بعنوان: "أبواب المزارات والمشاهد،" والأمثلة تطول في ذلك، وكلها روايات تتضمن تعظيم للبدع وطمس للتوحيد، وهم بذلك جعلوا "قبور المخلوقين تُحجُّ كما تُحجُّ الكعبة البيت الحرام الذي جعله الله قيامًا للناس، وهو أول بيت وضع للناس، فلا يُطاف إلا به ولا يُصلى إلا إليه، ولم يأمر إلا بحجه".[3]

وهكذا أمست المساجد مجرد هياكل معطلة عن المقصد الذي أُنشئت من أجله، فالله تعالى أمر أن تُبنى المساجد، ويُرفع فيها اسمه بالصلاة والتسبيح و قراءة القرآن.[4]

11-إنَّ المأمور به هو عمارة المساجد لا بناء المشاهد، ولكنَّ الشيعة كما في روايات الكافي يُعظِّمون القبور، ويُعمِّرون المشاهد، ويُعطِّلون المساجد، والله تعالى يقول: ﴿ **قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ** ﴾ [الأعراف:29]، ولم يقل عند كل مشهد.[5]

12-إنَّ ما نقله الكافي من روايات مزعومة عن الأئمة أماتت السنن، وأحيت البدع، فالمشروع في دين الله تعالى هو زيارة الميت والدعاء والاستغفار له، أمَّا هؤلاء فقد

---

(1) انظر: القفاري، أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثني عشرية (ج477/2).

(2) انظر: [الكليني: الكافي، الحج/ أبواب الزيارات، 548/4]

(3) ابن تيمية، منهاج السنة النبوية (474/1).

(4) انظر: شبكة الدفاع عن السنة. تحريف العبادات عند الشيعة.

(5) انظر: الغصن، دعاوى المناوئين لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص374).

جعلوا مقصدهم هو الشرك بالله تعالى، والطواف بالقبور والصلاة عندها، فعارضوا الشرع بصرف العبادات لغير الله تعالى.(1)

13-إنَّ روايات الكافي قد ساهمت في نشر الخرافات والجهل، مثل اعتقاد الشيعة أنَّ تربة قبر الحسين شفاءً من كل الأسقام، فيحمل الشيعة أثناء زيارتهم كربلاء التربة ويقبلونها ويتبركون بها،(2) ويتركون القرآن الكريم الذي أنزله الله تعالى شفاءً ورحمةً للمؤمنين، ويتركون كذلك ما صح من سنة النبي صلى الله عليه وسلم من أدعية وأذكار.

14-إنَّ مناسك الزيارات وما يقوم به الشيعة كما في روايات الكافي من البدع لم يظهر في الأمة الإسلامية إلا في عهد الشاه الصفوي إسماعيل بن حيدر بن الجنيد الصفوي، فهو أول من أضاف البدع في العبادات، ومنها: عمل مجالس العزاء في عاشوراء -الشعائر الحسينية-، بما فيها من عمل المقتل -وهي عمل مسرحي تجسيداً لواقعة كربلاء-، والتي يصاحبها اللطم والتطبير،(3) وأَمَر بتطوير قبور ومراقد بعض أئمة الشيعة الإثنا عشرية، وبناء القبب عليها، وجعل قُم(4) أكبر مركز ديني للشيعة، وأصبح مرقد الإمام الرضا مزاراً يعجُّ بالزوار الشيعة، وقد أدخل هذه المراسيم متأثراً بالنصرانية، حيث تضامن مع النصارى لمواجهة الدولة العثمانية التي كان لها حضور فاعل على الصعيد الدولي.(5)

لقد وجد رجالات التشيع الصفوي أنَّه لا بدَّ من توفير غطاء شرعي للتضامن السياسي النصراني، فعملوا على تقريب التشيع من النصرانية، وفي هذا الإطار عمد الشاه الصفوي إلى استرضاء النصارى، وقد استحدث منصباً وزارياً جديداً باسم وزير

---

(1) انظر: ابن عبد الوهاب، سليمان، تيسير العزيز الحميد (ص282)

(2) انظر: المجلسي الأول، روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه (ج5/372)، الفيض الكاشاني، الوافي (ج14/1525).

(3) التطبير: "ضرب الرؤوس بالسيوف وادمائها،" فتح الله، معجم ألفاظ الفقه الجعفري (ص114).

(4) مدينة قمُّ: مدينة من كور الجبل، من همذان إليها خمس مراحل، وهي مدينة كبيرة كثيرة الأهل، والغالب على أهلها التشيع، وأكثر أهلها عرب، وكان أهل قُمّ خالفوا على المأمون سنة عشر ومائتين، فتوجهت إليها جيوشه ففتحها، وهدم سورها، وحكي أنَّ مدينة قُمّ الكبرى يقال لها منيجان، انظر: الحميري، الروض المعطار في خير الأمصار (ص472).

(5) انظر: شريعتي، التشيع العلوي والتشيع الصفوي (ص 206)

الشعائر الحسينية، وذلك في القرنين السادس عشر والسابع عشر، وكان هذا أول تماس حضاري بين إيران والغرب، وقد ذهب وزير الشعائر الحسينية إلى أوربا الشرقية، وكانت تربطها بالدولة الصفوية روابط حميمة، وأجرى تحقيقات ودراسات واسعة حول المراسيم الدينية، والطقوس المذهبية، والمحافل الاجتماعية المسيحية، وأساليب إحياء ذكرى قتلى النصرانية، والوسائل المتبعة في ذلك، واقتبس تلك المراسيم والطقوس، وجاء بها إلى إيران، حيث أجرى عليها بعض التعديلات عليها كي تصبح صالحة لاستخدامها في المناسبات الشيعية، وأطلق على هذه المستحدثات عنوان "المصائب،" وهو مصطلح يُطلق على مجموعة هذه المراسيم التي اقتبسها الصفويون، وأدخلوها إلى التاريخ الشيعي لتصبح جزءاً من الهوية الشيعية، وتستخدم في تجسيد المصائب التي تعرض لها أهل البيت والإمام الحسين وأهل بيته وأصحابه رضي الله عنهم أجمعين.[1]

وقد اخترعوا لأنفسهم اسطوانات يكررونها لخداع أنفسهم، فيقولون: إنَّ هذا العمل لا يندرج تحت قائمة المستحب والمكروه، أو الحلال والحرام، بل هو جنون حب علي والحسين رضي الله عنهما، عاشوراء أغلت دماءنا، إنَّ حساب الحسين غير حساب الله تعالى والدين والأحكام الشرعية، ولو أنَّ الله تعالى ألقانا في جهنم عقوبة على حب الحسين رضي الله عنه فما أشوقنا إلى نار جهنم؟!!!، وكل هذه المراسيم تنطوي على أفعال وممارسات لا تنسجم مع شرع أو سنّة،[2] بل هي ضلالات وشركيات لم تكن على عهد الأئمة ولا من بعدهم، بل جاءت في عصور متأخرة، وقد أدخلها الصفويون أصحاب التاريخ الأسود، والوجه المشوه في تاريخ الأمة الإسلامية، الذين استحبوا الضلالة على الهدى، وباعوا دينهم بثمنٍ بخسٍ لإرضاء الكفار.

وقد اعترف علماء الشيعة أنَّ هذه البدع لم تظهر إلا في العهد الصفوي وما بعده، فقد ذكر الشيرازي الأدوار التي مرَّت بها الشعائر الحسينية، وذكر: "الدور الرابع: دور الصفويين وخاصة عهد العلامة المجلسي الذي شجع الشيعة على ممارسة شعائرهم بكل حرية فأضافوا إليها التمثيل الذي كان إبداعاً منهم لتجسيد

---

(1) انظر: شريعتي، التشيع العلوي والتشيع الصفوي (ص208،209)

(2) انظر: المصدر نفسه (ص210)

المأساة،....الدور الخامس: دور الفقهاء المتأخرين وعلى رأسهم الشيخ مرتضى الأنصاري وآية الله الدربندي؛ حيث أكثرت الشيعة من مواكب السلاسل والتطبير."[1]

15-إنَّ روايات الكافي الموضوعة كانت ذريعةً ووسيلةً للشرك عند كثير من الملل والفرق الضالَّة الأخرى، فالبابية والبهائية والباطنية كانت امتداداً للفكر الشيعي الضالّ، فالبابية بدأ مفهوم انحرافها من روايتهم: "أنا مدينة العلم وعلي بابها،"[2] ومن خرافة الباب المُوصل إلى المهدي الذي اختفى في سردابه، وهم أصحاب ميرزا علي محمد الشيرازي الملقب بالباب، أي باب المهدي المنتظر، والباب واحد الأبواب، وهو أحد الأقسام التي لا بدَّ منها لبناء المذهب، والإمام هو الأساس، فهو الذي يصل إليه علم الغيب بلا واسطة، وأما الأبواب فلهم مراتب، وأكبرهم من يرفع درجات المؤمنين عند الإمام، وترَّقى الأمر بالشيرازي حتى ادَّعى أنَّه هو المهدي المنتظر، ثم ادعى النبوة، ثم الألوهية،[3] وقد قامت هذه الفرقة على أكتاف المذهب الشيعي الشيخي،[4] وبدايتها كانت في إيران، وصار لها أتباع من الإيرانيين الشيعة؛ لأنَّ من طبيعة المذهب الشيعي قبول أهله لهذه الأوهام، وخاصة أنَّه يقوم على أساس روايات شيعية، فتجد كل معتقد شركي له جذور شيعية منسوبة للأئمة، فيسهل انخداع الشيعة بها، والاستجابة لمثل هذه الدعوات الباطلة، وقد اختارت الحكومة الإيرانية يومئذٍ أن تنفي الشيرازي إلى أذربيجان؛ لأنَّها مباءة السنيين من أهل المذهب الحنفي، ولكونهم سنيين فيهم مناعة من الانحدار بهذه السخافات، والخرافات المنتزعة من جذور شيعية،[5] ثم انبثقت من

---

(1) الشيرازي، الشعائر الحسينية (ص99).

(2) المفيد، الأمالي (ص425)، الحر العاملي، وسائل الشيعة (ج27/34)، الحراني، تحف العقول (ص430)، الريشهري، ميزان الحكمة (ج1/139)، العاملي، أمين، ثلاثيات الكليني (ج1/187).

(3) انظر: الدهلوي، مختصر التحفة الإثنا عشرية (1/23)، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (1/409).

(4) الشيخية: فرقة من فرق الشيعة الإثنا عشرية نسبة إلى أحمد بن زين الدين الإحسائي (ت1243هـ)، وله معتقدات كفرية، مثل اعتقاده أنَّ الله تعالى تجلى في علي رضي الله عنه وفي أولاده الأحد عشر، وأنَّهم مظاهر الله، وأصحاب الصفات الإلهية والنعوت الربانية، انظر: ظهير، الشيعة والتشيع (ص307).

(5) انظر: الخطيب، الخطوط العريضة للأسس التي قام عليها دين الشيعة (ص33)، الدمشقي، حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر (1/702).

هذه الفرقة الضالَّة البهائية التي قالت بنسخ الشريعة، واستبدلوا القرآن بكتاب "الأقدس،" وتركوا أحكام الدين كلها، واستبدلوها بأحكام أخرى،[1] وهذا ليس بالأمر الغريب؛ فإنَّ نصوص الشرع ليس لها أي قدسية عند الشيعة، واتباع الأئمة هو صك الغفران للذنوب، وهي سبب للشفاعة ولرفع الدرجات.

والباطنية كذلك انشقّت من مذهب الروافض، واعتمدوا على الروايات التي جعلت للنصوص ظاهراً وباطناً، فادّعوا أنَّ لظواهر القرآن والأخبار بواطن تجرى في الظواهر مجرى اللب من القشر، وأنَّها بصورها تُوهم عند الجهال الأغبياء صوراً جلية، وهي عند العقلاء والأذكياء رموز وإشارات إلى حقائق معينة، ومن تقاعد عقله عن الغوص في الأسرار والبواطن، وقنع بظواهرها مسارعاً إلى الاغترار كان تحت الأواصر والتكليفات،[2] وكذلك اعتمد الباطنية على الروايات التي جعلت الأئمة مُفوَّضين في التشريع وفي فهم النصوص، وهناك فرق كثيرة انبثقت عن الشيعة وغالت وخرجت عن بوتقة الإسلام ابتداءً بالسبأية ومروراً بالبيانية والمغيرية والمنصورية والجناحية والخطابية وغيرها كثير،[3] وكل هذه الفرق كانت صاحبة تاريخ أسود في الشرك، وفي سفك دماء المسلمين، وانتهاك حرمات الله تعالى، ومساعدة أعداء الإسلام في الظهور على المسلمين، والقائمة تطول في ذكر مخازيهم.[4]

وقد وردت روايات في الكافي تُظهر أنَّ هناك من دان بمعتقدات فاسدة بسبب الروايات الموضوعة، فروايات الكافي إما أن تكون شركية، أو تكون وسيلة للشرك والكفر بالله تعالى، وصدق الأستاذ أحمد أمين عندما قال: "والحق أنَّ التشيع كان مأوىً يلجأ إليه كل من أراد هدم الإسلام لعداوةٍ أو حقدٍ، ومن كان يريد إدخال تعاليم

(1) انظر: شيبة الحمد، البهائية إحدي مطايا الاستعمار والصهيونية (23/1)، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، موسوعة المفاهيم الإسلامية (92/1).

(2) انظر: البغدادي، الفرق بين الفرق (ص512)، الغزالي، فضائح الباطنية (ص 11)، ابن تيمية، بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية (ج169/1).

(3) انظر: البغدادي، الفرق بين الفرق (ص221)، ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل (ج138/4).

(4) انظر: الشحود، من مخازي الرافضة عبر التاريخ، حيث ذكر في كتابه بعضاً من مخازي الرافضة منذ العهد الأموي حتى العصر الحديث.

آبائــه مــن يهوديــةٍ ونصــرانيةٍ وزردشــتيةٍ وهنديــةٍ،...كل هــؤلاء كــانوا يتخــذون حــبَّ أهــل البيت ستاراً يضعون وراءه كل ما شاءت أهواءهم."[1]

16-إنَّ زيــارة القبــور ومــا يفعلــه الشــيعة فــي المــآتم والحســينيات، مثــل: اللطــم والنياحــة والتطبيــر وغيرهــا، لــم تكــن علــى عهــد الأئمــة، وقــد وردت روايــات فــي الكــافي كثيــرة تنهــى عــن ذلــك، وهــذا مــن التنــاقض الواضــح فــي روايــات الكــافي، وفــي ذلــك أكبــر الدلالــة علــى بطلانــه، ومنهــا مــا رُوي عــن أبــي عبــد الله رحمــه الله أنَّــه قــال فــي قــول الله عــزَّ وجــل: ﴿وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللهَ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الممتحنــة:12]، "المعــروف أنْ لا يشــققن جيبــاً، ولا يلطمــن خــداً، ولا يــدعون[2] ويــلاً، ولا يــتخلفن عنــد قبــرٍ، ولا يســودن ثوبــاً، ولا ينشــرن شــعراً،"[3] وروى كــذلك عــن أبــي جعفــر رحمــه الله أنَّــه قــال: "تــدرون مــا قولــه تعــالى: ﴿وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللهَ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الممتحنــة:12]، قــال: إنَّ رســول الله صــلى الله عليــه وآلــه قــال لفاطمــة عليهــا الســلام: إذا أنــا مِــتُّ فــلا تخمشــي علَــيَّ وجهــاً، ولا تنشــري علَــيَّ شــعراً، ولا تنــادي بالويــل، ولا تُقيمــي علَــيَّ نائحــة، قــال: ثــم قــال: هــذا المعــروف الــذي قــال الله عــزَّ وجــل،"[4] وقــد ذكــر بعــض علمــاء الشــيعة شــنائع الملاطــم التــي تُقــام فــي الحســينيات ومنهــا: ذكــر الأمــور المكذوبــة المعلــوم كــذبها، التــي لــم تُنقــل فــي كتــاب، وهــي تُتلــى علــى المنــابر وفــي المحافــل ولا رادع، وضــرب الظهــور بسلاســل الحديــد، وغيــر ذلــك، وتحــريم ذلــك ثابــت بالعقــل والنقــل، والنبــي صــلى الله عليــه وســلم أتــى بشــريعة ســمحة، والــدين أتــى لرفــع الحــرج عــن النــاس، وأمــا مــا يُفعــل مــن الضــرب بالسلاســل فكثيــراً مــا يُــؤدِّي ذلــك إلــى الإغمــاء بنــزف الــدم الكثيــر، وإلــى المــرض، أو المــوت أو طــول بــرأ الجــرح، ومــن الشــنائع كــذلك صــياح النســاء بمســمع مــن الرجــال الأجانــب، وهــذا محــرّم، ولــو فــرض عــدم تحريمــه فهــو معيــب شائن منافٍ للآداب والمروءة، يجب تنزيه المآتم عنه.[5]

---

(1) أمين، فجر الإسلام (ص298).

(2) هكذا وردت الرواية.

(3) [الكليني: الكافي، المعيشة/ صفة مبايعة النبي صلى الله عليه وآله النساء، 527/5: ح3].

(4) [المصدر السابق/ صفة مبايعة النبي صلى الله عليه وآله النساء، 527/5: ح4].

(5) انظــر: الحلــي، عبــد الحســين، النقــد النزيــه لرســالة التنزيــه (ص3)، الكــلام المــذكور هــو لمحســن الأمــين، فقــد كــان يُخــالف الشــعائر الحســينية، ونظــراً لعــدم تــوافر كتابــه تــم نقلــه مــن كتــاب النقــد النزيــه الذي رد فيه صاحبه على محسن الأمين.

الفصل الثانـي

مكانـة توحيد الألوهيـة، ودور النبـي صلـى الله عليـه وسلم في تبليـغ التوحيد بين البخاري والكُلَيني

المبحث الأول

مكانة توحيد الألوهية بين البخاري والكُلَيْني

المطلب الأول

مكانة توحيد الألوهية عند البخاري

إنَّ مسائل توحيد الألوهية، ودلائله، والدعوة إليه هو سمة الأحاديث في صحيح البخاري، فتوحيد الألوهية الغاية التي لأجلها خُلق الخلق؛ ولأجله أُرسلت الرسل، وأُنزلت الكتب، ولنشره أُشهرت السيوف، وهو أول واجبٍ على المكلف، ولا يغفر الله تعالى لمن أشرك به، **ويمكن بيان مكانة توحيد الألوهية عند البخاري ضمن النقاط التالية:**

1-أول واجبٍ على المكلف توحيد الله تعالى في ألوهيته:

توحيد الألوهية هو إفراد الله جلَّ وعلا في جميع أنواع العبادات، والإقرار بأنَّها لا تجوز إلا له وحده سبحانه وتعالى، وهذا معنى كلمة التوحيد، ولا يصح إيمان المرء إلا بتحقيقها، وهي أول واجبٍ على المكلف، وبها يتحقق الدخول في الإسلام،[(1)] وقد وردت أحاديث كثيرة في هذا المعنى، ومنها ما رواه عبادة بن الصامت رضي الله عنه، قال: «**تُبَايِعُونِي عَلَى أَنْ لاَ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا، وَلاَ تَسْرِقُوا، وَلاَ تَزْنُوا، وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلاَدَكُمْ، وَلاَ تَأْتُوا بِبُهْتَانٍ تَفْتَرُونَهُ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ، وَلاَ تَعْصُوا فِي مَعْرُوفٍ، فَمَنْ وَفَى مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَعُوقِبَ فِي الدُّنْيَا فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَسَتَرَهُ اللَّهُ فَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ، إِنْ شَاءَ عَاقَبَهُ، وَإِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ**»[(2)] وقد تواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم ثم عن الصحابة أنَّهم حكموا بإسلام من أسلم من جُفاة العرب، ممن كان يعبد الأوثان، بمجرد إقرارهم بالشهادتين – وهي اعتقاد إلهية الله تعالى- وبالتزام أحكامها، من إخلاص العبادات وغيره من الأحكام المتعلقة بها،[(3)] ومن الأحاديث في ذلك ما رواه ابن عباس رضي الله عنه أنَّ

---

(1) انظر: ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية (ص27)، ابن عبد الوهاب، التوحيد (ص21).

(2) [البخاري: صحيح البخاري، الحدود/ الحدود كفارة، ص1137: ح6784].

(3) انظر: ابن حجر، فتح الباري (ج13/ 352).

النبـي صـلى الله عليـه وسـلم لمَّـا بعـث معـاذ بـن جبـل إلـى نحـو أهـل الـيمن قـال لـه: «**إنَّـكَ تَقْدَمُ عَلَـى قَـوْمٍ مِـنْ أَهْـلِ الكِتَـابِ، فَلْـيَكُنْ أَوَّلَ مَـا تَـدْعُوهُمْ إِلَـى أَنْ يُوَحِّـدُوا اللَّـهَ تَعَـالَى**»[1] **وفــي روايــة**: «**فَلْـيَكُنْ أَوَّلَ مَـا تَـدْعُوهُمْ إِلَيْـهِ عِبَـادَةُ اللَّـهِ**»[2] فتوحيـد الألوهيـة هـو أول الأمر وآخره.[3]

2-دعوة جميع الرسل كانت لتوحيد العبادة:

التوحيــد هــو أول دعــوة الرســل، وأول منــازل الطريــق، وأول مقــامٍ يقــوم فيــه السـالك إلـى الله تعـالى،[4] وجميـع الرسـل دعـوا إلـى توحيـد الله عـزَّ وجـل، وإخـلاص العبـادة لـه، كمـا قـال الله تعـالى: ﴿**وَمَـا أَرْسَـلْنَا مِـنْ قَبْلِـكَ مِـنْ رَسُـولٍ إِلَّا نُـوحِي إِلَيْـهِ أَنَّـهُ لَا إِلَـهَ إِلَّا أَنَـا فَاعْبُـــدُونِ**﴾ [الأنبيـــاء:25]، وقـد وردت آيـات كثيـرة تبـين أنَّ آحـاد الرسـل كانـت دعـوتهم : ﴿**اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ**﴾ [الأعراف:59].[5]

وقد كان اعتقاد المشركين بجواز صرف العبادات لآلهتهم، وقد تواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنَّ دعوته كانت لتوحيد الألوهية، ولنقض معتقدهم في الأصنام، وهذا ما قاله أبو سفيان لقيصر الروم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنَّه: "يأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئاً، وينهانا عما كان يعبد آباؤنا، ويأمرنا بالصلاة، والصدقة، والعفاف، والوفاء بالعهد، وأداء الأمانة،"[6] وهذا هو مضمون توحيد الألوهية.

---

(1) [البخـاري: صـحيح البخـاري، التوحيـد/ مـا جـاء فـي دعـاء النبـي صـلى الله عليـه وسـلم أمتـه إلـى توحيد الله تبارك وتعالى، ص1236: ح7372].

(2) [المصدر السابق، الزكاة/ لا تؤخذ كرائم أموال الناس في الصدقة، ص238 :ح1458].

(3) انظـر: السـجزي، رسـالة السـجزي إلـى أهـل زبيـد (ص135)، ابـن أبـي العـز الحنفـي، شـرح العقيـدة الطحاويـة (ص27)، والمـراد بـآخره أي آخـر واجـب، فقـد قـال النبـي صـلى الله عليـه وسـلم: «مـن كـان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة».

(4) ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية، بتصرف (ص36).

(5) انظـر: [البخـاري: صـحيح البخـاري، أحاديث الأنبيـاء/ قـول الله تعـالى: ﴿وَإِلَى عَـادٍ أَخَـاهُمْ هُـودًا قَـالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف:65]، ص559].

(6) [المصـدر السـابق، الجهـاد والسـير/ دعـاء النبـي صـلى الله عليـه وسـلم النـاس إلـى الإسـلام والنبـوة، وأن لا يتخذ بعضهم بعضاً أرباباً من دون الله، ص492: ح2941].

3-أصل هلاك الأمم لإشراكهم في ألوهية الله تعالى:

إنَّ أصل الدين توحيد الله تعالى بعبادته، والشرك الذي وقع في الأمم هو الشرك في العبادة لا إنكار وجود الله تعالى، وتفرده بالخلق والرزق، والرسل جاؤوا لتصحيح مسار الشرك الذي سار عليه أقوامهم، وحتى من أُثر عنهم إنكار وجود الله تعالى، أو إثبات إلهين، فإنَّ الواجب الإقرار بوجوده تعالى أولاً، ليتوصل بإقراره هذا إلى عبادة الله تعالى، فيكون إقراره وسيلةً للواجب المقصود، وهو إفراد الله بالعبادة؛ إذ الإقرار وحده لا يكفي،[1] ويكون إقراره لكلمة التوحيد إقراراً ضمنياً لوجود الله تعالى، ومن أمثلة الأمم التي أشركت في إلهية الله تعالى قريش، فهي لم تكن تنكر الخالق، ولكن كانت تشرك في عبادة الله تعالى، قال تعالى عنهم: ﴿أَجَعَلَ الْآَلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص:5]،[2] أي أزعم أنَّ المعبود واحد؟، فالمشركون أنكروا ذلك، وتعجبوا من ترك الشرك بالله تعالى، فإنَّهم كانوا قد تلقَّوا عن آبائهم عبادة الأوثان، وأُشربته قلوبهم، فلمَّا دعاهم الرسول صلى الله عليه وسلم إلى خلع ذلك من قلوبهم، وإفراد الله تعالى بالوحدانية أعظموا ذلك وتعجبوا،[3] فشركهم كان في الإلهية، كما هو حال جميع الأمم التي أُرسل إليها الرسل.

4-الغاية من خلق الخلق إفراد الله تعالى بالعبادة:

لقد خَلَقَ الله تعالى الخَلْقَ لعبادته الجامعة لمعرفته، والإنابة إليه، ومحبته، والإخلاص له، ولا شيء يعطيهم في الدنيا أعظم من الإيمان به، وحاجة الخلق إلى الله تعالى في عبادتهم إياه، كحاجتهم وأعظم له تعالى في خلقه لهم، وربوبيته إياهم؛ لأنَّ العبادة هي الغاية المقصودة لهم، ولهذا كان الله تعالى لا يغفر أنْ يُشرك به، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء،[4] وقد استدلَّ الإمام البخاري على ذلك بقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:56]، وقال معقِّبا على الآية الكريمة: "ما خلقت أهل السعادة من أهل الفريقين إلا ليوحدون،"[5] فقد بيَّن الله جلَّ

---

(1) انظر: الموسوعة العقدية- الدرر السنية: (ج175/1)، بترقيم الشاملة آلياً.

(2) انظر: [البخاري: صحيح البخاري، تفسير القرآن/ بدون اسم، ص819].

(3) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج53/7).

(4) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج23/1).

(5) [البخاري: صحيح البخاري، تفسير القرآن/ باب بدون اسم، ص830].

وعـلا أنَّـه خلـق النـاس لهـذه الغايـة وهـي عبادتـه، وبـيَّن سـبحانه أنَّـه فطـر النـاس علـى الإقرار به؛ ولذلك فإنَّ أول ما يأمرهم هو عبادته سبحانه وتعالى.[1]

5-العبادة ركن الإيمان:

لقـد أورد البخـاري فـي صـحيحه أبوابـاً فـي بيـان أهميـة العبـادة، ومكانتهـا مـن التوحيد، وأوضـح مـا يـدل علـى ذلـك أنَّ الإمـام البخـاري ذكـر فـي صـحيحه: "بـاب مـن قـال إنَّ الإيمـان هـو العمـل،"[2] واسـتدلَّ فيـه بالآيـات القرآنيـة التـي تـدلُّ علـى مـراده، فـذكر فيـه قول الله تعالى: "﴿ وَتِلْـكَ الْجَنَّـةُ الَّتِـي أُورِثْتُمُوهَـا بِـمَا كُنْـتُمْ تَعْمَلُـونَ ﴾ [الزُّخـرف:72]، وقـال عـدة مـن أهـل العلـم فـي قولـه تعـالى: ﴿ فَوَرَبِّـكَ لَنَسْـأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِـينَ عَـمَّا كَـانُوا يَعْمَلُـونَ ﴾[الحجـر:92،93]، عـن قـول: لا إلـه إلا الله، وقـال تعـالى: ﴿ لِمِثْـلِ هَـذَا فَلْيَعْمَـلِ الْعَـامِلُونَ ﴾ [الصَّـافات:61]،"[3] فقولـه تعـالى: ﴿ بِـمَا كُنْـتُمْ تَعْمَلُـونَ ﴾، ﴿ فَلْيَعْمَـلِ الْعَـامِلُونَ ﴾، لفظ عـام فـي الأعمـال، وأمـا قولـه تعـالى: ﴿ عَـمَّا كَـانُوا يَعْمَلُـونَ ﴾ فهـو خـاص بعمل اللسان -كما ذكر الإمام البخاري-.

وقـد دلَّـت أحاديـث النبـي صـلى الله عليـه وسـلم علـى أنَّ الاعتقـاد والقـول أيضـاً مـن العمـل، ومنهـا حـديث أبـي هريـرة رضـي الله عنـه أنَّ رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم سُئل: «**أَيُّ الْعَمَـلِ أَفْضَـلُ؟ فَقَـالَ: إِيمَـانٌ بِاللَّـهِ وَرَسُـولِهِ، قِيـلَ: ثُـمَّ مَـاذَا؟ قَـالَ: الْجِهَـادُ فِـي سَـبِيلِ اللَّـهِ، قِيـلَ: ثُـمَّ مَـاذَا؟، قَـالَ: حَـجٌّ مَبْـرُورٌ**،»[4] فالعبـادات يـدخل فيهـا أعمـال القلـب والجـوارح، فالإيمـان هـو التصـديق، ويُطلـق علـى الأعمـال البدنيـة؛ لأنَّهـا مـن مكملاتـه،[5] والله تعـالى قـد جعـل الجنـة لمـن وحَّـد الله تعـالى فـي عبادتـه، قـال تعـالى: ﴿ وَتِلْـكَ الْجَنَّـةُ الَّتِـي أُورِثْتُمُوهَـا ﴾، والمعنـى أي صُـيِّرت لكـم إرثـاً، وهـو مجـاز عـن الإعطـاء لتحقـق الاستحقاق.[6]

---

(1) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج23/1).

(2) [البخاري: صحيح البخاري، الإيمان/ الإيمان هو العمل، ص11].

(3) [المصدر السابق، الإيمان/ الإيمان هو العمل، ص11].

(4) [المصدر نفسه ، الإيمان/ من قال إن الإيمان هو العمل، ص11: ح26].

(5) انظر: ابن حجر، فتح الباري (ج77/1).

(6) انظر: المرجع السابق (ج77/1،78).

ولأنَّ العبادة أساس التوحيد؛ فلا يُقبل من أحدٍ أنْ يدَّعِي الإيمان، وينكر أحد شرائع الإسلام المعلومة من الدين بالضرورة، فعن ابن عمر رضي الله عنه أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الإِسْلاَمِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ،**»[1] ففي الحديث رتَّب النبي صلى الله عليه وسلم العلة لقتال المشركين على شهادة التوحيد، وعلى الأركان الأخرى، والعطف يقتضي المشاركة في الحكم، وهو ما أخذ به الصدِّيق عندما حارب أهل الردة.

وكما أنَّ الإمام البخاري ذكر باباً جامعاً في بيان أنَّ العمل هو الإيمان، فقد ذكر كذلك أبواباً كثيرة تخص آحاد العبادات، وأنَّها داخلة في مسمى الإيمان.[2]

(1) [البخاري: صحيح البخاري، الإيمان/ قوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة:5]، ص10: ح25].

(2) انظر: [المصدر السابق، الإيمان/ أمور من الإيمان، ص8: ح9، باب إطعام الطعام من الإسلام، ص9: ح12، باب إفشاء السلام من الإسلام، ص11:ح28، باب قيام ليلة القدر من الإيمان، ص12: ح35، باب الجهاد من الإيمان، ص12: ح36، باب تطوع قيام رمضان من الإيمان، ص12،13: ح37]، وهناك أبواب كثيرة مشابهة.

المطلب الثاني

مكانة توحيد الألوهية عند الكليني

إنَّ توحيد الألوهية بمعنى إفراد الله تعالى بالعبادة، لا يكاد يوجد له أثر في روايات الكافي، فإنَّه لم يعتبره جُزْءاً من التوحيد، وتَرْك العبادة والعمل لا يُوجب كفراً –كما يُفهم من الروايات–، وشرط قبول الأعمال الاعتقاد بولاية الأئمة؛ فالشيعة مذهبهم قريب من المرجئة، وإنْ كان المرجئة أحسن حالاً منهم؛ لأنَّ الشيعة يجعلون الولاية شرط النجاة، وترك العمل عندهم لا يُوجب كفراً، وليس من مسمى الإيمان، وأما المرجئة فجعلوا اعتقاد الإيمان هو المُنجي دون العمل، والبدع الشركية في العبادات– كما يظهر في روايات الكافي– لها المكانة العالية، والمنزلة السامية عند الشيعة؛ فإنَّ ثوابها أضعاف ثواب العبادة، **وتفصيل هذه النقاط على النحو التالي:**

أولاً: مكانة إفراد الله تعالى بالعبادة عند الكليني:

لم يجعل الكليني من شروط قبول العمل أنْ يكون خالصاً لله تعالى، بل وجعل إخلاص كلمة التوحيد والعبادات من الشرك، فقد روى عن أبي جعفر رحمه الله أنَّه قال: "....فمن أصبح من هذه الأمة لا إمام له من الله عزَّ وجل ظاهراً عادلاً، أصبح ضالاً تائهاً، وإنْ مات على هذه الحال مات ميتة كفرٍ ونفاقٍ، واعلم يا محمد –وهو ناقل الرواية– أنَّ أئمة الجور وأتباعهم لمعزولون عن دين الله، قد ضلُّوا وأضلُّوا، فأعمالهم التي يعملونها ﴿**كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ**﴾ [إبراهيم:18]،"[1] فالعمل غير مقبول إلا بإشراك الأئمة، "والله تعالى نصَّب عليًّا عَلَماً بينه وبين خلقه، فمن عَرَفَه كان مؤمناً، ومن أنكره كان كافراً، ومن جهله كان ضالاً، **ومن نصَّب معه شيئاً كان مشركاً**، ومن جاء بولايته دخل الجنّة،"[2] وأعمال العباد تُعرض على الأئمة، ولا يقبلون منها إلا إذا كانت ممَّن اعتقد بالولاية، فرُوى عن عبد الله بن أبان الزيات أنَّه قال للإمام الرضا: "ادع الله لي ولأهل بيتي، فقال: أولست أفعل؟، والله إنَّ أعمالكم لتُعرَض عليَّ في كل يومٍ وليلةٍ، قال: فاستعظمت ذلك، فقال لي: أما تقرأ في كتاب الله عزو جل: ﴿**وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ**

---

(1) [الكليني: الكافي، الحجة/ فيمن دان الله عزَّ وجل بغير إمام من الله جل جلاله، 375/1: ح2].

(2) [المصدر السابق/ فيه نتف وجوامع من الرواية في الولاية، 437/1: ح7].

﴿عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة:105]،قال: هو والله علي بن أبي طالب،"[1] فإشراك الأئمة في العبادات من شروط قبولها، ولا يُقبل الدعاء إلا باللجوء إليهم واتخاذهم وسائط، وأما إفراد الله تعالى بجميع العبادات فهو الشرك بعينه، ففي الحج مثلاً لا يُقبل حج من أدَّى مناسك الحج، ولم يرجع للأئمة، وفعالهم كفعال الجاهلية.[2]

ثانياً: مكانة العبادة عند الكليني:

1-ترك العمل لمن يعتقد بالولاية لا يقتضي كفراً:

لقد ذكر الكليني في بعض الروايات أنَّ ترك العمل يقتضي الكفر، ولكنه من الشرك الأصغر مطلقاً، وفي روايات أخرى جعل سبب الفوز والنجاة اتباع الأئمة فقط دون العمل، فالعمل ليس من أساسيات الدين عنده، والروايات بالمعنى الأخير هي المأخوذ بها عملياً عند الشيعة، وقد جعل الكليني اعتقاد الولاية سبباً لمغفرة الذنوب، ولاستحقاق الشفاعة،[3] فالحاصل أنَّ العبادة ليست الغاية من الدين، وكونها مأموراً بها على اعتبار أنَّها من توابع الإمامة، وقد عُطِّلت كثير من العبادات بانتظار إمامهم، وغُيِّرت كثير من الأحكام بدعوى موافقة الأئمة، أو تأثراً بلوازم الولاية، والخروج عن حدود الشرع صار السمة السائدة عندهم، وقد نسبوا لأبي عبد الله جعفر الصادق رحمه الله أنَّه قال: "**العمل الصالح المعرفة بالأئمة**، قال تعالى: ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: 110]، التسليم لعلي، ولا يشرك معه في الخلافة من ليس له ذلك، ولا هو من أهله،"[4]، وبذلك جعل الولاية ركن توحيد الألوهية، ونسب لأبي جعفر الباقر رحمه الله أنَّه قال: "بُني الإسلام على خمسٍ: على الصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، والولاية، ولم يُنادَ بشيءٍ كما نُودي بالولاية، فأخذ الناس بأربعٍ وتركوا هذه - يعني الولاية- ".[5]

---

(1) [الكليني: الكافي، الحجة/ عرض الأعمال على النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام، 220،219/1: ح4].

(2) انظر: [المصدر السابق، الحجة/ أن الواجب على الناس بعد ما يقضون مناسكهم أن يأتوا الإمام، فيسألونه عن معالم دينهم، ويعلمونهم ولايتهم ومودتهم له، 392/1: ح2].

(3) [المصدر السابق، الحجة/ معرفة الإمام والرد إليه، 134/1: ح9].

(4) العياشي، تفسير العياشي (353/2)، الفيض الكاشاني، التفسير الصافي (ج270/3).

(5) [الكليني: الكافي، الإيمان والكفر/ دعائم الإسلام، 18/2: ح1].

2-الولاية أساس قبول الأعمال:

إنَّ مـن يطَّلـع علـى روايـات الكـافي يجـد أنَّ الاعتقـاد السـائد فيهـا أنَّ الله تعـالى لا يقبل عمل امرئٍ ما لم يعتقد بولاية الأئمة، ويظهر هذا بشكلٍ واضحٍ في رواياته؛ فلا قيمة للإخلاص، ولا لاتباع الشرع في العبادات إلا بالولاية؛ لأنَّ الثواب والعقاب يكون عليها، فرُوي عن أبي جعفر عليه السلام أنَّه قال: "كل من دانَ الله عزَّ وجل بعبادةٍ يُجهِد فيها نفسه ولا إمام له من الله تعالى، فسعيه غير مقبول،"[1] وهذا المعتقد يدين به كل الشيعة، ويعتقدون أنَّ من أقرَّ بالولاية ثم مات عليها قُبلت منه صلاته، وصومه، وزكاته، وحجه، وإنْ لم يُقرَّ بها لم يقبل الله تعالى شيئًا من أعماله.[2]

والولاية -على حد زعم الكليني وشيعته- تفوق كل العبادات في الفضل؛ لأنَّ العمل إذا فات فإنَّه يُستدرك، ويُغفر بالتوبة، والتفريط في عملٍ لا ينقض باقي الأعمال، وأما الولاية فتركها مُوجب لإحباط العمل، وهي لا تُستدرك، والولاية وإنْ شاركت بعض العبادات في ذلك، إلا أنَّها تفوق جميع العبادات في المنزلة والمكانة، وهذا التعليل مروي عن أبي جعفر رحمه الله حيث قال: "بُني الاسلام على خمسة أشياءٍ، على الصلاة، والزكاة، والحج، والصوم، والولاية، قال زرارة: فقلت: وأي شيء من ذلك أفضل؟، فقال: **الولاية أفضل؛ لأنها مفتاحهنَّ، والوالي هو الدليل عليهنَّ**، إنَّ أفضل الأشياء ما إذا فاتك لم تكن منه توبة دون أنْ ترجع إليه، فتؤديه بعينه، إنَّ الصلاة والزكاة والحج والولاية ليس يقع شيء مكانها دون أدائها، وإنَّ الصوم إذا فاتك، أو قصرت فيه، أو سافرت، أدَّيت مكانه أياماً غيرها، وجزيت ذلك الذنب بصدقةٍ، ولا قضاء عليك، وليس من تلك الأربعة شيء يجزيك مكانه غيره، قال: ثم قال: **ذروة الأمر وسنامه ومفتاحه، وباب الأشياء، ورضا الرحمن الطاعة للإمام** بعد معرفته، إنَّ الله عزَّ وجل يقول: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ [النساء:80]، **أما لو أنَّ رجلاً قام ليله، وصام نهاره، وتصدق بجميع ماله، وحج جميع دهره، ولم يعرف ولاية ولي الله فيواليه ويكون جميع أعماله بدلالته إليه، ما كان له على الله عزَّ وجل حق في ثوابه، ولا كان من أهل الايمان**، ثم قال: أولئك المحسن منهم يدخله الله الجنة بفضلِ رحمته."[3]

(1) [الكليني: الكافي، الحجة/ فيمن دان الله عزَّ وجل بغير إمام من الله جل جلاله، 375/1: ح2].

(2) انظر: المجلسي، بحار الأنوار (ج167/27).

(3) [الكليني: الكافي، الإيمان والكفر/ دعائم الإسلام، 18/2: ح5].

ومما يوضح مكانة الولاية بين العبادات، أنَّ المُخلِّص للمرء يوم القيامة هي الولاية، فيأتي الأئمة يوم القيامة فيعرفون شيعتهم، ويدخلونهم الجنة، فقد روى الكليني أنَّ ابن الكواء سأل أمير المؤمنين عن قول الله تعالى: ﴿ وَعَلَى الأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ﴾ [الأعراف:46]، فقال: "نحن على الأعراف، نعرف أنصارنا بسيماهم، ونحن الأعراف الذي لا يُعرف الله عزَّ وجل إلا بسبيل معرفتنا، ونحن الأعراف، يُعرِّفنا الله عزَّ وجل يوم القيامة على الصراط، فلا يدخل الجنة إلا من عرفنا وعرفناه، ولا يدخل النار إلا من أنْكَرْنا وأنْكَرَنا،"[1] وكل عملٍ يقع بدون اعتقاد الولاية فالله تعالى مبغض له؛ لأنَّه وقع على غير الوجه الذي أراده، ومعنى بغضه تعالى للعمل عدم قبوله، مع ذمِّ عامله، وطرده عن رحمته وثوابه الموعود له،[2] فالمأمور به هو طاعة الإمام والانقياد له في كل ما أمر ونهى.

ولما كانت معرفة الإمام مع طاعته مستلزمة لمعرفة سائر أصول الدين وفروعه، فهي أرفع أجزائه، وهي كالسنام بالنسبة إلى سائر أجزاء البعير، وكالباب المُؤدي للقرب من الله تعالى، وللوصول إلى مدينة علْم الرسول صلى الله عليه وسلم، وهي الموجبة لرضى الله تعالى، ولا يحصل إلا بها، ومن لم يعتقد بالولاية فما له على الله تعالى حق؛ لأنَّه لا تشمله آيات الوعد، فالله تعالى إنَّما وعد المؤمنين بالجنة، ومن لم يعتقد بالولاية ليس من المؤمنين فلا يستحق الثواب بمقتضى الوعد، وإنْ كان المؤمنون المحسنون أيضاً لا يستحقون الثواب بمحض أعمالهم، لكن يجب على الله تعالى إثابتهم بمقتضى وعده.[3]

ولما كان معتقد الشيعة أنَّ المُخلِّص لهم هو الولاية فقط، نجد أنَّ التفريط عندهم ظهر عندهم جلياً في العبادات والتقصير فيها، والسير على غير سنة النبي صلى الله عليه وسلم، **ومن أمثلة ذلك:**

أ-الجمع بين الصلوات بلا عذرٍ، والإخلال بشروطها، وعدم الالتزام بمواقيتها:

لقد ورد في الكافي روايات تدلُّ على جواز الجمع بين الصلوات بلا عذرٍ، أو سببٍ، وهذا تفريط واضح في شرط من شروط صحة الصلاة، فرُوى عن أبي عبد الله

---

(1) [الكليني: الكافي، الحجة/ معرفة الإمام والرد إليه، 134/1: ح9].

(2) انظر: المازندراني، شرح أصول الكافي (ج145/5).

(3) المجلسي، بحار الأنوار، بتصرف (ج65 /336).

رحمه الله قال: "صلَّى رسول الله صلى الله عليه وآله بالناس الظهر والعصر حين زالت الشمس في جماعة، من غير علةٍ، وصلّى بهم المغرب والعشاء الآخرة قبل سقوط الشفق من غير علةٍ في جماعة، وإنَّما فعل رسول الله صلى الله عليه ليتسع الوقت على أمته،"[1] والاتفاق حاصل بين الإمامية على جواز الجمع بين الصلاتين في الحضر اختياراً بدون عذر، وإن كان التفريق أفضل،[2] يقول الطوسي: "يجوز الجمع بين الصلاتين، بين الظهر والعصر وبين المغرب وعشاء الآخرة، في السفر والحضر وعلى كل حالٍ، ولا فرق بين أنْ يجمع بينهما في وقت الأولة [هكذا وردت الرواية] منهما، أو وقت الثانية،"[3] وكان المعتقد السائد أنَّه لا جمعة إلا مع إمامٍ عادلٍ، أو مع الفقيه المنصوب من قبل الإمام، فصلاة الجمعة لا يصح كونها فريضة إلا بشروط متى اجتمعت صحَّ كونه فريضة جمعة، ووجبت لذلك، ومتى لم تجتمع الشروط فلا تصح، ولم يجب كونها كذلك، بل يجب كون هذه الصلاة ظهراً، ويصليها المصلي بنية كونها ظهراً، ومن هذ الشروط أنْ يحضر الإمام العادل، أو من نصبه الإمام،[4] فالجمعة من مناصب الإمام، ولذلك كان الأئمة لا يعتدُّون بصلاة الجمعة إذا شهدوها مع أئمة الجور، بل يصلون الظهر لأنفسهم.[5]

ب-مكانة القرآن:

إنَّ روايات تحريف القرآن يعجُ بها كتاب الكافي، فيروي الكليني -كذباً وزوراً- عن أبي عبد الله رحمه الله قال: "إنَّ القرآن الذي جاء به جبرائيل إلى محمدٍ سبعة عشر ألف آية،"[6] وهذا يعني أنَّ القرآن الذي بين أيدينا هو ثلث القرآن فقط.

لقد أثَّرت أمثال هذه الروايات على مكانة القرآن عند الشيعة، فلا قداسة للنصِّ القرآني، بل إنَّهم يؤولونه وفقاً لأهوائهم؛ فيحرفون الكلم عن مواضعه، كيف لا والكافي فيه عشرات الآيات المحرفة، والتي أراد من خلالها أنْ يثبت أنَّ القرآن الذي بين أيدينا

---

(1) [الكليني: الكافي، الصلاة/ الجمع بين الصلاتين، 286/3: ح1].

(2) انظر: السبحاني، رسائل ومقالات (ص475).

(3) الطوسي، الخلاف (ج588/1،589).

(4) انظر: المجلسي، بحار الأنوار (ج145/86).

(5) انظر: الطبرسي، حسين، مستدرك الوسائل (13/6)، ابن البراج، جواهر الفقه (ص253)، الخاجوئي، الرسائل الفقهية (ج493/1).

(6) [الكليني: الكافي، فضل القرآن/ النوادر، 634/2: ح28].

قد طالـه التحريـف، فقد ذكـر "بـاب أنَّـه لـم يجمـع القـرآن إلا الأئمـة،"[1] وذكـر فيـه الروايـات التـي تثبـت تحريـف القـرآن، ومنهـا مـا نسـبه لأبـي جعفـر رحمـه الله أنَّـه قـال: "مـا ادَّعـى أحـد مـن النـاس أنَّـه جمـع القرآن كلـه كمـا أنـزل إلا كـذاب، ومـا جمعـه وحفظـه كمـا نزلـه الله تعـالى إلا علـي بـن أبـي طالـب والأئمـة مـن بعـده علـيهم السـلام،"[2] والروايـات والأمثلـة الـواردة فـي إثبـات التحريـف كثيـرة جـداً فـي الكـافي، ومنهـا مـا نسـبه الكلينـي لأبـي عبـد الله رحمـه الله أنَّ رجـلاً قـرأ عنـده قولـه تعـالى: ﴿وَقُـلِ اعْمَلُـوا فَسَـيَرَى اللهُ عَمَلَكُـمْ وَرَسُـولُهُ وَالْمُؤْمِنُـونَ وَسَـتُرَدُّونَ إِلَى عَـالِمِ الغَيْـبِ وَالشَّـهَادَةِ فَيُنَبِّـئُكُمْ بِـمَا كُنْـتُمْ تَعْمَلُـونَ﴾ [التوبـة:105]، فقال: "ليس هكذا، إنَّما هي: (والمأمونون) فنحن المأمونون."[3][4]

والروايـات التـي تثبـت وقـوع التحريـف روايـات متـواترة عنـد الشـيعة،[5] كمـا يقـول نعمـة الله الجزائـري المحـدث الشـيعي فـي كتابـه الأنـوار: "إنَّ الأصـحاب قـد أطبقـوا علـى صـحة الأخبـار المستفيضـة، بـل المتـواترة الدالـة بصـريحها علـى وقـوع التحريـف فـي القرآن."[6]

(1) [الكليني: الكافي، الحجة/ أنه لم يجمع القرآن كله إلا الأئمة عليهم السلام، 228/1].

(2) [المصدر السابق، الحجة/ أنه لم يجمع القرآن إلا الأئمة عليهم السلام، 228/1: ح1].

(3) [المصدر نفسه ، الحجة/ فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية، 424/1: ح62].

(4) إن الروايـات فـي الكـافي التـي تثبـت التحريـف كثيـرة جـداً، وقـد ذكـر الكلينـي أمثلـة يـدلل فيهـا علـى الآيـات المحرفـة، ومـن الأمثلـة علـى ذلـك مـا ذكـره بـاب فـي النـوادر فـي كتـاب فضـائل القـرآن، وذكـر فيـه روايـات التحريـف، وذكـر أمثلـة كثيـرة علـى مـا ادّعـى أنـه حُـرّف مـن الآيـات، انظـر: [المصـدر السـابق، الحجة/ باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية، 212/1-235] .

(5) ولمعرفة بعض علماء الشيعة القائلين بالتحريف، انظر: أحمد بن محمد البرقي (كتاب التحريف)، علي بن الحسن بن فضال (كتاب التحريف والتبديل)، وأحمد بن محمد بن سيار (كتاب القراءات)، حسن بن سليمان الحلي(التنزيل والتحريف)، محمد بن علي بن مروان الماهيار المعروف بابن الحجام (كتاب قراءة أمير المؤمنين وقراءة أهل البيت)، أبو طاهر عبد الواحد بن عمر القمي (قراءة أمير المؤمنين)، محمد الكاظمي في(شرح الوافية)، حيث ذكر (باب أنه لم يجمع القرآن كله إلا الأئمة)، وسعد بن عبد الله في كتاب (ناسخ القرآن ومنسوخه)، حيث أورد فيه باباً باسم (باب التحريف في الآيات)، والكتاب المشهور في هذا المجال الذي جمع فيه روايات وأدلة يثبت فيها التحريف وهو النوري الطبرسي في كتابه (فصل الخطاب في تحريف كتاب رب الأرباب)، وقد جمع الدكتور صالح الرقب في كتابه الوشيعة كل من قال بالتحريف من الشيعة من القدامى والمعاصرين، انظر: الوشيعة (ص25،39).

(6) الجزائري، الأنوار النعمانية (ج3/ 328).

ج- مكانة الحج إلى بيت الله الحرام:

إنَّ الحج لا يصح وفقاً لروايات الكافي إلا بأداء مناسك اعتبرت شرطاً لصحة الحج، ومثاله: الاعتقاد بأنَّ صحة الحج معلقة بزيارة الأئمة -كما مرَّ سابقاً- وإلا فالحج باطل، والعكس غير صحيح، فقد روى عن أبي جعفر رحمه الله: أنَّه نظر إلى الناس يطوفون حول الكعبة فقال: "هكذا كانوا يطوفون في الجاهلية،"[1] وفي رواية أخرى: "فعال كفعال الجاهلية،"[2] ومن أعظم فضائل زيارة القبور، أنَّها سبب لمغفرة الذنوب، وللشفاعة، ورفع الدرجات، فقد نسب الكليني للحسين رضي الله عنه أنَّه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا أبتاه ما لمن زارك؟، فقال رسول الله صلى الله عليه : يا بني من زارني حياً أو ميتاً، أو زار أباك، أو زار أخاك، أو زارك، كان حقاً علَيَّ أنْ أزوره يوم القيامة، **وأخلِّصه من ذنوبه**."[3]

د-الجهاد معطل حتى يخرج المنتظر:

يعتقد الشيعة أنَّ كل رايةٍ تُرفع قبل قيام القائم، صاحبها طاغوت،[4] وأصل هذا المعتقد مأخوذ من روايات الكافي، فقد رُوى أنَّ بشير الدهان قال لأبي عبد الله رحمه الله: "إنِّي رأيت في المنام أنَّي قلت لك: إنَّ القتال مع غير الإمام المفروض طاعته حرام مثل الميتة والدم ولحم الخنزير، فقال لي: هو كذلك؟، فقال أبوعبد الله: هو كذلك؛"[5] ولذلك يجب على المسلم ألاَّ يخرج في الجهاد مع من لا يجوز الأخذ بحكمه، ولا ينفذ في الفيء أمر اللّه تعالى، فإنَّه إنْ مات في ذلك المكان

---

(1) [الكليني: الكافي، الحجة/ أن الواجب على الناس بعد ما يقضون مناسكهم أن يأتوا الامام فيسألونه عن معالم دينهم، ويعلمونهم ولايتهم ومودتهم له، 392/1: ح1].

(2) [المصدر السابق، الحجة/ أن الواجب على الناس بعد ما يقضون مناسكهم أن يأتوا الامام فيسألونه عن معالم دينهم، ويعلمونهم ولايتهم ومودتهم له، 392/1: ح2].

(3) [المصدر نفسه ، الحج/ أبواب الزيارات، 548/4: ح4].

(4) انظر: المجلسي، بحار الأنوار (ج114/15)، الشاهرودي، مستدرك سفينة البحار (ج258/4)، النعماني، الغيبة (ص115)، حجازي، درر الأخبار من بحار الأنوار (ص208).

(5) [الكليني: الكافي، الحجة/ الجهاد الواجب مع من يكون، 23/5: ح3].

كـان مُعينـاً للأعـداء فـي حـبس حـق الشـيعة، والإشـاطة بـدمائهم، وإن مـات فـي ذلـك الجهاد كانت ميتته ميتة جاهلية.[1]

ثالثاً: مكانة البدع التي أُحدثت في العبادات:

لقـد أحـدث الشـيعة بـدعاً فـي العبـادات مـا أنـزل الله تعـالى بهـا مـن سـلطان، وجعلـوا لهـا مكانـةً أعظـم ممـا شـرعه الله تعـالى مـن العبـادات، بـل وقـالوا إنَّـه لا يُغفـر لمـن تركها مطلقاً، **ومن هذه المُحْدَثات:**

1-زيارة مراقد الأئمة:

إنَّ زيـارة المراقـد عنـد الإماميـة تُضـاهي ركـن الحـج إلـى بيـت الله الحـرام، بـل قـد تفضـله وتزيـد عليـه وجوبـاً ومنزلـةً، ويُعـدُّ تاركهـا خارجـاً مـن ملـة الإسـلام، فارتبـاط الإماميـة بـالقبور ارتبـاط وثيـق لا انفكـاك لهـم عنـه، ولـك أنْ تتصـور إماميـاً لا يصـلي، لكنـك لا تسـتطيع أنْ تتصـوره بمعـزلٍ عـن القبـور والمشـاهد،[2] ويُـروي أيضـاً عـن أبـي عبـد الله عليـه السـلام أنَّ رجـلاً جـاءه ولـم يـزر قبـر أميـر المـؤمنين رضـي الله عنـه فقـال لـه: "بـئس مـا صـنعت، لـولا أنَّـك مـن شـيعتنا مـا نظـرت إليـك، ألا تـزور مـن يـزوره الله مـع الملائكـة، ويزوره الأنبياء، ويزوره المؤمنون؟!."[3]

2-عيد غدير خُم أفضل من عيدي الفطر والأضحى:

مـن بـدع الشـيعة إحـداثهم عيـد غـدير خُـم، فـي اليـوم الثـامن عشـر مـن شـهر ذي الحجـة، وتفضـيله علـى عيـدي الفطـر والأضـحي وتسـميته بالعيـد الأكبـر، فقـد روي الكلينـي أنَّ الحسـن بـن راشـد سـأل أبـا عبـد الله رحمـه الله: "جُعلـت فـداك للمسـلمين عيـد غيـر العيـدين؟، قـال: نعـم يـا حسـن أعظمهمـا وأشـرفهما، قلـت: وأي يـوم هـو؟، قـال: هـو يـوم نُصِـب أميـر المـؤمنين صـلوات الله وسـلامه عليـه فيـه عَلَمـاً للنـاس، قلـت: جعلـت فداك وما ينبغـي لنـا أن نصـنع فيـه؟، قـال: تصـومه يـا حسـن، وتكثـر الصـلاة علـى محمـد وآلـه، وتَبْـرأ إلـى الله تعـالى ممـن ظلمهـم؛ فـإنَّ الأنبيـاء صـلوات الله علـيهم كانـت تـأمر الأوصـياء بـاليوم الـذي كـان يُقـام فيـه الوصـي أنْ يُتخَـذ عيـداً، قـال: قلـت: فمـا لمـن

(1) انظـر: الريشـهري، موسـوعة العقائـد الإسـلامية، الريشـهري (ج448/1)، كاشـف الغطـاء، علـي، النور الساطع في الفقه النافع (ج562/1)، القمي، محمد، الولاية الإلهية (ج498/1).

(2) الدليمي، المنهج القرآني الفاصل بين أصول الحق والباطل، بتصرف (ج18/6).

(3) [الكليني: الكافي، الحج/ فضل الزيارات وثوابها 580/4: ح3]

صامه؟، قال: صيام ستين شهراً، ولا تدع صيام يوم سبع وعشرين من رجبٍ، فإنَّه هو اليوم الذي نزلت فيه النبوة على محمد صلى الله عليه وآله، وثوابه مثل ستين شهراً لكم."[1]

3-اللطم والنياحة في الحسينيات من أفضل العبادات-كما يزعمون-:

الحسينيات هي أماكن لإقامة التعازي والنياحة على الموتى واللطم في بعض المواسم، ومستندهم في هذه البدعة روايات نُسبت كذباً وزوراً لآل البيت، ومنها ما نسبوه لأبي عبد الله عليه السلام قال: قال لي أبي: يا جعفر أوقف لي من مالي كذا وكذا النوادب تندبني عشر سنين بمنى أيام منى."[2]

الرد والمناقشة:

1- إنَّ الكتاب والسنة يصدقان طائفة أهل السنة والجماعة التي جعلت الإيمان قولاً وعملاً، والحجة في ذلك اتباع ما نطق به القرآن الكريم، والله تعالى أمرنا بردِّ التنازع إلى كتابه، وإلى سنة رسوله صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآَخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء:59]وإذا رددنا الأمر إلى ما ابتعث الله عليه رسوله صلى الله عليه وسلم، وأنزل به كتابه، وجدناه قد جعل بدء الإيمان شهادة أنْ لا إله إلا الله، وأنَّ محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأكثر النصوص تشهد أنَّ أعمال البر من الإيمان، فكيف تُعاند هذه الآثار بالإبطال والتكذيب؟، ومما يُصدِّق ذلك تفاضل أهل الإيمان بالأعمال، قال الله جلَّ ثناؤه: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آَيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال:2]،فَلَمْ يجعل الله تعالى للإيمان حقيقة إلا بالعمل على هذه الشروط، والذي يزعم أنَّ الإيمان بالقول خاصة يجعل المرء مؤمناً حقاً، وإنْ لم يكن هناك عمل، فهو معاند لكتاب الله والسنة، والله تبارك وتعالى قد امتحن المؤمنين بتصديق القول بالفعل، ولم يرضَ منهم الإقرار دون العمل، فأيُّ شيءٍ يُتَّبع بعد كتاب

(1) [الكليني: الكافي، الصيام/ صيام الترغيب، 149/4: ح1].

(2) [المصدر السابق، المعيشة/ كسب النائحة، 117/5: ح1].

الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، ومنهاج السلف بعده الذين هم موضع القدوة والإمامة؟.(1)

وعندما كان ظاهر حديث النبي صلى الله عليه وسلم يُوهم جواز ترك العمل فإنَّه صلى الله عليه وسلم أزال هذا الوهم، وهذا في الحديث الذي رواه علي رضي الله عنه، حيث قال: **كُنَّا فِي جَنَازَةٍ فِي بَقِيعِ الْغَرْقَدِ، فَأَتَانَا النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَقَعَدَ، وَقَعَدْنَا حَوْلَهُ، وَمَعَهُ مِخْصَرَةٌ. فَنَكَّسَ فَجَعَلَ يَنْكُتُ بِمِخْصَرَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ، مَا مِنْ نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ إِلاَّ كُتِبَ مَكَانُهَا مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَإِلاَّ قَدْ كُتِبَ شَقِيَّةً أَوْ سَعِيدَةً. فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلاَ نَتَّكِلُ عَلَى كِتَابِنَا وَنَدَعُ الْعَمَلَ، فَمَنْ كَانَ مِنَّا مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فَسَيَصِيرُ إِلَى عَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنَّا مِنْ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ فَسَيَصِيرُ إِلَى عَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ؟ قَالَ: أَمَّا أَهْلُ السَّعَادَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا أَهْلُ الشَّقَاوَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ الشَّقَاوَةِ. ثُمَّ قَرَأَ ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى﴾** الآيَةَ". [الليل: 6]،»(2) فكانت المطالبة بأمرٍ يُوجب تعطيل العبودية، وهذا لظنِّهم أنَّ الإخبار عن سابق علم الله تعالى، وكتابته لأعمالهم هو حجة لهم، فَرَام القوم أنْ يتخذوه حجةً لأنفسهم في ترك العمل، فأعلمهم النبي صلى اللّه عليه وسلم أنَّ هاهنا أمرين لا يُبطِل أحدهما الآخر، وهو العلة الموجبة في حكم الربوبية، والأخرى هي السمة اللازمة في حق العبودية، وبهذين الأمرين تُستكمل صفة الإيمان.(3)

2-إنَّ أداء الصلاة في وقتها المحدد من شروط صحة الصلاة، والنصوص في إثبات هذا الشرط كثيرة جداً، فورد في القرآن: **﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الوُسْطَى وَقُومُوا للهِ قَانِتِينَ﴾** [البقرة:238]، وقال تعالى: **﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى المُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾** [النساء:103]، أي للصلاة وقت مفروض، وهو وقت وجوب لأدائها،(4) وأما

---

(1) انظر: ابن سلام، الإيمان (ص10-18).

(2) [البخاري: صحيح البخاري، تفسير القرآن/ قوله: ﴿وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى﴾ [الليل:9] } [الليل: 9]، ص852: ح4948].

(3) انظر: ابن عبد الوهاب، أصول الإيمان (ص72).

(4) انظر: الطبري، جامع البيان (ج169/9)، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج304/2).

بالنسبة للنصوص التي وردت في جواز الجمع بلا عذرٍ،[1] فلا بدَّ من جمع النصوص بعضها مع بعض، حتى يتحصل لنا مقصود الشارع، لا أنْ نفهم نصاً في غياب نصٍ آخرٍ، وإلا هذا فيه من الشر العظيم، وفيه ردٌّ للشرع؛ ولذا وجب المصير إلى الجمع ما أمكن ذلك، وعدم إبطال نصٍ والعمل بآخر مع إمكانية الجمع، وقد ورد في الآية أنَّ الوقت شرط في صحة الصلاة،والله تعالى أمر الخائف أن يُصلي مع الإخلال بكثير من الأركان، وكذلك المتيمم و نحوه، ولو جاز التأخير لما احتاج إلى شيءٍ من ذلك.[2]

3-إنَّ اشتراط الروافض خروج الإمام حتى يجاهدوا، فيه تعطيل لذروة سنام الإسلام، والله تعالى جعل الجهاد فريضة من أعظم الفرائض، وقد ذُكر الجهاد في مواضع كثيرة، فوردت كلمة قتال ومشتقاتها في القرآن (170) مرة، وكلمة جهاد ومشتقاتها في القرآن (41) مرة، وهذا من أوضح الدلالات على مكانة الجهاد، وأما المهدي المنتظر الذي عطَّل الروافض لأجله هذه الفريضة فَلَمْ يُذكر تلميحاً ولا تصريحاً، وقد نزل القرآن يحضُّ على الجهاد، ويُعاتب المتخاذلين عنه، فهل يعقل أنْ تُعطَّل هذه الفريضة العظيمة آلاف السنين انتظاراً لإمامهم المعدوم؟.

4-إنَّ ورود روايات التحريف في الكافي أكبر دليلٍ على أنَّ الشيعة يقولون بتحريف القرآن، فكتاب الكافي له المكان الأسمى عند الشيعة، وقد ادَّعوا أنَّه عُرض على إمامهم، وأنَّه رضيه لشيعته، ومن الملاحظ أنَّ روايات التحريف في الكافي صريحة لا تقبل التأويل مطلقاً، وهذه عقيدة الشيعة كلهم في القرآن الكريم، وأنَّه مُحرَّف ومُغيَّر، فروايات التحريف متواترة كما مرَّ،[3] ومن أنكر التحريف منهم كان للأغراض، ومنها سد باب الطعن من مخالفيهم؛ لأنَّهم رأوا أنْ لا جواب عندهم لأعداء الإسلام حين يعترضون على المسلمين: إلى أي شيءٍ تدعون وليس عندكم ما تدعون إليه؟، وكذلك هروباً من طعن أهل السنة: عليهم أين ذهب حديث الثقلين عند عدم وجود الثقل الأكبر؟، وكيف تدَّعون الإسلام بعد إنكار شريعة الإسلام؟.[4]

---

(1) ومما يجب ملاحظته أنَّه قد ورد في كتب الحديث عند أهل السنة والجماعة بعض الأحاديث في جواز الجمع بلا عذر في الصلاة، انظر: [مسلم، صحيح مسلم، صلاة المسافرين وقصرها/ الجمع بين الصلاتين في الحضر،489/1]، ولكن مذهب أهل السنة والجماعة هو الجمع بين الأحاديث، والقول بعدم جواز الجمع بلا عذر، وهذا ما دلَّت عليه النصوص الشرعية.

(2) انظر: شبكة ومنتديات المنهج .

(3) انظر: ص293 من هذا البحث.

(4) انظر: الرقب، الوشيعة (ص43).

5-إنَّ ورود آيات التحريف في الكافي تقتضي تكفير الكليني، وكلَّ علمائهم ممن يقول بتحريف القرآن الكريم، من القدامى والمُحْدَثين؛ لأنَّهم خالفوا آيات القرآن، وما هو معلوم من الدين بالضرورة، فإذا ادَّعى الروافض أنَّهم لا يقولون بالتحريف، فعليهم أنْ يُسقطوا روايات القائلين بالتحريف؛ لأنَّهم ليسوا ثقات، بل كفار، وعليهم أنْ يُدوِّنوا المصنّفات في إثبات صحة القرآن الكريم وعدم تحريفه، ويقوموا بالردِّ على علمائهم القائلين بالتحريف، ويُدرِّسوا هذا في معاهدهم وحوزاتهم الدينية، وأنْ يعدموا كل كتبهم ومؤلفاتهم القائلة بالتحريف، وأولها كتاب الكافي،[1] وعدم قيامهم بذلك يدلُّ على أنَّهم يعتقدون التحريف، ولا ينكرونه إلا تقيةً أمام المخالفين.

6-إنَّ روايات الكليني في إثبات تحريف القرآن الكريم كان لها أبلغ الأثر في واقع الشيعة، حيث يظهر إهمال القرآن عندهم واضحاً جلياً، وحتى النصوص التي تدعو إلى العمل بالقرآن الكريم، يقابلها نصوص أخرى تدعو بأسلوب مقنع وغير صريح إلى إهمال حفظ القرآن الكريم؛ لأنَّه مغيّر، ومن حفظه على تحريفه يصعب عليه حفظه إذا جاء به منتظرهم،[2] فقد روى النعماني في الغيبة بإسناده الكاذب إلى أمير المؤمنين علي رضي الله عنه أنَّه قال: "كأنِّي بالعجم فساطيطهم في مسجد الكوفة يُعلِّمون الناس القرآن كما أنزل، قلت: يا أمير المؤمنين أو ليس هو كما أنزل؟، فقال: لا، مُحِيَ منه سبعون من قريش بأسمائهم وأسماء آبائهم، وما تُرك أبو لهب إلا إزراءً على رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لأنَّه عمه،"[3] ورووا عن أبي جعفر رحمه الله أنّه قال: "إذا قام قائم آل محمد صلى الله عليه وآله ضَرَب فساطيط، ويُعلِّم الناس القرآن على ما أنزل الله عزَّ وجل، **فأصعب ما يكون على من حفظه اليوم؛ لأنَّه يُخالف فيه التأليف.**"[4]

والواقع العملي عند الشيعة يظهر فيه التأثر الواضح بتلك الروايات الموضوعة، فهم لا يهتمون بدراسة القرآن وحفظه وتلاوته، وهذا بشهادة علمائهم،[5] يقول الدكتور الشيعي جعفر الباقري: "من الدعائم الأساسية التي لم تلقَ الاهتمام

---

(1) انظر: الرقب، الوشيعة (ص43).

(2) انظر: المصدر السابق (ص50).

(3) النعماني، الغيبة (ص333)، الطبرسي، النجم الثاقب (ج293/1).

(4) الطبرسي، حسين، النجم الثاقب (ج295/1)، الأشتياني، بحر الفوائد في شرح الفرائد (ج98/1).

(5) انظر: د. الرقب، الوشيعة (ص51).

المنسجم مع حجمها وأهميتها في الحوزة العلمية هو القرآن الكريم، وما يتعلق به من علومٍ ومعارفٍ وحقائقٍ وأسرارٍ، فهو يمثل الثقل الأكبر، والمنبع الرئيسي للكيان الإسلامي بشكلٍ عام، ولكن الملاحظ هو عدم التوجه المطلوب لعلوم هذا الكتاب الشريف، وعدم منحه المقام المناسب في ضمن الاهتمامات العلمية القائمة في الحوزة العلمية، بل وإنَّه لم يدخل في ضمن المناهج التي يعتمدها طالب العلوم الدينية طيلة مدة دراسته العلمية، ولا يختبر في أي مرحلة من مراحل سِنيِّه العلمية بالقليل منها، ولا بالكثير، فيمكن بهذا لطالب العلوم الدينية في هذا الكيان، أنْ يرتقي في مراتب العلم، ويصل إلى أقصى غاياته، وهو – درجة الاجتهاد – من دون أنْ يكون قد تعرف على علوم القرآن وأسراره، أو اهتم به، ولو على مستوى التلاوة وحسن الأداء، هذا الأمر الحساس أدى إلى بروز مشكلات مستعصية، وقصور حقيقي في واقع الحوزة العلمية لا يقبل التشكيك والإنكار،"[1] وحتى الخامنئي أكبر مرجعية شيعية يُظهر تقصير الشيعة تجاه القرآن، فيقول: "مما يؤسف له أنَّ بإمكاننا بدء الدراسة، ومواصلتنا لها إلى حين استلام إجازة الاجتهاد من دون أنْ نراجع القرآن ولو مرة واحدة، لماذا هكذا؟؛ لأنَّ دروسنا لا تعتمد على القرآن،"[2] ويوجد شهادات أمثال هذه الشهادات كثيرة من علماء الشيعة أنفسهم.[3]

وهكذا ضعفت ثقة الناس بهذا الكتاب العزيز علماء وعامة، فانصرفوا عنه وعن حفظه وتدبره إلى أمور أخرى، مثل كتب الشركيات التي فيها أدعية الإستغاثة بالأئمة والتوسل بهم، وإلى الزيارات، وكتيبات يعتقدون أنَّها تشفي من المرض، وتدفع الحسد، وتطرد الشر، وتحفظ من السوء.[4]

7-لقد ورد في الكافي أنَّ الأئمة كانوا يَعْلَمون القرآن غير المحرف، فلِمَ لمْ يُعلِّموه للناس؟، وما الحكمة من انتظار إمامهم المنتظر كي يعلمه للناس؟، وقد أورد الكليني أنَّ الأئمة سواء في العلوم كلها، وكيف يجوز للأئمة أنْ يتعبدوا بقرآن محرَّف، وهم يعلمون القرآن الصحيح؟، وقد ذكر المجلسي بعض التعليلات لعدم قراءة القرآن تعقيباً

---

(1) العاملي، الانتصار (ج431/3)، نقلاً عن جعفر الباقري في كتابه ثوابت ومتغيرات الحوزة العلمية.

(2) المصدر السابق (ج431/3).

(3) المصدر نفسه (ج431/3).

(4) المصدر نفسه (ج431/3).

على ما ورد عن الأئمة فقال: "ولأنَّه متى قرأ الإنسان بما يخالف ما بين الدفتين غرَّر بنفسه مع أهل الخلاف، وأغرى به الجبارين، وعرَّض نفسه للهلاك، فمنعونا عليهم السلام من قراءة القرآن بخلاف ما يُثبت بين الدفتين لما ذكرناه،"[1] فهل يجوز للمرء أنْ يترك التعبد بكتاب الله تعالى خوفاً من الهلاك؟، أليس هذا انتقاصاً يُنسب لآل البيت بأنهم كانوا يكتمون أشرف علم خوفاً على أنفسهم؟، وإذا كان السبب هو الخوف من الأعداء، فلِمَ لمْ يُظهر أمير المؤمنين علي رضي الله عنه القرآن غير المُحرَّف عندما أصبح الإمام؟، ألم يكن في موضع قوة في أتباعه؟.

(1) المجلسي، بحار الأنوار (75/89).

المبحث الثاني

دور النبي صلى الله عليه وسلم في تبليغ التوحيد بين البخاري والكُلَيْني

المطلب الأول

دور النبي صلى الله عليه وسلم في تبليغ التوحيد عند البخاري

إنَّ شهادة التوحيد لا تكتمل إلا بركنين أساسين، **الركن الأول:** شهادة وحدانية الله تعالى، وأنَّه لا معبود غيره سبحانه وتعالى، **والركن الثاني:** شهادة أنَّ محمداً رسول الله، ومعناها: العلم اليقيني بأنَّ سيدنا محمداً رسول من الله تعالى، كلَّفه إبلاغ العباد أوامره ونواهيه، وأوجب الله تعالى طاعته في كل ما أمر به، وأنَّ كل من سلك طريقاً غير طريقه فمصيره إلى النار، وأنَّه بلَّغ العباد رسالة ربه، وبيَّن لهم دينهم أتمَّ بيان،[1] وهذا من المعلوم من الدين بالضرورة، وصحيح البخاري فيه من الأحاديث التي تبين دور النبي صلى الله عليه وسلم في التبليغ ما لا يمكن إحصاؤه، فكل الأحاديث في صحيحه مروية عن النبي صلى الله عليه وسلم، وحتى الأحاديث الموقوفة على الصحابة مما لا يُقال فيها بالرأي فإنَّ مصدرها قطعاً هو النبي صلى الله عليه وسلم، ولصعوبة إحصاء الموضوع والإلمام به، سيتمُّ التطرق إلى مسألة إبلاغ النبي صلى الله عليه وسلم لرسالة ربه، واكتمال الدين قبل انتقاله صلى الله عليه وسلم للرفيق الأعلى.

ذكر الإمام البخاري في صحيحه: "باب قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي القَوْمَ الكَافِرِينَ﴾ [المائدة:67]،"[2] ومن أصح الأقوال[3] في معنى الآية الكريمة أنَّها

---

(1) انظر: الغنيمان، شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري (ج1/38،39).

(2) [البخاري: صحيح البخاري، التوحيد/ قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي القَوْمَ الكَافِرِينَ﴾[المائدة:67]، ص1363].

(3) هناك عدة أقوال في معنى الآية ذكرها الرازي في تفسيره، ورجَّح أنَّ المخاطب هم أهل الكتاب، فقال: "وذلك لأنَّ ما قبل الآية بكثير وما بعدها بكثير كان كلاماً مع اليهود والنصارى امتنع إلقاء هذه الآية الواحدة في البين على وجهٍ تكون أجنبية عما قبلها وما بعدها،" الرازي، التفسير الكبير=

أمر من الله تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم بإبلاغ اليهود والنصارى، الذين قصَّ الله تعالى قصصهم في هذه السورة، وأنْ لا يخاف أنْ يصيبوه في نفسه بمكروهٍ؛ فإنَّ الله تعالى كافيه كل أحدٍ من خلقه، ودافع عنه كل مكروه، وقد أمَّنه الله تعالى من مكر اليهود والنصارى،[1] وظاهر الآية اتحاد الشرط والجزاء،[2] ولكن المراد بالجزاء في الآية هو لازمه،[3] أي إنْ لم تُبلغ شيئاً من الرسالة فكأنك لم تُبلِّغ الرسالة أصلاً؛[4] لأنَّ كتمان البعض مثل كتمان الجميع في الاتصاف بعدم التبليغ،[5] ومعنى التبليغ في الآية أي بلِّغه كما أنزل، ولا تكتم منه شيئاً،[6] وهذا المعنى هو الذي تدلُّ عليه الآية؛ لأنَّ الآية للعموم، أي بلِّغ كل ما أنزل،[7] وهذا يدلُّ على بطلان ما لم يُبلغه من الشرائع والاعتقادات؛ لأنَّه بلّغ كل ما أنزل إليه من ربه،[8] وآية التبليغ[9] هي آخر ما

=(ج401/12)، وهو الراجح في المسألة، وذكر ابن كثير كذلك بعض الأقوال في المسألة، ورجّح أن يكون الخطاب عاماً غير مخصوص بأهل الكتاب، انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج153/3-150).

(1) انظر: الطبري، جامع البيان (ج467/10).

(2) الجواب لا بدَّ أن يكون مغايراً للشرط لتحصل الفائدة، ومتى اتَّحد الشرط والجزاء اختلَّ المعنى، فلو قلنا: إنْ أتى زيد فقد جاء لم يجز، وعلى تأويل أنَّ المراد بلِّغ كل ما أنزل إليك، وإنْ كتمت شيئاً كأنَّك لم تُبلغ أصلاً، يظهر التغاير بين الشرط والجزاء، فتقدير الشرط إنْ لم تبلغ ما أنزل، والجزاء لم تُبلغ الرسالة، وهذا كافٍ في صحة بناء الجزاء على الشرط بدون الحاجة إلى تأويلات أخرى كما فعل بعضهم، انظر: القسطلاني، إرشاد الساري (ج459/10)،ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج262/6)، وهناك أقوال أخرى في المسألة ذكرها القسطلاني في شرحه، انظر: إرشاد الساري (ج959/10).

(3) انظر: ابن حجر، فتح الباري (ج504/13)، الكرماني، الكواكب الدراري (ج221/25).

(4) انظر: القسطلاني، إرشاد الساري (ج459/10)، العيني، عمدة القاري (ج184/25).

(5) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج262/6).

(6) انظر: ابن حجر، فتح الباري (ج504/13)، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج242/6).

(7) انظر: الغنيمان، شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري (ج537/2)، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (242/6).

(8) وهناك معنى آخر للآية، وهو أي بلّغه ظاهراً ولا تخف أحداً، انظر: القسطلاني، إرشاد الساري (ج459/10)، ولكن ما عليه الجمهور على أن المراد بلغه ولا تكتم منه شيئاً، انظر: ابن حجر، فتح الباري (ج504/13)، والمعنى الأخير هو الذي أراده البخاري رحمه الله، وسنورد الأدلة على ذلك بإذن الله تعالى.

(9) المقصود بها قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾[المائدة:67].

نـزل مـن القـرآن الكـريم،[1] وهـذا يـدلُّ علـى أنَّ أهـمَّ مقاصـدها قطـع تخـرُّص مـن يزعمـون أنَّ النبـي صـلى الله عليـه وسـلم قـد اسـتبقى شـيئاً لـم يُبلّغـه،[2] أو أنَّـه اخـتصَّ بعـض النـاس بـإبلاغ شـيء مـن الـوحي لـم يُبلغـه للنـاس عامـة،[3] والإمـام البخـاري أراد بـذكره لهـذا البـاب أنْ يُبـين أنَّ النبــي صــلى الله عليــه وسـلم لـم يتـرك شـيئاً مـن أمـر الـدين إلا وبلّغـه كمـا أنـزل، وأنَّـه لـم يكـتم شيئاً مـن الـوحي، وأنَّـه التـزم أمـر الله تعـالى بـالتبليغ علـى النحـو الـذي أراده الله تعالى، **والأدلة على ذلك كثيرة جداً، ومنها:**

1-احتجاج الإمام البخاري رحمه الله بالآيات القرآنية:

اسـتدلَّ الإمــام البخــاري رحمــه الله علــى أنَّ النبــي صــلى الله عليــه وسـلم قـد بلّـغ بقولـه تعـالى: ﴿**لِـيَعْلَمَ أَنْ قَـدْ أَبْلَغُـوا رِسَـالَاتِ رَبِّهِـمْ وَأَحَـاطَ بِـمَا لَـدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُـلَّ شَيْءٍ عَـدَدًا**﴾[الجـنّ:28]،[4] وأصـح مـا ورد فـي معنـى الآيـة،[5] أي لـيعلم محمـد صـلى الله عليـه وسـلم أنَّ الرسـل قبلـه قـد بلَّغـوا رسـالات ربهـم، وأنَّ الله تعـالى قـد حفظهـم ودفـع عـنهم كـل مكـروهٍ،[6] والبخـاري ذكـر قولـه تعـالى مخبـراً عـن صـالح عليـه السـلام: ﴿**لَقَـدْ أَبْلَغْـتُكُمْ**

(1) انظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن (ج1/194).

(2) كما زعمت الشيعة الإثنا عشرية.

(3) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج6/260).

(4) انظر: [البخاري: صحيح البخاري، التوحيد/ قول الله تعالى: ﴿**يَـا أَيُّهَـا الرَّسُـولُ بَلِّـغْ مَـا أُنْـزِلَ إِلَيْـكَ مِـنْ رَبِّـكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَـلْ فَـمَا بَلَّغْـتَ رِسَـالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِـمُكَ مِـنَ النَّـاسِ إِنَّ اللهَ لَا يَهْـدِي القَـوْمَ الكَـافِرِينَ**﴾ [المائـدة:67]، ص1263].

(5) وهنــاك مــن ذكــر أقــوالاً أخــرى فــي معنــى الآيــة، فقيــل: لــيعلم محمــد أنَّ جبريــل قــد بلّــغ إليــه، وأنَّ الملائكـة تحـرس مـا ينـزل مـن اسـتراق الشـياطين، وقيـل: لـيعلم مكـذبو الرسـل أنَّ الرسـل قـد بلَّغـوا رسـالات ربهـم، وقيـل: لـيعلم الله تعـالى ذلـك موجـوداً حـال وجـوده، كمـا كـان يعلـم ذلـك قبـل أن يُوجِـده، انظـر: ابـن الجـوزي، زاد المسـير فـي علـم التفسـير (ج4/349)، وعلـى كـل معنـى مـن هـذه المعـاني فـإنَّ فـي الآيـة دلـيلاً علـى أنَّ النبـي صـلى الله عليـه وسـلم بلّـغ، فـإنَّ مـن كـذّب الرسـل لـن يعلـم أنَّ الرسـل قـد بلّغـوا إذا لـم يحصـل التبليـغ، وكـذلك لـو لـم يبلّـغ الرسـول فـإنَّ هـذا يسـتلزم أنَّ يكـون علـم الله تعـالى خـلاف الواقـع وهـو محـال، ومـا فائـدة حفـظ الله تعـالى للـوحي مـن اسـتراق الشـياطين إن كـان لـن يصـل إلـى النـاس كمـا أراد الله تعـالى؛ لأنَّ الرسـول لـم يبلّغـه كمـا أنـزل إليـه، أو كـتم منـه شـيئاً؟، فالرسـالة فـي كـلا الحـالتين لـن تصل، والغاية لن تتحقق.

(6) انظر: الغنيمان، شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري (ج2/540).

رِسَالَةَ رَبِّي﴾ [الأعراف:79]،[1] إشارة إلى أنَّ المقصود هو هذا المعنى من الآية، والله تعالى ذكر أنَّ جميع الأنبياء قد بلَّغوا، قال الله تعالى مخبراً عن شعيب عليه السلام: ﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾ [الأعراف:93]، وقال عن نوح عليه السلام: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف:62]، وذكر الله تعالى هذا في جميع الأنبياء فقال: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللهَ وَكَفَى بِاللهِ حَسِيبًا﴾ [الأحزاب:39]، فكيف يخالف النبي صلى الله عليه وسلم جميع الأنبياء ولا يُبلّغ رسالة ربه، وهو سيد المرسلين وخاتمهم؟.

2-ذِكْر البخاري رحمه الله باباً في دعوة النبي صلى الله عليه وسلم أمته للتوحيد:

لقد أورد البخاري أبواباً في صحيحه هي كالتفصيل لمَا بلّغه النبي صلى الله عليه وسلم، فمثلاً أورد: "باب ما جاء في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى،"[2] ومقصود البخاري بيان أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قد بيَّن التوحيد بأنواعه؛[3] ولذلك فلا حاجة إلى بيان أحدٍ من الناس، وقد كان بيانه صلى الله عليه وسلم قاطعاً للحجة؛[4] فقد أورد البخاري عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله: «**لاَ أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ عَلَى رَقَبَتِهِ شَاةٌ لَهَا ثُغَاءٌ،**[5] **عَلَى رَقَبَتِهِ فَرَسٌ لَهُ حَمْحَمَةٌ،**[6] **يَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَغِثْنِي، فَأَقُولُ: لاَ أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا، قَدْ أَبْلَغْتُكَ، وَعَلَى**

---

(1) انظر: [البخاري: صحيح البخاري، التوحيد/ قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي القَوْمَ الكَافِرِينَ﴾ [المائدة:67]، ص1263].

(2) [البخاري: صحيح البخاري، التوحيد/ ما جاء في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم أمته إلى التوحيد، ص1236]

(3) وكل ما سيتم عرضه في الرسالة عن أنواع التوحيد عند البخاري هو من تبليغ النبي صلى الله عليه وسلم، فلا داعي لذكره هنا، وسيتم الاقتصار على حماية النبي صلى الله عليه وسلم للتوحيد بسد ذرائع الشرك.

(4) انظر: الغنيمان، شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري (ج42/1).

(5) ثغاء: "من أصوات الغَنَم." الفراهيدي، العين (ج440/4).

(6) حمحمة: "صوت الفرس دون الصوت العالي،" الفراهيدي، العين (ج35/3)، والمعنى إياكم والغلول فإنه عارٌ على أهله يوم القيامة، انظر: ابن حجر، فتح الباري (ج185/6).

رَقَبَتِهِ بَعِيرٌ لَهُ رُغَاءٌ، يَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَغِثْنِي، فَأَقُولُ: لاَ أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا قَدْ أَبْلَغْتُكَ»[1] والنبي صلى الله عليه وسلم هو صاحب الشفاعة يوم القيامة، ولكن قال هذا في مقام الزجر والتغليظ؛ لأنَّه صلى الله عليه وسلم قد بلَّغ الناس بلاغاً لا عذر فيه لأحدٍ بعده،[2] وإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم قد بيَّن للأمة كل ما تحتاج إليه من المسائل في فروع الدين، فإنَّ بيانه في أصول الدين كان أعظم، فلم يترك شيئاً في ذلك إلا بيَّنه أوضح بيان، وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كلاماً قيِّماً في هذا المجال نورده بتمامه لأهميته، حيث قال: "فإنَّ المسائل التي هي من أصول الدين– أعني الدين الذي أرسل الله به رسوله، وأنزل به كتبه– لا يجوز أن يُقال لم يُنقل عن النبي صلى الله عليه وسلم فيها كلام؛ بل هذا كلام متناقض في نفسه؛ إذ كونها من أصول الدين يُوجب أنْ تكون من أهم أمور الدين؛ وأنَّها مما يحتاج إليه الدين، ثم نفي نقل الكلام فيها عن الرسول يوجب أحد أمرين: إمَّا أنَّ الرسول أهمل الأمور المهمة التي يحتاج الدين إليها فلم يبينها، أو أنَّه بيَّنها فلم تنقلها الأمة، وكلا هذين باطل قطعاً، وذلك أنَّ أصول الدين إمَّا أنْ تكون مسائل يجب اعتقادها قولاً أو قولاً وعملاً... وهذا قد بيَّنه الله ورسوله بياناً شافياً قاطعاً للعذر،... وأما القسم الثاني، وهو دلائل هذه المسائل... [و]الله سبحانه وتعالى بيَّن من الأدلة العقلية التي يُحتاج إليها في العلم بذلك ما لا يقدر أحد من هؤلاء قدره."[3]

3-الاستدلال بأقوال الصحابة:

ذكر البخاري رحمه الله عدداً من أقوال الصحابة كأدلةٍ في هذا الباب، ومنها رواية أبي جحيفة عندما سأل علي رضي الله عنه: "هل عندكم شيء مما ليس في القرآن؟، وفي رواية: ما ليس عند الناس؟، فقال: لا والذي فلق الحبة، وبرَّأ النسمة، ما عندنا إلا ما في القرآن، إلا فهماً يُعطى رجل في كتابه، وما في هذه الصحيفة، قلت: وما في الصحيفة؟، قال: العُقُل، وفكاك الأسير، وأنْ لا يُقتل مسلم بكافرٍ،"[4] وفي هذا ردّ على من زعم أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم كتم شيئاً من الوحي، أو أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم خصَّ أحداً بشيءٍ من العلم دون سائر الأمة، ورُوي عن عائشة

(1) [البخاري: صحيح البخاري، الجهاد والسير/ الغلول، ص514: ح 3073].

(2) انظر: ابن حجر، فتح الباري (ج186/6).

(3) ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج294/3).

(4) [البخاري: صحيح البخاري، الديات/ لا يقتل المسلم بالكافر، ص1158: ح6915].

رضـي الله عنهـا أنَّهـا قالـت: "مـن حـدَّثك أنَّ محمـداً كـتم شـيئاً مـن الـوحي فـلا تُصـدقه، إنَّ الله تعالى يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة:67]."[1]

فيتضـح أنَّ المـراد مـن الآيـة التأكيـد علـى أنَّ النبـي صـلى الله عليـه وسـلم لـم يكـتم شـيئاً، وأنَّ الأمـر بـالتبليغ مُتوجـه لعمـوم الرسـالة، والنبـي صـلى الله عليـه وسـلم قـد بلَّـغ أعظـم بـلاغٍ وهـو بـلاغ ينقطـع بـه العـذر، والأمـة قـد شـهدت بأجمعهـا بـبلاغ الرسـالة، وأداء الأمانـة، وقـد اسـتنطقهم النبـي صـلى الله عليـه وسـلم بـذلك فـي أعظـم المحافـل وهـي خطبتـه يـوم حجـة الـوداع، وقـد كـان هنـاك مـن الصـحابة نحـو مـن أربعـين ألفـاً،[2][3] فعـن أبـي بكـرة رضـي الله عنـه عـن النبـي صـلى الله عليـه وسـلم أنَّـه قـال: «**فَـإِنَّ دِمَـاءَكُمْ، وَأَمْـوَالَكُمْ، وَأَعْرَاضَـكُمْ،...عَلَـيْكُمْ حَـرَامٌ، كَحُرْمَـةِ يَـوْمِكُمْ هَـذَا، فِـي شَـهْرِكُمْ هَـذَا، فِـي بَلَـدِكُمْ هَذَا، أَلاَ هَلْ بَلَّغْتُ، قُلْنَـا: نَعَمْ، قَـالَ: اللَّهُـمَّ اشْـهَدْ، فَلْيُبَلِّـغِ الشَّـاهِدُ الغَائِـبَ، فَإِنَّـهُ رُبَّ مُبَلِّـغٍ يُبَلِّغُـهُ لِمَـنْ هُـوَ أَوْعَـى لَـهُ، فَكَـانَ كَـذَلِكَ، قَـالَ: لاَ تَرْجِعُـوا بَعْـدِي كُفَّـارًا، يَضْـرِبُ بَعْضُـكُمْ رِقَـابَ بَعْـضٍ**،»[4] والمـراد هنـا تقريـرهم أنَّـه بلَّـغ حكـم الله تعـالى إلـيهم امتثـالاً لأمـره تعـالى،[5] بـل إنَّ اليهـود والنصـارى والمشـركين قـد شـهدوا أنَّ النبـي صـلى الله عليـه وسـلم

---

(1) [البخاري، صحيح البخاري، التوحيد/ قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة:67]، ص1264: ح7531]، ورُوى عن أنس أنه قال: "لو كان رسول الله كاتماً شيئاً لكتم هذه،" [المصدر السابق/ "وكان ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ [هود:7] على الماء"، ح7420]، ويُقصد بذلك قوله تعالى: ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ [الأحزاب:37].

(2) وفي صحيح مسلم أنَّه في حجة الوداع كان "بشر كثير كلهم يلتمس أنْ يأتمَّ برسول الله،" [مسلم: صحيح مسلم، الحج/ حجة النبي صلى الله عليه وسلم، 886/2: ح1218].

(3) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج151/3).

(4) [البخاري: صحيح البخاري، التوحيد/ قول الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ﴾ [القيامة:22]، ص1249: ح7447]، والأحاديث في صحيح البخاري التي ذُكر فيها صراحةً أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم بلَّغ رسالة ربه كثيرة، انظر: [المصدر السابق، قول الله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ﴾ [البروج:21]، ص1267، باب من أعاد الحديث ليفهم عنه، ص24، باب إثم مانع الزكاة، ص229: ح1402، باب حجة الوداع، ص730: ح4403، باب احتيال العامل ليُهدى إليه، ص1171: ح6979]، وغير ذلك من الأحاديث.

(5) انظر: ابن حجر، فتح الباري (ج166/13).

قد بلَّغ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «**بَيْنَا نَحْنُ فِي المَسْجِدِ، خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: انْطَلِقُوا إِلَى يَهُودَ، فَخَرَجْنَا مَعَهُ حَتَّى جِئْنَا بَيْتَ المِدْرَاسِ، فَقَامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَنَادَاهُمْ فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ يَهُودَ، أَسْلِمُوا تَسْلَمُوا، فَقَالُوا: قَدْ بَلَّغْتَ يَا أَبَا القَاسِمِ، قَالَ: فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ذَلِكَ أُرِيدُ، أَسْلِمُوا تَسْلَمُوا، فَقَالُوا: قَدْ بَلَّغْتَ يَا أَبَا القَاسِمِ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ذَلِكَ أُرِيدُ، ثُمَّ قَالَهَا الثَّالِثَةَ**،»[1] وقول النبي صلى الله عليه وسلم: "ذلك أريد،" أي أريد أنْ تُقرّوا بأنّي بلّغت؛ لأنَّ التبليغ هو الذي أُمر به، وكرّر مقالته مبالغة في التبليغ،[2] وكما أنَّ اليهود شهدوا أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قد بلَّغ، فكذلك الحال كان مع النصارى، ومشركي مكة كما لا يخفى،[3] والنبي صلى الله عليه وسلم لم يُبلِّغ فقط، بل كاد أنْ يُهلك نفسه بحزنه على من ترك الإيمان، كما قال تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الحَدِيثِ أَسَفًا﴾ [الكهف:6]، أي لا تأسف عليهم، بل أبلِغْهم رسالة الله تعالى، فمن اهتدى فإنَّما يهتدي لنفسه، ومن ضلَّ فإنَّما يضلُّ عليها، فلا تذهب نفسك عليهم حسرات.[4]

4-الاستدلال بأقوال الأئمة:

لقد ذكر الإمام البخاري قول الإمام الزهري: "من الله تعالى الرسالة، وعلى رسول الله البلاغ، وعلينا التسليم،"[5] والبلاغ هو: ما يُتَبَلَّغ به، ويُوصِل إلى الشيء، وهو من بَلَغَ، إذا وصل وانتهى، ومنها قوله تعالى: ﴿إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللهِ وَرِسَالَاتِهِ وَمَنْ يَعْصِ اللهَ

---

(1) [البخاري: صحيح البخاري، الاعتصام بالكتاب والسنة/ قوله تعالى: ﴿وَكَانَ الإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ [الكهف:54]، ص1231: ح7348].

(2) انظر: ابن حجر، فتح الباري (ج315/13).

(3) فقد أورد البخاري حديث النبي صلى الله عليه وسلم عندما بعث معاذاً إلى اليمن، وقال فيه: "إنك تقدم على قوم أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله....". [البخاري، صحيح البخاري، التوحيد/ ما جاء في دعاء النبي أمته إلى توحيد الله تعالى، ص1237 :ح7372]، وكذلك أورد قصة نصارى نجران، انظر: [المصدر السابق، المغازي/ قصة أهل نجران، ص727: ح4380]، ودعوة النبي صلى الله عليه وسلم للمشركين وتبليغهم لا تخفى.

(4) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج137/5).

(5) [البخاري: صحيح البخاري، التوحيد/ قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي القَوْمَ الكَافِرِينَ﴾[المائدة:67]، ص1264].

وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ [الجنّ:23]، أي لا أجد منجى إلا أنْ أبلِّغ عن الله تعالى ما أُرسلت به،[1] وعلى هذا فيشترط في الرسالة حتى تُسمى بلاغاً، أنْ تَصِلَ إلى الشخص المُبلَّغ، والنبي صلى الله عليه وسلم لو لم يُوصل الرسالة إلى قومه فلا يصح أنْ يُقال أنَّ النبي مُبلِّغ، والرسالة لها طرفان طرف التلقي من جبريل، وسماه الله تعالى وحياً، وطرف الأداء للأمة، وسمَّاه الله تعالى بلاغاً.[2]

5-القول بالتبليغ صراحةً:

لقد أورد الإمام البخاري في كتابه "خلق أفعال العباد،" نصوصاً صريحةً تدلُّ على تبليغ النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: "فلا يمكن لأحدٍ أنْ يقول على الرسول أنَّه لم يفعل ما أُمر به من الرسالة،"[3] وذكر أنَّ أعظم دليلٍ على ضلال أصحاب البدع أنَّهم لا حُجَّة لهم من سنة النبي صلى الله عليه وسلم، بل إنَّ معتقداتهم أمور مخترعة مبتدعة، فلا حجة عندهم، ولا سند يعتمدون عليه، من سنته، ودليل ضلالهم أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قد بلَّغ، فدلَّ أنَّ ابتداعهم هو محض فرية وضلال،[4] وقال: "وحَرَمَ الله تعالى أهل الأهواء كلهم أن يجدوا عند أشياعهم أو بأسانيدهم حكماً من أحكام الرسول صلى الله عليه وسلم."[5]

إنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قد بيَّن كل أنواع التوحيد ودلائله وشواهده، وقد صان صلى الله عليه وسلم حمى التوحيد من أدران الشرك، وسدَّ كل الطرق الموصلة إليه، وهذا ضمن قاعدة سد الذرائع،[6] فأعظم الذرائع التي يجب أن تُسد هي ذرائع الشرك،[7] والنبي صلى الله عليه وسلم سدَّ طرق الشرك من جهة الاعتقادات والأقوال

---

(1) انظر: ابن منظور، لسان العرب (ج419/8)، ابن فارس، مقاييس اللغة (ج301/1).

(2) انظر: ابن حجر، فتح الباري (ج507/13).

(3) البخاري، خلق أفعال العباد (ص75).

(4) انظر: المصدر السابق (ص75،76).

(5) المصدر نفسه (ص76).

(6) الذرائع: هي الأشياء التي ظاهرها الإباحة، ويُتوصل بها إلى فعلٍ محظورٍ، والمراد بسدِّ الذرائع أي منع ما يجوز، لئلا يُتطرق به إلى ما لا يجوز، انظر: ابن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية (ج275/2).

(7) انظر: آل الشيخ، صالح، التمهيد لشرح كتاب التوحيد (ص158)، السبكي، الكشف المبدي (ج275/1).

والأفعال الباطلة، فكل هذه وسائل وأسباب تؤدى إلى الشرك، وإنْ لم تكن شركاً، فمنعها النبي صلى الله عليه وسلم حماية للتوحيد، وذلك أنَّ الوسائل لها حكم الغايات، فالوسيلة إلى محرمٍ تكون حراماً.[(1)]

والنهي عن وسائل الشرك يكون:

أ- سد الذرائع في الاعتقادات الباطلة:

وهو النهي عن كل معتقدٍ يُوصل إلى الإخلال بالتوحيد، وإنْ لم يكن شركاً في نفسه، كالنهي عن الطيرة؛[(2)] لأنَّ الإنسان إذا اعتقد أنَّ التطير يجلب نفعاً أو يدفع ضراً، فكأنه أشرك مع الله تعالى،[(3)] والبعد عن هذا المعتقد – جلب النفع، أو دفع الضر- يجب أنْ يكون عاماً في كل شيءٍ حتى في الأشياء المأمور التبرك بها شرعاً، كاستلام الحجر الأسود، فيجب أنْ يصاحبه الاعتقاد الجازم بأنَّه لا يضر ولا ينفع، كما قال عمر رضي الله عنه؛[(4)] لأنَّ الاعتقاد في الشيء المُتبرك به أنَّه يجلب بركةً بنفسه، هو تبرك شركي منهي عنه.[(5)]

ب-سد الذرائع في الأقوال الباطلة:

وهذا كنهي النبي صلى الله عليه وسلم عن الكلام الذي ظاهره مساواة الله تعالى بمخلوقاته، كأنْ يُقال ما شاء الله وشئت،[(6)] ففي هذا "تشريك في مشيئة الله تعالى،"[(7)] ويُوهم أنَّ مشيئة العبد في درجة مشيئة الرب تبارك وتعالى؛[(8)] ولذلك فإنَّ

---

(1) انظر: الفوزان، إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد (ج308/2)، الجنيدي، سد الذرائع في مسائل العقيدة (ج183/1)، الغامدي، حماية الرسول صلى الله عليه وسلم حمى التوحيد (ص287).

(2) انظر: [البخاري: صحيح البخاري، الطب/ الجذام والطيرة، ح 5707].

(3) انظر: ابن حجر، فتح الباري (ج213/10).

(4) انظر: [البخاري: صحيح البخاري، الحج/ ما ذُكر في الحجر الأسود، ح 1597].

(5) انظر: ابن جبرين، تسهيل العقيدة الإسلامية (ج289/1)، الأفغاني، جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية (ج1575/3).

(6) انظر: [البخاري: صحيح البخاري، الأيمان والنذور/ لا يقول ما شاء الله وشئت وهل يقول أنا بالله ثم بك؟].

(7) ابن حجر، فتح الباري (ج540/11).

(8) انظر: الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة (ج266/1).

النبـي صـلى الله عليـه وسـلم قـد "حسـم مـادة الشـرك وسـدَّ الذريعـة فـي هـذا اللفـظ كمـا سـدَّها في الفعل والقصد."[1]

ومن الأقوال الباطلة كذلك الإفراط في المدح؛ لأنَّه من الأقوال التي تُوصل إلى الغلو المذموم؛[2] ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم: «**لاَ تُطْرُونِي، كَمَا أَطْرَتْ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ، وَرَسُولُهُ**»[3] والإطراء هو مجاوزة الحد في المدح،[4] وهو الغلو في المدح، وهو سبب الشرك عند النصارى، فنهي النبي صلى الله عليه وسلم حماية لأمته في أنْ تقع فيما وقعت فيه النصارى.

ج-سد الذرائع في الأفعال المؤدية للشرك:

لقد حرَّم النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة إلى القبور أو استقبالها؛ لأنَّ في ذلك ذريعةً إلى أنْ يقصدوا القبر لأجل صاحبه أو لدعائه، أو الاستشفاع به والتوسل إليه؛ فلذلك نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن اتخاذ القبور مكاناً لعبادة الله تعالى، لئلا يُتخذَّ ذريعةً إلى الشرك بالله تعالى،[5] وهذه الأفعال الباطلة كانت من أسباب ضلال اليهود، فقد قال صلى الله عليه وسلم: «**لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى اليَهُودِ وَالنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ، يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا**»[6] وهذا التحذير لأنَّه يُؤدي إلى عبادة من فيها؛ ولذلك لم يُبرَز قبر النبي صلى الله عليه وسلم،[7] خشية أنْ يُتَّخذ مسجداً، أو يُصلى جهة القبر.[8]

---

(1) ابن القيم، إعلام الموقعين عن رب العالمين (ج117/3).

(2) انظر: آل الشيخ، صالح التمهيد لشرح كتاب التوحيد (ص581).

(3) [البخاري: صحيح البخاري، أحاديث الأنبياء/ قول الله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ مَرْيَمَ﴾ [مريم:16]، ص579: ح 3445].

(4) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، بتصرف (ج271/3).

(5) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج164/1).

(6) [البخاري: صحيح البخاري، أحاديث الأنبياء/ ما ذكر عن بني إسرائيل، ص581: ح 3453].

(7) المراد بذلك أنَّ قبر النبي صلى الله عليه وسلم لم يُكشف، واتُّخِذ عليه حائل، ولم يدفن خارج بيته صلى الله عليه وسلم، وهذا قبل أنْ يُوسَّع المسجد النبوي، ولهذا لما وُسِّع المسجد جُعلت حجرة السيدة عائشة رضي الله عنها مثلثة الشكل، حتى لا يتأتى لأحدٍ أنْ يصلي إلى جهة القبر مع استقبال القبلة، وهذا مبالغة في سدِّ الذريعة في قبر النبي صلى الله عليه وسلم، انظر: ابن حجر، فتح الباري (ج200/3)، العقل، شرح كتاب قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (ج20/3).

(8) انظـر: قـول النبـي صـلى الله عليـه وسـلم: "لعـن الله اليهـود اتخـذوا قبـور أنبيـائهم مسـاجد،" قالـت عائشـة "لـولا ذلـك لأُبـرز قبـره، خشـي أنْ يُتَّخـذ مسـجداً،" [البخـاري: صـحيح البخـاري، المغـازي/ مـرض النبي صلى الله عليه وسلم ووفاته، ص738: ح4441].

وقد حرَّم النبي صلى الله عليه وسلم التصاوير التي تكون على القبور؛ لأنَّها كانت سبباً في عبادة الأوثان كما حدث مع قوم نوح عليه السلام؛ فإنَّ أوثانهم كانت أسماء لرجالٍ صالحين، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا في مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصاباً، وسمُّوها بأسمائهم، ففعلوا ذلك، ولم يعبدوها، حتى إذا هلك أولئك وتنسَّخ العلم عُبدت،[1] فهنا قد صوَّر أسلاف عبَّاد الأوثان صور الصالحين ليتآنسوا بتلك الصور، ويتذكروا أحوال أصحابها فيجتهدوا كاجتهادهم، ثم خلف من بعدهم خلف جهلوا مرادهم، ووسوس لهم الشيطان أنَّ أسلافهم كانوا يعبدون هذه الصور، فعبدوها؛[2] فلذلك حذَّر النبي صلى الله عليه وسلم عن التصاوير سداً للذريعة المؤدية للشرك.

6- ذكر البخاري رحمه الله أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قد بيَّن كل أنواع التبليغ:

ذكر الإمام البخاري رحمه الله أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم بيَّن أنواع التبليغ في الرسالة أتمَّ بيان، ومن هذه الأنواع: ما أُمر أنْ يبلغه بعينه من الوحي، والثاني هو ما كان يستنبطه النبي صلى الله عليه وسلم، ومثاله ما ذكره البخاري من حديث عبد الله رضي الله عنه [3] قال: «**قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الذَّنْبِ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ؟، قَالَ: أَنْ تَدْعُوَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ، قَالَ: ثُمَّ أَيٌّ؟، قَالَ: ثُمَّ أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ خَشْيَةَ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ، قَالَ: ثُمَّ أَيٌّ؟، قَالَ: ثُمَّ أَنْ تُزَانِيَ بِحَلِيلَةِ جَارِكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ تَصْدِيقَهَا: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾** [الفرقان:**68**]،»[4] فهذا الحديث ذُكر فيه نوعا التبليغ، وهما:

---

(1) انظر: [البخاري: صحيح البخاري ، التفسير/ ﴿وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [نوح:23]، ص845: ح4920].

(2) انظر: القسطلاني، إرشاد الساري (ج430/1).

(3) هو عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، انظر: تعليق مصطفى البغا على صحيح البخاري (ص6811).

(4) [البخاري: صحيح البخاري، التوحيد/ قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي القَوْمَ الكَافِرِينَ﴾[المائدة:67]، ص1264 :ح 7532].

الأول: وهو الذي يجب أنْ يُبلِّغه بعينه، وهو خاص بالقرآن الكريم، الثاني: أنْ يُبلِّغ ما يستنبطه من أصولٍ وأحكامٍ، واستنباط النبي صلى الله عليه وسلم ينزل موافقته من الله تعالى، إما بالنصِّ، وإما بطريق الأَولى، ففي الحديث السابق نزلت الآية القرآنية مشتملة على الوعيد الشديد لمن أشرك بالله تعالى، وهو مطابق نصاً للحديث الشريف، ومشتملة على الوعيد لمن قتل نفساً بغير حق، وهي مطابقة للحديث بطريق الأَولى؛ لأنَّ القتل بغير حقٍ وإنْ كان عظيماً لكن قتل الولد أقبح،[1] وقد أورد البخاري في بيان النوع الثاني من التبليغ في باب: "الأحكام التي تُعرف بالدلائل، وكيفية معنى الدلالة وتفسيرها،"[2] وهذا الباب لبيان أنَّ حكم الشيء الخاص الذي لم يَرِد فيه نص خاص داخل تحت حكم دليل آخر بطريق العموم فهذا معنى الدلالة.[3]

والهداية أيضاً من أنواع التبليغ، سواء كانت بمعنى البيان أو الدلالة،[4] وقد بلَّغ النبي صلى الله عليه وسلم هذا النوع؛ فقد أضاف الله تعالى الهداية إلى النبي صلى الله عليه وسلم لكونه المُبَلِّغ لها،[5] وهذا في مثل قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشُّورى:52].

7- الاستدلال بكمال الدين وتمامه:

ذكر الإمام البخاري رحمه الله أحاديث ورد فيها أنَّ الله تعالى قد مكَّن لنبيه صلى الله عليه وسلم أمر التوحيد، والقضاء على الشرك والكفر، وهذه من أعظم الأدلة أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قد بلَّغ؛ فإنَّ مبعثه صلى الله عليه وسلم كان لإقامة

---

(1) انظر: ابن حجر، فتح الباري (ج507/13)، القسطلاني، إرشاد الساري (ج462/10)، الكرماني، الكواكب الدراري (ج224/25)، القاري، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (ج122/1).

(2) [البخاري: صحيح البخاري، الاعتصام بالكتاب والسنة، ص1232].

(3) انظر: ابن حجر، فتح الباري (ج331/13)، العيني، عمدة القاري (ج70/25).

(4) الهدى يكون بمعنى الدلالة مطلقاً، كما في آية ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ [البلد:10]، ويكون بمعنى الدلالة الموصلة كما في قول الله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: 90]، أي اقتدِ بهداهم وبما جاؤوا به من أصول الدين التي لا اختلاف فيها بين الأنبياء، انظر: ابن تيمية، شرح الرسالة التدمرية (ج480/1)، السفاريني، لوامع الأنوار البهية (ج335/1).

(5) انظر: الكرماني، الكواكب الدراري (ج222/25)، الغنيمان، شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري (ج543/2).

الدين وإتمامه، وفي نهاية حياة النبي صلى الله عليه وسلم أنزل الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة:3][1] والدين هو ما كلَّف الله تعالى به الأمة من مجموع العقائد والأعمال والشرائع والنظم، وقد اكتمل الدين اعتقاداً وتشريعاً، فصار مجموع التشريع الحاصل بالقرآن الكريم والسنة كافياً في هداية الأمة في عباداتها ومعاملاتها وسياستها في سائر عصورها.[2]

وقد أورد البخاري أنَّ من أسماء النبي صلى الله عليه وسلم الماحي، أي الذي يمحو الله تعالى به الكفر،[3] والمحو هو الذهاب بالشيء وذهاب أثره،[4] فالله تعالى أزال الكفر بمبعث النبي صلى الله عليه وسلم، وقد كانت مظلمة بغياهب الكفر فأتى صلى الله عليه وسلم بالنور الساطع حتى مَحَىَ ما كان عليه العرب من الشرك،[5] وكذلك فالنبي صلى الله عليه وسلم أقام ملة إبراهيم؛ فإنَّها قد اعوجَّت في أيام الفترة[6] فزيد فيها ونُقص، وغُيرت عن استقامتها، وما زالت كذلك حتى نقَّاها النبي صلى الله عليه وسلم من الشرك، وقرَّر التوحيد،[7] وبيَّن ما عليه أهل الكتاب من الضلال، وقد روي عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه: "أنَّ هذه الآية في القرآن: ﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [الأحزاب: 45]، في التوراة، يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً وحرزاً للأميِّين... ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا إله إلا الله، فيفتح أعيناً عمياً، وآذاناً صمَّاً، وقلوباً غلفاً."[8]

---

(1) انظر: [البخاري: صحيح البخاري، تفسير القرآن/ قوله: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ [المائدة:3]، ص768].

(2) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج64/6)، ابن عاشور، التحري والتنوير (ج103/6،102).

(3) انظر: [البخاري: صحيح البخاري، المناقب/ ما جاء في أسماء النبي صلى الله عليه وسلم، ص592: ح 3532].

(4) انظر: ابن فارس، مقاييس اللغة (ج302/5).

(5) انظر: القسطلاني، إرشاد الساري (ج21/6).

(6) الفترة: هي "ما بين الرسولين من رسل الله تعالى من الزمان الذي انقطعت فيه الرسالة،" ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر (ج408/3).

(7) انظر: العيني، عمدة القاري (ج178/9)، القسطلاني، إرشاد الساري (ج51/4).

(8) [البخاري، صحيح البخاري، تفسير القرآن/ قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [الأحزاب: 45]، ص 827،828: ح 4838].

المطلب الثاني

دور النبي صلى الله عليه وسلم في تبليغ التوحيد عند الكليني

إنَّ ملامح النبوة لا تكاد تظهر في كتاب الكافي إلا نادراً، وبشكل مضطربٍ جداً، فالنبي صلى الله عليه وسلم -كما نستنتجه من روايات الكافي- هو رجل أتى للأمة كي يُعلِمهم بالإمامة وبالأوصياء، وبلّغ العلوم الإلهية للأئمة، ثم انتقل إلى الرفيق الأعلى والأمة كافرة مرتدة إلا نفراً قليلاً، والعلم مخزون عند آل البيت، والدين لم يكتمل قولاً واحداً؛ لأنَّ عقائده لم تظهر أصلاً، ومكانة النبي صلى الله عليه وسلم لا يمكن أنْ تُقارن بمكانة الأئمة مطلقاً، فبالنسبة للروايات المنسوبة إليه لم يُروَ عنه إلا القليل، وما رُوي عنه قد رُوي عن الأئمة مثله، بل ما هو أوضح منه، فرواياته لم تكن إلا تأكيداً، ويُؤخذ بها استئناساً، وأما بالنسبة لمكانته الروحية فهي مكانة لا يمكن مقارنتها بمكانة الأئمة مطلقاً، بل حتى إنَّها لا تَصِل إلى مكانة المقربين من الأئمة الذين نقلوا عنهم مروياتهم، **وتفصيل هذه النقاط على النحو التالي:**

أولاً: تبليغ النبي صلى الله عليه وسلم للتوحيد:

إنَّ مدار تبليغ النبي صلى الله عليه وسلم لرسالته-وفقاً لروايات الكافي- كان مرتكزاً على الإعلام بالإمامة بشكلٍ أساسي، وأما توحيد الله تعالى فأعطاه لآل البيت، كسائر علوم الدين، والأئمة هم الذين بلَّغوه للأمة، وآية التبليغ[1] جعلها الكليني مختصةً بالتبليغ بولاية علي رضي الله عنه، وليس المقصود بها عموم التبليغ لمسائل الدين، فقد روى عن أبي جعفر رحمه الله قال: "أَمَرَ الله تعالى رسوله بولاية علي رضي الله عنه، وأنزل عليه: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آَمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ [المائدة:55]،وفرض ولاية أولي الأمر، فلم يدروا ما هي، فأَمَرَ الله تعالى محمداً صلى الله عليه وسلم أنْ يُفسّر لهم الولاية، كما فسّر لهم الصلاة والزكاة والصوم والحج، فلما أتاه ذلك من الله تعالى، ضاق بذلك صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتخوف أنْ يرتدّوا عن دينهم، وأنْ يكذبوه فضاق صدره وراجع ربه عزَّ وجلَّ، فأوحى الله تعالى إليه: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ

---

(1) المراد بها قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة:67]

تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي القَوْمَ الكَافِرِينَ﴾ [المائدة:67]، فصدع بأمر الله تعالى ذكره، فقام بولاية علي عليه السلام يوم غدير خُم،[1] فنادى الصلاة جامعة، وأمر الناس أنْ يُبلّغ الشاهد الغائب،"[2] والله تبارك وتعالى أوحى لنبيه أنَّه إنْ لم يُبلِّغ ولاية علي رضي الله عنه فكأنَّما لم يُبلغ شيئاً؛ وهذا لأنَّها أصل الدين، وأما سائر الشرائع فروع وتوابع لها، وعدم تبليغ الأصل مُوجب لعدم تبليغ الفرع قطعاً،[3] ومما يؤكد على أهمية هذا التبليغ أنَّ اكتمال الدين كان بعد أنْ بلّغ النبي صلى الله عليه وسلم أنَّ علياً رضي الله عنه هو وليّه وخليفته، فقد روى الكليني عن علي رضي الله عنه أنَّه قال: "كانت ولايتي ولاية الله تعالى، وعلى عداوتي عداوة الله تعالى، وأنزل الله عزَّ وجلَّ في ذلك: ﴿اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة:3]، فكانت ولايتي كمال الدين، ورضا الرب جلَّ ذكره، وأنزل الله تبارك وتعالى اختصاصاً لي، وتكرماً نحلنيه، وإعظاماً وتفضيلاً من رسول الله منحنيه،"[4] وأوضح من ذلك أنَّ الكليني جعل أداء الأمانة التي تحمَّلها النبي صلى الله عليه وسلم مقصوراً على التبليغ بولاية علي رضي الله عنه، فقد نسب إلى النبي صلى الله عليه وسلم أنَّه قال: "يا علي هذا عهد ربي تبارك وتعالى إليّ، شَرَطَه عَلَيّ، وأمانته، وقد بلّغت ونصحت وأديت، فقال علي عليه السلام: وأنا أشهد لك -بأبي وأمي أنت- بالبلاغ والنصيحة والتصديق على ما قلت، ويشهد لك به سمعي وبصري ولحمي ودمي، فقال: جبرئيل عليه السلام: وأنا لكما على ذلك من الشاهدين، فقال رسول الله: يا علي أخذت وصيتي وعرفتها، وضمنت لله ولي الوفاء بما فيها، فقال علي عليه السلام: نعم -بأبي أنت وأمي- عَلَيَّ ضمانها، وعلى الله

(1) غدير خم: هو موضع يعتقد الشيعة أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم نصب عليّاً رضي الله عنه إماماً، الحلي، تحرير الأحكام (ج119/2)، العاملي، محمد، الدروس الشرعية في فقه الإمامية (19/2)، السبزواري، ذخيرة المعاد (ج519/1).

(2) [الكليني: الكافي، الحجة/ ما نص الله عزَّ وجلَّ ورسوله على الأئمة، 289/1: ح4].

(3) المازندراني، شرح أصول الكافي، بتصرف (ج183/10)، ولمعرفة مكانة الأئمة والتبليغ بولايتهم، انظر: القمي، علي، الإمامة والتبصرة من الحيرة (ص84)، ابن شاذان، مائة منقبة من مناقب أمير المؤمنين (ص22)، الغالي، موسوعة الأنوار في سيرة الأئمة الأطهار (ج123/1).

(4) [الكليني: الكافي، الروضة/ خطبة لأمير المؤمنين، وهي خطبة الوسيلة، 27/8: ح4].

عـوني وتـوفيقي علـى أدائهـا،"[1] فالمقصـود بالأمانـة حـق علـي رضـي الله عنـه، الـذي أودعـه الله تعـالى عنـد رسـوله، وتحمّلهـا النبـي صـلى الله عليـه وسـلم، ثـم أمـره بـدفعها إليـه والتبليـغ بهـا، وأمـا الأداء الـذي فـي الروايـة فالمقصـود بـه الوصـية التـي كانـت وديعـة الله عنـد النبـي صـلى الله عليـه وسـلم، ثـم بلغّهـا إلـى الخلـق، ونصـح لهـم فيهـا، وأدّاهـا إلـى أهلهـا، وهـو حـق علـي رضـي الله عنـه، وقـد فعـل مـا كـان عليـه، والحـق أنَّـه مـا بـالغ أحـد مـن الأنبيـاء فـي الوصـية مثـل مـا بـالغ فيهـا النبـي صـلى الله عليـه وسـلم؛[2] ولـذلك كـان خير المرسلين المبلغين.

وهـذا المعنـى يكـاد يُجمـع عليـه الشـيعة، حتـى المفسـرون مـنهم ذكـروا أن المـراد بالتبليغ المعنى السابق، ومن ذكر أن المراد عموم التبليغ لم يرجحه.[3]

ثانياً: روايات النبي صلى الله عليه وسلم في كتاب الكافي:

إنَّ الروايـات الإجماليـة المنسـوبة إلـى النبـي صـلى الله عليـه وسـلم فـي الكـافي أقـل مـن العُشـر،[4] وأمـا فـي كتـاب التوحيـد فعـدد الروايـات المنسـوبة للنبـي صـلى الله عليـه وسـلم أربـع روايـات فقـط،[5] وعلـى الـرغم مـن القصـور الواضـح فـي عـدد الروايـات المنسـوبة إلـى النبـي صـلى الله عليـه وسـلم فـإنَّ هنـاك ملاحظـات علـى هـذه الروايـات، وهي:

---

(1) [الكليني: الكافي، الحجة/ أن الائمة عليهم السلام لم يفعلوا شيئاً ولا يفعلون إلا بعهد من الله عزَّ وجلَّ، 282/1: ح4].

(2) انظر: المازندراني، شرح أصول الكافي (ج96/2).

(3) انظر: العياشي، تفسير العياشي (ج97/2،98)، الطبرسي، مجمع البيان (ج382/3،383).

(4) مجموع الروايات في الكافي خمسة عشر ألفاً ومئتان وأربع وثمانون رواية (15284)، وعدد الروايات المنسوبة للنبي صلى الله عليه وسلم ألف وخمسمائة وثلاث وعشرون رواية (1523)، وتشكل ما يقرب نسبة(10%) من المجموع الكلي لروايات الكافي، انظر: صالح، باسلة، علوم الإسناد من حيث الاتصال والانقطاع عند الشيعة الإمامية (ص55).

(5) والروايات هي: [الكليني: الكافي، التوحيد/ النسبة، 91/1: ح1، باب النهي عن الكلام في الكيفية، 94/1: ح10، باب إبطال الرؤية، 98/1: ح8، باب الجبر والقدر، 158/1: ح6].

1-المجلسي في كتابه "مرآة العقول،" والشيخ المظفر في كتابه "الشافي" حكما على روايتين بالضعف، وحكم على الأخريين بالصحة.(1)

2-عدد الروايات المنسوبة إلى جعفر الصادق رحمه الله في كتاب "التوحيد" قد بلغت مائة وثماني عشر رواية، أي أنَّ الروايات المنسوبة للنبي صلى الله عليه وسلم لا تتجاوز ثلاثاً بالمئة مقارنة بروايات جعفر رحمه الله.

3-الروايات التي نُسبت إلى النبي صلى الله عليه وسلم لم تُنشَأ فيها الأحكام استقلالاً، بل جاءت معضدة لمرويات الأئمة، فكل رواية من الروايات الأربع المنسوبة إلى النبي صلى الله عليه وسلم روى الكليني في الباب نفسه أكثر من رواية عن الأئمة تحمل المعنى نفسه، وتزيد في الإيضاح.

أولاً: الرد على الكليني في معتقده في تبليغ النبي صلى الله عليه وسلم للتوحيد وشرائع الإسلام:

1-ما فائدة حب آل البيت والتمسك بآثارهم دون صاحب البيت نفسه، والله تعالى جعل طاعته ومحبته واتِّباعه مقروناً بمحبة وطاعة واتِّباع النبي صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الكَافِرِينَ ﴾ [آل عمران:32]، وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [آل عمران:31].

2-إنَّ الله تعالى أخبر عن كل الأنبياء والمرسلين أنَّهم بلَّغوا رسالة ربهم، قال الله تعالى عنهم: ﴿ لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴾ [الجنّ:28]، والنبي أفضل الأنبياء والمرسلين، فيقتضي أنَّه بلَّغ رسالة ربه، وما فرَّط وما قصَّر، ولكن بالنظر إلى الروايات المنسوبة إلى النبي صلى الله عليه وسلم يكون هو النبي الوحيد من بين الأنبياء الذي لم يبلغ الرسالة، وهذا يُعارض آيات القرآن الكريم معارضة واضحة.(2)

(1) انظر: المجلسي، مرآة العقول (ج316/1، ج326/1، ج338/1)، المظفر، الشافي في شرح أصول الكافي (ج90/3، ج103/3، ج119/3، ج278/3).

(2) وقد مرَّ تبليغ النبي صلى الله عليه وسلم مفصلاً في مطلب: دور النبي صلى الله عليه وسلم في تبليغ التوحيد عند البخاري، انظر: ص302 من هذا البحث.

3-إنَّ البيئة الشركية الشيعية غريبة عن بيئة الإيمان، وبعيدة عن دلالة القرآن، فآيات القرآن الكريم ورد فيها أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم بلَّغ التوحيد بأنواعه،[1] وأنَّه أدى الأمانة، ونصح الأمة، وأما كتاب الكافي فلا تجد فيه روايات يُطابق مدلولها آيات القرآن إلا فيما ندر، ولا تكاد تظهر ملامح النبوة والرسالة، وتكون على يقينٍ وأنت تقرأ روايات الكافي أنَّ الشيعة يعتقدون أنَّ التبليغ إلى الأمة لم يكن وظيفة النبي صلى الله عليه وسلم.

4-إنَّ الشيعة قد ادَّعت أنَّ عمر رضي الله عنه قد منع كتابة الحديث استهتاراً بمصدر التشريع الثاني، وعابت عليه ذلك، وثارت أسئلة الاستنكار من أفواههم، ووجهوا سهام النقد إليه، ونالوه بكل نقيصةٍ، ولم تعجبهم الدوافع التي نُقلت لأسباب المنع،[2] فيُقال لهم لمَ لمْ يُعَبْ هذا على الأئمة الذين تركوا حديث النبي صلى الله عليه وسلم ولم يرووا عنه أحاديث مسندة؟، ولماذا لا يُعاب على الكليني عدم نقله لأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم، وهو صاحب كتاب متخصصٍ لنقل الأحاديث؟.

5- إنَّ قلة عدد الروايات المنسوبة إلى النبي صلى الله عليه وسلم في كتاب الكافي بشكل عام، والتوحيد بشكل خاص له عدة احتمالات:

الأول: أنْ يكون النبي صلى الله عليه وسلم بلَّغ التوحيد، ولكن لم يقبله الصحابة ورفضوه كما رفضوا الإمامة، فأين روايات الشيعة التي تثبت ذلك؟، فإنَّا لا نجد رواية واحدة في الكافي تُثْبت أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قد بلَّغ التوحيد ولم يجد اتباعاً من الصحابة، فلماذا نُقلت الروايات التي ذُكر فيها أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم بلَّغ عن ولاية الأئمة في غدير خُمْ وغيرها، وأنَّ الصحابة رفضوا الإمامة، ولم تُنقل روايات التوحيد؟، مع العلم أنَّ روايات الولاية قد جعلها الشيعة تبلغ حد التواتر، وقد يُقال إنَّ الروايات المنسوبة للأئمة قد تلّقوها من النبي صلى الله عليه وسلم عندما بلَّغها، وهم بدورهم نقلوها إلى الأمة، فإذا كان الأمر كذلك فكيف قالها الأئمة دون نسبتها للنبي صلى الله عليه وسلم؟، فإن قيل: إذا كان القائل هو الإمام فكأنَّما هو قول النبي صلى الله عليه وسلم، فيُقال ينبغي أنْ يكون هذا مطرداً في كل الروايات فلمَ نُسب بعضها

(1) انظر: [النساء:105]، [المائدة: 48]، [الأنعام:19]، [يونس:104]، [النحل:44]، [الحديد:8].

(2) انظر: الحسيني، دراسات في الحديث والمحدثين (ص20)، الشهرستاني، علي، منع تدوين الحديث (ص7-11).

إلـى النبـي صـلى الله عليـه وسـلم وكـان مـن يرويهـا إمامـاً، بخـلاف روايـات أخـرى لـمْ تُنسـب؟، ولِـمَ كـان واجبـاً علـى الإمـام إذا روى عـن إمـام أنْ ينسـب الروايـة إليـه، ولا يجـب ذلـك إذا كـان يرويهـا عـن النبـي صـلى الله عليـه وسـلم؟، وهـل هنـاك عاقـل يقـول إنَّ النبـي صـلى الله عليـه وسـلم بلَّـغ الصـحابة دليـل الإمكـان والحـدوث، والجـواهر والأعـراض، ودليل الفرجة، وعبادة اسم الله تعالى ومعناه؟.

الثـاني: أنَّ النبـي صـلى الله عليـه وسـلم اكتفـى ببيـان التوحيـد لعلـي رضـي الله عنـه، وعلـي رضـي الله عنـه بلَّغـه لذريتـه، وكـل إمـام بلَّغـه لمـن بعـده حتـى يبلغـوه، وهـذا مـا تميـل إليـه روايـات الكـافي،[1] ومثالهـا الروايـات التـي ذُكـر فيهـا أنَّ النبـي صـلى الله عليـه وسـلم قـد فسَّـر القـرآن لعلـي رضـي الله عنـه فقـط وأنَّ الأئمـة ورثـوه،[2] وهـذا مـن أعظـم القـدح فـي مقـام النبـوة، بـل فـي مقـام الربوبيـة؛ فكيـف يُـؤمر النـاس باتبـاع النبـي صـلى الله عليـه وسـلم وهـو لـم يبلِّـغ؟، وآيـات وجـوب اتبـاع النبـي صـلى الله عليـه وسـلم أكثـر مـن أنْ تُحصـى، ثـم ألـيس هـذا ظلمـاً يُنسـب إلـى الـرب تعـالى، إذ كيـف سيُحاسـب النـاس علـى شـركهم وهـم لـم يعرفـوا التوحيـد؟، فالحاصـل أنَّ النبـي صـلى الله عليـه وسـلم بُعـث إلـى النـاس عامـة، وعنـد الشيعة بُعث إلى الأئمة خاصة.

6- إنَّ تفسـير آيـة التبليـغ علـى أنَّ المـراد بهـا التبليـغ بولايـة علـي رضـي الله عنـه، يقتضـي أنَّ معرفـة الإمامـة أعظـم مـن معرفـة الله تعـالى؛ لأنَّ النبـي صـلى الله عليـه وسـلم -علـى حـد زعمهـم- قـد بلّـغ الإمامـة أعظـم تبليـغ، وهـذا مـن أعظـم الكفـر بالإجمـاع، والله أمـر نبيـه أنْ يُخلّـي المشـركين إنْ تـابوا مـن الشـرك، وأقـاموا الصـلاة، وآتـوا الزكـاة، قـال تعالى: ﴿فَـإِذَا انْسَـلَخَ الأَشْـهُرُ الحُـرُمُ فَـاقْتُلُوا المُشْرِكِينَ حَيْـثُ وَجَـدْتُمُوهُمْ وَخُـذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُـدُوا لَهُـمْ كُـلَّ مَرْصَـدٍ فَـإِنْ تَـابُوا وَأَقَـامُوا الصَّـلَاةَ وَآتَـوُا الزَّكَـاةَ فَخَلُّـوا سَـبِيلَهُمْ إِنَّ اللهَ غَفُـورٌ رَحِـيمٌ﴾ [التوبـة:5]،وكـذلك فالإمامـة لـم يكـن يحتـاج إليهـا مـن مـات علـى عهـد النبـي صـلى الله عليـه وسـلم مـن الصـحابة، ولا يحتـاج إلـى التـزام حكمهـا مـن عـاش مـنهم إلـى بعـد مـوت النبـي صـلى الله عليـه وسـلم، فكيـف يكـون أشـرف مسـائل المسـلمين، وأهـم المطالـب فـي الـدين لا يحتـاج إليهـا أحـد علـى عهـد النبـي صـلى الله عليـه وسـلم؟، أولـيس الـذين آمنـوا بـالنبي صـلى الله عليـه وسـلم فـي حياتـه، واتبعـوه، ولـم يرتـدوا، ولـم يُبـدلوا هـم

(1) [الكليني: الكافي، الحجة/ في شأن ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ القَدْرِ﴾ [القدر:1]، 249/1: ح6].

(2) [المصدر السابق، الحجة/ في شأن ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ القَدْرِ﴾ [القدر:1]، 249/1: ح6].

أفضل الخلق باتفاق أهل السنة والشيعة؟، فكيف يكون أفضل المسلمين لا يحتاج إلى أهم المطالب في الدين، وأشرف مسائل المسلمين؟، ويُقال لهم كذلك كيف بيَّن الله تعالى في كتابه أمور الفرائض في مواضع كثيرة، ولمْ يبين أهم مطالب الدين، وهي الإمامة، ولو في آية واحدة؟.[1]

7-إنَّ التفريط في سنة النبي صلى الله عليه وسلم في كتاب الكافي يتضح في عدد الروايات المنسوبة إلى النبي صلى الله عليه وسلم، ويتضح كذلك من مضمون هذه الروايات، فإنَّ كل روايةٍ نُقلت في باب التوحيد جاءت مختصرة، ولم يكن فيها أحكام جديدة، مما يعني أنَّه لو لم تُذكر هذه الروايات فإنَّ هذا لا يضر، ولا يؤثر على التوحيد؛ لأنَّ مضمون الروايات المنقول عن الأئمة مذكور فيه ما نُقل عن النبي صلى الله عليه وسلم، بل وفيه زيادة البيان والإيضاح، بل إنَّ الكليني ذكر عن أصحاب جعفر الصادق رحمه الله الذين كانوا يروون عنه أنَّه ما قهرهم أحد في التوحيد،[2] وأنَّهم علَّموا الناس مسائله، وهناك روايات موقوفة عليهم أكثر عدداً مما نُسب إلى النبي صلى الله عليه وسلم،[3] فيكون حتى أصحاب الإمام أرفع مكانة من النبي صلى الله عليه وسلم في التبليغ والمكانة.

8-إنَّ الروافض يتهمون أهل السنة أنَّهم نواصب ويبغضون آل البيت،[4] فلماذا أيها الروافض لا تلومون أنفسكم على انتقاصكم لنبي الله تعالى، الذي هو أفضل الخلق أجمعين؟، وأين رواياتكم في بيان علو مكانته صلى الله عليه وسلم؟، فإنَّا لا نَجِد باباً واحداً في الكافي يُذكر فيه فضل النبي صلى الله عليه وسلم، في حين أنَّه ذكر فضل الأئمة ومكانتهم في عشرات الروايات، وأفرد لهم الكليني كتاب الحجة،[5] وإذا ذُكِرَ النبي صلى الله عليه وسلم في رواياته فإنَّه يذكره بشكلٍ عرضي، وبلغة مريضة وكأنَّه رسول الأئمة، ولا تختلف مكانته كثيراً عن عوام أصحاب الأئمة، ولا تعلو مكانته عن مكانة خواصهم؛ ولذلك فالحق أنَّ حب آل البيت عند الروافض يعني تأليه الأئمة،

---

(1) انظر: ابن تيمية، منهاج السنة النبوية (ج76/1).

(2) انظر: [الكليني: الكافي، التوحيد/ المعبود، 87/1: ح2].

(3) انظر: [المصدر السابق، التوحيد/ حدوث العالم وإثبات المحدث، 72/1: ح1].

(4) وهذه دعوى باطلة قطعاً، فإنَّ أهل السنة يحبون آل البيت، ويتقربون إلى الله تعالى بحبهم، وينزلونهم منزلتهم.

(5) انظر: [الكليني: الكافي، الحجة 168/1-350].

ورفعهم فوق مكانة النبي صلى الله عليه وسلم، وجعلهم أرباباً آلهة، وتكفير الصحابة وأهل السنة والجماعة، وأما نبذ الشرك، والإنصاف بإعطاء آل البيت حقوقهم ومحبتهم، كما أمرنا الله تعالى، وكما أمر نبيه صلى الله عليه وسلم، وتقديم محبة النبي صلى الله عليه وسلم على كل محبة، فهذا عندهم هو الكفر والإجحاف، فما لكم كيف تحكمون؟!، وعليكم من الله ما تستحقون، لتفريطكم في حب نبيكم، وتلبيسكم على الناس أمور دينهم.

ومن الطامات الواردة في الكافي إيراده لروايات تبين أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم لم يُبين شرائع الإسلام وإنَّما بيَّنها الأئمة؛ فقد أورد عن أبي عبد الله رضي الله عنه أنَّه قال: "**كانت الشيعة قبل أن يكون أبو جعفر -المقصود به علي بن الحسين- لا يعرفون مناسك حجهم، وحلالهم وحرامهم، حتى كان أبو جعفر ففتح لهم**، وبيَّن لهم مناسك حجهم، وحلالهم وحرامهم، حتى صار الناس يحتاجون إليهم من بعد ما كانوا يحتاجون إلى الناس، وهكذا يكون الأمر، والأرض لا تكون إلا بإمام، ومن مات لا يعرف إمامه مات ميتة جاهلية،"(1) فإذا كان الناس قبل ظهور الأئمة لا يعرفون الحلال والحرام فما كانت وظيفة النبي صلى الله عليه وسلم؟، وهذه الرواية تدل على أنَّ دينهم هو دين البدع والشركيات؛ إذ إنَّ شرائع دينهم لم تكن على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولا على عهد صحابته الكرام رضي الله تعالى عنهم.

9- إنَّ الكليني قد ربط في رواياته بين آية التبليغ في سورة المائدة، والآية في سورة سبأ في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [سبأ:20]،وبين حادثة غدير خُمْ فقد روى عن أبي جعفر رحمه الله أنَّه قال: "لما أخذ رسول الله بيد علي عليه السلام يوم الغدير، صرخ إبليس في جنوده صرخة فلم يبق منهم أحد في بَرٍ ولا بحرٍ إلا أتاه فقالوا: يا سيدهم ومولاهم ماذا دهاك؟، فما سمعنا لك صرخة أوحش من صرختك هذه، فقال لهم: فعل هذا النبي فعلاً إنْ تمَّ لم يُعصَ الله أبداً، فقالوا: يا سيدهم أنت كنت لآدم، فلما قال المنافقون: إنَّه ينطق على الهوى، وقال أحدهما لصاحبه: أما ترى عينيه تدوران في رأسه كأنَّه مجنون، -يعنون رسول الله- صرخ إبليس صرخة بطربٍ، فجمع أولياءه فقال: أما علمتم أني كنت لآدم من قبل؟، قالوا: نعم قال: آدم نقض العهد ولم يكفر بالرب، وهؤلاء نقضوا العهد وكفروا بالرسول،

---

(1) [الكليني: الكافي، الإيمان والكفر، دعائم الإسلام، 20/2: ح6].

فلما قبض رسول الله، وأقام الناس غير علي عليه السلام لَبِسَ إبليس تاج الملك، ونصب منبراً، وقعد في الوثبة، وجمع خيله ورجله، ثم قال لهم: اطربوا لا يُطاع الله تعالى حتى يقوم الإمام، وتلا أبو جعفر: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [سبأ:20]،"[1] ومن المعلوم أنَّ آية التبليغ في سورة المائدة نزلت في المدينة بإجماع المفسرين وأهل العلم،[2] ثم إنَّ سورة سبأ مكيّة،[3] أي نزلت في مكة قبل هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم، وأما غدير خُمْ فكان بعد حجة الوداع،[4] فكيف جمع بين هذه الآيات كلها الهالك الذي وضع هذه الرواية وخرج بهذه الرواية الباطلة، وإنْ كان إبليس لَبِسَ تاج الملك فإنَّه لبسه يوم تسلط الروافض بجهلهم وكذبهم على دين الله تعالى.[5]

10-إنَّ ادعاء الكليني أنَّ المراد من اكتمال الدين في قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المائدة:3] كماله بتبليغ النبي صلى الله عليه وسلم لولاية علي رضي الله عنه في غدير خُم[6] هو باطل قطعاً، فسياق الآية لا يدلُّ على ذلك، قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة:3]، فقد ذُكر في الآية أنَّ الكفار قد يئسوا أنْ ينالوا من الدين، وعلى تفسير الروافض فإنَّ إبليس قد ابتهج بعدما رفض الصحابة ولاية علي رضي الله عنه، ولم ييأس الصحابة بعد إعلان النبي صلى الله عليه وسلم بولاية علي رضي الله عنه -كما افترى الكليني-، بل رفضوها، واغتصبوا ولاية علي رضي الله عنه، والله تعالى أمر في الآية الكريمة المؤمنين ألا يخشوا من الكفار، ولكن نرى أنَّ الدخول في طور التقية والخوف من الأعداء قد بدأ ببداية ظهور الأئمة، وانتشار الخوف، وإخفاء العقائد، بل وإظهار خلافها مدارةً

---

(1) [الكليني: الكافي، الروضة/ حديث اسلام علي عليه السلام، 344/8،345: ح542].

(2) انظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن (ج194/1).

(3) انظر: المصدر السابق (ج193/1).

(4) انظر: الطبرسي، مجمع البيان (ج274/3).

(5) انظر: موقع فيصل نور، شبهات الشيعة والرد عليها.

(6) [الكليني: الكافي، الروضة/ خطبة لأمير المؤمنين، وهي خطبة الوسيلة، 27/8: ح4]

للأعداء، وظاهر الآية يدلُّ على أنَّ المراد من اكتمال الدين اكتمال أصوله وشرائعه عامة؛ لأنَّه ذكر الإسلام، والمراد منه كل ما يشتمل عليه الإسلام وليس شيئاً بعينه.

11-أَمَرَ الله تعالى المؤمنين باتباع النبي صلى الله عليه وسلم، وردّ الأمر إليه عند التنازع، ونَفَى الإيمان عمن لم يرضَ بحكم النبي صلى الله عليه وسلم، فكيف يمكن الأخذ بهذه الآيات في مجال التوحيد الذي هو أعظم أصول الدين وليس هناك إلا أربع روايات للنبي صلى الله عليه وسلم؟!، وقد روى الكليني أنَّ أبا الحسن قال: "من ترك كتاب الله، وقول نبيه كفر،"[1] والكليني قد ترك سنة النبي صلى الله عليه وسلم فإنَّه لم يروِ عن النبي صلى الله عليه وسلم إلا عشرة بالمئة فقط من مجموع الروايات، وفي باب التوحيد الروايات المنسوبة للنبي صلى الله عليه وسلم أقل من ثلاث بالمئة مقارنة بروايات جعفر الصادق، ولا تتجاوز واحداً بالمئة من إجمالي روايات كتاب التوحيد، فإذا كان كل هذا التفريط بسنة النبي صلى الله عليه وسلم ليس تركاً فما هو الترك إذن؟!!!.

ملاحظة: قد مرَّ سابقاً مبحث دور النبي صلى الله عليه وسلم في تبليغ التوحيد عند البخاري، وذُكر فيه استدلال الإمام البخاري بالآيات والأحاديث النبوية الشريفة ما يُغني في بيان دور النبي صلى الله عليه وسلم في التبليغ، وما يصيب شُبَه الروافض في مقتل.

ثانياً: الحكم على الروايات المنسوبة إلى النبي صلى الله عليه وسلم في كتاب التوحيد:

إنَّ علماء الشيعة بالاتفاق قد ضعفوا روايتين من الروايات المنسوبة إلى النبي صلى الله عليه وسلم في كتاب التوحيد، وأما الروايتان اللتان حكموا عليهما بالصحة، فهي أيضاً روايات ساقطة لا تسلم من القدح، وسيتم بيان ذلك بمثال، وهو:

رواية الكليني عن أحمد بن إدريس، عن محمد بن عبد الجبار، عن صفوان بن يحيى، عن أبي أيوب، عن محمد بن مسلم، عن أبي عبد الله رحمه الله قال: "إنَّ اليهود سألوا رسول الله صلى الله عليه وآله فقالوا: انسب لنا ربك، فلبث ثلاثاً لا يُجيبهم، ثم نزل قل هو الله أحد إلى آخرها،" وعلى الرغم من تصحيح علماء الشيعة لها فإنَّها رواية ضعيفة، لا يقوم بها استدلال؛ لأنَّ الرواية مرسلة؛ فإنَّ صفوان بن

(1) [الكليني: الكافي، العقل والجهل/ البدع والرأي والمقاييس، 56/1: ح10]

يحيى لم يُدرك أبا أيوب،[1] والرواية المرسلة رواية ضعيفة، وعلماء الشيعة أنفسهم لا يأخذون بالروايات المرسلة، فإنَّه لم يقم الإجماع على توثيق هؤلاء فضلاً عن مراسيلهم،[2] ولا يُعترض عليه أنَّ من يروي عن ثقة كصفوان بن يحيى فإنَّ مراسيله يُؤخذ بها، فهذه الدعوى مردودة كما سبق،[3] وكونه يروي عن ثقات، وروى عنه ثقات، لا دلالة فيه على أنَّ كل من يروي عنه ثقة،[4] وقد ثبت أنَّ صفوان بن يحيى قد روى عن ضعفاء فقد روى عن علي بن حمزة البطائني،[5] وهذا قيل عنه أنَّه كذَّاب ملعون،[6] وروى عن أبي جميلة المفضل بن صالح،[7] قال عنه ابن داود: "كان يضع الحديث".[8]

وروى كذلك عن عبد الله بن خداش،[9] وهو ضعيف جداً كما قال عنه النجاشي، وابن داود.[10]

وخلاصة القول: إنَّ التوحيد الذي هو أهم أصول الدين، لم يرد فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم إلا أربع روايات في كتاب الكافي، وكلها مردودة لا يقوم بها استدلال، أي أنَّه من الناحية العملية لا أهمية لها مطلقاً، وقيمة الاستدلال بها لا يُساوي شيئاً، فهي ضعيفة وفق حكم مصادر الشيعة، ووفق أسانيدهم، وهي موضوعة عند تطبيق أصول الحكم على الأحاديث.

---

(1) كتب التراجم عند الشيعة ذُكر فيها تاريخ وفاة صفوان بن يحيى، ولم يُذكر تاريخ ميلاده، ولا عمره، ولكن يستنتج أنَّ الرواية مرسلة؛ لأنَّ أبا أيوب الذي روى عنه صفوان وفاته كانت تقريباً سنة 148هـ، وقال الشيعة أنَّ صفوان لم يُدرك جعفر الصادق، وتاريخ وفاة جعفر الصادق كان سنة 148هـ، مما يعني أنَّ صفوان لم يرَ أبا أيوب، وهو إبراهيم بن عيسى، انظر: الطوسي، رجال الكشي (ج2/661)، المؤلف نفسه، رجال الطوسي (ص167)، النجاشي، رجال النجاشي (ص20)، السبحاني، تاريخ الفقه الإسلامي وأدواره (ج1/142)، الصدر، نهاية الدراية (ج1/81).

(2) انظر: المجلسي، الوجيزة في علم الرجال (ص83).

(3) انظر: ص36 من هذا البحث.

(4) انظر: المجلسي، الوجيزة في علم الرجال (ص70).

(5) انظر: [الكليني: الكافي، الوحيد/ النهي عن الجسم والصورة، 1/ 104: ح1].

(6) انظر: الطوسي، اختيار معرفة الرجال (ج2/827).

(7) انظر: [الكليني: الكافي، الديات/ القتل، 7/271: ح2].

(8) ابن داود الحلي، رجال ابن داود (ص280)، وانظر: ابن الغضائري، رجال ابن الغضائري (ص88).

(9) انظر: [الكليني: الكافي، الرضاع/ نوادر في الرضاع، 5/446: ح17].

(10) انظر: النجاشي، رجال النجاشي (ص228)، ابن داود، رجال ابن داود (ص253).

الخاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والحمد لله الذي وفقني وأعانني على إتمام رسالتي، وأسال الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه، وابتغاء مرضاته، وأن ينفع به الإسلام والمسلمين.

أولاً: النتائج:

وفي ختام هذه الرسالة أذكر أهم النتائج التي تمَّ التوصل إليها من خلال البحث، وهي:

1- الكليني الذي نسبت له الشيعة الروافض كتاب الكافي كان شخصية من العوام، ولم يلقَ اهتماماً عند علماء الشيعة الأوائل، ولكن المتأخرين منهم جعلوا منه شخصية مرموقة، ورفعوه مكاناً علياً.

2- كتاب الكافي كتاب منحول، لا يُنسب لمن زُعم أنه مؤلفه، وقد دخله الدَّس والتغيير، والتحريف، ورواياته من صناعة الشيعة الروافض في العهد الصفوي.

3- إنَّ التوحيد ودلائله الوارد في كتاب صحيح البخاري لم يكن فيه أدنى ميل للبدع الكلامية أو المناهج الفلسفية، بل مطابق تماماً للقرآن الكريم، فالحق يخرج من مشكاة واحدة.

4- إنَّ توحيد الربوبية الوارد في الكافي قد ظهر فيه التأثر الواضح بالمنهج الكلامي الاعتزالي، وظهرت في رواياته البدع الكلامية بشكل كبير جداً.

5- لم يهتم الكليني بتوحيد الألوهية ولم يعتن بذكره ولا بتقريره، ولم يعدُّه من أقسام التوحيد.

6- لقد ظهر التناقض في روايات الكافي في كل مسائل التوحيد، وهذا يدل على بطلان منهجه وفساد مذهبه وما فيه من معتقدات فاسدة وضلالات.

7- اعتمد الكليني على التأويل الباطني الفاسد لإثبات معتقداته الباطلة.

8- أضاف الكليني كل الأوصاف الإلهية للأئمة، فجعلهم أرباباً آلهة من دون الله تعالى، وأورد كذلك في رواياته وجوب إشراك الأئمة في العبادات، وجعل ذرات الكون تخضع لهم.

9- إنَّ الشركيات الواردة في كتاب الكافي لا يبقى معها شك في كفر الكليني وشيعته، فقد ناقضوا التوحيد أعظم مناقضة، وأدخلوا الخرافات والبدع الشركية التي تخرج من الملة.

10- إنَّ روايات الكافي قد أثَّرت على واقع الشيعة بشكل كبير جداً، فالانحرافات العملية قد ظهرت عندهم بشكل كبير، وأصبح دين الشيعة دين البدع والخرافات.

11- لم يُورد الكليني روايات تبين دور النبي صلى الله عليه وسلم في تبليغ التوحيد، وقد أورد روايات قليلة جداً منسوبة للنبي صلى الله عليه وسلم، وكلها ضعيفة لا يصح الاستدلال بها.

12- ذكر الكليني روايات لازمها تفضيل الأئمة على النبي صلى الله عليه وسلم في المكانة والفضل والتبليغ.

13- روايات ضعيفة لا يقوم بها استدلال، باعتراف علمائهم، فرواياته مرسلة منقطعة، وقد ورد في أسانيدها رجال معروفون بالكذب والوضع، والدس والتزوير.

ثانياً: التوصيات:

1- كتابة رسائل علمية عن عقائد الشيعة، مع التركيز على نقض عقائدهم الباطلة، ومقارنتها بعقائد أهل السنة والجماعة.

2- إعداد رسائل علمية حديثية لبيان تناقض الشيعة في أسانيدهم، وبيان أنها موضوعة.

3- إعداد خطة لتوعية الناس بضلالات وخرافات الشيعة الروافض، بحيث تشمل عمل مؤتمرات علمية ودعوية، ونشرات، وكتب وكتيبات تشمل التعريف بعقائد القوم الفاسدة، وضلالتهم ومواقفهم العدائية من المسلمين.

4- إفراد مقرر جامعي عن الشيعة الروافض لتدريسه للطلاب، فالشيعة الروافض من أخطر الفرق الضالة؛ لانتشار نفوذها.

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع:

- **القرآن الكريم.**

أولاً: مصادر أهل السنة:

ابن أبي العز الحنفي، محمد بن علاء الدين. (د.ت). *شرح العقيدة الطحاوية*. تحقيق: جماعة من العلماء. ط8. بيروت: المكتب الإسلامي.

ابن أبي شيبة، عبد الله بن إبراهيم بن عثمان. (1409هـ). *الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار*. تحقيق: كمال يوسف الحوت. ط1. الرياض: مكتبة الرشد.

ابن أبي يعلى، محمد بن محمد. (د.ت). *طبقات الحنابلة*. تحقيق: محمد حامد الفقي. (د.ط). بيروت: دار المعرفة.

الأبياري، إبراهيم بن إسماعيل. (1405هـ). *الموسوعة القرآنية*. (د.ط). (د.م). مؤسسة سجل العرب.

الآثري، عبد الله بن عبد الحميد. (د.ت). *أنواع الشرك*. موقع مقهى الكتاب. تاريخ الاطلاع: 12 أبريل 2016م، الموقع: www.alkutubcafe.com/book/ mGFUU.htm7.

ابن الأثير، المبارك بن محمد. (1399هـ). *النهاية في غريب الحديث والأثر*. تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود أحمد الطناحي. (د.ط). بيروت: المكتبة العلمية.

الإدريسي، محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحسني الطالبي. (1409هـ). *نزهة المشتاق في اختراق الآفاق*. ط1. بيروت: عالم الكتب.

الأزهري، صالح بن عبد السميع. (د.ت). *الثمر الداني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني*. (د.ط). بيروت: المكتبة الثقافية.

الأشعري، علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل. (1426هـ). *مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين*. تحقيق: نعيم زرزور. ط1. (د.م). المكتبة العصرية.

الأشقر، عمر بن سليمان. (1419هـ). *العقيدة في الله*. ط12. الأردن: دار النفائس للنشر والتوزيع.

الأصبهاني، إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي الطليحي التيمي. (1419هـ). *الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة*. تحقيق: محمد بن ربيع بن هادي عمير المدخلي. ط2. (د.م). (د.ن).

الأصبهاني، الحسين بن محمد. (1412هـ). *المفردات في غريب القرآن*. تحقيق: صفوان عدنان الداودي. ط1. بيروت: دار القلم الشامية.

الأفغاني، شمس الدين بن محمد بن أشرف. (1416هـ). *جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية*. ط1. (د.م). دار الصميعي.

الألباني، محمد ناصر الدين بن الحاج نوح. (1415هـ). *سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها*. ط1. الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع.

الألوسي، أبو المعالي محمود شكري بن عبد الله بن محمد بن أبي الثناء. (1429هـ). *السيوف المشرقة ومختصر الصواقع المحرقة*. تحقيق: مجيد الخليفة. ط1. القاهرة: مكتبة الإمام البخاري للنشر والتوزيع.

الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني. (1415هـ). *روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني*، تحقيق: علي عبد الباري عطية. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.

الآمدي، علي بن أبي علي بن محمد بن سالم. (د.ت). *غاية المرام في علم الكلام*. تحقيق: حسن محمود عبد اللطيف. (د.ط). القاهرة: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

أمين، أحمد. (د.ت). *فجر الإسلام*. (د.ط). القاهرة: مؤسسة هنداوي.

الباجي، سليمان بن خلف بن سعد. (د.ت). *التعديل والتجريح لمن خرج له البخاري في الجامع الصحيح*. تحقيق: أبو لبابة حسين. ط1. الرياض: دار اللواء.

ابن باز، عبد العزيز بن عبد الله. (1395هـ). *العقيدة الصحيحة وما يضادها*. ط7. السعودية: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

بازمول، محمد عمر. (د.ت). *الانتصار لأهل الحديث*. ط1. مكة الكرمة. (د.ن).

البخاري، محمد بن اسماعيل. (د.ت). *الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه المعروف بصحيح البخاري*. (1434هـ). ترقيم وتبويب: محمد فؤاد عبد الباقي. ط2. القاهرة. دار الفجر.

البخاري، محمد بن إسماعيل. (د.ت). *خلق أفعال العباد*. تحقيق: عبد الرحمن عميرة. (د.ط). السعودية: دار المعارف السعودية.

البدر، عبد المحسن بن حمد. (1390هـ). *الإمام البخاري وكتابه الجامع الصحيح*. ط2. المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية.

البرش، هناء عصام محمد. (1437هـ). *الصحابة رضي الله عنهم بين صحيح البخاري والكافي للكليني*. (رسالة ماجستير منشورة). الجامعة الإسلامية-غزة، فلسطين.

البرقعي، آية الله العظمى السيد أبو الفضل ابن رضا. (د.ت). كسر *الصنم (ما ورد في الكتب المذهبية من الأمور المخالفة للقرآن والعقل)*. ط1. الأردن: دار البيارق.

ابن بطال، علي بن خلف. (1423هـ). *شرح صحيح البخاري*. تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم. ط2. السعودية: مكتبة الرشد.

ابن بطة، عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان العكبري. (د.ت). *الإبانة الكبرى*. تحقيق: رضا معطي، وعثمان الأثيوبي، ويوسف الوابل، والوليد بن سيف النصر، وحمد التويجري. (د.ط). الرياض: دار الراية للنشر والتوزيع.

البغدادي، أحمد بن علي بن ثابت. (1422هـ). *تاريخ بغداد*. تحقيق: بشار عواد معروف. ط1. بيروت: دار الغرب الإسلامي.

البغدادي، أحمد بن علي. (د.ت). *جامع لأخلاق الراوي وآداب السامع*. تحقيق: محمود الطحان. (د.ط). الرياض: مكتبة المعارف.

البغدادي، عبد القاهر بن طاهر. (د.ت). *الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية*. ط2. بيروت: دار الآفاق الجديدة.

البغدادي، محمد بن المبارك بن محمد. (1997م). *منتهى الطلب من أشعار العرب*. تحقيق: محمد نبيل الطريفي. (د.ط). بيروت: دار صادر.

البغوي، الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء. (1403هـ). *شرح السنة*. تحقيق: شعيب الأنؤوط ومحمد الشاويش. ط2. بيروت: المكتب الإسلامي.

البغوي، الحسين بن مسعود. (د.ت). *معالم التنزيل في تفسير القرآن المعروف ب"تفسير البغوي"*. تحقيق: عبد الرزاق المهدي. ط1. بيروت: دار إحياء التراث.

البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى. (1423هـ). *شعب الإيمان*. تحقيق: عبد العلي عبد الحميد حامد ومختار أحمد الندوي. ط1. الرياض: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند.

تركي، عبد الله بن عبد المحسن بن عبد الرحمن. (1417هـ). مجمل *اعتقاد أئمة السلف*. ط2. السعودية: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد.

التفتازاني، سعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله.(1401هـ). *شرح المقاصد*. (د.ط). باكستان: دار المعارف النعمانية.

التميمي، عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب بن سليمان. (1377هـ). *فتح المجيد شرح كتاب التوحيد*. تحقيق: محمد حامد الفقي. ط7. القاهرة: مطبعة السنة المحمدية.

التويجري، محمد بن إبراهيم. (د.ت). *موسوعة فقه القلوب*. (د.ط). (د.م). بيت الأفكار الدولية.

ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم الحراني. (1416هـ). مجموع *الفتاوى*. تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم .(د.ط). المدينة المنورة : مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم الحراني. (د.ت). *منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية*. تحقيق: محمد رشاد سالم. ط1. السعودية: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحراني. (1403هـ). *الاستقامة*. تحقيق: محمد رشاد سالم. ط1. المدينة المنورة: جامعة الإمام محمد بن سعود.

ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحراني. (1408هـ). *الفتاوى الكبرى*. ط1. (د.م): دار الكتب العلمية.

ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحراني. (1415هـ). *بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية*. تحقيق: موسى الدويش. ط3. السعودية: مكتبة العلوم والحكم.

ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحراني. (1419هـ). *اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم*. تحقيق: ناصر عبد الكريم العقل. ط7. بيروت: دار عالم الكتب.

ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحراني. (1419هـ). *الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح*. تحقيق: علي بن حسن وعبد العزيز بن إبراهيم وحمدان بن محمد. ط2. السعودية: دار العاصمة.

ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحراني. (1420هـ). *التسعينية*. تحقيق: محمد بن إبراهيم العجلان. ط1. الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع.

ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحراني. (1421هـ).*التدمرية (تحقيق الإثبات للأسماء والصفات وحقيقة الجمع بين القدر والشرع)*. تحقيق: محمد بن عودة السعوي. ط6. الرياض: مكتبة العبيكان.

ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحراني. (1422). *قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة*. تحقيق: ربيع بن هادي عمير المدخلي. ط1. عجمان: مكتبة الفرقان.

ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحراني. (1422هـ). جامع *الرسائل*. تحقيق: محمد رشاد سالم. ط1. الرياض: دار العطاء.

ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحراني. (1426هـ). *العبودية*. تحقيق: محمد زهير الشاويش. ط7. بيروت: المكتب الإسلامي.

ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحراني. (1426هـ). ط1. *بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية*، السعودية: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحراني. (د.ت). *الرد على المنطقيين*. (د.ط). بيروت: دار المعرفة.

ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحراني. (د.ت). مختصر *الفتاوى المصرية*. تحقيق: عبد المجيد سليم ومحمد حامد الفقي. (د.ط). (د.م). مطبعة السنة المحمدية.

ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحراني. *الصفدية*. (1406هـ). تحقيق: محمد رشاد سالم. ط2. مصر: مكتبة ابن تيمية.

ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحراني.(د.ت). *قاعدة عظيمة في الفرق بين عبادات أهل الإسلام والإيمان وعبادات أهل الشرك والنفاق*. تحقيق: سليمان بن صالح الغصن. ط2. الرياض: دار العاصمة.

ابـن تيميـة، أحمـد بـن عبـد الحلـيم بـن عبـد السـلام بـن عبـد الله الحرانــي. (1411هـ). *درء تعـارض العقـل والنقـل*. تحقيـق: محمـد رشـاد سـالم. ط2. السـعودية: جامعـة الإمـام محمد بن سعود الإسلامية.

ابــن جبــرين، عبــد الله بــن عبــد الــرحمن بــن عبــد الله. (د.ت). *شــرح العقيــدة الطحاويــة*. الموقـع الرسـمي للمكتبـة الشـاملة. تـاريخ الاطـلاع: 17 أغسـطس 2016م، الموقـع: shamela.ws/browse.php/book−7724.

ابــن جبــرين، عبــد الله بــن عبــد العزيــز. (د.ت). *تســهل العقيــدة الإســلامية*. ط.2 (د.م). دار العصيمي .

الجرجـاني، علـي بـن محمـد بـن علـي الـزين الشـريف. (1403هـ). *كتـاب التعريفـات*. ط1. لبنان: دار الكتب العلمية بيروت.

الجزائــري، مبــارك بــن محمــد. (1422هـ). *رســالة الشــرك ومظــاهره*. تحقيــق: أبــي عبــد الرحمن محمود. ط1. (د.م). دار الراية للنشر والتوزيع.

جســتنية، بســمة بنــت أحمــد بــن محمــد. (1425هـ). *أثــر الــديانات الوثنيــة فــي عقائــد الرافضة*. (رسالة دكتوراة غير منشورة). جامعة أم القرى: السعودية.

الجمـل، سـليمان بـن عمـر بـن منصـور العجيلـي. (د.ت). *فتوحـات الوهـاب بتوضـيح شـرح منهج الطلاب المعروف بحاشية الجمل*. (د.ط). (د.م). دار الفكر.

الجنيـدي، عبـد الله بـن شـاكر. (1422هـ). *سـد الـذرائع فـي مسـائل العقيـدة علـى ضـوء الكتاب والسنة الصحيحة*. (د.ط). السعودية: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

الجهني، محمد أبو سيف.(د.ت). *وجوه انحراف المتكلمين في مفهوم التوحيد*. تاريخ الاطلاع: 17 أغسطس 2016م، الموقع:
http://www.aqeeda.org/index.php?page...=book&book=547.

ابـن الجـوزي، عبـد الـرحمن بـن علـي. (د.ت). *زاد المسـير فـي علـم التفسـير*. تحقيـق: عبـد الرزاق المهدي. ط1. بيروت: دار الكتاب العربي.

الجـوهري، إسـماعيل بـن حمـاد. (د.ت). *الصـحاح تـاج اللغـة وصـحاح العربيـة*. تحقيـق: أحمد عبد الغفور عطار. ط4. بيروت: دار العلم للملايين.

الحازمي، أحمد بن عمر. *شرح العقيدة الواسطية*. الموقع الرسمي للمكتبة الشاملة. تاريخ الاطلاع: 17 أغسطس 2016م، الموقع: shamela.ws/index.php/book/37630.

الحاكم، محمد بن عبد الله. (د.ت). *المستدرك على الصحيحين*. تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن حبان، محمد الدارمي. (د.ت). *الثقات*. ط1. الهند: دائرة المعارف العثمانية.

ابن حجر، أحمد بن علي بن محمد بن أحمد العسقلاني. (1405هـ). *تغليق التعليق على صحيح البخاري*. تحقيق: سعيد عبد الرحمن موسى القزقي. ط1. بيروت: المكتب الإسلامي.

ابن حجر، أحمد بن علي بن محمد بن أحمد العسقلاني. (د.ت). *هدي الساري مقدمة فتح الباري*. تحقيق: عبد القادر شيبة الحمد. ط1. (د.م). (د.ن).

ابن حجر، أحمد بن علي. (1379هـ). *فتح الباري شرح صحيح البخاري*. (د.ط). بيروت: دار المعرفة.

ابن حجر، أحمد بن علي. (د.ت). *تقريب التهذيب*. تحقيق: محمد عوامة. ط1. سوريا: دار الرشيد.

الحربي، إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم بن بشير. (1405هـ). غريب *الحديث غريب الحديث*. تحقيق: سليمان بن إبراهيم بن محمد العايد. ط1. السعودية: مركز البحث العلمي و إحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى.

ابن حزم، علي بن أحمد .(د.ت). *الفصل في الملل والأهواء والنحل*. (د.ط). القاهرة : مكتبة الخانجي.

الحكمي، حافظ بن أحمد بن علي. (1410هـ). *معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول*. تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر. ط1. الدمام: دار ابن القيم.

الحكمي، حافظ بن أحمد. (1422هـ). *أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة*. ط2. تحقيق: حازم القاضي. السعودية: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد.

الحمد، محمد بن إبراهيم. *توحيد الألوهية*. تاريخ الاطلاع: 21 أغسطس 2016م، الموقع: https://islamhouse.com/ar/books/172696.

الحمد، محمد بن إبراهيم. *توحيد الربوبية*. تاريخ الاطلاع: 25 سبتمبر 2016م، الموقع: https://islamhouse.com/ar/books/172695.

الحملاوي، عمر العرباوي. (1404هـ). *كتاب التوحيد المسمى بالتخلي عن التقليد والتحلي بالأصل المفيد*. (د.ط). (د.م). مطبعة الوراقة العصرية.

الحموي، ياقوت عبد الله. (د.ت). معجم *البلدان*. ط2. بيروت: دار صادر.

ابن حميد، عبد الله بن محمد بن عبد العزيز. (1412هـ). *التوحيد وبيان العقيدة السلفية النقية*. تحقيق: أشرف بن عبد المقصود. ط1. (د.م). مكتبة طبرية.

ابن خزيمة، محمد بن اسحاق.(1414هـ). *كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل*. تحقيق: عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان. ط5 .السعودية: مكتبة الرشد.

الخطيب البغدادي، أحمد بن علي. (د.ت). *الكفاية في علم الرواية*. تحقيق: أبو عبد الله السورقي، وإبراهيم حمدي المدني. (د.ت). المدينة المنورة: المكتبة العلمية.

الخطيب، محب الدين. (د.ت). *الخطوط العريضة للأسس التي قام عليها دين الشيعة*. (د.ط). (د.م). (د.ن).

ابن خلكان، شمس الدين أحمد بن محمد. (د.ت). *وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان*. تحقيق: إحسان عباس. (د.ط). بيروت: دار صادر.

درويش، محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش. (1415هـ). *إعراب القرآن وبيانه*. ط4. سورية: دار الإرشاد للشئون الجامعية.

الدليمي، طه. *المنهج القرآني الفاصل بين أصول الحق والباطل*. (د.ت). موقع شبكة الدفاع عن السنة. تاريخ الاطلاع: 21 أغسطس 2016م، الموقع: www.dd-sunnah.net/forum/showthread.php?t=111051.

الدمشقي، عبد الرزاق. (1413هـ). *حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر*. تحقيق: محمد بهجة البيطار. ط2. بيروت: دار صادر.

الدهلوي، عبد العزيز غلام حكيم. (1373هـ). *مختصر التحفة الإثنى عشرية*. تحقيق: مجب الدين الخطيب.(د.ط). القاهرة : المطبعة السلفية.

الذهبي، محمد بن أحمد . (د.ت). *سير أعلام النبلاء*. ط 1427هـ، القاهرة: دار الحديث.

الذهبي، محمد بن أحمد. (د.ت). *تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام*. تحقيق: محمد عوامة أحمد محمد نمر الخطيب. ط1. جدة: دار القبلة للثقافة الإسلامية، مؤسسة علوم القرآن.

الذهبي، محمد بن أحمد. (د.ت). *ميزان الاعتدال في نقد الرجال*. تحقيق: علي محمد البجاوي.

الرازي، محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين. (1420هـ). *مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير المعروف ب"تفسير الرازي"*. ط3. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

الرشيد، عبد العزيز الناصر. (1416). *التنبيهات السنية على العقيدة الواسطية*. ط2. الرياض: دار الرشيد للنشر.

الرقب، صالح بن حسين بن سليمان. (1412هـ). *مناهج الإسلاميين في إثبات وجود الله تعالى ووحدانيته* (رسالة دكتوراة غير منشورة). جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية- السعودية.

الرقب، صالح حسين سليمان. (1435هـ). الوشيعة في كشف كفريات وشنائع دين الشيعة. ط2. غزة: جمعية أهل السنة أنصار آل البيت والأصحاب

الزبيدي، محمد بن محمد. (د.ط). *تاج العروس من جواهر القاموس*. تحقيق: مجموعة من المحقق. (د.ط). (د.م). دار الهداية.

الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله. (1376هـ). *البرهان في علوم القرآن*. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. ط1. بيروت: دار إحياء الكتب العربية.

الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس. (2002م). *الأعلام*. ط15. (د.م). دار العلم للملايين.

الزيات، أحمد. مصطفى، إبراهيم. عبد القادر، حامد، *المعجم الوسيط*. (د.ت). تحقيق: مجمع اللغة العربية. (د.ط). (د.م). دار الدعوة.

السالوس، علي بن أحمد. (د.ت). *مع الشيعة الإثنا عشرية في الأصول والفروع*. ط7. الرياض: دار الفضيلة.

السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين. (1419هـ). *رفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب*. تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود. ط1. بيروت: عالم الكتب.

السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين. (د.ت). *طبقات الشافعية الكبرى*. تحقيق: محمود محمد الطناحي، وعبد الفتاح محمد الحلو. ط2. (د.م). هجر للطباعة.

السبكي، محمود محمد خطاب. (1401هـ). *الدين الخالص (إرشاد الخلق إلى دين الحق)*. تحقيق: أمين محمود خطاب. ط3. (د.م). (د.ن).

السجزي، عبيد الله بن سعيد بن حاتم. (1423هـ). *رسالة السجزي إلى أهل زبيد في الرد على من أنكر الحرف والصوت*. تحقيق: محمد بن كريم بن عبد الله. ط2. السعودية: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية.

السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن.(د.ت). *عمدة السامع القاري في فوائد صحيح البخاري*. تحقيق: رضوان جامع رضوان. ط1. اليابان: مكتبة أولاد الشيخ.

السخاوي، شمس الدين محمد عبد الرحمن. (د.ت). *فتح المغيث بشرح ألفية الحديث للعراقي*. تحقيق: علي حسين علي. ط1. مصر: مكتبة السنة.

سعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر. (د.ت). *القول السديد شرح كتاب التوحيد*. تحقيق: المرتضى الزين أحمد. ط3. (د.م). مجموعة التحف النفائس الدولية.

السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله. (1420هـ). *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*. تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق. ط1. (د.م). مؤسسة الرسالة.

السفاريني، شمس الدين محمد بن أحمد بن سالم.(1402هـ). *لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية*. ط2. دمشق: مؤسسة الخافقين.

السفيري، شمس الدين محمد بن عمر. (د.ت). *المجالس الوعظية في شرح أحاديث خير البرية صلى الله عليه وسلم من صحيح الإمام البخاري*. تحقيق: أحمد فتحي عبد الرحمن. ط1 .بيروت. دار الكتب العلمية.

ابن سلام، القاسم بن سلام بن عبد الله الهروي. (1421هـ). *كتاب الإيمان ومعالمه، وسننه، واستكماله، ودرجاته*. تحقيق: محمد نصر الدين الألباني. ط1. (د.م). مكتبة المعارف للنشر والتوزيع.

السلمان. عبد العزيز بن محمد. (د.ت). *الكواشف الجلية عن معاني الواسطية*. ط1. الرياض. (د.ن).

السلمي، عبد الرحيم. (د.ت). *شرح كتاب التوحيد*. الموقع الرسمي للمكتبة الشاملة. تاريخ الاطلاع: 21 أغسطس 2016م، الموقع: .page-37803shamela.ws/browse.php/book-121

السهسواني، محمد بشير بن محمد. (د.ت). *صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان*. ط3. (د.م). المطبعة السلفية.

ابن سيده، علي بن إسماعيل. (1421هـ). *المحكم والمحيط الأعظم*. تحقيق: عبد الحميد هنداوي. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر .(د.ت). *طبقات الحفاظ*. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.

الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد الغرناطي. (1417هـ). *الموافقات*. تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان. ط1. (د.م). دار ابن عفان.

الشافعي، عبد العزيز بن صالح المحمود. (1428هـ). *عودة الصفويين*. ط1. مصر: مكتبة الإمام البخاري للنشر والتوزيع.

الشافعي، محمد بن إدريس بن العباس. (1358هـ). *الرسالة*. تحقيق: أحمد شاكر. ط1. مصر: مكتبة الحلبي.

شبكة الدفاع عن السنة. (2015م). *تحريف العبادات عند الشيعة*. تاريخ الاطلاع: 12 أبريل 2016م، الموقع: sunnah.net/forum/showthread.php?t=78631

الشحود، علي بن نايف. (1432هـ). *من مخازي الرافضة عبر التاريخ*. ط2. (د.م). (د.ن).

الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني. (1415هـ). *أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن*. (د.ط). بيروت: دار الفكر للطباعة و النشر والتوزيع.

الشنقيطي، محمد الخضر بن سيد. (1415هـ). *كوثر المعاني الدَّرارِي في كشف خبايا صحيح البخاري*. ط1. بيروت: مؤسسة الرسالة.

الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر. (د.ت). *الملل والنحل*. (د.ط). (د.م) مؤسسة الحلبي.

الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله. (1413هـ). *نيل الأوطار*. تحقيق: عصام الدين الصبابطي. ط1. مصر: دار الحديث.

الشوكاني، محمد بن علي. (د.ت). *ولاية الله والطريق إليها*. تحقيق: إبراهيم هلال. (د.ط). مصر: دار الكتب الحديثة.

الشيباني، أبو عمرو. (1422هـ). *شرح المعلقات التسع*. تحقيق: عبد المجيد همو. ط1. بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.

شيبة الحمد، عبد القادر. (1394هـ). *البهائية إحدى مطايا الاستعمار والصهيونية*. ط7. المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

صالح، أسماء بنت رجب بن سالم. (1437هـ). *عقيدة آل البيت بين أهل السنة والشيعة الإثنا عشرية في مسائل التوحيد* (رسالة ماجستير غير منشورة). الجامعة الإسلامية–غزة، فلسطين.

ابن الصلاح، تقي الدين عثمان بن عبد الرحمن. (1406هـ). *معرفة أنواع علوم الحديث المشهور بمقدمة ابن الصلاح*. تحقيق: نور الدين عتر. (د.ط). سوريا: دار الفكر.

صليبا، جميل. (1414هـ). *المعجم الفلسفي (بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية)*. (د.ط). بيروت: الشركة العالمية للكتاب.

الصنعاني، محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد. (1433هـ). *التَّحبير لإيضاح معاني التَّيسير*. تحقيق: محَمد صُبحي بن حسن حلاق أبو مصعب. ط1. الرياض: مكتبة الرشد.

الصنعاني، محمد بن إسماعيل، الشوكاني، محمد بن علي بن محمد. (1424هـ). *تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد ويليه شرح الصدور في تحريم رفع القبور*. تحقيق: عبد المحسن بن حمد العباد البدر. ط1. الرياض: مطبعة سفير.

صوفي، عبد القادر بن محمد عطا. (1422هـ). *المفيد في مهمات التوحيد*. ط1. (د. م). دار الاعلام.

الطالبي، يحيي بن حمزة بن علي بن إبراهيم. (1423هـ). *الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز*. ط1. بيروت: المكتبة العنصرية.

ظهير، إحسان إلهي. (1415هـ). *الشيعة والتشيع*. ط10. باكستان: دارة ترجمان السنة.

ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد الطاهر. (1425هـ). *مقاصد الشريعة الإسلامية*. تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة. (د.ط). قطر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.

ابـن عاشـور، محمـد الطـاهر بـن محمـد بـن محمـد الطـاهر. (1984م). *تحريـر المعنـى السـديد وتنـوير العقـل الجديـد مـن تفسـير الكتـاب المجيـد*. (د.ط). تـونس: الـدار التونسية للنشر.

ابـن عبـد البـر، يوسـف بـن عبـد الله. (1387هـ). *التمهيـد لمـا فـي الموطـأ مـن المعـاني والأسـانيد*. تحقيـق: مصـطفى البكـري.(د.ط). المغـرب: وزارة عمـوم الأوقـاف والشؤون الإسلامية.

عبـد الحلـيم، جمعـة فتحـي. (د.ت). *روايـات الجـامع الصـحيح ونسـخه "دراسـة نظريـة تطبيقية."* ط1. مصر: دار الفلاح.

عبـد اللطيـف، عبـد العزيـز بـن محمـد بـن علـي. (1412هـ). *دعـاوي المنـاوئين لـدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب*. ط1. السعودية: دار الوطن.

عبـد اللطيـف، عبـد العزيـز بـن محمـد بـن علـي. (1427هـ). *نـواقض الإيمـان القوليـة والعملية*. ط3. (د.م). مدار الوطن للنشر.

ابـن عبـد الهـادي. محمـد بـن أحمـد. (1424هـ). *الصـارم المُنْكِـي فـي الـرد علـى السـبكِي*. تحقيـق: عقيـل بـن محمـد بـن زيـد المقطـري اليمـاني، وقـدم لـه: مقبـل بـن هـادي الوادعي رحمه الله. ط1. بيروت: مؤسسة الريان.

ابـن عبـد الوهـاب، عبـد الـرحمن بـن حسـن بـن محمـد. (1377هـ). *فـتح المجيـد شـرح كتـاب التوحيد*. تحقيق: محمد حامد الفقي. ط7. مصر: مطبعة السنة المحمدية.

ابـن عبـد الوهـاب، محمـد بـن عبـد الوهـاب التميمـي. (د.ت). *كتـاب التوحيـد الـذي هـو حـق الله علـى العبيـد*. تحقيـق: عبـد العزيـز بـن عبـد الـرحمن السـعيد وغيـره. (د.ط). الرياض: جامعة الأمام محمد بن سعود.

ابـن عبـد الوهـاب، محمـد بـن عبـد الوهـاب بـن سـليمان. (د.ت). *أصـول الإيمـان*. تحقيـق: إسماعيل الأنصاري وغيره. (د.ط). الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود.

ابـن عبـد الوهـاب، محمـد.(1417هـ). *الـدرر السـنية فـي الأجوبـة النجديـة*. تحقيـق: عبـد الرحمن بن محمد بن قاسم. ط6. (د.م). (د.ن).

ابـن عبـدالوهاب، سـليمان بـن عبـد محمـد. (1404هـ). *التوضـيح عـن توحيـد الخـلاق فـي جـواب أهـل العـراق وتـذكرة أولـي الألبـاب فـي طريقـة الشـيخ محمـد بـن عبـد الوهـاب*. ط1. السعودية: دار طيبة.

العبود، صالح بن عبد الله. (1424هـ). *عقيدة محمد بن عبد الوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي*. ط2. السعودية: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية.

ابن عثيمين، محمد بن صالح بن محمد. (1421هـ). *شرح العقيدة الواسطية*. ط6. السعودية: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع.

ابن عثيمين، محمد بن صالح بن محمد. *الشرح الممتع على زاد المستقنع*. (1428هـ). ط1.(د.م). دار ابن الجوزي.

ابن عثيمين، محمد بن محمد.(1424هـ). *القول المفيد على كتاب التوحيد*. ط2. السعودية: دار ابن الجوزي.

ابن عدي، عبد الله الجرجاني.(د.ت). *أسامي من روى عنهم محمد بن إسماعيل البخاري من مشايخه في جامعه الصحيح*. تحقيق :عامر حسن صبري. ط1. بيروت: دار البشائر الإسلامية.

العراقي، زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن. (د.ت). *طرح التثريب في شرح التقريب*. (د.ط). القاهرة: الطبعة المصرية القديمة.

ابن عساكر، علي بن الحسن. (1415هـ). *تاريخ دمشق*. عمرو بن غرامة العمروي. (د.ط). (د.م). دار الفكر للطباعة والنشر.

عسيري، أحمد بن علي الزاملي. (1431هـ). *منهج الشيخ عبد الرزاق عفيفي وجهوده في تقرير العقيدة والرد على المخالفين* (رسالة ماجستير غير منشورة). جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية– السعودية.

العقل، ناصر بن عبد الكريم العلي. (د.ت). *شرح كتاب قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة لابن تيمية*. مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية.

علي، جواد. (1422هـ). *المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام*. ط4. (د.م). دار الساقي.

العمري، عزيزة علي الأشول. (2012م). *التناقضات العقدية في مذهب الشيعة الإثنا عشرية* (رسالة دكتوراة غير منشورة). جامعة أم القرى– السعودية.

العمري، محمد بن عبد الله. (د.ت). *الكليني وتقريره عقيدة الشيعة الإمامية من خلال كتابه الكافي* (رسالة ماجستير منشورة). جامعة أم القرى– السعودية.

ابن عيسى، أحمد بن إبراهيم بن حمد بن محمد بن حمد بن عبد الله. (1406هـ). *توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم*. تحقيق: زهير الشاويش. ط3. بيروت: المكتب الإسلامي.

العيني، محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى. (د.ت). *عمدة القاري شرح صحيح البخاري*. (د.ط). بيروت: دار إحياء التراث العربي.

الغامدي، أحمد بن سعد حمدان. (1431هـ). *براءة آل البيت مما نسبته إليهم الروايات*. ط1. (د.م). (د.ن).

الغامدي، أحمد بن عطية بن علي. (1423هـ). *البيهقي وموقفه من الإلهيات* (رسالة دكتوراة منشورة). ط2. جامعة الملك عبد العزيز –السعودية.

الغامدي، عيسى بن عبد الله. (1427هـ). *حقيقة المثل الأعلى وآثاره*. ط1. السعودية: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع.

الغامدي، محمد بن عبد الله زربان. (1423هـ). *حماية الرسول صلى الله عليه وسلم حمى التوحيد*. ط1. السعودية: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد. (1424هـ). *الاقتصاد في الاعتقاد*. تحقيق: عبد الله محمد الخليلي. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.

الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد. (د.ت). *فضائح الباطنية*، تحقيق: عبد الرحمن بدوي. (د.ط). الكويت: مؤسسة دار الكتب الثقافية.

الغصن، عبد الله بن صالح بن عبد العزيز. (1424هـ). *دعاوى المناوئين لشيخ الإسلام ابن تيمية*. ط1. السعودية: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع.

ابن فارس، أحمد القزويني .(1399هـ). معجم *مقاييس اللغة* .تحقيق :عبد السلام محمد هارون. (د.ط). (د.م). دار الفكر.

الفراهيدي، الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم. (د.ت). *كتاب العين*. تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي. (د.ط). (د.م). دار ومكتبة الهلال.

الفقيه، محمد بن حسين بن سليمان. (1422هـ). *الكشف المُبْدي لتمويه أبي الحسن السبكيّ*. تحقيق: صالح بن علي المحسن، أبو بكر بن سالم شهال. ط1. الرياض: دار الفضيلة.

الفهد، ناصر. (د.ت). *الأصول الشرعية في التوحيد والشرك*. موقع المكتبة العلمية. تاريخ الاطلاع: 12 أبريل 2016م، الموقع: /html33ilmiya.net/category.

الفوزان، صالح بن فوزان. (1423هـ). *إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد*. ط3. السعودية: مؤسسة الرسالة.

الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب.(د.ت). *القاموس المحيط*. تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة. ط8. بيروت: مؤسسة الرسالة.

القاري، علي بن سلطان محمد. (1014هـ). *مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح*. ط1. بيروت: دار الفكر.

ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم. (1412هـ). *الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة*. تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر. ط1. (د.م). دار الراية.

القحطاني، عبد الرحمن بن القاسم. *حاشية كتاب التوحيد*. (1408هـ). ط3. (د.م). (د.ن).

القرافي، شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن. (1393هـ). *شرح تنقيح الفصول*. تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد. ط1. (د.م). شركة الطباعة الفنية المتحدة.

القرطبي، شمس الدين محمد بن أحمد.(د.ت). *الجامع لأحكام القرآن، المعروف بتفسير القرطبي*. تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم اطفيش. ط2. القاهرة: دار الكتب المصرية.

القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي.(د.ت). *الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن الإسلام*. تحقيق: أحمد حجازي السقا. (د.ط). القاهرة: دار التراث العربي.

القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر. (د.ت). *المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم*. تحقيق: محي الدين ديب مستو، وأحمد محمد السيد، ويوسف علي بديوي، ومحمود إبراهيم بزال. (د.ط). بيروت: دار ابن كثير.

القرني، عبد الله بن محمد. *ضوابط التكفير عند أهل السنة والجماعة*. (د.ت). ط2. (د.م). (د.ن).

القزويني، محمد بن عبد الرحمن بن عمر. (د.ت). *الإيضاح في علوم البلاغة*. تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي. ط3. بيروت: دار الجيل.

القسطلاني، أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك. (1323هـ). *إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري*. ط7. مصر: المطبعة الكبرى الأميرية.

ابن القطان، علي بن محمد بن عبد الملك. (1418هـ). *بيان الوهم والإيهام في كتاب الأحكام*. تحقيق: الحسين آية سعيد. ط1. الرياض: دار طيبة.

القفاري، ناصر بن عبد الله. (1407هـ). *أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثنا عشرية* (رسالة دكتوراة منشورة). جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية–السعودية.

القيرواني، عبد الله بن عبد الرحمن النفزي. (د.ت). *مقدمة رسالة أبي زيد القيرواني*. تحقيق: بكر بن عبد الله أبو زيد. ط1. الرياض: دار العاصمة.

القيسي، مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني. (1429هـ). *الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه*. تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي. ط1. الشارقة: مجموعة بحوث الكتاب والسنة.

ابن القيم، محمد بن أبي أيوب بن سعد بن قيم الجوزية. (1394هـ). *طريق الهجرتين وباب السعادتين*. ط2. مصر: دار السلفية.

ابن القيم، محمد بن أبي أيوب بن سعد بن قيم الجوزية. (1416هـ). *مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين*. تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي. ط3. بيروت: دار الكتاب العربي.

القيم، ابن محمد بن أيوب بن سعد بن قيم الجوزية. (1398هـ). *شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل*.(د.ط). بيروت: دار المعرفة.

ابن القيم، محمد بن أيوب بن سعد بن قيم الجوزية. (1408هـ). *الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة*. تحقيق: علي بن محمد الدخيل الله. ط1. السعودية: دار العاصمة.

ابن القيم، محمد بن أيوب بن سعد بن قيم الجوزية. (1409هـ). *عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين*. ط3. بيروت: دار ابن كثير.

ابن القيم، محمد بن أيوب بن سعد بن قيم الجوزية. (1411هـ). *إعلام الموقعين عن رب العالمين*. تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن القيم، محمد بن أيوب بن سعد بن قيم الجوزية. (1418هـ). *الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء*. ط1. المغرب: دار المعرفة.

ابن القيم، محمد بن أيوب بن سعد بن قيم الجوزية. (د.ت). *بدائع الفوائد*. (د.ط). بيروت: دار الكتاب العربي.

الكاساني، علاء الدين بن مسعود بن أحمد. (1406هـ). *بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع*. ط2. (د.م). دار الكتب العلمية.

الكتاني، محمد عبد الحي بن عبد الكبير.(د.ت). *فهرس الفهارس والإثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات*. تحقيق: إحسان عباس. ط2. بيروت: دار الغرب الإسلامي .

ابن كثير، إسماعيل بن عمر. (1420هـ). *تفسير القرآن العظيم*. تحقيق: سامي بن محمد سلامة. ط2. (د.م). دار طيبة للنشر والتوزيع.

ابن كثير، إسماعيل بن عمرو بن كثير. (1408هـ). البداية والنهاية. تحقيق: علي شيري. ط1. (د.م). دار إحياء التراث العربي.

الكرماني، شمس الدين محمد بن يوسف.(د.ت). *الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري*. ط1. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

اللالكائي، هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي. *شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة*. (1423هـ). تحقيق: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي. ط8. السعودية: دار طيبة.

ابن ماكولا، علي بن هبة الله .(د.ت).*الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب*. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية .

المباركفوري، محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم. (د.ت). *تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي*. (د.ط). بيروت: دار الكتب العلمية.

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية. (د.ت). موسوعة *المفاهيم الإسلامية العامة*. (د.ط). مصر. (د.ن).

مجموعة *من الباحثين بإشراف الشيخ عَلوي بن عبد القادر* السقاف. (1433هـ). *الموسوعة العقدية- الدرر السنية*. تاريخ الاطلاع: 24 أكتوبر 2016م، الموقع: . http://shamela.ws/index.php/book

المروزي، محمد بن نصر بن الحجاج. (1406هـ). *تعظيم قدر الصلاة*. تحقيق: عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي. ط1. السعودية: مكتبة الدار.

ابن مفلح، ابراهيم بن محمد. (د.ت). *المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد*. تحقيق: عبد الرحمن بن سليمان العثيمين. ط1. الرياض: مكتبة الرشيد.

المقريزي، أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي. *تجريد التوحيد*. (1409هـ). تحقيق: طه محمد الزيني. (د.ط). السعودية: الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة.

ابن الملقن، سراج الدين عمر بن علي بن أحمد. (1429هـ). *التوضيح لشرح الجامع الصحيح*. تحقيق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث. ط1. دمشق: دار النوادر.

ابن منده، محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى. (1406هـ). *الإيمان*. تحقيق: علي بن محمد بن ناصر الفقيهي. ط2. بيروت: مؤسسة الرسالة.

ابن منده، محمد بن إسحاق. (1412هـ). أسامي مشايخ الإمام البخاري. تحقيق: نظر محمد الفاريابي. ط1. (د.م). مكتبة الكوثر.

ابن منظور، محمد بن مكرم. *لسان العرب*. ط3. بيروت: دار صادر.

مؤسسة آل البيت. (1987هـ). الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط (فهارس آل البيت). (د.ط). مآب: مؤسسة آل البيت.

ابن الموصلي، محمد بن محمد بن عبد الكريم. (1422هـ). *مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة*. تحقيق: سيد إبراهيم. ط1. مصر: دار الحديث.

موقع شبكة الألوكة. (2012م). *تعريف الأسماء الحسنى والفرق بين الاسم والوصف والفعل*. تاريخ الاطلاع: 10 مارس 2016م، الموقع: 28952/0http://www.alukah.net/sharia/

موقع فيصل نور. (2013م). *شبهات الشيعة والرد عليها*. تاريخ الاطلاع: 10 مارس 2016م، الموقع: www.fnoor.com/main/articles.aspx?article_no=11593

موقع فيصل نور. (2013م). *موقف الشيعة من بعض العبادات*. تاريخ الاطلاع: 15 يونيو 2016م، الموقع: www.fnoor.com/main/articles.aspx?article_no=11593

ابن ناصر الدين، محمد بن عبد الله. (1413هـ). تحفة الإخباري بترجمة البخاري. تحقيق: محمد بن ناصر العجمي. ط1. (د.م).

ابن ناصر الدين، محمد بن عبد الله. (د.ت). *توضيح ضبط المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم*. تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي.ط1. بيروت: مؤسسة الرسالة.

الندوة العالمية للشباب الإسلامي. (1420هـ). *الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة*. إشراف: مانع بن حماد الجهني. ط4.

النعمي، محمود بن أحمد. (د.ت). *تيسير مصطلح الحديث*. ط10. (د.م). مكتبة المعارف.

نور، خالد بن عبد اللطيف بن محمد. (1416هـ). *منهج أهل السنة والجماعة ومنهج الأشاعرة في توحيد الله تعالى* (رسالة ماجستير منشورة). ط1. الجامعة الإسلامية- المدينة المنورة، السعودية.

النورسي، بديع الزمان سعيد. (1988م). *حقيقة التوحيد أو التوحيد الحقيقي*. ط2. دار سوزلر للطباعة والنشر.

النووي، محيي الدين يحيى بن شرف. (د.ت). *تهذيب الأسماء واللغات* .(د.ت). بيروت: دار الكتب العلمية.

النووي، يحيي بن شرف. (د.ت). *دقائق المنهاج*. تحقيق: إياد أحمد الغوج. (د.ط). بيروت: دار ابن حزم.

النيسابوري، مسلم بن الحجاج. (د.ت). *المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم*. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. (د.ط). بيروت: دار إحياء التراث العربي.

الهروي. محمد بن أحمد بن الأزهري. (2001م). *تهذيب اللغة*. تحقيق: محمد عوض مرعب. ط1. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

الهيثمي، أحمد بن محمد بن علي بن حجر. (1428هـ). *الإعلام بقواطع الإسلام من قول أو فعل أو نية أو تعليق مكفر*. تحقيق: محمد عواد العواد.ط1. سوريا: دار التقوى.

ابن الوزير، محمد بن إبراهيم بن علي اليمني.(1987م). *إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات إلى المذهب الحق من أصول التوحيد*. ط2. بيروت: دار الكتب العلمية.

الولَّوي، محمد بن علي بن آدم بن موسى الإثيوبي. (1416هـ). *ذخيرة العقبى في شرح المجتبى*. ط1. (د.م). دار المعراج الدولية للنشر.

ثانياً: مصادر المعتزلة:

الزمخشري، محمود بن عمرو بن أحمد. (1407هـ). *الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل*. ط3. بيروت: دار الكتاب العربي.

عبد الجبار، عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار. (1382هـ). *المغني في أبواب التوحيد والعدل*. تحقيق: أحمد فؤاد الأهواني. ط1. مصر: وزارة الثقافة والإرشاد القومي.

عبد الجبار، عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار. (1416هـ). *شرح الأصول الخمسة*. تحقيق: عبد الكريم عثمان. ط3. القاهرة: مكتبة وهبة.

عبد الجبار، عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار. (1972م). *المنية والأمل*. تحقيق: سامي النشار، وعصام الدين محمد. (د.ط). الإسكندرية: دار المطبوعات الجامعية.

عبد الجبار، عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار. (د.ت). *تنزيه القرآن عن المطاعن*. (د.ط). (د.م). دار النهضة الحديثة.

ثالثاً: مصادر الشيعة:

ابن أبي الحديد. (د.ت). *شرح نهج البلاغة*. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. ط2. (د.م). دار إحياء الكتب العربية.

الأتابكي، يوسف بن تغري بردي. (د.ت). *النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة*. (د.ط). القاهرة: وزارة الثقافة والارشاد القومي.

الأربلي، علي بن عيسى. *كشف الغمة في معرفة الأئمة*. (1405ه). ط2. بيروت: دار الأضواء.

الأردبيلي، محمد بن علي. (د.ت). *جامع الرواة وإزاحة الإشتباهات عن الطرق والإسناد*. ط1. إيران: مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي.

آشوب، ابن شهر. (د.ت). *معالم العلماء*. (د.ط). قم. (د.ن).

الأصفهاني، عبد الله أفندي. (د.ت). *رياض العلماء وحياض الفضلاء*. تحقيق: أحمد الحسيني. ط1. (د.م). مطبعة الخيام.

الأمير، عبد الجليل علي. (1433ه). *شرح أصول العقائد*. تحقيق: عبد الله الإحقاقي. ط1. بيروت: دار الوعي الإسلامي.

الأميني، عبد الحسين أحمد. *الغدير في الكتاب والسنة والأدب*. (1397ه). ط4. بيروت: دار الكتاب العربي.

ابن بابويه القمي، علي بن الحسين. *الإمامة والتبصرة من الحيرة*. (1404ه). تحقيق: مدرسة الإمام المهدي. ط1. قم: مدرسة الإمام المهدي.

ابن بابويه القمي، علي بن الحسين. *الفقه المنسوب للإمام الرضا*. (1406ه). تحقيق: مؤسسة آل البيت. ط1. (د. م). المؤتمر العالمي للإمام الرضا عليه السلام.

بحر العلوم ، محمد مهدي. (د.ت). *رجال السيد بحر العلوم المعرف ب"الفوائد الرجالية"*. تحقيق: محمد صادق بحر العلوم، وحسين بحر العلوم، ط1. (د.م). مكتبة الصادق.

بحر العلوم، محمد علي. (1427ه). *الإمامة الإلهية*. تحقيق: تقرير بحث الشيخ محمد السند لسيد محمد علي بحر العلوم. ط1. قم: منشورات الإجتهاد.

البحراني، هاشم. (1427ه). *البرهان في تفسير القرآن*. تحقيق: مجموعة من المحققين. ط2. بيروت: مؤسسة الأعلمي.

البحراني، يوسف بن أحمد. (د.ت). *لؤلؤة البحرين في الإجازات وتراجم رجال الحديث*. تحقيق: محمد صادق بحر العلوم، ط1. البحرين: مكتبة فخراوي .

البحراني، يوسف. *الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة*. (د. ت). (د. ط). قم: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين.

ابن البراج، عبد العزيز الطرابلسي. (1411هـ). *جواهر الفقه*. تحقيق: إبراهيم بهادري. ط1. قم: مؤسسة النشر الإسلامي.

البروجردي، حسين. (1416هـ). *تفسير الصراط المستقيم*. (د. ط). قم: مؤسسة أنصاريان.

البروجردي، حسين. (د.ت). *جامع أحاديث الشيعة*. (د. ط). قم : المطبعة العلمية.

البروجردي، علي أصغر الجابلقي. (د.ت). *طرائف المقال في معرفة طبقات الرجال*. تحقيق: السيد مهدي الرجائي. ط1. إيران: كتبة آية الله العظمى المرعشي .

البصري، أحمد بن عبد الرضا البصري. (1422هـ). *فائق المقال في الحديث والرجال*. تحقيق: غلا محسين قيصريه. ط1. قم: دار الحديث.

ابن تغري، يوسف. (د.ت). *النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة*. (د. ط). القاهرة: وزارة الثقافة والارشاد القومي.

الجزائري، نعمة الله الجزائري. (1417هـ). *نور البراهين أو أنيس الوحيد في شرح التوحيد*. تحقيق: مهدي الرجائي. ط1. قم: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين.

الجزائري، نعمة الله. (1431هـ). *الأنوار النعمانية*. تحقيق: محمد علي الطباطبائي. ط1. بيروت: مؤسسة الأعلمي.

الجلالي، محمد رضا. (1420هـ). *المنهج الرجالي والعمل الرائد في الموسوعة الرجالية لسيد البروجردي*. ط1. قم: مركز النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي.

الجواهري، محمد حسن. (1365هـ). *جواهر الكلام في شرح شرائع الاسلام*. (1365هـ). تحقيق: عباس القوجاني. ط2. طهران: دار الكتب الإسلامية.

الحائري، عبد الرسول. (1435هـ). أحكام الشريعة. ط11. (د.م). (د.ن).

الحائري، كاظم الحسيني. (1432هـ). *أصول الدين*. ط4. قم: مكتبة آية الله العظمى السيد الحائري.

حجازي، سيد مهدي. (1419هـ). *درر الأخبار من بحار الأنوار*. ط1. (د.م). دفتر مطالعات تاريخ ومعارف إسلامي.

الحر العاملي، محمد بن الحسن. (1414هـ). *وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة*. (ط2). قم: مؤسسة آل البيت عليهم السلام.

الحر العاملي، محمد بن الحسن. (1418هـ). *الفصول المهمة في أصول الأئمة*. (1418هـ). تحقيق: محمد بن محمد الحسين القائيني. ط1. قم: مؤسسة معارف إسلامي.

الحسيني، هاشم معروف. (د.ت). *دراسات في الحديث والمحدثين*. ط2. بيروت: دار المعارف.

الحلبي، تقي بن نجم. *تقريب المعارف*. (1417هـ). تحقيق: فارس تبريزيان (الحسون). (د. ط). (د.م). (د.ن).

الحلي، ابن المطهر. (1417هـ). *كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد*. تحقيق: حسن زاده الآملي. ط7. قم: مؤسسة النشر الإسلامي.

الحلي، الحسن بن يوسف بن المطهر. *تذكرة الفقهاء*. (1414هـ). تحقيق ونشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام- قم. ط1.

الحلي، نجم الدين أبي القاسم جعفر بن الحسن. *المعتبر*. (1364هـ). تحقيق: ناصر مكارم شيرازي. (د.ط). قم: مؤسسة سيد الشهداء.

الحميري، محمد بن عبد المنعم. (1984م). *الروض المعطار في خبر الأقطار*. تحقيق: إحسان عباس. ط2. بيروت: مكتبة لبنان.

الحويزي، *عبد علي بن جمعة*. *تفسير نور الثقلين*. تحقيق: هاشم الرسولي المحلاتي. (1412هـ). ط4. قم: مؤسسة إسماعيليان للطباعة.

الخاجوئي، ملا محمد إسماعيل، *الرسائل الفقهية*. (1411هـ). تحقيق: مهدي الرجائي. ط1. قم: دار الكتب الاسلامي.

الخرساني، محمد تقي النقوي. *مفتاح السّعادة في شرح نهج البلاغة*. (د. ت). (د. ط). طهران: مكتبة المصطفوي.

الخرساني، وحيد. *منهاج الصالحين*. (د. ت). (د. ط). (د. م). (د. ن).

الخميني، روح الله الموسوي. (1389هـ). *الحكومة الإسلامية*. ط3. (د.م). (د.ن).

الخميني، روح الله الموسوي. *تحرير الوسيلة*. (1418هـ). تحقيق: مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني. ط1. (د. م).

الخميني، روح الله. (1431هـ). *الأربعون حديثاً*. تعريب: محمد الغروي. ط1. لبنان: دار زين العابدين.

الخميني، *مصباح الهداية إلى الخلافة والولاية*. (د. ت). ط6. طهران: مؤسسة تنظيم و نشر آثار الإمام الخميني.

الخواجائي، محمد إسماعيل بن الحسين. *جامع الشتات*. (1418هـ) تحقيق: مهدي الرجائي. ط1. (د. م). (د. ن).

الخوانساري، محمد باقر الموسوي. (د.ت). *روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات*. ط1. بيروت. (د.ن).

الخوئي، أبو القاسم الموسوي. (د.ت). *معجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرواة*. ط5. (د.م).(د.ن).

الخوئي، حبيب الله الهاشمي. *منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة*. (د. ت). تحقيق : سيد إبراهيم الميانجي. ط4. إيران: دار الهجرة.

الخوئي، علي أكبر بن هاشم. *منهاج الصالحين*. (1410هـ). (ط28). قم. السيد الخوئي.

ابن داود، تقي الدين الحسن بن علي. (د.ت). *الرجال*. تحقيق: محمد صادق آل بحر العلوم. (د.ط). النجف: المطبعة الحيدرية.

دشتي، عبد الله. *الخلل الوهابي في فهم التوحيد*. شبكة الشيعة العالمية (shiaweb.org/books/khalal_alwahabia/index.html).

الراوندي، سعيد بن وهبة الله. *منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة*. (1406هـ). تحقيق: عبد اللطيف الكوكهمري. (د. ط). قم: مكتبة آية الله المرعشي العامة.

الراوندي، قطب الدين. *الخرائج والجرائح*. (1409هـ). تحقيق : مؤسسة الإمام المهدي. ط1. قم: مؤسسة الإمام المهدي.

الريشهري، محمد. (1425هـ). *موسوعة العقائد الإسلامية*. تحقيق : مركز بحوث دار الحديث. ط1. قم: در الحديث.

الريشهري، محمد. *(د.ت). ميزان الحكمة*. تحقيق: دار الحديث. ط1. قم. (د.ن).

الزراري، أبو غالب. (1399هـ). *رسالة في آل أعين*. تحقيق: محمد علي الموسوي الموحد الأبطحي الأصفهاني. (د.ط). (د.م). مطبعة رباني.

السبحاني، جعفر. (1347هـ). *الإلهيات على هدى الكتاب والسنة والعقل*، محاضرات لجعفر السبحاني بقلم: محمد مكي العاملي. ط7. قم: مؤسسة الإمام الصادق.

السبحاني، جعفر. (1409هـ). *الإلهيات على هدى الكتاب والسنة والعقل*. . ط1. بيروت: الدار الإسلامية.

السبحاني، جعفر. (1419هـ). *العقيدة الإسلامية على ضوء مدرسة أهل البيت*. تحقيق: جعفر الهادي. ط1. قم: مؤسسة الإمام الصادق.

السبحاني، جعفر. (1419هـ). *رسائل ومقالات*. ط1. قم: مؤسسة الإمام الصادق.

السبحاني، جعفر. (1431هـ). *مفاهيم القرآن*. ط1. بيروت: مؤسسة التاريخ العربي.

السبحاني، جعفر. (د.ت). *الفقه الإسلامي منابعه وأدواره*، ط1. (د.م). مؤسسة الإيمان الصادق.

السبحاني، جعفر. *بحوث قرآنية في التوحيد والشرك*. (د. ت). (د. ط). (د. م). (د. ن).

السبحاني، جعفر. *لب الأثر في الجبر والقدر*. (1418هـ). ط1. قم: اعتماد.

السبزواري، عبد الأعلى الموسوي. *مهذب الأحكام في بيان الحلال والحرام*. (1413هـ). ط4. (د. م). مكتبة السبزواري.

السبزواري، محمد بن محمد. *جامع الأخبار أو معارج اليقين في أصول الدين*. (1413 هـ). تحقيق: علاء آل جعفر. ط1. (د. م). مؤسسة آل البيت.

السبزواري، محمد بن محمد. *جامع الأخبار أو معارج اليقين في أصول الدين*. (1413هـ). تحقيق: علاء آل جعفر. ط1. قم: مؤسسة آل البيت.

السبزواري، محمد بن محمد. *ذخيرة المعاد*. (د.ط). (د.م). مؤسسة آل البيت لإحياء التراث.

السمعاني، عبد الكريم بن محمد. (1408هـ). *الأنساب*. تحقيق: عبد الله عمر البارودي. ط1. بيروت: دار الجنان للطباعة والنشر والتوزيع.

ابن شاذان، محمد بن أحمد. *مائة منقبة من مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب والأئمة من ولده عليهم السلام*. (1407هـ). تحقيق: مدرسة الإمام المهدي بالحوزة العلمية. ط1. قم: مدرسة الإمام المهدي بالحوزة.

الشاهرودي، علي النمازي. (1418هـ). *مستدرك سفينة البحار*. تحقيق: حسن بن علي. (د.ط). (د.م). (د.ن).

الشاهرودي، علي النمازي. (د.ت). *مستدركات علم رجال الحديث*. ط1. أصفهان: مطبعة شفق.

شريعتي، علي. التشيع العلوي والتشيع الصفوي. (1428هـ). ط2. بيروت: دار الأمير.

ابن شعبة الحراني، الحسن بن علي. *تحف العقول عن آل الرسول صلى الله عليهم*. (1363). تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري. ط2. قم: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين.

الشهرستاني، علي. *منع تدوين الحديث*. (1420هـ). ط1. قم: مركز الأبحاث العقائدية.

الشيرازي، ناصر مكارم. *الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل*. (د. ت). (د. ط). (د. م). (د. ن).

الصدر، حسن. (د.ت). *نهاية الدراية في شرح الرسالة الموسومة بالوجيزة للبهائي*. تحقيق: ماجد الغرباوي. (د. ط). قم: نشر المشعر.

الصدوق، محمد بن علي القمي. (1414هـ). *الاعتقادات في دين الإمامية*. تحقيق: عصام العبد السيد. ط2. بيروت: دار المفيد.

الصدوق، محمد بن علي القمي. (1417هـ). *الأمالي*. تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية. ط1. قم: مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة.

الصدوق، محمد بن علي القمي. (1418هـ). *الهداية*. تحقيق: مؤسسة الإمام الهادي. ط1. قم: مؤسسة الإمام الهادي.

الصدوق، محمد بن علي القمي. (د.ت). *الأمالي*. تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية- مؤسسة البعثة. ط1. قم: مؤسسة البعثة.

الصدوق، محمد بن علي القمي. (د.ت). *عيون أخبار الرضى*. ط1. بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.

الصدوق، محمد بن علي القمي. *من لا يحضره الفقيه*. (د. ت). تحقيق: علي أكبر الغفاري. ط2. قم: جماعة المدرسين في الحوزة العلمية.

الصدوق، محمد علي القمي. *التوحيد*. (د. ت). تحقيق: هاشم الحسيني الطهراني. (د. ط). قم: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين.

الصفار، فاضل. (1434هـ). *مبادئ وأصول المعارف دراسة منهجية مقارنة*. تحقيق: أمين فهد الحلي. (د.ط). كربلاء. (د.ن).

الصفدي. (1420هـ). *الوافي بالوفيات*. حقيق : أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى. (د.ط). بيروت: دار إحياء التراث.

ابن طاوس، علي بن موسى. (0731هـ). *كشف المحجة لثمرة المهجة*. (د.ط). النجف: المطبعة الحيدرية.

الطباطبائي، محمد بن حسين. (د.ت). *تفسير الميزان*. (د.ط). قم: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين.

الطباطبائي، محمد سعيد. (1427هـ). *أصول العقيدة*. ط1. (د.م). دار الهلال.

الطبرسي، أحمد بن علي. *الاحتجاج*. (1386هـ). (د. ط). النجف: دار النعمان.

الطبرسي، الفضل بن الحسن. (د.ت). *تفسير مجمع البيان*. تحقيق: لجنة من العلماء والمحققين. ط1. 1415هـ. بيروت: مؤسسة الأعلمي الفيصلي.

الطبرسي، حسين النوري. (1408هـ). *مستدرك الوسائل*. تحقيق: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث. ط1. بيروت: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث.

الطبرسي، حسين النوري. (1415هـ). *النجم الثاقب*. تحقيق: ياسين الموسوي. ط1. قم: أنوار الهدى.

الطريحي، فخر الدين. (د.ت). *جامع المقال فيما يتعلق بأحوال الحديث الرجال*. تحقيق: كاظم الطريحي. ط1. بيروت: مؤسسة التاريخ العربي.

الطهراني، أغا بزرك. (د.ت). *الذريعة إلى تصانيف الشيعة*. ط3. بيروت: دار الأضواء.

الطهراني، أغا بزرك. (د.ت). *طبقات أعلام الشيعة*. ط1. دار إحياء التراث العربي.

الطوسي، محمد بن الحسن. (1407هـ). *الخلاف*. (د.ط). قم: مؤسسة النشر الإسلامي.

الطوسي، محمد بن الحسن. (د.ت). *اختيار معرفة الرجال*، المعروف برجال الكشي. تحقيق: مهدي الرجائي. (د.ط). قم: مؤسسة آل البيت.

الطوسـي، محمـد بـن الحسـن. (د.ت). *الفهرسـت*. تحقيـق: جـواد القيـومي. ط1. (د.م). مؤسسة نشر الفقاهة.

الطوسـي، محمـد بـن الحسـن. *الاستبصـار فيمـا اختلـف مـن الاخبـار*. (د. ت). تحقيـق: حسن الموسوي الخرسان. (د. ط). طهران: دار الكتب الاسلامية.

الطوسـي، محمـد بـن الحسـن. *التبيـان فـي تفسـير القـرآن*. (1209هـ). تحقيـق: أحمـد حبيب قصير العاملي. (ط1). (د. م). مكتب الاعلام الاسلامي.

الطوسـي، محمـد بـن الحسـن. *تـهذيب الأحكـام فـي شـرح المقنعـة للشـيخ المفيد رضـوان الله عليــه*. (د. ت). تحقيــق: حســن الموســوي الخرســان. طهــران: دار الكتــب الإسلامية.

عاشـور، علــي. (د.ت). *الولايــة التكوينيــة لآل محمـد عليـه السـلام*. (د. ط). (د. م). (د. ن).

العاملي. (1421هـ). *الانتصار*. ط1. لبنان: دار السيرة.

العــاملي، أمــين تــرمس. (د.ت). *ثلاثيــات الكلينــي*. ط1. (د.م). مؤسســة دار الحــديث الثقافية .

العــاملي، حســن بــن زيــن الــدين. (1416هـ). *معــالم الــدين ومــلاذ المجتهـدين*. ط12. (د.م). مؤسسة النشر الإسلامي.

العــاملي، زيــن الــدين *بـن علـي*.*(1421هـ)*. *رسـائل الشـهيد الثـاني*. (1421هـ). تحقيـق: مركــز الأبحــاث والدراســات الإســلامية. (ط1). قــم: مركــز النشــر التــابع لمكتــب الإعلام الإسلامي.

العاملي، علي الكوراني. *الوهابية والتوحيد*. (1419هـ). ط2. بيروت: دار السيرة.

العــاملي، محمـد بـن جمـال الـدين مكـي. (1386هـ). *الروضــة البهيـة فــي شـرح اللمعـة الدمشــقية*. تحقيــق: الســيد محمــد كلانتــر. ط2. (د.م). (د.م). منشــورات جامعــة النجف الدينية.

العــاملي، محمـد بـن مكـي. (1417هـ). *الــدروس الشـرعية فــي فقـه الإماميــة*. تحقيــق: مؤسســة النشــر الإســلامي. ط2. قــم: مؤسســة النشــر الإســلامي التابعــة لجماعــة المدرسين.

العراقــي، آقــا مجتبــى. (1421هـ). *أهميــة الحــديث عنــد الشــيعة*. ط1. (د.م). مؤسســة النشر الإسلامي.

العسكري، مرتضى. (د.ت). *معالم المدرستين بحوث المدرستين في الصحابة والإمامة*. (د.ط). بيروت: مؤسسة النعمان.

عصفور، محسن. *القراءات القرآنية في كتاب العين*. موقع السراج، (www.alseraj.net/maktaba/kotob/quran/kerat/books/kotob).

علم الهدى، محمد باقر. (1435هـ). *معرفة الله تعالى دراسة تحليلية في المعرفة العقلية والمعرفة الفطرية والفرق بينهما*. تحقيق: علي الرضوي. ط1. قم: دار الولاية للنشر.

العميدي، ثامر هاشم حبيب. (1372هـ). *الشيخ الكليني البغدادي وكتابه الكافي*. ط1. قم: مكتب الإعلام الإسلامي.

العميدي، ثامر هاشم حبيب.(1415هـ). *دفاع عن الكافي–دراسة نقدية مقارنة لأهم الطعون والشبهات المثارة حول كتاب الكافي للشيخ الكليني*. ط1. (د.م). مركز الغدير للدراسات الإسلامية.

العياشي، محمد بن مسعود. (د.ت). *تفسير العياشي*. تحقيق: هاشم المحلاتي. (د.ط). طهران: المكتبة العلمية الإسلامية.

ابن الغضائري، أحمد بن الحسين. (د.ت). *الرجال*. تحقيق: محمد رضا الحسيني. ط1. (د.م). دار الحديث.

الغفار، عبد الرسول عبد الحسن. (د.ت). *الكليني والكافي*. ط1. قم: مؤسسة النشر الإسلامي.

فتح الله، أحمد. (1415هـ). معجم *ألفاظ الفقه الجعفري*. ط1. الدمام: مطابع المدوخل.

الفياض، محمد إسحاق. *محاضرات في أصول الفقه (تقرير بحث السيد الخوئي)*. (1419هـ). ط1. قم: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين.

القبانجي، حسن. (1421هـ). *مسند الإمام علي عليه السلام*. تحقيق: طاهر السلامي. ط1. بيروت: مؤسسة الأعلمي.

القرشي، باقر شريف. *حياة الإمام الحسين بن علي عليهما السلام*. (1398هـ). ط1. النجف: مطبعة الآداب.

القمي، عباس. (د.ت). *الكنى والألقاب*. (د .ط). طهران: مكتبة الصدر.

القمي، عباس. *الأنوار البهية في تواريخ الحجج الإلهية*. (1417هـ). تحقيق ونشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين – قم. ط1.

القمي، محمد المؤمن. (1428هـ). *الولاية الإلهية الإسلامية*. ط2. قم: مؤسسة النشر الإسلامي.

ابن قولويه، جعفر بن محمد. (د.ت). *كامل الزيارات*. تحقيق: جواد القيومي، ولجنة تحقيق. ط1. مؤسسة نشر الفقاهة.

الكاشاني، محسن. (1406هـ). *الوافي*. تحقيق: ضياء الدين الحسيني الأصفهاني. ط1. أصفهان: مكتبة الإمام أمير المؤمنين علي رضي الله عنه.

الكاشاني، محسن. (1416هـ). *تفسير الصافي*. تحقيق: حسين الأعلمي. ط2. طهران: مكتبة الصدر.

كاشف الغطاء، جعفر. (1422هـ). *كشف الغطاء عن مبهمات الشريعة الغراء*. تحقيق: عباس التبريزيان، محمد رضا الذاكري، وعبد الحليم الحلي. ط1. (د.م). مكتب الإعلام الإسلامي.

كاشف الغطاء، علي. (1381هـ). *النور الساطع في الفقه النافع*. (د.ط). (د.م). مطبعة الآداب.

كاشف الغطاء، علي. (1381هـ). *نور الساطع في الفقه النافع*. (د.ط). (د.م). مطبعة الآداب.

كاشف الغطاء، محمد حسين. (د.ت). *أصل الشيعة وأصولها*. تحقيق: علاء آل جعفر، ط1. (د.م). مؤسسة الإمام علي رضي الله عنه.

كحالة، عمر رضا. (د.ت). معجم *المؤلفين*. (د.ط). بيروت: مكتبة المثنى.

الكليني، محمد بن يعقوب. (1363هـ). *الكافي*. تحقيق: علي أكبر غفاري. ط3. طهران: دار الكتب الإسلامية.

الكليني، محمد بن يعقوب. (د.ت). *الكافي*. تحقيق: مجموعة من المحققين، باشراف: محمد حسين الدرايتي، ط3. قم: دار الحديث.

الكوراني، علي. (1411هـ). معجم *أحاديث الإمام المهدي*. ط1. قم: مؤسسة المعارف الإسلامية.

الكوراني، علي. (1419هـ). *الوهابية والتوحيد*. ط2. بيروت: دار السيرة.

اللاهيجي، عبد الرزاق. (د.ت). *شوارق الإلهام في علم الكلام*. تحقيق: أكبر أسد علي زاده. ط3. قم: مؤسسة الإمام الصادق.

اللجنة الدائمة في مؤسسة الإمام الصادق رحمه الله. (1418هـ). *موسوعة طبقات الفقهاء*. ط1. قم: مؤسسة الإمام الصادق رحمه الله.

المازندراني، محمد صالح. (د.ت). *شرح أصول الكافي*. تحقيق: علي عاشور. ط1. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

المجلسي الأول، محمد تقي بن مقصود علي. (د.ت). *روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه*. تحقيق: علي بناه الإشتهاردي، وحسين الموسوي الكرماني، (د.ط). (د.م). مؤسسة حسين محمد ابلحاج للثقافة الإسلامية .

المجلسي، محمد باقر. (1415هـ). *الوجيزة في علم الرجال*. تحقيق: عبد الله السبزالي الحاج. (د.ط). بيروت: مؤسسة الأعلمي.

المجلسي، محمد باقر. (د.ت). *مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول*. تحقيق: مرتضى العسكري. ط2. (د.م). دار الكتب الإسلامية .

المجلسي، محمد باقر. *بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار*. ط2. بيروت: مؤسسة الوفاء.

المجلسي، محمد باقر. *ملاذ الأخيار في فهم تهذيب الاخبار*. (406هـ). تحقيق: مهدي الرجائي. (د. ط). قم: مكتبة آية الله المرعشي.

المحمودي، محمد باقر. (د.ت). *نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة*. (د.ط). بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.

مرتضى العسكري. (1410هـ). *معالم المدرستين*. (د. ط). بيروت: مؤسسة النعمان.

المرتضى، الشريف. (1415هـ). *الانتصار*. تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي. (د.ط). قم: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين.

ابن المطهر الحلي، الحسن بن يوسف. (1414هـ). *نهج الحق وكشف الصدق*. تحقيق: عبد الله الحسني الأرموي. ط4. قم: دار الهجرة.

ابن المطهر الحلي، الحسن بن يوسف. (1426هـ). *تسليك النفس إلى حظائر القدس*. تحقيق: فاطمة رمضاني. ط1. قم: مؤسسة الإمام الصادق.

ابن المطهر الحلي، الحسن بن يوسف. (د.ت). *خلاصة الأقوال في معرفة الرجال*. تحقيق: جواد القيومي. (د.م). مؤسسة نشر الفقاهة.

المظفر، عبد الله. (1432هـ). *الشافي في شرح أصول الكافي*. ط1. بيروت: التاريخ العربي.

المظفر، محمد رضا. (د.ت). *عقائد الإمامية*. (د. ط). قم: انتشارات أنصاريان.

مغنية، محمد جواد. (1427هـ). *في ظلال نهج البلاغة*. (ط1). (د. م). انتشارات كلمة الحق.

المفيد، محمد بن محمد. (1414هـ). *الأمالي*. تحقيق: حسين الأستاذ ولي، وعلي أكبر الغفاري. ط2. بيروت: دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع.

المفيد، محمد بن محمد. (د.ت). *النكت الاعتقادية*. ط2. بيروت: دار المفيد.

المفيد، محمد بن محمد. (د.ت). *أوائل المقالات*. ط2. بيروت: دار المفيد.

المفيد، محمد بن محمد. (د.ت). *تصحيح إعتقادات الإمامية*. تحقيق: حسين دركاهي. ط2. بيروت: دار المفيد.

الملكي، محمد باقر. (1415). *توحيد الإمامية*. تحقيق: أحمد البياباني الاسكوئي، وعلي الملكي الميانجي. ط1. (د.م). مؤسسة الطباعة والنشر.

النائيني، رفيع الدين محمد بن حيدر. (1328هـ). *الحاشية على شرح أصول الكافي*. تحقيق: محمد حسين الدرايتي. ط3. قم: دار الحديث.

النجاشي، أحمد بن علي. (د.ت). *فهرست أسماء مصنفي الشيعة المعروف ب"رجال النجاشي."* تحقيق: موسى الشبيري الزنجاني، (د.ط). قم: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين.

نجف، محمد أمين. (1430هـ). *علماء في رضوان الله*. ط2. (د.م). انتشارات الإمام الصادق.

ابن النديم، *الفهرست*. (د.ت). (د.ط). بيروت: دار المعرفة.

النراقي، أحمد. (1417هـ). *عوائد الأيام*. تحقيق: مركز الأبحاث والدراسات الإسلامية. ط1. (د.م). مركز النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي.

النراقي، ملا محمد مهدي. (د.ت). *شرح الإلهيات من كتاب الشفاء*. تحقيق: حامد ناجي أصفهاني. (د. ط). قم: محققان نراقى.

ابن النعماني، أبي زينب. (1422هـ). *الغيبة*. تحقيق: فارس حسون كريم. ط1. قم: أنوار الهدى.

فهرس الآيات القرآنية

م.	الآيــة	رقم الآية	رقم الصفحة
.17	: ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ	173	244
.18	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ	164	245
.19	قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا﴾	136	259
.20	﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى	238	0
	سورة ال عمران		
.21	﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ	26	55
.22	﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ	128	135-56
.23	﴿ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾	154	56
.24	﴿ إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾	181	65
.25	﴿ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ	156	96
.26	﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ	59	126
.27	﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ	33	146
.28	﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ	190	206-174
.29	﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ	32	322
.30	﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي	31	223
	سورة النساء		
.31	﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ	115	100
.32	﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي	171	109
.33	﴿ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى	171	206

م.	الآيــة	رقم الآية	رقم الصفحة
34.	﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِّ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا	82	151
35.	﴿أَطِيعُوا اللهَّ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ	59	153
36.	﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾	65	153
37.	﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِّ وَالرَّسُولِ إِنْ	59	154
38.	﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِّ حُجَّةٌ	165	196
39.	﴿ فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللهُ أَرْكَسَهُمْ	88	222
40.	﴿ مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ وَمَنْ	80	294
41.	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ	59	300
42.	﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾	103	301
	سورة المائدة		
43.	﴿ وَمَنْ يُرِدِ اللهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ	41	95
44.	﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ	117	146
45.	﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي	3	154
46.	]، ﴿ إِنَّ اللهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾	1	195
47.	﴿ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ	5	254
48.	﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ	67	306
49.	﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ	55	319
50.	﴿ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ	3	327

م.	الآيــة	رقم الآية	رقم الصفحة
	سورة الانعام		
.51	﴿قُلْ هُوَ القَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا﴾	65	60
.52	﴿وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا	125	96
.53	﴿ذَلِكَ هُدَى الله يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ	88	102
.54	﴿وَهُوَ القَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً	62-61	129
.55	﴿أَلَا لَهُ الحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الحَاسِبِينَ﴾	62	136
.56	﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الأَرْضِ	165	142
.57	﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾	73	205
.58	﴿وَجَعَلُوا للهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا	136	211
	سورة الأعراف		
.59	﴿أَلَا لَهُ الخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ العَالَمِينَ﴾	54	57
.60	﴿إِنَّ الأَرْضَ للهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ	128	139
.61	يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ	65	172
.62	﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ	65	173
.63	﴿كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ	197	211
.64	﴿وَللهِ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ	180	256
.65	﴿وَللهِ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ	156	256

م.	الآيـة	رقم الآية	رقم الصفحة
66.	﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾	156	260
67.	﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ	29	280
68.	﴿ وَعَلَى الأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ﴾	46	295
69.	﴿لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي﴾	79	308
70.	﴿ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ	93	309
71.	﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللهِ	62	309
	سورة الانفال		
72.	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا، اسْتَجِيبُوا للهِ وَلِلرَّسُولِ	24	153
73.	﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا	61	242
74.	﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ	2	300
	سورة التوبة		
75.	﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ	31	53
76.	﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللهُ لَنَا﴾	51	176
77.	﴿ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾	15	291
78.	﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ	10	293
79.	﴿فَإِذَا انْسَلَخَ الأَشْهُرُ الحُرُمُ فَاقْتُلُوا	5	324
	سورة يونس		
80.	﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ	18	146

م.	الآيــة	رقم الآية	رقم الصفحة
81.	﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي	22	172
82.	﴿قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي	101	197
83.	﴿هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ﴾	18	203
84.	فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُون	32	212
سورة هود			
85.	﴿ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾	18	222
86.	سَأَلْتُ –أَوْ سُئِلَ– رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ الذَّنْبِ عِنْدَ اللَّهِ	15	106
87.	﴿ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾	123	246
سورة يوسف			
88.	﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا للهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ	40	195
89.	﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾	106	204
90.	﴿ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾	39	228
91.	﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ	40	239
سورة الرعد			
92.	﴿ أَمْ جَعَلُوا للهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ	16	139
93.	﴿ أَمْ جَعَلُوا للهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ	41	139
سورة إبراهيم			
94.	﴿ يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي	27	85
95.	﴿ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ	11	125

م.	الآيــة	رقم الآية	رقم الصفحة
.96	﴿ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ	18	292
	سورة الحجر		
.97	﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ ﴾	23	135
.98	﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[	93-94	290
	سورة النحل		
.99	﴿ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ	17	58
.100	﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾	40	106
.101	﴿ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لاَ يَقْدِرُ عَلَى شَيْء	75	157
.102	﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾	43	165
.103	﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ	73	255
.104	﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ	116	255
	سورة الاسراء		
.105	﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ	56	55
.106	﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ للهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُ	111	125
.107	﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ	102	176
.108	﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ	89	193
.109	﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾	15	195
.110	﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ	44	210
.111	﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً ﴾	79	243

م.	الآيــة	رقم الآية	رقم الصفحة
.112	﴿ قُلِ ادْعُوا اللهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ	110	257
	سورة الكهف		
.113	﴿ قُلْ لَوْ كَانَ البَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ البَحْرُ قَبْلَ	109	57
.114	﴿ قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾	69	107
.115	﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ	60	107
.116	﴿ هُنَالِكَ الوَلَايَةُ للهِ الحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾	44	260
.117	﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾	110	293
.118	﴿ وَكَانَ الإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴾	54	312
.119	﴿ فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ	6	312
	سورة مريم		
.120	﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ	64	58
.121	﴿ وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا	81،82	86
.122	﴿ وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ مَرْيَمَ﴾	16	315
	سورة طه		
.123	﴿ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾	39	89
	سورة الأنبياء		
.124	﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ	104	205
.125	﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللهُ لَفَسَدَتَا﴾	22	185
.126	﴿وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ﴾	95	206

م.	الآيــة	رقم الآية	رقم الصفحة
.127	﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ	25	211
.128	﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ ﴾	28	271
	سورة الحج		
.129	﴿ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللهُ﴾	40	86
.130	﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ عَلَى حَرْفٍ﴾	11	251
	سورة المؤمنون		
.131	﴿وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ	91	185
	سورة النور		
.132	﴿ وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ	55	141
	سورة الفرقان		
.133	﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلَهًا آَخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ	68	239
	سورة الشعراء		
.134	﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾	195	90
.135	﴿ وَمَا رَبُّ العَالَمِينَ﴾	23	103
.136	﴿ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ﴾	113	146
	سورة النمل		
.137	﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا	14	210
.138	﴿أَلَّا يَسْجُدُوا للهِ الَّذِي يُخْرِجُ الخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ	25-26	210

م.	الآيــة	رقم الآية	رقم الصفحة
.139	﴿قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ	49	211
	سورة العنكبوت		
.140	﴿وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾	43	156
.141	﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾	61	204
	سورة الروم		
.142	﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ﴾	25	57
.143	﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾	30	322
.144	﴿فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا	50	197
.145	﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا	30	203
	سورة لقمان		
.146	﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ	25	204
.147	﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾	34	218
	سورة السجدة		
.148	﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ﴾	5	56
	سورة الأحزاب		
.149	﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ [في ولاية علي	71	259
.150	﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا	39	309
.151	﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾	37	311
.152	﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [	45	318

رقم الصفحة	رقم الآية	الآيــة	م.
		سورة سبأ	
56	23	﴿ وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾	153.
326	20	﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ	154.
		سورة فاطر	
60	41	﴿ إِنَّ اللهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ	155.
97	15	﴿ أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللهِ وَاللهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ	156.
		سورة يس	
107	82	﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾	157.
117	21	﴿ اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾	158.
		سورة الصافات	
59	96	﴿ وَاللهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾	159.
177	171	﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ﴾	160.
290	61	﴿ لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾	161.
		سورة ص	
89	73	﴿ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا	162.
142	26	﴿ يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ	163.
155	86	﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾	164.
273	5	﴿ أَجَعَلَ الآَلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا﴾	165.
		سورة الزمر	

م.	الآيـة	رقم الآية	رقم الصفحة
166.	﴿وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ	67	54
167.	﴿وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ﴾	67	55
168.	﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ	65	102
169.	﴿أَلَا للهِ الدِّينُ الخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا	3	146
170.	﴿وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ﴾	29	157
171.	﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾	36	157
172.	﴿بَلِ اللهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾	66	162
173.	﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الكِتَابَ بِالحَقِّ فَاعْبُدِ اللهَ مُخْلِصًا لَهُ ال	2–3	223
174.	﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾	11	255
175.	﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللهُ وَحْدَهُ﴾	45	273
176.	﴿وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾	45	273
	سورة غافر		
177.	﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾	60	147
178.	﴿ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللهُ وَحْدَهُ	12	262
	سورة فصلت		
179.	﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ	42	117
180.	﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الأَرْضَ فِي	9–11	134
181.	﴿سَنُرِيهِم آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أنفسهم حَتَّى يتبَيَّنَ لَهُم	53	173

م.	الآيــة	رقم الآية	رقم الصفحة
	سورة الاحقاف		
196.	﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الأَرْضِ ...	4	108
	سورة محمد		
197.	﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ	19	220
	سورة الحجرات		
198.	﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ	15	221
199.	﴿وَلَكِنَّ اللهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ	7	259
	سورة الذاريات		
200.	﴿إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾	58	60
201.	﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾	47	135
202.	﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾	56	289
	سورة الطور		
203.	﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُسَيْطِرُونَ﴾	37	55
204.	﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ	37-35	104
	سورة النجم		
205.	﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى	46-43	134
206.	﴿فَلِلهِ الآخِرَةُ وَالأُولَى﴾	25	140
	سورة الرحمن		
207.	﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالإِكْرَامِ﴾	27	89

رقم الصفحة	رقم الآية	الآيــة	م.
175	4	﴿ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾	231.
سورة القدر			
159	1	﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾	232.
سورة البينة			
240	5	﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ	233.
سورة الناس			
54	2	﴿ مَلِكِ النَّاسِ﴾	234.
86	1،2،3	﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ مَلِكِ النَّاسِ إِلَهِ النَّاسِ ﴾	235.

فهرس الأحاديث